

قصص العرب

تأليف

محمد أحمد جاد المولى محمد أبو الفضل إبراهيم على محمد البجاوي

المجلد الثاني

الطبعة الرابعة

[فيها زيادة ضبط وشرح وتحقيق]

١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م

دار الخيانة الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه

البَابُ الْأَوَّلُ

في القصص التي تشرح ما أُثِرَ عنهم من عادات وشماثل
في الأسباب الدائرة بينهم، وتبين ما انتهجوه في مواسمهم
وأعيادهم وأفراحهم وأعراسهم، مما يمثل حياتهم الاجتماعية
أصدق تمثيل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الطبعة الأولى

تعدُّ القصة أقدر الآثار الأدبية على تمثيل الأخلاق ، وتصوير العادات ، ورسم خَلجات النفوس ؛ كما أنها - إذا شرف غرضها ، ونُبِّل مقصدُها ، وكرمت غايتها - تُهذَّب الطباع ، وتُرَقِّق القلوب ، وتدفع الناس إلى المثل العليا : من الإيمان بالواجب والحق والتضحية والكرم والشرف والإيثار .

وقد كانت القصة - ولا تزال - ذاتَ الشأن الأسمى في آداب الأمم قديمها وحديثها ، فقد وردت في التوراة ، وجاءت في الإنجيل ، وزخرت بها آيُ الذكر الحكيم . ثم هي في شعر الإغريق ومخلفات الرومان وآثار المصريين القدماء .

والعرب من الأمم التي أخذت بنصيب من هذا الفن الجميل ، وأثّرَ عنها فيضٌ من ذلك الأدب الرفيع ؛ بيد أن بعضاً من الباحثين المحدثين قد جحدوا نصيبهم من هذا الفن ، وهضموم حقهم في ذلك الباب ، ووَصَمَوم بالخيال العقيم ، وعابوا عليهم الفكر القريب ؛ ولكن النصفين منهم قد عالم هذا الجحود ، ولم يرقهم ذلك النكران ، فاعترفوا للعرب بالقصص التي ترجوها عن الفرس والهنود ، وتزيّدوا عليها في القاهرة وبغداد ، وتحدّثوا للناس عن قصص عنقرة وذات الهمة ، وجلّوا عليهم ألف ليلة وليلة وأخبار ابن دِي يَزَن .

وهذه القصص - وإن كانت قد نجحت نجاحاً تاماً في تصوير المصور التي وُضِعَتْ فيها، ورَسِمَتْ لنا البيئة التي نبتت منها - كثير منها تافه الغرض مُبْهِمُ القصد، ردى اللغة والأسلوب . وفي قصر قصص العرب عليها جَحْدٌ للآداب العربية فضلها ، وإنكار عليها مفاخرها . . . وإلا فإن هناك قصصاً زخرت بها مجالس الخلفاء ، وسواهم الأمراء ، وملأت الكتب التي انحدرت إلينا عن المؤلفين القدماء : وما مَنَعَ الناس أن يَبرِدُوا شريعتها ، أو يَجْنُوا أطايبها ، إلا ما مُنِيت به هذه الكتب من اضطراب الترتيب ، وردى الطبع ، وتحريف الناسخين .

وكتابتنا هذا جمعنا فيه هذه القصص : ما انتبذ منها وما شَرِدَ ، وأَلْقنا ما تنافر وافترق ، وجعلناه أقساماً ، وقسمناه أبواباً ؛ جمعنا كل قصة إلى مثلها ، وضممنا كل طُرْفَة إلى شبنها ؛ ليجتمع إلى غرض القصة - من تهذيب الطباع وترقيق النفوس - عَرَضٌ شامل لحياة العرب : مدينتهم وحضارتهم ، وعلومهم ومعارفهم ، وأديانهم وعقائدهم ، وذكر ألعواندهم وشمائلهم ، وما طُبِعوا عليه من كريم الفرائض ، وحده الذكاء ؛ ثم ما كان للمرأة عندهم من سامي المكانة وعظيم المنزلة ، وما أثرَ عنهم من أخبارٍ صَوَّروا بها حبهم العفيف ، وغزلهم الرقيق ، وعشقهم الشريف ؛ ولم يخلُ كتابنا مما كان لهم من محاورات ومساجلات ، ومطاميات ومناقلات ، وما نقله الرواة من أحوال العامة والملوك ، وطُرَف القضاة والولاة ، وأخبار الأيام والحروب ، وغير هذا مما سيمرض مفصلاً في أبواب الكتاب .

ولم تقف في اختيار القصة على تعريف خاص ، أو حذرٍ مرسوم ؛ فبقيا اختارناه ما ذكره من طريف الأخبار وشائق الأحداث ، وما وضعوه مصوِّرين به المجالس والأشخاص ، وما صنعوه على ألسنة الطير والحيوان ، وما تخيلوه من أخبار الشياطين والجان ؛ إذ كان الغرض تثقيف الأذهان بذكر الطرائف ؛ وإنشراح الصدور بمرض اللطائف ،

مع كشف نواحي التاريخ ، وإظهار مفاخر العرب .
ولعل القارئ يروقه ماتدسّى فيها من شريف الخصال فيحتذّيه ، أو تعجبه
كرأى العادات فيطبع نفسه عليها ، إلى ما في هذا من بعث فصيح الألفاظ ، وإحياء
رائع الأساليب . ولعله يكون فيها مبادئ صالحة وأسس قوية لمن يريد أن ينشئ
قصصاً طويلة على أساس ، أو يقيم روايات على بناء .
وكان من همّنا أن نحرص على اختيار القصص كما وضعوها ؛ إلا ما كان من
زيادة اقتضاها اختلاف الروايات ، أو تفسير لكلمات لا تألفها الآداب ، أو حذف
عبارات لاغناء فيها .

ولقد بذلنا من الجهد في ضبط الألفاظ ، وكشف النقاب عن المعاني ، وتراجم
الأشخاص ، وذكر المراجع ما نرجو أن يكون به جنّى الكتاب قريباً ، ومنهله
عذبا ، وورده سائفاً ، وطريقه سهلاً معبداً .

ونسأل الله أن ينفع به ؛ على ما صدقنا في النية ورجونا من الخير ؟

المؤلفون

{ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨
(يولية سنة ١٩٣٩) }

مقدمة الطبعة الرابعة

هذا كتابنا « قصص العرب » تقدمه إلى أدباء العربية في طبعته الرابعة ، بعد أن نفذت طبعته الثالثة ، وازداد الأدباء إقبالا على اقتنائه وتقديره له .
وكنا قد تلقينا رسائل من بعض أفاضل الأدباء يرغبون إلينا فيها أن نذل الطريق إلى قراءة الكتاب ؛ فنكثر من ضبط الكلمات ، ونزيد من شرح المفردات ، فعملنا على تحقيق رغبتهم ، وبذلنا غاية الجهد في تحريره وتحقيقه . وزدنا في شرح كلماته وضبط أعلامه .

ونرجون أن يكون ذلك كفاء لما تلقينا من رسائل الأدباء ، ولما تفضلت به صحف الشرق العربي من إشادة .

ونسأل الله أن يزيد به النفع بقدر ما بذلنا من جهد ، ورجونا من خير .

المؤلفون

الحرم سنة ١٣٨٢
يونيه سنة ١٩٦٢

القاهرة
(جميع الحقوق محفوظة)

١ - شبّ عمزرو عن الطوق*

كان جَذِيمة^(١) الأبرش ملكُ الحيرة قد جمع غِلْمَانًا من أبناء الملوك يخدمونه ؛ منهم عدى بن نصر بن ربيعة اللّخميّ ، وكان له حظٌ من الجمال ؛ فقالت له رَقَاشِ أخت جَذِيمة : إذا سَقَيْتَ الملكَ فيسكر فاخطبني إليه ؛ فسقى عدى جَذِيمةَ ليلةً ، وألطفَ له في الخدمة ، ولما أسرعَ الخمرُ فيه ، قال له : سَلْنِي ما أَحْبَبْتَ ، فقال : أسألكَ أن تزوجني رَقَاشِ أختك . قال : ما بها عنك رغبةٌ ، قد فعلتُ !

فدخل بها ، وأصبح في ثياب جُدُرٍ وطيب . فلما رآه جَذِيمةُ قال : يا عدى ! ما هذا الذي أرى ؟ قال : زَوَّجْتَنِي أختك رَقَاشِ البسارحةَ ، قال : ما فعلتُ ! ثم وضع يده في التراب ، وجعل يضرب بها وجهه ورأسه ، وأقبل على رَقَاش فقال :

حدثيني وأنت غيرُ كذوب أبحرِي زَنَيْتِ أم بهجيج
أم بعبدٍ وأنت أهلٌ لعبدٍ أم بدُونٍ وأنت أهلٌ لدون
فأجابته رَقَاش :

أنت زَوَّجْتَنِي وما كنتُ أدري وأتاني النساءُ للترزين
ذاك من شُرْبِكَ المدامة^(٢) صِرْفًا وتماديك في الصُّبَا والمجون^(٣)

فأطرق جَذِيمة ، فلما رآه عدى قد فعل ذلك خافه على نفسه فهرب منه ، ولحقَ بقومه وببلاده ، فمات هناك .

* الأمثال : ٢ - ٧٥ ، القاموس المحيط - مادة طوق ، بلوغ الأرب : ٢ - ١٧٧ ، المسعودي : ١ - ٧٥ .

(١) جَذِيمة الأبرش ثالث ملوك الدولة التنوخية في العراق ، عاش في الجاهلية عمرًا طويلا ، وكان يقال له الوضاح والأبرش لبرس فيه ، وهو الذي جاء إلى الزباء فقتلته بثأر أبيها (٢) المدامة : الخمر . وصرف : غير ممزوج (٣) المجون : الهزل .

ثم ولدت رَقَاشَ غلاماً ، فسماه جَذِيمَةَ عَمراً وتبناه ، وأحبّه حبّاً شديداً - وكان جَذِيمَةُ لا يولد له .

فلما بلغ الغلامُ ثمانى سنين كان يخرج في عِدْوٍ من خدم الملك يجتنون له الكُمَاةَ ، فكانوا إذا وجدوا كُمَاةً خياراً أكلوها وراحوا بالباقي إلى الملك . وكان عمرو لا يأكلُ مما يَجْنِي ، ويأتى به جَذِيمَةُ فيضعه بين يديه ، ويقول :

هذا جَنَائِي وخيارُهُ فيه إذْ كُلُّ جَانِ يَدُهُ إلى فيه

ثم إنه خرج يوماً وعليه ثيابٌ وحُلٌّ ، فاشتطير وفقدَ زماناً ، وَضُرِبَ في الآفاق فلم يوجد ، وأتى على ذلك ما شاء الله .

ثم وجده مَلَكٌ وعَقِيلٌ ابنا فارحٍ ، وهما رجلان كانا متوجهين إلى الملك بهدايا وتُحَفَ ، فبينما هما بوادٍ في السَّامَاةِ انتهى إليهما عمرو بنُ عَدِيٍّ ، وقد عَفَتَ^(١) أَظْفَارُهُ وشَعْرُهُ ، فقالا له : من أنت ؟ قال : ابنُ التَّنُوخِيَّةِ ؛ فَلَمَّيَا عنه ، وقالا للجارية معها : أطعمينا فأطعمتهما ؛ فأشار عمرو إلى الجارية أن أطعمني فأطعمته ، ثم سقتهما ، فقال عمرو : اسقيني . فقالت الجارية : لا نُطْعِمُ^(٢) الْعَبْدَ الْكَرَاعَ فَيَطْمَعُ في الذراع^(٣) .

ثم إنهما حملاه إلى جَذِيمَةَ فعرفه ، ونظر إلى فتى ما شاء من فتى ! فضمه وقبله وقال لهما : حَكَمْتُكما . فسألاه منادته ، فلم يزالا نَدِيمَيهِ حتى فرَّقَ الموتَ بينهما ؛ وبعثَ عمراً إلى أمه ، فأدخلته الحمام ، وألبسته ثياباً ، وطوّقته طوقاً كان له من ذهب ، فلما رآه جَذِيمَةُ قال : كَبِرَ عمرو عن الطوق^(٤) !

(١) عفا الشعر وغيره : كثر (٢) ذهبت مثلاً (٣) الكراع في البقر والغنم كالوظيف في الفرس والبعر وهو مستند الساق . والذراع أفضل من الكراع لأنه في اليد ، والكراع في الرجل . (٤) ذهبت مثلاً ، يضرب للابس ما هو دونه .

٢ — الحديث ذو شُجُون *

كان لَضَبَّة بن أَدْرِ ابنان ؛ يقال لأحدهما سعدٌ وللآخر سُمَيْد ؛ فنفرت إبل لَضَبَّة تحت الليل ؛ فوجّه ابنيه في طلبها ؛ ففترقا . فوجدها سعد ، فردها . ومضى سُمَيْد في طلبها ؛ فلقى الحارث بن كعب — وكان على الغلام بُرْدان — فسأله إياها ، فأبى عليه ، فقتله ، وأخذ بُرْدِيَه .

فكان ضَبَّة إذا أمسى فرأى تحت الليل سواداً قال : أسعد أم سعيد^(١) ؟ فكش ضَبَّة كذلك ما شاء الله أن يمكث . ثم إنه حجّ ؛ فوافى عُكَاظ ، فلقى بها الحارث بن كعب ؛ ورأى عليه بُرْدَى ابنه سُمَيْد ، فعرفها ، فقال : هل أنت تُخْبِرِي : ما هذان البردان اللذان عليك ! قال : لقيت غلاماً ومهما عليه ؛ فسألته إياها فأبى علىّ فقتلته ؛ وأخذتُ بُرْدِيَه هذين .

فقال ضَبَّة : بسيفك هذا ؟ قال : نعم ! فقال : فأعطنيهِ أنظر إليه فأبى أنظره صارماً ، فأعطاه الحارثُ سيفَه ، فلما أخذه من يده هزّه ، وقال : الحديث^(٢) ذو شُجُون ، ثم ضربه به حتى قتله ؛ فقيل له : يا ضَبَّة ؛ أفى الشهر الحرام ؟ فقال : سبق السيفُ العَدْل !

* اللسان — مادة شجن ، أمثال الميداني : ١ — ١٨٠
(١) ذمبت مثلاً ، وبضرب في النجاح والنجية (٢) ذمبت مثلاً .

٣ - جَوَّعَ كَلْبِكَ يَتَّبِعَكَ*

كان أحدُ ملوكِ خَيْرٍ عَظِيمًا على أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، يَفْصِلُهُمْ أَمْوَالُهُمْ ، وَيَسْلُبُهُمْ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَكَانَتِ الْكَهَنَةُ تَخْبِرُهُ أَنَّهُمْ سَيَقْتُلُونَهُ ، فَلَا يَحْفَلُ بِذَلِكَ .

وَسَمِعَتْ أَسْرَاتُهُ أَصْوَاتَ السُّؤَالِ ؛ فَقَالَتْ : إِنِّي لِأَرْحَمُ هَؤُلَاءِ ؛ لَمَّا يَلْقَوْنَ مِنَ الْجَهْدِ ، وَنَحْنُ فِي الْعَيْشِ الرَّغْدِ ، وَإِنِّي لِأَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ يَصِيرُوا سِبَاعًا ، وَقَدْ كَانُوا لَنَا أَتْبَاعًا ؛ فَرَدَّ عَلَيْهَا وَقَالَ : جَوَّعَ كَلْبِكَ يَتَّبِعَكَ^(١) !

فَلَبِثَ بِذَلِكَ زَمَانًا ، ثُمَّ أَغْزَاهُمْ ، فَفَنَّمُوا ، وَلَمْ يَقْسَمْ فِيهِمْ شَيْئًا ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ قَالُوا لِأَخِيهِ - وَهُوَ أَمِيرُهُمْ : قَدْ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ الْجَهْدِ ، وَنَحْنُ نَكْرَهُ خُرُوجَ الْمَلِكِ مِنْكُمْ - أَهْلَ الْبَيْتِ - إِلَى غَيْرِكُمْ ؛ فَسَاعَدْنَا عَلَى قَتْلِ أَخِيكَ ، وَاجْلِسْ مَكَانَهُ .

وَكَانَ قَدْ عَرَفَ بَغْيَهُ وَاعْتِدَاءَهُ عَلَيْهِمْ ؛ فَأَجَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ ؛ فَوَثَبُوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ! فَمَرَّ بِهِ عَامِرُ بْنُ جَدِيمَةَ - وَهُوَ مَقْتُولٌ - وَقَدْ سَمِعَ بِقَوْلِهِ : جَوَّعَ كَلْبِكَ يَتَّبِعَكَ - فَقَالَ : رَبِّمَا أَكَلِ الْكَلْبُ مُؤَدِّبَهُ إِذَا لَمْ يَنْلِ شَبْعَهُ !

* الأمثال : ١ - ١٥٠

(١) مثل يضرب في معاشره اللئام ، وما ينبغي أن يعاملوا به .

٤ — عند جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليَقِينُ *

أحدث الأخنسُ بن كعب في قومه حَدَثًا ، فخرج هاربًا ، فلقاه الحصين بنُ عمرو الكلابي ، فقال له : من أنت ؟ تَكَلَّمْتَ أُمُّكَ ! فقال له الأخنس : بل من أنت تَكَلَّمْتَ أُمُّكَ ! فردد هذا القول حتى قال الأخنس : أنا الأخنس بنُ كعب ، فأخبرتني مَنْ أنت ، وإلا أنفذت قلبك بهذا السُّنان . فقال له الحصين : أنا الحصين ابن عمرو الكلابي .

فقال له الأخنس : فما الذي تريد ؟ قال : خرجتُ لِمَا يخرج له الفتيان . قال الأخنس : وأنا خرجتُ لمثل ذلك . فقال له الحصين : هل لك أن تتعاقد ألا نلتقي أحداً من عشيرتك أو عشيرتي إلا سلبناه ؟ قال : نعم ؛ فتعاقدا على ذلك ؛ وكلاهما فأتك يحدَرُ صاحبه !

فلقيا رجلاً فسلباه ، فقال لهما : هل لكما أن تردّا على بعض ما أخذتما مني وأدلكما على مغنم ؟ قالوا : نعم . فقال : هذا رجل من نَحْم ، قد قدم من عند بعض الملوك بمغنم كثير ، وهو خلقي في موضع كذا وكذا . فردّا عليه بعض ماله ، وطلبا اللّخمى ، فوجداه نازلاً في ظل شجرة وقُدّامه طعام وشراب ، فحيّياه وحيّاهما ، وعرض عليهما الطعام ، فكره كلُّ واحدٍ أن ينزل قبل صاحبه فيفتك به ، فزلا جميعاً ، وأكلا وشربا مع اللّخمى .

ثم إنَّ الأخنس ذهب لبعض شأنه ، فرجع واللخمى يتشحَّط في دمه ^(١) . فقال
الجهنى - وهو الأخنس - وسلَّ سيفه لأنَّ سيف صاحبه كان مسلولاً : ويحك !
فصكَّتَ برجلٍ قد تحرمتاً بطعامه وشرابه ، فقال : اقم يا أخا جهينة ؛ فلهذا وشبهه
خرجنا . فشرَّ باساعةً وتحدثنا .

ثم إنَّ الحصين قال : يا أخا جهينة ؟ أتدرى ماصلةُ وما صَعَلُ ^(٢) ؟ قال الجهنى :
هذا يوم شرب وأكل ؛ فسكَّت الحصين حتى إذا ظنَّ أنَّ الجهنى قد نسى ما يُراد به
قال : يا أخا جهينة ؛ هل أنت للطير زاجر ! قال : ماذا ؟ قال : ماتقول هذه العقاب
الكاسر ؟ قال الجهنى : وأين تراها ؟ قال : هى ذى ، وتطاول ورفع رأسه إلى السماء ،
فوضع الجهنى بادرَّة السيف فى نحره ، فقال : أنا الزاجر والناحر ! واحتوى على
متاعه ومتاع اللخمى ، وانصرف راجعاً إلى قومه .

فر بيطينين من قيس يقال لهما : مراح وأثمار ، فإذا هو بامرأة تنشدُ الحصين ،
فقال لها : مَنْ أنتِ ؟ قالت : أنا صخرة أخت الحصين ، قال : أنا قتلته . قالت :
كذبت ! ما مثلك يقتلُ مثله ، أما والله لو لم يكن الحى خلوًا ما تكلمت بهذا . فانصرف
إلى قومه فأصلح أمرهم ، ثم جاءهم ، فوقف حيث يسمعهم وقال :

وكم من ضَيِّمٍ وَرَدِ ^(٣) هُمُوسٌ ^(٤) أبى شِبْلين مسكنهُ العرين
علوت يياض مَفْرِقَةٍ ^(٥) بَعْضِبٍ فأضحى فى الفلاة له سكونُ
وأضحت عِرْسُهُ ولها عليه - بُعَيْدٌ هَدوء ليلتها - رَنينُ
وكم من فارس لا تزدرية إذا شخصتْ لموقعه العيون

(١) يتشحط فى دمه : يتخبط فيه ويضطرب ويتبرغ (٢) الصلة : النعامه ، والصل : الظليم -
(٣) الورد : الأسد ، ولونه بين الكيت والأشقر (٤) الهموس : السيار بالليل (٥) الفرق :
وسط الرأس .

كصخرة إذ تُسألُ في مراح وأثمار وعلهُما ظنونُ
نسائل عن حصين كلِّ ركبٍ وعند جهينة الخبِرُ اليقين
فن يكُ سائلاً عنه فمندی لصاحبه البيان المستبين
جهينةُ معشرى وهو ملوك إذا طلبو المآلى لم يهونوا

٥ — يَحْمَى الصَّحَابُ إِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً*

تزوج أبو كبير^(١) الهذلي أمَّ تابط شراً^(٢) - وكان غلاماً صغيراً - فتسكر له ،
وعرف ذلك أبو كبير في وجهه ، إلى أن ترعرع الغلامُ ، فقال أبو كبير لزوجه :
وَيْحَكَ ، قد واللهِ رابى أمرُ هذا الغلامِ ، ولا آمنه . قالت : فاحتل دلياً
حتى تقتله .

فقال له ذات يوم : هل لك أن تغزو ؟ فقال : ذاك من أمرى . قال : فامضِ
بنا ، فخرجنا غازيين ولا زادَ معها ، فسارا ليلتهما ويومهما من الغد ، حتى ظنَّ
أبو كبير أن الغلامَ قد جاع . فلما أمسى قصدَ به أبو كبير قوماً كانوا له أعداء ، فلما
رأيا نارهم من بُعد قال له أبو كبير : ويحك ، قد جُعنا ! فلو ذهبنا إلى تلك النار
فالتمسنا لنا منها شيئاً !

* خزانة الأدب ٣ - ٦٧ (طبعة بولاق) ، الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٦٥٢ ، شرح

ديوان الحماسة : ١ - ١٩

(١) أبو كبير الهذلي : اسمه عامر بن الحليس . (٢) هو ثابت بن جابر ، كان أسمع العرب
وأبصرهم وأكيدهم ، وكان أعدى رجل ؛ ينظر إلى الظباء فينتقى على نظره أسنمها ، ثم يمدو خلفه
خلا يفوته . وأخبره في هذا الباب كثيرة . توفي نحو سنة ٨٠ ق . هـ

فَضَى تَابَطَ شَرَا ، فوجد على النار رجلين من أَلَصَّ مَنْ يَكُونُ مِنَ الْعَرَبِ
- وَإِنَّمَا أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمَا أَبُو كَبِيرٍ لِيَقْتُلَاهُ - فَلَمَّا رَأَاهُ قَدْ غَشِيَ نَارَهَا وَثَبَا عَلَيْهِ ، فَرَمَى
أَحَدَهُمَا وَكَرَّ عَلَى الْآخَرِ فَرَمَاهُ ، فَقَتَلَهُمَا ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى نَارِهَا فَأَخَذَ الْخَبَرَ مِنْهَا ، فَجَاءَ
بِهِ إِلَى أَبِي كَبِيرٍ ، فَقَالَ لَهُ : كُلْ ، لَا أَشْبَعُ اللَّهَ بِطَنِكَ ! وَلَمْ يَأْكُلْ هُوَ ، فَقَالَ :
وَيَحْك ! أَخْبِرْنِي عَنْ قِصَّتِكَ ، فَأَخْبَرَهُ ، فَازْدَادَ خَوْفًا مِنْهُ .

ثُمَّ مَضَى فِي لَيْلَتِهِمَا فَأَصَابَا إِبِلًا ، وَكَانَ يَقُولُ لَهُ أَبُو كَبِيرٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ : اخْتَرِ
أَيَّ نِصْفِ اللَّيْلِ شِئْتَ تَحْرُسُ فِيهِ وَأَنَامَ ، وَتَنَامُ النِّصْفَ الْآخَرَ ، فَقَالَ : ذَلِكَ إِلَيْكَ ،
اخْتَرِ أَيُّهُمَا شِئْتَ ، فَكَانَ أَبُو كَبِيرٍ يَنَامُ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ وَيَحْرُسُهُ تَابَطُ شَرَا ،
فَإِذَا نَامَ تَابَطُ شَرَا نَامَ أَبُو كَبِيرٍ أَيْضًا لَا يَحْرُسُ شَيْئًا حَتَّى اسْتَوَقَى الثَّلَاثَ .

فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الرَّابِعَةِ ظَنَّ أَنَّ النَّعَاسَ قَدْ غَلَبَ عَلَى الْغَلَامِ ، فَنَامَ أَوَّلَ اللَّيْلِ
إِلَى نِصْفِهِ ، وَحَرَسَهُ تَابَطُ شَرَا ، فَلَمَّا نَامَ الْغَلَامُ قَالَ أَبُو كَبِيرٍ : الْآنَ يَسْتَنْقِلُ نَوْمًا
وَيُمْكِنُنِي فِيهِ الْفُرْصَةُ ؛ فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّهُ اسْتَنْقَلَ أَخَذَ حَصْبَةً صَغِيرَةً ؛ فَحَذَفَ ^(١) بِهَا ؛
فَقَامَ كَقِيَامِهِ الْأَوَّلِ ، فَقَالَ : مَا هَذَا الَّذِي أَسْمَعُ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي لِمَ لَعَلَّ بَعْضَ
الْإِبِلِ تَحْرُكُ ؛ فَقَامَ وَطَافَ فَلَمْ يَرِ شَيْئًا ، فَعَادَ فَنَامَ ، فَأَخَذَ حِصَاةً أَصْغَرَ مِنْ تِلْكَ ،
فَرَمَى بِهَا فَوَثَبَ ، فَطَافَ وَرَجَعَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا هَذَا ؛ إِنِّي قَدْ أَنْكَرْتُ أَمْرَكَ :
وَاللَّهِ لَنَنْ عَدْتُ أَسْمَعُ شَيْئًا مِنْ هَذَا لِأَقْتُلَنَّكَ ! قَالَ أَبُو كَبِيرٍ : فَبَتُّ وَاللَّهِ أَحْرَسَهُ خَوْفًا
أَنْ يَتَحَرَّكَ شَيْءٌ مِنَ الْإِبِلِ فَيَقْتُلَنِي !

فَلَمَّا رَجَعَا إِلَى حَيْثُمَا قَالَ أَبُو كَبِيرٍ :

وَلَقَدْ سَرِيتُ عَلَى الظَّلَامِ بِنَفْسِي جَلَدٍ مِنَ الْفَتَيَانِ غَيْرِ مَثْقَلٍ ^(٢)

(١) حذف بها : رمى (٢) اللغشم : الذي لا يثنيه شيء . والجلد : القوي . وغير مثقل : أي :
حسن القبول محبب إلى القلوب .

يَمْنَحُ حَمْلَنَ بِهِ وَهْنٌ عَوَاقِدُ حُبِكَ النَّطَاقِ فُشِبَ غَيْرُ مُهَيْلٍ ^(١)
 حَمَلَتْ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزْمُودَةٍ ^(٢) كَرِهًا وَعَقْدَ نِطَاقِهَا لَمْ يُحَلِّلِ
 فَأَتَتْ بِهِ حَوْشَ الْفَوَادِ مُبْطِنًا سَهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهُوجِلِ ^(٣)
 وَإِذَا نَبَذَتْ لَهُ الْحَصَاةَ رَأَيْتَهُ يَنْزُو لَوْقَعَهَا طَمُورَ الْأَخِيلِ ^(٤)
 وَإِذَا يَهُبُّ مِنَ النَّسَامِ رَأَيْتَهُ كَرْتُوبَ كَعْبِ السَّاقِ لَيْسَ بِزُمْلٍ ^(٥)
 مَا إِنْ يَمْسُ الْأَرْضَ إِلَّا مِنْكِبٌ مِنْهُ وَحَرْفُ السَّاقِ طَى الْحَمَلِ ^(٦)
 وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ الْفَجَاجَ رَأَيْتَهُ يَهْوِي مَخَارِمَهَا هَوًى الْأَجْدَلِ ^(٧)
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أُسْرَةٍ وَجْهَهُ بَرَقَتْ كَبْرَقِ الْعَارِضِ التَّهْلِيلِ ^(٨)
 يَحْمِي الصَّحَابَ إِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً وَإِذَا هُمْ نَزَلُوا فَمَاوَى الْعَيْلِ ^(٩)

(١) الضمير للنساء ، وإن لم يجر لمن ذكر ، وضمن حملن معنى علقن فتعدي بالباء ، وعواقد جمع عاقدة ، والحبك جمع حباك : وهو ما يشد به النطاق ، والنطاق شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها ثم ترسل الأعلى على الأسفل إلى الركبة ، والأسفل ينجر على الأرض . والمهيل الذى يدعى عليه بقولهم : هبلته أمه ، أى شكلته ، أو الكثير اللحم . والمعنى أن هذا الغلام حملت به أمه وهى متعبة من الخدمة فنشأ محمداً مرضياً ، لم يدع عليه بالثكل والمجل ، وهذا فزع العرب (٢) مزهودة : مروعة ، والعرب تزعم أن المرأة تنجب إذا حملت مغضبة (٣) حوش الفؤاد : ذكى كيس ، والمبطن : الخيمى البطن . والسهد : قليل النوم ، والهوجل : الثقيل الكسلان ، والأهوج . (٤) ينزو : يقفز ، والطمور : الونب ، والأخيل : الشاهين ، وهو من الطيور الجارحة (٥) رأيت : أى رأيت رتوبه ، ورتوب الكعب انتصابه ، والزمل : الضعيف ، والمعنى : أنه إذا استيقظ من منامه انتصب انتصاب الساق (٦) يقول : إنه مدمج الخلق إذا اضطجع لا ينسبط على الأرض ولا يتسكن منها بأعضائه كلها وإنما يمس الأرض بمنكبه ، فهو فى ذلك مثل حراة السيف حين تطوى (٧) الفجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع فى الجبل أو غيره . الهوى : القصد إلى أسفل ، والمخارم جمع مخرم وهو منقطع أفت الجبل . والأجدل : الصقر . وهذا الكلام كناية عن كونه صاحب همه إذا نبطت به الصعاب ذلها (٨) الأسرة : الخطوط التى فى الجبهة ، يقول : إذا نظرت فى وجهه رأيت أسارير وجهه تشرق إشراق السحاب المتشقق بالبرق . يصفه بحسن البشر وطلاقة الوجه (٩) العيل : جمع عائل وهو الفقير ، يصفه بأنه شجاع كريم .

٦ — تَابَطُ شَرًّا وَابْنُ بَرَّاقِ*

أغار تَابَطُ شَرًّا ومعه ابنُ (١) بَرَّاقِ على بِحِيلَةٍ ، فَأُطْرِدَا لهما نَعْمًا ، وَنَذِرَتْ (٢) بهما بِبَحِيلَةٍ فخرَجَتْ في آثارهما ، ومضيا هَارِيَيْنِ في جبالِ السَّرَّاءِ ، وَرَكِبَا الحَزْنَ ، وعارضتهما بِبَحِيلَةٍ في السَّهْلِ ، فسبقوهما إلى الوَهْطِ (٣) ، فدخلوا لهما في قِصْبَةِ العَيْنِ ، وجاءا — وقد بلغ العطشُ منهما — إلى العَيْنِ .

فلما وقعا عليها ، قال تَابَطُ شَرًّا لابنِ بَرَّاقِ : أَقَلَّ من الشربِ فَإِنها لَيْلَةُ طَرْدٍ ، قال : وما يدريك ؟ قال : والذي أَعْدُو بِطَيْرِهِ (٤) ، إِنِّي لَأَسْمَعُ وَجِيبَ (٥) قلوبِ الرجالِ تحتِ قَدَمَيَّ — وكان من أَسْمَعَ العربِ وأَكِيدَمَ — فقال له ابنُ بَرَّاقِ : ذاك وَجِيبُ قَلْبِكَ . فقال له تَابَطُ شَرًّا : والله ما وَجِبَ قَطْ ولا كان وَجَابًا ، وضرب بيده عليه ، وأصاخ نحو الأرضِ يَسْتَمِعُ ، فقال : والذي أَعْدُو بِطَيْرِهِ ؛ إِنِّي لَأَسْمَعُ وَجِيبَ قلوبِ الرجالِ . فقال له ابنُ بَرَّاقِ : فَإِنِّي أَنزِلُ قَلْبَكَ .

فَنَزَلَ فَبَرَكَ وشرب ، وكان أَكَلُ القومِ عندَ بِحِيلَةٍ شَوْكَةً ، فَتَرَكُوهُ وَهم في الظلمة . ونزل ثابتُ (٦) ، فلما توسطَ الماءُ وثَبُّوا عليه ، فَأَخَذُوهُ وَأَخْرَجُوهُ من العَيْنِ مَكْتُوفًا ، وابنُ بَرَّاقِ قَرِيبٌ منهم لا يَطْمَعُونَ فيه لما يَعْلَمُونَ من عَدُوهِ . فقال لهم ثابتُ : إِنَّه من أَصْلَفِ الناسِ وَأَشَدِّهم عُجْبًا بَعْدُوهُ ، وسأَقُولُ له اسْتَأْسِرْ (٧) معي ،

* الأغانى : ١٨ — ٢١١ (طبعة الساسي) ، بلوغ الأرب : : ٢ — ١٤٣

(١) اسمه عمرو بن براق (٢) نذره به : علم (٣) الوهط : ماء بالطائف (٤) يقال : طير الله لا طيرك . أى فعله وحكمه (٥) وجب القلب : اضطرب (٦) ثابت : اسم تَابَطُ شَرًّا (٧) استأسر : كُن أسيرًا .

فسيدغوه عَجَبه بعدوه إلى أن يعدو بين أيديكم ، وله ثلاثة أطلاق ^(١) ؛ أولها كالريح الهابة ، والثاني كالقرس الجواد ، والثالث يكتبو فيه ويمر . فإذا رأيتم منه ذلك فخذوه ؛ فإنني أحبُّ أن يصير في أيديكم كما صرتُ إذ خالفني ، قالوا : فافعل .

فصاح به تأبط شراً : أنت أخي في الشدة والرخاء ، وقد وعدني القوم أن يمتنوا عليك وعلى ، فاستأمرُ ووأسنى بنفسك في الشدة كما كنت أخي في الرخاء ؛ فضحك ابنُ براقٍ ، وعلم أنه قد كادهم ، وقال : مهلاً يا ثابت ، أبتأمرُ من عنده هذا المدو ؟ ثم عدا ، فعدا أول طلق مثلَ الريح كما وصف لهم ، والثاني كالقرس الجواد ، والثالث جعل يكتبو ويمر ويقعُ على وجهه ؛ فقال ثابت : خذوه ؛ فعدوا بأجمعهم ، فلما أن أن نفسوا عنه شيئاً عدا تأبط شراً في كتافه ، وعارضه ابنُ براقٍ فقطع كتافه وأفلتاً جميعاً ، فقال تأبط شراً قصيدته القافية في ذلك :

ياعيد ^(٢) مالك من شوقٍ وإيراقٍ ومرطيفٍ على الأهوال طَرَاقٍ
يسرى على الأئين ^(٣) والحيات محتفياً نفسى فداؤك من سارى على ساقٍ

(١) الطلق : الشوط (٢) العيد : ما اعتاده الإنسان من هم أو شوق أو مرض ، وما لك من شوق : يعنى ما أعظمك ، والإيراق مصدر آرقه ، وطراق : أى يأتى ويطرق في الليل .
(٣) الأئين : الذكر من الحيات ، ومحتف : حاف غير متمل .

٧ - أتنك بجائني رجلاًه*

كان المنذر بن ماء السماء ^(١) يناديه رجلان من العرب : خالد بن المصلل ، وعمر بن مسعود الأسديان ، فشرب ليلةً معهما ، فراجعا الكلام ، فأغضباه ، فأمر بهما فقتلا وجُعلا في تابوتين ، ودُفنا بظاهر الكوفة .

فلما أصبح وصحاً سأل عنهما فأخبر بذلك ، فندم وركب حتى وقف عليهما ؛ فأمر بينيائ الفريين ^(٢) ، وجعل لنفسه في كل سنة يومين : يوم بؤس ، ويوم نعيم .

فكان يضع سريره بينهما ؛ فإذا كان يوم نعيمه فأول من يطلع عليه - وهو على سريره - يعطيه مائة من إبل الملوك ، وأول من يطلع عليه في يوم بؤسه يعطيه رأس ظربان ^(٣) ويأمر به فيذبح ، ويُغرى بدمه الغريان . فلم يزل كذلك ماشاء الله .

فبينما هو ذات يوم من أيام بؤسه ، إذ طلع عليه عبيد بن الأبرص ^(٤) ، فقال له الملك : ألا كان الذَّبَّحُ ^(٥) غيرك يا عبيد ! فقال : أتنك بجائني رجلاًه . فقال له الملك : أو أجل قد بلغ إناء ! ثم قال يا عبيد : أنشدني فقد كان يعجبني

* مهذب الأغاني : ٢ - ٢٠٧ ، بلوغ الأرب : ١ - ١٢٨ ، ذيل الأمالي ١٩٩ (الطبعة الأميرية) الشعر والشعراء : ١٤٤ (طبعة أوربا) .

(١) في كتاب المعارف أن الذي قتل عبيداً هو النعمان بن المنذر ، وهو صاحب الفريين (راجع صفحة ٢٨٣ ، وانظر القصة رقم ٦٥ من الجزء الأول من هذا الكتاب) (٢) الغريان : سميا بذلك لأنه كان يفرهما بدم من يقتله يوم بؤسه (٣) دوية شبه الكلب أصم الأذنين طويل الخرطوم مثقل الذنبة (٤) عبيد بن الأبرص : شاعر جاهلي قديم من المعمرين : كان شاعر بني أسد غير مدافع (٥) الذَّبَّح : ما يذبح .

شِعْرُكَ ، فقال : حال الجَرِيضُ دون القَرِيضِ ^(١) ، وبلغ الحزامُ الطَّبِيينَ ^(٢) ،
فقال : أنشدني :

أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ ^(٣) فَالْقَطِيبَاتُ ^(٤) فَالذَّنُوبُ ^(٥)
فقال :

أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِهِ عَيْدُ فَالْيَوْمَ لَا يُبْدَى وَلَا يُعِيدُ
عَفَّتْ لَهُ مِيعَتُهُ ^(٦) نَكُودُ وَحَانَ لَهُ مِنْهَا وَرُودُ
فقال : أنشدني هَيْلَتَكَ أَتُكَّ ! فقال : الْمَنَايَا عَلَى الْحَوَايَا ^(٧) . فقال
بعضُ القومِ : أنشد الملكُ ؛ هَيْلَتَكَ أَتُكَّ ! فقال : لَا يَرْحَلُ رَحْلَكَ مِنْ
لَيْسَ مَعَكَ .

فقال له آخر : مَا أَشَدَّ جَزَعَكَ مِنَ الْمَوْتِ ! فقال :

لَا غُرُورَ مِنْ عَيْشَةٍ نَافِدَةٍ وَهَلْ غَيْرُ مَا مَيِّتَةٍ وَاحِدَةٍ
فَأَبْلَغُ بَنَى وَأَعْمَامَهُمْ بِأَنَّ الْمَنَايَا هِيَ الرَّاصِدَةُ
لَهَا مُدَّةٌ فَفَنُوسُ الْعَبَادِ إِلَيْهَا ، وَإِنْ كَرِهَتْ ، قَاصِدَةٍ
فَلَا تَجْزَعُوا لِحِمَامِ دُنَا فَلِلْمَوْتِ مَا تَلِدُ الْوَالِدَةَ
فقال له المنذر : لَا بَدَاءَ مِنَ الْمَوْتِ ! وَلَوْ عَرَضَ لِي أَبِي فِي هَذَا الْيَوْمِ لَمْ أَجِدْ بُدًّا
مِنْ ذَنْبِهِ . فَأَمَّا إِذْ كَفَتْ لَهَا وَكَانَتْ لَكَ ، فَاخْتَرِ خَصْلَةً مِنْ ثَلَاثِ خَصَالٍ : إِنْ
شُئْتَ مِنَ الْأَكْحَلِ ^(٨) ، وَإِنْ شُئْتَ مِنَ الْأَبْجَلِ ^(٩) ، وَإِنْ شُئْتَ مِنَ الْوَرِيدِ ^(١٠) .

(١) مثل يضرب لأمر يعوق دونه عائق . والجريض : الفصص . والقريض : الشعر (٢) مثل
يضرب إذا اشتد الأمر وتفاقم . والطبي : حلقات الضرع (٣) ملحوب : موضع
(٤) القطيبات : جمع قطيبة ، وهي ماء (٥) الذنوب : موضع . (٦) أصل المنة : المرأة تعترض في
كل شيء (٧) الحوية : كساء يحوى حول سنام البعير ثم يركب ، ومعناه : قد تأتي النية الشجاع
وهو على سرجه . (٨) الأكحل : عرق في اليد (٩) الأجل : عرق غليظ في الرجل أو في
اليدين (١٠) الوريد : عرق في العنق .

فقال : ثلاث خصال ؛ مَقَادُهَا شَرٌّ مَقَاد ، وحاديها شَرٌّ حَاد ، ولا خَيْرَ فيها
لَمُرْتَاد ؛ فإن كنت لا بدَّ قاتلي فاسقني الخمرَ حتى إذا ذَهَلَتْ لها ذَوَاهِي ، وماتت
لها مفاصلي ؛ فشأنك وما تريد !

فأمر المنذر له بمحاجته من الخمر ، فلما أخذت منه وقُرْب ليذبح قال :
وخيّرني ذو البؤس في يوم بُؤسه خِلَالاً أَرَى فِي كُلِّهَا الْمَوْتَ قَدْ بَرَقَ
كما خُيِّرْتُ عَادٌ مِنَ الدَّهْرِ مَرَّة سَحَابَ مَا فِيهَا لِلدِّي خَيْرَةٌ أَنْتَ^(١)
سحائب ربيعٍ لم تَوَكَّلْ بِسِلْدَةٍ فَتَنَزَّكْهَا إِلَّا كَمَا لَيْلَةُ الطَّلَقِ^(٢)
وَأَسْرَ بِهِ فُقُصْدٌ ، فلما مات طُلَى بدمه الغريان .

(١) الأُنْق : الإعجاب بالشئ . (٢) الطلق : سير الليل لو رد القلب ، وهو أن يكون بين الإبل
وبين الماء ليلتان ؛ فالليلة الأولى يغلي الراعي لإبله إلى الماء وينكحها مع ذلك ترعى وهي تسير ليلتئذ ،
فهي ليلة الطلق ، والليلة الثانية ليلة الترب ، وهو السوق الشديد .

٨ - السليك بن السلكة ورفيقاه*

كان السليك^(١) من أشدّ رجال العرب وأنكرهم^(٢) وأشعرهم ، وكان أدلّ الناس بالأرض ، وأعلمهم بمسالكها ، وأشدّهم عدواً على رجله لا تعلق به الخيل ، وكان يقول : اللهم إنك تهبي ما شئت لما شئت إذا شئت ، اللهم إني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً ، ولو كنت امرأة كنت أمةً ، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة ، أما الهيبة فلا هيبة^(٣) .

ذكروا أنه أُمّلق^(٤) مرّةً حتى لم يبق له شيء فخرج على رجله رجاء أن يصيب غرّة من بعض من يمرّ به ، فيذهب يابله ، حتى أُمسى في ليلة من ليالي الشتاء باردة مقمرة ، فاشتمل الصماء^(٥) ، ثم نام .

فبينما هو نائم إذ جثم عليه رجل فقمعد على جنبه ، وقال : استأثر^(٦) ! فرفع السليك إليه رأسه ، وقال : الليل طويل وأنت مقمر^(٧) ؛ فجعل الرجل يلّهزه^(٨) ويقول : يا خبيث ، استأثر ، فلما آذاه بذلك أخرج السليك يده ، وضم الرجل إليه ضمةً صرخ منها ، وهو فوقه ، ثم قال : من أنت ؟ فقال : أنا رجل افتقرت ،

* الأغاني : ١٨ - ١٣٤ (طبعة الساسي) ، الأمثال : ١ - ٤١٨

(١) كان السليك من تميم ، وأمه أمة سوداء اسمها السلكة ، وهو من أشدّ رجال العرب وأنكرهم ، وأكثرهم علماً بالأرض وأعلمهم بمسالكها ، وله في ذلك أخبار كثيرة . قتله أسد بن مدرك سنة ١٧ ق ه تقريباً (٢) النكارة : الدهاء . (٣) أي لأهاب أحداً (٤) أُمّلق : افتقر (٥) اشتمل الصماء : اشتمل الصماء أن يرد فضلة ثوبه على عضده اليمنى ثم ينام عليها (٦) استأثر : كن لي أسيراً (٧) ذهب مثلاً ، وأقر الرجل : ارتقب طلوع القمر (٨) يلّهزه : يلصكه .

قلت : لأخرجن فلا أرجعُ إلى أهلى حتى أستغنى فأتيتهم وأنا غنى . قال الرجل : انطلق معى .

فانطلق فوجد رجلاً قصته مثل قصتهما ، فاصطحبوا جميعاً حتى أتوا الجوف^(١) ؛ جوف مراد ، فلما أشرفوا عليه إذا فيه نعم^(٢) قد ملأ كل شئ من كثرتة ، فهابوا أن يغيروا فيطردوا^(٣) بعضها ، فيلحقهم الطلب ، فقال لها سليك : كونا قريباً منى حتى آتى الرعاء^(٤) ، فأعلم لكما علم الحى : أقریب أم بعيد ، فإن كانوا قريباً رجعت إليكما ، وإن كانوا بعيداً قلت لكما قولاً أوحى إليكما به فأغيرا .

فانطلق حتى أتى الرعاء فلم يزل يتسقطهم^(٥) حتى أخبروه بمكان الحى ، فإذا هم بعيد ، إن طلبوا لم يذكروا ؛ فقال السليك للرعاء : ألا أغنيكم ؟ فقالوا : بلى ! غننا ، فرفع صوته وغنى :

يا صاحبي ألا لا حى بالوادى سوى عبيد وآم بين أذواد^(٦)
أنتظران قريباً ريث غفلتهم أم تفتدون فإن الربيع للغادى
فلما سمعا ذلك أتيا السليك ، فأطردوا الإبل ، فذهبوا بها ، ولم يبلغ الصريح^(٧)
الحى ؛ فياتوم بالإبل .

(١) موضع بأرض مراد (٢) النعم : واحد الأنعام ، وهى الإبل والشاء .

(٣) قال فى اللسان : طردت الإبل : أى ضمتها من نواحيها (٤) الرعاء : الرعاة (٥) تسقطه : عالجها ليروح بما عنده (٦) أذواد : جم ذود ، ثلاثة أبرة إلى عشرة (٧) الصريح . المستقيث كالصارخ .

٩ - السُّلَيْكُ يقتل وينهب*

زعموا أن السُّلَيْك بن السَّلَكَة خرج يريد أن يغير في ناسٍ من أصحابه ؛
فرَّ على بنى شيبان ، في ربيع ، والناس مخصبون في عَشِيَّة فيها ضباب ومطر ؛ فإذا
هو ببیت قد افرد عن البيوت عظيم ، وقد أمسى .

فقال لأصحابه : كونوا بمكان كذا وكذا حتى آتى هذا البيت ، فلعل أصيبُ
خيراً ، أو آتيكم بطعام . فقالوا له : افعل .

فانطلق إليه وجنَّ عليه الليل فإذا البيت يت يزید الشيباني ، وإذا الشيخ
وامراته بفناء البيت ؛ فاحتال السليک حتى دخل البيت من مؤخره ؛ فلم يلبث
أن أراح^(١) ابنُ الشيخ يابله في الليل ، فلما رآه الشيخ غضب ، وقال : هلا كنت
عشيتما ساعةً من الليل ! فقال ابنه : إنها أبتِ المشاء ! فقال يزيد : إن العاشية
تهيجُ الآية^(٢) !

ثم نفذ الشيخ ثوبه في وجهها ، فرجعت إلى مراتعها ، وتبعها الشيخ حتى
مالت لأذني روضة ؛ فرتمت فيها ، وقعد الشيخ عذدها يتعشى ، وقد خنس^(٣) وجهه
في ثوبه من البرد .

* الأمثال : ١ - ٤١٧

(١) الإراحة : رد الإبل والغنم من العشى إلى مراعيها ، حيث تأوى إليه ليلاً ، وقد أراحها راعيها

(٢) أى إذا رأت التي تأبى الرعى التي تتمشى حاجتها للرعى ، فرجت معها .

(٣) خنس . قبض .

وتبعه السليك حين رآه انطلق ؛ فلما رآه مُعْتَرِزاً^(١) ضربه من ورائه بالسيف ،
فأطار رأسه ، وأطرده إبله .

وبقى أصحاب السليك - وقد ساء ظنهم ، وخافوا عليه ، فإذا به يُطْرَد
الإبل ، فأطردوها معه !

١٠ - السخيُّ العداء *

قال رجلٌ من بني تميم :

كنتُ عند المهاجر بن عبد الله والي البصرة ؛ فأتني بأعرابي قد كان معروفاً
بالسرق^(٢) ؛ فقال له : أخبرني عن بعضِ محائبك . قال : إنها لكثيرةٌ ، ومن
أعجبها :

أنه كان لي بعير لا يُسبق ؛ وكانت لي خيلٌ لا تُلحقُ ، فكنتُ لا أخرج
فأرجع خائباً ، فخرجتُ يوماً ، فاحترشتُ^(٣) ضباً ، فملقته على قَتَبِي^(٤) ، ثم
مررتُ بخباء سري^(٥) ليس فيه إلا عجوز ، قلت : أخلق بهذا الخباء أن يكون له
رائحةٌ من غنمٍ وإبلٍ ، فلما أُمِيتُ إذ يابلُ مائةً ، فيها شيخٌ عظيمُ البطنِ ،
مُتَدَنٌ^(٦) اللحم ، ومعه عبد أسود وُغْدٌ^(٧) .

(١) اعتز : تنحى .

* عيون الأخبار : ١ - ١٨٧

(٢) السرق : السرقة (٣) احترش الضب : اصطاده (٤) القتب : الإكاف الصغير على قدر
سنام البعير (٥) السري : من له مروءة في شرف (٦) شذن اللحم : كثيره (٧) الوغد : الذي
ألقى يخنم بيطنه .

فلما رآني رحب بي ، ثم قام إلى ناقة فاحتلبها ، وناولني العلبة فشربت ما يشرب الرجل ، فتناول الباقي ، ففصر به جبته ، ثم احتلب نسع أينق ، فشرب اللبن ، ثم نحر حوَّاراً^(١) فطبخه ، ثم ألقى عظامه بيضا ، وحنَّ كومة من بطحاء^(٢) وتوسدها ، وغطَّ غطيطة البكر .

فقلت : هذا والله الغنيمة ! ثم قت إلى فعل إبله فخطمته^(٣) ، ثم قرنته إلى بعيري ، وصيختُ به ، فاتبعني الفعل ، واتبعته الإبل ، فسارت خلفي كأنها جبل ممدود ، فضيتُ أبادر نيتة بيني وبينها مسيرة ليلة للمسرع ، فلم أزل أضرب بعيري بيدي مرّة ، وأقرعه برجلي أخرى ، حتى طلع الفجر .

فأبصرت الثنية ، فإذا عليها سواد ، فلما دنوتُ إذا أنا بالشيخ قاعداً وقوسه في حجره ، فقال : أضيفنا ؟ قلت : نعم ! قال : أتسخو نفسك عن هذه الإبل ؟ قلت : لا .

فأخرج سهماً كان نصله لسان كلب ، ثم قال : أبصِرْ بين أذني الضب ، ثم رماه فصَدَعَ عَظْمَهُ عن دماغه ، وقال : ما تقول ؟ قلت : أنا على رأي الأول ! قال : انظر هذا السهم الثاني في قفرة ظهره الوسطى ! ثم رمى به ؛ فسكَّانما قدره بيده ، ثم وضعه بإصبعه ، ثم قال : أرايت ؟ قلت : إني أحِبُّ أن أستثبت . قال : انظر هذا السهم الثالث في عكوة^(٤) ذنبه ، والرابع والله في بطنك . ثم رماه فلم يخطيء العكوة ، قلت : أنزل أمنا ؟ قال : نعم . فنزلت ؛ فدفعت إليه خطام فحلّه ، وقلت : هذه إبلك لم يذهب منها وبرّة - وأنا أنتظر متى

(١) الحوار : ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه (٢) البطحاء : مسيل واسع فيه دقاق الحصى

(٣) خطمه : وضع فيه الخطام : وهو ما وضع في أفت البعير ليقاد به .

(٤) العكوة : أصل الذنب .

يرميني بسهمٍ ينتظمُ قلبي . فلما تنحيت قال لي : أقبل ، فأقبلتُ والله خوفاً من شره ،
لا طمعاً في خيره .

فقال : أي هذا ؛ ما أحسبك جَشِمْتَ اللَّيْلَةَ ما جَشِمْتَ إلا من حاجة . قلت :
أجل ! قال : فاقْرُنْ من هذه الإبل بعيرين وامضِ لِطَيْبَتِكَ ، قلت : أما والله حتى
أخبرك عن نفسك قبلاً !

ثم قلت : والله ما رأيت أعرابياً قط أشدَّ ضِرْساً ، ولا أَعْدَى رِجْلاً ، ولا أَرْمَى
يداً ، ولا أكرم عفواً ، ولا أسخى نفساً منك !

١١ — زَيْدُ الْخَيْلِ ^(١) *

أخبر شيخ من بنى نَبْهَان قال :
أصابَت بنى شَيْبَانَ سَنَةٌ ذَهَبَتِ بِالْأَمْوَالِ ؛ فخرَجَ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِعِيَالِهِ حَتَّى
أُزْلِمَ الْحَيْرَةَ ، فَقَالَ لَهُمْ : كُونُوا قَرِيبًا مِنَ الْمَلِكِ يُصَنِّبْكُمْ خَيْرَهُ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكُمْ ،
وَأَلَى أَلْيَةِ ^(٢) ؛ لَا يَرْجِعُ حَتَّى يَكْسِبَهُمْ خَيْرًا أَوْ يَمُوتَ .

فَتَزَوَّدَ زَادًا ثُمَّ مَشَى يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ ، فَإِذَا هُوَ بِمَهْرٍ مُقَيَّدٍ ، حَوْلَ خِيَاءٍ ، فَقَالَ :
هَذَا أَوَّلُ الْغَنِيمَةِ ، وَذَهَبَ يَحْتُلُّهُ وَيَرْكَبُهُ ، فَتَوَدَّى : خَلٌّ عَنْهُ وَاعْنَمَ نَفْسَكَ . فَتَرَكَهُ .

وَمَضَى سَبْعَةَ أَيَّامٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَطَنَ ^(٣) إِبْلِ مَعَ تَطْفِيلٍ ^(٤) الشَّمْسِ ، فَإِذَا
خِيَاءٌ عَظِيمٌ وَقُبَّةٌ مِنْ أَدَمَ ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا هَذَا الْخِيَاءُ بُدٌّ مِنْ أَهْلِ ، وَمَا هَذِهِ الْقُبَّةُ
بُدٌّ مِنْ رَبِّ ، وَمَا هَذَا الْعَطَنُ بُدٌّ مِنْ إِبْلِ . فَانْظَرَ فِي الْخِيَاءِ فَإِذَا شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ
اخْتَلَفَتْ تَرَقُّوتَاهُ كَأَنَّهُ نَسَرَ .

قَالَ : فَجَلَسْتُ خَلْفَهُ . فَلَمَّا وَجِبَتْ ^(٥) الشَّمْسُ إِذَا فَارِسٌ قَدْ أَقْبَلَ لَمْ أَرَ فَارِسًا
قَطًّا أَعْظَمَ مِنْهُ وَلَا أَجْسَمَ . وَمَعَهُ أَسْوَدَانِ يَمْشِيَانِ جَنْبَيْهِ ، وَإِذَا مَائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ مَعَ

* الْأَغَانِي : ١٦ - ٤٧ (طَبْعَةُ السَّاسِيِّ) .

(١) هُوَ زَيْدُ بْنُ مَهْلَبٍ ، كَانَ فَارِسًا مُفَوَّرًا مُظْفَرًا شَجَاعًا بَعِيدَ الصِّبْتِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ شَاعِرًا
مَحْسَنًا خَطِيبًا لِسَانًا كَرِيمًا ، وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ ، وَوَفَدَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةَ تِسْعٍ ، وَسَرَّ بِهِ
وَقَرَّظَهُ وَسَمَاهُ : زَيْدَ الْخَيْرِ . وَسَمِيَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِزَيْدِ الْخَيْلِ لِكَثْرَةِ خَيْلِهِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٩ هـ (٢) آتَى
أَلْيَةَ : حَلَفَ يَمِينًا (٣) الْعَطَنُ : مَبْرَكُ الْإِبِلِ (٤) تَطْفِيلُ الشَّمْسِ : مِيلُهَا لِلْفُرُوبِ (٥) وَجِبَتْ
الشَّمْسُ : مَالَتْ لِلْفُرُوبِ .

فَحَلَبَهَا ، فَبَرَكَ الْفَحْلُ ، وَبَرَكَتْ حَوْلَهُ ، وَنَزَلَ الْفَارَسُ ؛ فَقَالَ لِأَحَدِ عِبْدَيْهِ : احْلُبْ الْفُلَانَةَ ^(١) ، ثُمَّ اسْقِ الشَّيْخَ ، فَحَلَبَ فِي عُسٍّ حَتَّى مَلَأَهُ وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْخِ ، وَتَنَحَّى ، فَكْرَعَ مِنْهُ الشَّيْخُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ نَزَعَ ^(٢) ، فَثَرَّتْ إِلَيْهِ فَشَرَبَتْهُ ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ الْعَبْدُ فَقَالَ : يَا مَوْلَايَ ؛ قَدْ آتَى عَلَى آخِرِهِ . فَفَرَحَ بِذَلِكَ وَقَالَ : احْلُبْ الْفُلَانَةَ ، فَحَلَبَهَا ، ثُمَّ وَضَعَ الْعُسَّ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْخِ ، فَكْرَعَ مِنْهُ وَاحِدَةً ، ثُمَّ نَزَعَ ، فَثَرَّتْ إِلَيْهِ فَشَرَبَتْ نِصْفَهُ ، وَكَرِهَتْ أَنْ آتَى عَلَى آخِرِهِ فَأَتَتْهُمْ ، فَجَاءَ الْعَبْدُ فَأَخَذَهُ ، وَقَالَ لِمَوْلَاهُ : قَدْ شَرَبَ ، فَقَالَ : دَعَاهُ .

ثُمَّ أَمَرَ بِشَاةٍ فَذَبَحَتْ ، وَشَوَى لِلشَّيْخِ مِنْهَا : ثُمَّ أَكَلَ هُوَ وَعِبْدَاهُ . فَأَمَهَلَتْ حَتَّى إِذَا نَامُوا وَسَمِعَتْ الْغَطِيطَ ^(٣) ثَرَّتْ إِلَى الْفَحْلِ ، فَحَلَّتْ عِقَالَهُ وَرَكِبَتْهُ ، فَانْدَفَعَ بِي وَتَبِعَتْهُ الْإِبِلُ . فَشِيتُ لِيَلْتَنِي حَتَّى الصَّبَاحِ .

فَلَمَّا أَصْبَحَتْ نَظَرْتُ فَلَمْ أَرِ أَحَدًا ، فَسَلَّطْتُهَا سَلًّا عَنِيْفًا ، حَتَّى تَعَالَى النَّهَارُ ، ثُمَّ التَفْتُ التَّفَاتَةَ ، فَإِذَا أَنَا بِشَيْءٍ كَأَنَّهُ طَائِرٌ ، فَمَا زَالَ يَدْنُو حَتَّى تَبَيَّنْتُهُ ، فَإِذَا هُوَ فَارَسٌ عَلَى فَرَسٍ ، وَإِذَا هُوَ صَاحِبِي بِالْأَمْسِ ، فَعَقَلْتُ الْفَحْلَ ، وَتَثَلْتُ كُنَانَتِي ، وَوَقَفْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِبِلِ ، فَقَالَ : احْلُلْ عِقَالَ الْفَحْلِ . فَقُلْتُ : كَلَّا وَاللَّهِ ، لَقَدْ خَلَقْتَ نُسَيَّاتٍ بِالْحَيَرَةِ ، وَآلَيْتُ أَلِيَّةً لَا أَرْجِعُ حَتَّى أَفِيدَهُنَّ خَيْرًا أَوْ أَمُوتَ ، قَالَ : فَإِنَّكَ لَمَيِّتٌ ؛ حَلَّ عِقَالَهُ لَا أُمَّ لَكَ ! فَقُلْتُ : مَا هُوَ إِلَّا مَا قُلْتُ لَكَ . فَقَالَ : إِنَّكَ لَمُرُورٌ ، أَنْصَبْ لِي خِطَامَهُ ، وَاجْعَلْ فِيهِ خَمْسَ عُجَجَرٍ ^(٤) ؛ فَفَعَلْتُ ، فَقَالَ : أَيْنَ تَرِيدُ أَنْ أَضَعَ سَهْمِي ؟ فَقُلْتُ : فِي هَذَا الْمَوْضِعِ . فَكَأَنَّمَا وَضَعَهُ بِيَدِهِ .

(١) الْفُلَانَةُ : كُنَايَةُ عَنْ غَيْرِ الْإِنْسَانِ (٢) نَزَعَ : انْتَهَى (٣) غَطِيطُ النَّائِمِ : نَحِيرُهُ .

(٤) الْمَجْرَةُ : الْعُقْدَةُ .

ثم أقبل يرمى حتى أصاب الخمس بخمسة أسهم ، فرددت نَبْلٌ ^(١) ، وحططت قوسي ، ووقفتُ مستسلما ؛ فدنا مني وأخذ السيف والقوس ثم قال . ارتدِفْ ^(٢) خلفي ، وعرف أني الرجل الذي شربتُ اللبنَ عنده ؛ فقال : كيف ظنك بي ؟ قلت : أحسن ظن . قال : وكيف ؟ قلت : لما لقيت من تعب ليلتك وقد أضفرك الله بي . فقال : أترانا كنا نهيجك وقد بتَ تنادم مهلهلا ^(٣) ! قلت : أزيد الخيل أنت ؟ قال : نعم ، أنا زيد الخيل ، فقلت : كُنْ خيرَ أخذ . فقال : ليس عليك بأس . ومضى إلى موضعه الذي كان فيه . ثم قال : أما لو كانت هذه الإبل لي لسلّمتُها إليك ، ولكنها لبنت مهلهل ، فأقم على فإني على غارة .

فأقمتُ أياماً ، ثم أغار على بني نمر فأصاب مائة بعير ، فقال : هذه أحبُّ إليك أم تلك ؟ قلت : هذه . قال : دونكها ، وبعث معي خفراء من ماء إلى ماء حتى وردوا بي الحيرة ، فلقيني نَبْطِيٌّ فقال : يا أعرابي ، أيسرُّك أن لك يابلك بُسْتَانًا من هذه البساتين ؟ قلت : وكيف ذاك ؟ قال : هذا قُرْبُ نَجْرٍ يخرج ، فيملك هذه الأرض ، ويحول بين أربابها وبينها ، حتى إن أحدهم ليبْتَاع البستان من هذه البساتين بثمان بعير .

قال : فاحتملتُ بأهلي حتى انتهيتُ إلى موضع ، فبينما نحن على ماء لنا ، جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلّمنا ، وما مضت أيامٌ حتى اشتريتُ بثمان بعير من إبلي بستاناً بالحيرة .

(١) النبل : السهام العربية ، ولا واحد لها (٢) المرتدِف : الراكب خلف الراكب (٣) مهلهل : أبو زيد الخيل .

١٢ — وَأَذِ الْبَنَاتِ *

روت الرواةُ أن صَعَصَعَةَ بن ناجية لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم قال : يا رسول الله ؛ إني كنت أعمل عملاً في الجاهلية ، أفينفعني ذلك اليوم ؟ قال : ما عملك ؟ قال : أَضَلَّتْ^(١) نَاقَتَيْنِ عَشْرَ أَوْيْنِ^(٢) فَرَكِبْتُ جُمَلًا ، ومضيت في بُغَايِهِمَا ، فرفع لي بيتٌ حريد^(٣) ، فقصدته ؛ فإذا شيخٌ جالسٌ بفناء الدار ، فسألتُه عن النَاقَتَيْنِ ، فقال : ما نأرهما^(٤) ؟ قلت : مَيْسَمٌ بنى دارم ، فقال : هما عندي ، وقد أحيا الله بهما قومًا من أهلك من مُضَرٍّ ؛ فجلستُ معه لتُخْرِجَا إلىَّ ، فإذا عجوز قد خرجت من كِسر البيت ، فقال لها : وضعتُ ؟ فإن كان سَقَبًا^(٥) شاركنَا في أموالنا ، وإلّا كانت حَانِلًا^(٦) وَأَذِنَاهَا . فقالت العجوز : وضعتُ أُنثى ، فقلت : أتييُهما ؟ قال : وهل تبيع العربُ أولادها ؟ قلت : إنما أشتري منك حياتها ، ولا أشتري رقبها . قال : فبكم ؟ قلت : احْتَسَكِم . قال : بالنَاقَتَيْنِ والجل . قلت : ذلك لك ، على أن يبلغني الجلُ وإيَّاهَا . ففعل .

فَأَمَنْتُ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وقد صارت لي سُنَّةٌ في العرب ، على أن أشتري كل موءودة بنَاقَتَيْنِ عَشْرَ أَوْيْنِ وجل ، فعندى إلى هذه الغاية ثمانون ومائتا موءودة ، قد أَقْذَظْتُهَا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يَنْفَعُكَ ذَلِكَ ؛ لأنك لم تبتغ به وجهَ الله ، وإنْ تعمل في إسلامِكَ عملاً صالحاً ثَبَّ عليه .

* السَّكَالُ لِلْمَرْدِ : ١ - ٢٨٩ ، أمثال الميداني : ١ - ٣٨٩

(١) أَضَلَّتْ : صادقتها ضالتي (٢) عَشْرَ أَوْيْنِ : العشراء : الناقة التي قد أتى عليها منذ حملت عشرة أشهر (٣) بيت حريد : منته عن الناس (٤) ما نأرهما : ما نأرهما (٥) السقب : الذكر من ولد الناقة ساعة يولد (٦) الحائل : الأُنثى من أولاد الإبل ساعة توضع .

١٣ - أعجب السرقات *

قال أبو الهيثم :

اجتمع مالك بن ^(١) الرّيب وأبو حرّذبة وشيظاظ يوماً ، فقالوا : نعالوا نتحدث
بأعجب ما عملناه في سرقتنا ، فقال أبو حرّذبة :

أعجب ما صنعتُ وأعجب ما سرقتُ أني صحتُ رقةً ، فيها رجلٌ على
رَحْلٍ فأعجبني ، فقلت لصاحبي : والله لأسرقنَّ رَحْلَهُ ، ثم لا رصيتُ أو آخذ عليه
جِمالَةً ^(٢) .

فرمقته حتى رأيتُه قد خَفَقَ برأسه ، فأخذتُ بِخَطَامِ ^(٣) جملة فقدمته ،
وعدلت به عن الطريق ، حتى إذا صيرته في مكان لا يفاث فيه إن استغاث أنصَحْتُ
البيمر وصرعته ، فأوثقتُ يديه ورجليه وقدتُ الجمل ففقيته ، ثم رجعتُ إلى الرقة ،
وقد فقدوا صاحبهم فهم يسترجعون ^(٤) ، فقلت : مالكم ؟ فقالوا : صاحبنا لنا فقدناه ؛
فقلت : أنا أعلمُ الناسُ بأثره ؛ فجعلوا لي جمالة ، فخرجتُ بهم أتبع الأثر حتى وقفوا

* الأغاني : ١٩٠ - ١٦٣ (طبعة الساسي)

(١) هو مالك بن الرّيب كان من أجل العرب وأبينهم ، ومرو به سميد بن عثمان بن عفان - لما ولاه
معاوية خراسان ، ومالك في قهر من أصحابه - فقال له : ويحك يا مالك ! ما الذي يدعوك إلى ما
يلتقي عنك من العداة وقطع الطريق ؟ قال : أصلى الله الأمير ؛ العجز عن مكافأة الإخوان ، قال :
فإني أنا أغنيك واستصحبك أتكف عما تفعل ؟ قال : نعم أ كف كأحسن ما كف أحد .
فاستصحبه وأجرى عليه خمسمائة دينار ، وكان معه حتى قتل بخراسان ، ثم مكث مالك بخراسان
حتى مات هناك (٢) الجمالة : ما يفرض على الممل (٣) الخطام : الزمام (٤) استرجع عند المصيبة :
قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

عليه فقالوا : مالك ؟ قال : لا أدري ، نَمَسْتُ ، فانتبهتُ لحسين فارساً قد أخذوني ؛
فقاتلتهم فغلبوني !

قال أبو حَرَّ دَبَّة : فجعلت أضحك من كذبه ، وأعطوني جِمالتي ، وذهبوا
بصاحبهم .

وأعجب ما سرقت : أنه مرَّ بي رجلٌ معه ناقة وجمل وهو على الناقة ، فقلت :
لأخذنهما جميعاً ، فجعلت أعارضه وقد رأيته قد خَفَقَ برأسه ، فدُرْتُ فأخذتُ الجمل
فخللته وسقته ، ففئيته في القصيم^(١) ، ثم انتبه فالتفت فلم ير جملَه ، فنزل وعقل راحلته ،
ومضى في طلب الجمل ، ودُرْتُ ؛ فخللت عقال ناقته ، وسُقته !

فقالوا لأبي حردبة : ويحك ! فختام تكون هكذا ؟ قال : اسكتوا فكأنكم بي
قد بُتُّ ، واشتريت فرساً وخرجتُ ، فبينما أنا واقفٌ إذ جاءني سهمٌ كأنه قطعة
رِشاء^(٢) فوقع في نحري فنتُ شهيداً .

قال الراوى : فكان كذلك ؛ تاب وقدم البصرة ، فاشترى فرساً ، وغزا الرومَ
فأصابه سهمٌ في نحره ؛ فاستشهد !

ثم قالوا لِشِظَاظ : أخبرنا أنت بأعجب ما أخذت في لصوصيتك ورأيت فيها ؟
فقال : نعم ، كان فلان (رجلٌ من أهل البصرة) له بنت عم ذاتُ مال كثير ، وهو
وليُّها ، وكانت له نِسوة ، فأبت أن تزوجه ، خلف ألا يزوجه من أحدٍ ضِراً لَهَا ،
وكان يخطبها رجلٌ غنى من أهل البصرة ، فأبى أن يزوجهَا منه ، ثم إن ولى الأمر
حججٌ ، حتى إذا كان بالدو^(٣) مات فدفن براية وشيد على قبره ، فتزوجت الرجل
الذى كان يخطبها .

(١) القصيم : الموضع الذى كانوا يسرقون فيه (٢) الرشاء : رَسَن الدلو (٣) الدو : مكان على
مرحلة من البصرة .

قال شظاظ : وخرجت رقعةً من البصرة معهم بُرٌّ ومتاع ، فتبصرتهم ومامعهم
واتبعتهم حتى نزلوا ، فلما ناموا بَيْتُهُمْ^(١) وأخذتُ من متاعهم . ثم إن القوم أخذوني
وضربوني ضرباً شديداً وجردوني ، وذلك في ليلة قَرَّة^(٢) ، وسلبوني كل قليل
وكثير ؛ فتركوني عُرياناً وتماوتُ لم ، وارتمل القوم ، فقلت : كيف أصنع ؟ ثم
ذكرت قَبْرَ الرجل ، فأتيته فزعت لوحاً ثم احتفرتُ فيه سَرَباً^(٣) ؛ فدخلت فيه ؛
ثم سَدَدْتُ على باللوح ، وقلت : لعلّي الآن أدفأ فأتبعهم .

ومر الرجلُ الذي تزوج بالمرأة في الرُقعة . فر بالقبر الذي أنا فيه فوقف عليه
وقال لرفيقه : والله لأنزلنَّ إلى قبر فلان ، حتى أنظر هل يحى الآن فلانة !

قال شظاظ : فعرفتُ صوته فقلعت اللوح ، ثم خرجتُ عليه بالسيف من
القبر ، وقلتُ : بلى ورب السكمة لأحيينَّها ، فوقع والله مغشياً عليه لا يتحرك
ولا يعقل ، فجلستُ على راحلته ، وعليها كل أداة وثياب وقَدِرٍ كان معه ، ثم
وجهتها قصد مطلع الشمس هارباً من الناس فنجوتُ بها ؛ فكنتُ بعد ذلك أسمعُه
يحدثُ الناس بالبصرة ويحلفُ لهم أن الميتَ الذي كان منعه من تزويج المرأة خرج
عليه من قبره ، والناسُ يعجبون منه ؛ فعاقِلُهم يكذِّبه ، والأحقُّ منهم بصدقه ،
وأنا أعرف القصةَ فأضحك منهم كالمتعجب !

قالوا : فردنا . قال : فأنأ أزيدكم أعجب من هذا وأحق من هذا : إني لأمشي
في الطريق أبغى شيئاً أسرقُه فلا والله ما وجدتُ شيئاً ، وإذا أنا بشجرة ينام
من تحتها الركبان في مكان ليس فيه ظلٌّ غيرها ، وإذا أنا برجلٍ يسير على حمار له ،

(١) بيت فلان بنى فلان : إذا أنام ليلاً ، فكيسهم وهم غارون (٢) ليلة قرة : باردة .

(٣) السرب . بيت في الأرض .

فقلت له : أسمع ! قال : نعم . قلت : إن المقيلا الذي تريد أن تقيله يُخسفُ بالدواب فيه ، فاحذره . فلم يلتفت إلى قولي ، ورمقته حتى إذا نام أقبلتُ على حماره فاستقته ، حتى إذا برزتُ به قطعت طرْف ذنبه وأذنيه ، وأخذت الحمار فخبأته وأبصرته حين استيقظ من نومه ، فقام يطلب الحمار ويَقْنُو أثره ؛ فبينما هو كذلك إذ نظر إلى طرْف ذنبه وأذنيه ، . فقال : لعمري لقد حذرتُ لو نفعني الحذر؛ واستمر هاربا خوف أن يخسف به . فأخذت جميع ما بقي من رحله فحملته على الحمار !

١٤ - أعرابي في عُرس *

قال الفضل بن العباس الهاشمي :

كان ناهض بن ثومة الكلابي يقد على جدِّي قُمَم ، فيمدحه ويصلِّه جدي وغيره ، وكان بدويًّا جافياً كأنه من الوحش ؛ إلا أنه طيب الحديث .

حدثه يوماً : أنهم اتجمعوا ناحية الشام فقصد صديقاً له من ولد خالد بن يزيد ابن معاوية ؛ كان ينزل حلب وكان برًّا به .

قال : فررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عاصم الهلالي ، فرأيت دُوراً مُتباينة وخصاصاً ^(١) قد ضُمَّ بعضها إلى بعض ، وإذا بها ناسٌ كثيرون مقبلون ومدبرون ، عليهم ثياب تحكي ألوان الزَّهر ، فقلت في نفسي : هذا أحدُ العيدين : الأضحى أو الفطر ، ثم تاب إلى ما عَزَبَ عن عقلي فقلت : خرجت من أهل في بادية البصرة في صَفَر ، وقد مضى العيدان قبل ذلك ، فما هذا الذي أرى !

وبينا أنا واقف متعجب أتاني رجل ، فأخذ يدي فأدخلني داراً قوراء ^(٢) ، وأدخلني منها بيتاً قد نُجِّدَتْ فيه فرش ومُهدت ، وعليها شاب ينال فرعُ شعره منكبيه ، والناس حوله سباطان ^(٣) ، فقلت في نفسي : هذا الأمير الذي حُكِيَ لنا جلوسه ، وجلسُ الناس بين يديه . فقلت - وأنا مائل بين يديه : السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته . فغذَّبَ رجلٌ يدي وقال : اجلس ، فإن هذا ليس

* الأغاني : ١٢ - ٣٣ ر - أبي

(١) الخصاص : جمع خص ، وهو من القصب (٢) دار قوراء : واسعة .

(٣) السباط : الصف .

بأمير . قات : فَمَنْ هو ؟ قال : عَرُوس^(١) . ققلت : وائسكل أماء ! لَرُبَّ عروس
رأيت به بالبادية أهون على أهله من هَنَّة^(٢) !

فلم أنشَب^(٣) أن دخل رجالٌ يحملون آفات^(٤) مُدَوَّرات ، أما ماخف منها
فيُحَمَلُ حَمَلًا ، وأما ما كَبَرُ وتَقَلُّ فيُدْحَرَجُ ، فوَضَعَ ذلك أماننا ، وتَحَلَّقَ القوم عليه
حَلَقًا ، ثم أتينا بخَرْقٍ بِيضٍ فَأُلْقِيَتْ بَيْنَ أَيْدِينَا ، فظننتها نِيَابًا ، وهممت أن أسأل
القوم منها خِرْقًا أَرْقَعُ بِهَا قِيصِي ، وذلك أني رأيت نَسَجًا متلاحمًا ، لا يبين له
سَدَى ولا لَحْمَةً^(٥) ؛ فلما بسطه القوم بين أيديهم إذا هو يِقْمِزُقُ سُرْبَةً ، وإذا هو
فِيما زَعَمُوا صِنْفٌ من الخبز لا أعرفه .

ثم أتينا بطعام كثير بين حُلْوٍ وحامض ، وحار وبارد ، فأكثرْتُ منه ،
وأنا لا أعلم ما في عَقِبِهِ من التَّخَمِ والبَشَمِ ، ثم أتينا بشراب أحمر في شَنْ^(٦) ، ققلت :
لا حاجة لي فيه فَإِنِّي أخاف أن يقتلني ، وكان إلى جنبي رجل ناصح - أحسن الله
جزاءه ، فإنه كان ينصح لي من بين أهل المجلس - فقال : يَا أعرابي ؛ إنك قد
أكثرْتَ من الطعام ، وإن شربت الماء كما^(٧) بطنك ، فلما ذكرت البطن
تذكرت شيئاً أوصاني به أبي ، والأشياخُ من أهلي ؛ إذ قالوا : لا تزل حياً مادام
بطنك شديداً ، فإذا اختلف فأوص . فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به ،
وجعلت أكثر منه فلا أملَ شربه ، فتداخني من ذلك صَلَفٌ لا أعرفه من
نَفْسِي ، وبكاء لا أعرف سببه ، ولا عهد لي بمثله ، واقتدار على أمر أظن معه أُنَى

(١) العروس : الرجل والمرأة ماداما في أعراسهما ، وهم عرس ، وهم عرائس . (٢) الهنة :
كناية عن خبيس الشيء (٣) لم أنشَب : لم أليت ، قال في اللسان : وحقيقته لم يتعلق بشئ غيره ،
ولا اشتغل بسواه (٤) آفات : جمع غير قياسي لإناء (٥) السدى من خيوط الثوب : مامد منها
طولا ، والحمّة : مامد منها عرضاً (٦) الشن : القرية الخلق الصغيرة (٧) كما : سال .

لو أردتُ نيلَ السقف لبلغته ، ولو شأوتُ الأسد لقتلته ؛ وجعلت ألفت إلى الرجل الناصح ، فتحدثني نفسي بهم أسنانه ، وهشم أنفه ، وأهم أحياناً أن أشتمه .

فبينما نحن كذلك إذ همم علينا شياطين أربعة : أحدهم قد علق في عنقه جمعةً فارسية ، مفتحة الطرفين ، دقيقة الوسط ، قد شُبكت بخيوط ، وألبست قطعة قزو ، كأنهم يخافون عليها القرم . ثم بدر الثاني ، فاستخرج من كفه هنة سوداء فوضعها في فيه ، وأخرج صوتاً لم أسمع - وبيت الله - أعجب منه ، فاستم بها أمرم ، ثم حرك أصابعه فيها فأخرج منها أصواتاً ليس كما بدأ ، ولكنه أتى منها - لما حرك أصابعه - بصوت عجيب ، متلائم متشاكل بعضه لبعض ، كأنه - علم الله - ينطق به . ثم بدا ثالث له وجهه كز^(١) مقيت ! عليه قميص وسخ ومعه مرأتان ، فجعل يصفق بهما بيديه إحداهما على الأخرى ، فخالط بصوته ما يفعله الرجلان . ثم بدا رابع عليه قميص ، وسراويل قصيرة ، وخفان أجذمان ، لا ساق لواحد منهما ، فجعل يقفز كأنه يثب على ظهور العقارب ، ثم تلبط^(٢) على الأرض ، فقلت : معتوه ورب الكعبة ! ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي ، ورأيت القوم يحذقونه^(٣) بالدرهم حذفاً منكراً ؛ ثم أرسل النساء إلينا : أن أمتعنونا من لهن هذا ؛ فبعثوا بهم ، وجعلنا نسمع أصواتهم من بعد .

وكان معنا في البيت شاب لا آبه له ، فملت الأصوات بالثناء عليه والدعاء له ، فخرج وجاء بخشبة عيناها في صدرها ، فيها خيوط أربعة ، فاستخرج من خلالها عوداً ، فوضعه خلف أذنه ، ثم عرك آذانها ، وحركاها بخشبة في يده ، فنطقت ورب

(٢) تلبط : اضطجع وتمرغ

(١) وجه كز : فيح
(٣) يحذقونه : يرمونه .

الكعبة ! وإذا هي أحسنُ قَيْنَةٍ^(١) رأيتها قط ! فأطربني حتى استخفني من مجلسي، فوثبت وجلست بين يديه ، وقلت : بأبي أنت وأمي ! ماهذه الدابة ؟ فلست أعرفها للأعراب ، وما أراها خلقت إلا قريباً ! فقال : هذا البربط^(٢) . فقلت : بأبي أنت وأمي ! فما هذا الخيط الأسفل ؟ قال : الزير^(٣) . قلت : فالذي يليه ؟ قال : المثني^(٤) . قلت : فالثالث ؟ قال : المثلث^(٥) . قلت : فالأعلى ؟ قال : البم^(٦) . فقلت : آمنت بالله أولاً ، وبك ثانياً ، وبالبربط ثالثاً ، وبالبم رابعاً .

قال الفضل : فضحك أبي والله حتى سقط ؛ وجعل ناهض يعجب من ضحكك ! ثم كان بعد ذلك يستعيد هذا الحديث ؛ ويُطْرِف به إخوانه فيضحكون منه .

(١) القينة : الأمة المغنية (٢) البربط : العود مربع (بربط) - بكسر الراء - وهو آلة من العازف
(٣) الزير : من أوتار العود (٤) المثني : الذي يلي الزير (٥) المثلث : الذي يلي المثني
(٦) البم : الذي يلي المثلث ، وهو أغلظ الأوتار .

١٥ — أطيب الطعام *

صنع عبد الملك^(١) بن مروان طعاماً فأكثر وأطاب^(٢)، ودعا إليه الناس فأكلوا . فقال بعضهم : ما أطيب هذا الطعام ! ما نرى أن أحداً رأى أكثر منه ولا أكل أطيب منه . فقال أعرابي من ناحية القوم : أما أكثر فلا ، وأما أطيب فقد والله أكلت أطيب منه . فطفقوا يضحكون من قوله .

فأشار إليه عبد الملك فأذني منه ؛ فقال : ما أنت بمُحَيٍّ فيما تقول إلا أن تُخبرني بما يبينُ به صدقك . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ بينا أنا بهجر^(٣) في برث^(٤) أحر في أقصى حَجَر^(٥) إذ تَوَفَّى أبي ، وترك كلاً^(٦) وعيالا ، وكان له نخل ، فكانت فيه نخلة لم ينظر الناظرون إلى مثلها ، كأن تمرها أخفاف الرباع^(٧) ، لم ير تمر قط أغلظ ولا أصلب ولا أصغر نوى ولا أحلى حلاوة منه .

وكانت تطرقها أتان وحشية قد ألفتها تأوى الليل تحتها ، فكانت تُثَبِّت رجليها في أصلها ، وترفع يديها ، وتغطو^(٨) بفيها فلا تترك فيها إلا التبيذ^(٩) والمتفرق ؛ فأعظمنى ذلك ووقع منى كل موقع .

فانطلقت بقوةسى وأسهمى ، وأنا أظن أنى أرجع من ساعتى ؛ فكنت يوماً

* الأغانى : ٨ - ٤٠ (طبعة دار الكتب)

- (١) من أعظم الخلفاء ، نشأ في المدينة ، واستعمله معاوية عليها ، وانتقلت إليه الخلافة سنة ٦٥ هـ ، وتوفى سنة ٨٦ هـ . (٢) أطاب الشيء : طيبه . (٣) هجر : مدينة بالبحرين مشهورة بالتمر . (٤) البرث : الأرض اللينة السهلة . (٥) في أقصى حجر : أى في أبعد ناحية . (٦) الكل : العيال والتقل . (٧) الرباع : جمع ربع وهو الفصيل ينتج في الربيع . (٨) تغطو : تتناول . (٩) التبيذ : النبوذ .

وليلاً لا أراها ، حتى إذا كان السَّحَرُ أَقْبَلَتْ ، فنهَيْتُ لها فرشتها فأصْبَتْها ،
وأجهزتُ عليها ، ثم عَمَدْتُ إلى سُرَّتْها فاقْتَدَدْتُها ، ثم عَمَدْتُ إلى حَطَبِ جَزَلٍ
فجمعتُه إلى رَضْفٍ ^(١) ، وعَمَدْتُ إلى زَنْدِي فَقَدَحْتُ ، وأضْرَمْتُ النارَ في ذلك
الخطب ، وألْقَيْتُ سُرَّتْها فيه ، وأدركني نومُ الشباب فلم يُوقظني إلا حرُّ الشمس
في ظهري ، فانطلقتُ إليها فكشفتها وألْقَيْتُ ما عليها من قَذَى وسواد ورماد ، ثم
قَلَبْتُ منها مثل المَلَأَةِ البيضاء ، فألْقَيْتُ عليها من رُطَبِ تلك النخلة المَجْرَعَةِ ^(٢)
والمَنْصِفَةِ ، فسمعتُ لها أَطِيطاً ^(٣) كَتَداعى عاصِرٌ وَغَطْفَانٌ ، ثم أَقْبَلْتُ أَتَنَاولُ
الشَّحْمَةَ واللحمة فأضعها بين الثمرين وأهوى بها إلى فمي ، فما أحلف إنى ما أَكَلْتُ
طعاماً مثله قط !

فقال له عبد الملك : لقد أَكَلْتَ طعاماً طيباً فمن أنت ؟ قال : أنا رجلٌ
جَانَبَتْنِي عَنَقَنَةٌ ^(٤) تَمِيمٌ وَأَسَدٌ ، وكَشَكَشَةٌ ^(٥) رَيْبِعَةٌ ، وَحُوشَى ^(٦) أَهْلِ الْيَمَنِ - وإن
كنتُ منهم . فقال : من أيهم أنت ؟ قال : من أخوالك من عُدْرَةٍ . قال : أولئك
فصحاء الناس ؛ فهل لك علمٌ بالشعر ؟ قال : سَنَى عَمَّا بَدَأَ لك يَا مِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قال :
أَيَّ بَيْتٍ قَالَتْهُ الْعَرَبُ أَمْدَحُ ؟ قال : قول جرير :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بِطُونِ رَاحٍ ^(٧)

وكان جرير في القوم ؛ فرفع رأسه وتناول لها . ثم قال : فأى بيت قالته العرب
أُفْخِرُ ؟ قال : قول جرير :

(١) الرَضْفُ : المجازة المحمية بالشمس أو النار (٢) جَزَعُ الْبَسْرِ : إذا بلغ الإرباب بعضه .
ونصف البسر : إذا بلغ الإرباب نصفه (٣) الْأَطِيطُ : الصوت (٤) الْعَنَقَةُ : إبدال العين من الهمزة
(٥) الْكَشَكَشَةُ : إيجال الشين مكان الكاف (٦) الْحُوشَى : الغامض (٧) رَاح : جمع
راحة ، وهي الكف .

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضاباً
فتحرك لها جرير . ثم قال له : فأى بيت أهجى ؟ قال : قول جرير :
ففض الطرف إنك من نذير فلا كمياً بلغت ولا كلاباً
فاستشرف لها جرير . ثم قال : فأى بيت أغزل ؟ قال : قول جرير :
إن العيون التى فى طرفها مريض قتلنا ثم لم يحمين قتلاًنا
فاهتز جرير وطرب . ثم قال له : فأى بيت قالته العرب أحسن تشبيهاً ! قال :
قول جرير :

سرى نحوهم ليل كان نجومه قناديل فيهن الذبالب^(١) المقتل
فقال جرير : جازتني للذرى يا أمير المؤمنين . فقال له عبد الملك : له مثلها من
بيت المال ، ولك جازتلك يا جرير لا تذكقص منها شيئاً . وكانت جائزة جرير أربعة
آلاف درهم وتوابعها من الحلان والكسوة . فخرج الذرى وفى يده اليمنى ثمانية
آلاف درهم ، وفى اليد اليسرى رزمة ثياب !

(١) الذبالة : الفتيلة التى توضع فى القنديل ، يوضع فيه الزيت ليستضاء به .

١٦ — جَعْدَر *

كان جَعْدَر بن ربيعة من لصوص العرب وشياطينهم ، يُفسِر على أحيائهم
فِينَهَبُهَا ، ورمما فتك بمن تعرّض له ؛ واشتدَّ شرُّه في أيام الوليد بن عبد الملك ،
حتى أباد خلقاً كثيراً .

فبلغ أمرُه الحُجَّاجَ ^(١) ؛ فكتب إلى عامله باليمامة ، يؤنبه لعجزه عن الضرب
على يدي ذلك الفاتك ، وأمره أن يُوقِعَ به ، أو يحمله إليه أسيراً .
فأوطأ ^(٢) العاملُ جماعة من فتية بني حنظلة ، وجعل لهم الجمائل ^(٣) العظيمة
إن هم أتَوْه به مَقُولًا ^(٤) أو مقتولا !

فأرسلوا إليه يقولون : إنهم يريدون الانقطاع إليه ، والخضوع لأمره ؛ فأخذه
جَعْدَر إلى قولم ، وأدخلهم في صُحبته . فأخذوا ينهبون تحت لوائه ، إلى أن صادفوا
منه غِرَّةً ^(٥) ، فشدُّوا وِثاقه ، وقدموا به إلى العامل الذي وجههم به إلى الحجاج .
فلما مثَّلوا بين يديه قال الحجاج : أنت جَعْدَر ؟ قال : نعم ، فقال : وما جرّأك
على ما بلغتني عنك ؟ قال : جَوْرُ الزمان ، وجراءة الجنان ! قال : وما بلغتني من أمرك ؟
قال : لو ابتلاني الأمير ، وجعلني مع الفرسان لرأى مني ما يعجبه .

فقال : يا جَعْدَر ؛ إني قاذفٌ بك إلى حفيرة بها سبعٌ شرس ، فإن قتلت

* المستطرف : ١ - ٢٢٤ ، المحاسن والمساوي : ٧٧ (طبع ليزج) .

(١) نشأ بالطائف ، وولى العراق والشرق ، وهلك بواسط سنة ٩٥ هـ (٢) أوطأ جماعة : اتفق معهم (٣) الجمالة ما جعل للانسان من شيء على فعل (٤) النل : طوق من الحديد يحمل في الضيق (٥) الغرة : الغفلة .

كفناً مثوتك ، وإن قتلته عفونا عنك لشجاعتك ! فقال : أصلح الله الأمير !
لقد قرُبَ الفرج !

فأمر الحجاج بحبسه ، وكتب إلى العامل أن يرتاد^(١) له سُبُعاً عَتِيّاً^(٢) ، ويحمله
إليه . فارتاد له أسداً خبيثاً ، كربه المنظر ، قد أفنى جميع ما باليامة من حيوان ،
ووضعه في قفص من حديد ، وأنفذه إلى الحجاج .

فأمر أن يُلقى في الحفيرة ، ولا يُطعم شيئاً ثلاثة أيام ، حتى إذا ما اشتد به
الجوع ، أخرج إليه جحدر ، وما أعطى إلا سيفاً ، والحجاجُ مشرف على الحفيرة ؛
والناسُ حوله ينظرون إلى الأسد ما هو صانع بفريسته !

فلما رُفِعَ^(٣) له نهض وزار زبيراً رجَ الجبال ، وراع الحاضرين ، فأنشد جحدر :
ليثٌ وليثٌ في مجالِ ضنكٍ كلاهما ذو قوّةٍ وسفكٍ
وصولةٍ وبطشةٍ وفتكٍ إن يكشف الله قناعَ الشكِّ
فانتَ لي في قبضتي ومِلْكِي

ثم أدلى به ، فوق عليه وقوع الصاعقة ، فصرخ الأسدُ عند رؤيته صرخة
عظيمة ، فأجابه هو بأعظم منها ، وضر به بسيفه ضربة فلقت هامته ؛ فكبر الناس ،
وأعجب به الحجاج ، وقال . لله دَرَكُ^(٤) ! ما أنجذك^(٥) !

ثم خيره بين أن يُقيم عنده مكرماً ، أو يلحقَ ببلاده على ألا يؤذى أحداً ،
ولا يحدث حدثاً ؛ فاختارَ جحدر الإقامة معه ، وأحسن أدبه ، حتى حظي عنده وجعله
من مُتَمَّارِهِ وخواصه ؛ وبعد ذلك بزمَ غير طويل ولأه اليامة ، ومكث فيها مدة ،
قام فيها بأعباء الولاية خيرَ قيام .

(١) يرتاد : يطلب (٢) العتي : ما جاوز الحد ، ويقصد : الشديد المائل (٣) رفع : ظهر من بعيد
(٤) الدر : الضل من خير أو شر ؛ وفيه درك أي قه علك ؛ يقال لمن يمدح ويتعجب من عمله .
(٥) ما أنجذك : ما أشجعك فيما يعجز عنه غيرك .

١٧ - صديقا ابن سريج على قبره *

حدث إسحاق بن يعقوب عن أبيه قال :

إِنَّا لِبَيْنَاءِ دَارِ عَمْرِو بْنِ عَثْمَانَ بِالْأَبْطَحِ فِي صُبْحِ خَامِسَةِ مِنَ الثَّمَانِ ^(١) ، فَمَا إِنِ
دَرَيْتُ إِلَّا بِرَجُلٍ عَلَى رَاحِلَةٍ ، عَلَى رَاحِلٍ جَمِيلٍ وَأَدَاةٍ حَسَنَةٍ ، مَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ
عَلَى رَاحِلَةٍ قَدْ جَنَّبَ ^(٢) إِلَيْهَا فَرَسًا وَبَغْلًا ، فَوْقَا عَلَى وَسَلَانِي ، فَانْتَسَبْتُ لَهُمَا
عُثْمَانِيَا ، فَزِلَا وَقَالَا : رَجُلَانِ مِنْ أَهْلِكَ أَقْدَمْتُنَا حَاجَةً نَحْبُ أَنْ نُقْضِيَهَا قَبْلَ أَنْ
نُشَدَّه ^(٣) بِأَمْرِ الْحَجِّ ؛ فَقُلْتُ : مَا حَاجَتُكُمَا ؟ قَالَا : نُرِيدُ إِنْسَانًا يَقِفُنَا عَلَى قَبْرِ
عُبَيْدِ بْنِ سُرَيْجٍ !

قال : فَهَضَمْتُ مَعَهُمَا حَتَّى بَغَيْتُ بِهِمَا مَحَلَّةَ بَنِي قَارَةَ مِنْ خَزَاعَةِ بَمَكَةَ ،
وَمِنْ مَوَالِي عُبَيْدِ بْنِ سُرَيْجٍ ^(٤) ، ثُمَّ التَّمَسْتُ لَهُمَا إِنْسَانًا يَصْحَبُهُمَا حَتَّى يَقِفَهُمَا عَلَى
قَبْرِهِ بِدَسْمٍ ^(٥) ، فَوَجَدْتُ ابْنَ أَبِي دُبَايَ كُلِّ فَانْهَضْتُهُ مَعَهُمَا . ثُمَّ أَخْبَرَنِي بَعْدُ :
أَنَّهُ لَمَّا أَوْقَفَهُمَا عَلَى قَبْرِهِ نَزَلَ أَحَدُهُمَا فَحَسَرَ عِمَامَتَهُ عَنْ وَجْهِهِ ، فَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ
ابْنُ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَمَقَرَّ نَاقَتَهُ ، وَانْدَفَعَ يَنْدُبُهُ بِصَوْتٍ شَجَوٍّ
كَلِيلٍ حَسَنٍ :

وَقَفْنَا عَلَى قَبْرِهِ بِدَسْمٍ فَهَاجَنَا وَذَكَرْنَا بِالْعِيشِ إِذْ هُوَ مُضْحَبٌ ^(٦)

* الأغانى : ١ - ٣٢٠ (طبعة دار الكتب)

- (١) أى من أيام الحج (٢) جنب فرساً : أى قاده إلى جنبه (٣) نشده : نشغل
(٤) كان عبيد بن سريج مغنياً من أهل مكة ، كان يغنى مرتجلاً ويوقع بقضيب ، ويضرب بالعود ؛
غنى في خلافة عثمان بن عفان ، وتوفى في خلافة هشام بن عبد الملك ، مات نحو سنة ٩٨ هـ (٥) دسم :
موضع قرب مكة (٦) المصحب : الدليل المتقاد بعد صعوبة .

فجالت بأرجاء الجفون سَوافحٌ من الدَّمْعِ تستنلي الذي يتعقبُ
إذا أبطأتُ عن ساحة الخدِّ ساقها دمٌ بعد دمعٍ إثرهُ يتصَبَّبُ
فإن تُسعيداً تَنذُبُ عبيداً بِعِوَالَةٍ^(١) وَقَلَّ لَهُ مِنَّا الْبُكَاءُ وَالتَّحَوُّبُ^(٢)
ثم نزل صاحبه فمقر ناقته . وقال له القُرَشِيُّ : خُذْ في صوت أبي يحيى ؛
فاندفع يُفَنِّي :

أُسعيداني بِعِوَالَةٍ أُسْرَابٍ^(٣) من دُمُوعِ كَثِيرَةٍ التَّسْكَابِ
إنَّ أَهْلَ الْحِصَابِ^(٤) قد تركوني مولهاً مولعاً بأهلِ الْحِصَابِ
أهلِ بَيْتٍ تَتَابَعُوا^(٥) لِلنَّايَا ما على الموتِ بَعْدَهُمْ مِنْ عِتَابِ
فَارْقُونِي وقد علمتُ بِقَيْنَا ما لِمَنْ ذاقَ مِيتَةً مِنْ إِيَابِ
كَمْ بِذَلِكَ الْحُجُوجُونَ^(٦) مِنْ حَيٍّ صَدَقَ من كِهولِ أَعْفَاةٍ وَشَبَابِ
سَكَنُوا الْجَزْعَ جَزَعَ بَيْتِ أَبِي مُو سَمَى إِلَى النَّخْلِ مِنْ صُغِيِّ السَّبَابِ^(٧)
فَلِيَ الْوَيْلُ بِمَعْدَمِ وَعَلَيْهِمْ صِرْتُ فَرْدًا وَمِلْنِي أَصْحَابِي
قال ابنُ أَبِي دُبَايَ كُلُّ : فَوَاللهُ مَا تَمَّ صَاحِبُهُ مِنْهَا ثَلَاثًا حَتَّى غَشِيَ عَلَى صَاحِبِهِ ،
وَأَقْبَلَ يَصْلِحُ السَّرِجَ عَلَى بَغْلَتِهِ وَهُوَ غَيْرُ مُعَرَّجٍ عَلَيْهِ . فَسَأَلَتْهُ مِنْ هُو ؟ فَقَالَ :
رَجُلٌ مِنْ جُدَّامٍ . قُلْتُ : بَيْنَ تَعْرِفُ . قَالَ : بَعْدَ اللهِ بْنِ الْمُنَشِّرِ . قَالَ : وَلَمْ يَزَلِ
الْقُرَشِيُّ عَلَى حَالِهِ سَاعَةً ، ثُمَّ أَفَاقَ .

ثم جمل الجذامى يَنْضَحُ الماءَ على وجهه ، ويقول كالمعائب له : أنت أبدأ

(١) أعول : ارتفع بكاؤه ، والاسم العولة (٢) التحوب : التوجع (٣) أسراب : جم سرب
وهو الماء السائل (٤) الحصاب : موضع الجمار (٥) التتابع : الوقوع في الثمر من غير فكر ولا روية
(٦) الحجون : جبل بأعلى مكة عند مدافن أهلها (٧) صغى السباب : موضع بمكة ، والراد بأبي
موسى أبو موسى الأشعري .

مَصْنُوبٌ^(١) على نفسك، وَمَنْ كَلَّفَكَ مَا تَرَى ! ثُمَّ قَرَّبَ إِلَيْهِ الْفَرَسَ ؛ فَلَمَّا عَلِمَ
اِسْتَخْرَجَ الْجُذَامَى مِنْ خُرْجٍ عَلَى بَقْلٍ قَدَحًا وَإِدَاوَةَ مَاءٍ ، فَجَمَلَ فِي الْقَدَحِ تَرَابًا
مِنْ تَرَابِ قَبْرِ ابْنِ سَرِيحٍ وَصَبَّ عَلَيْهِ مَاءً مِنَ الْإِدَاوَةِ . ثُمَّ قَالَ : هَاكَ فَاشْرَبْ هَذِهِ
السَّلْوَةَ^(٢) ، فَشَرَبَ . ثُمَّ فَعَلَ هُوَ مِثْلَ ذَلِكَ وَرَكِبَ الْبَغْلَ وَأَرْذَفَنِي .

فَخَرَجَا وَاللَّهُ مَا يَعْرِضَانِ بِذِكْرِ شَيْءٍ مِمَّا كَانَا فِيهِ ، وَلَا أَرَى فِي وَجُوهِهِمَا شَيْئًا
مِمَّا كُنْتُ أَرَى قَبْلَ ذَلِكَ .

فَلَمَّا اشْتَمَلَ عَلَيْنَا أَبْطَحَ مَسَكَةً قَالَا : انْزِلْ يَا خَزَاعِي ! فَزِلْتَ وَأَوْمَأَ الْفَتَى
إِلَى الْجُذَامَى بِكَلَامٍ ، فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا فِيهَا شَيْءٌ فَأَخَذَتْهُ فَإِذَا هُوَ عَشْرُونَ
دِينَارًا ، وَمُضِيَا .

فَانْصَرَفَتْ إِلَى قَبْرِهِ بِيَعِيرَيْنِ فَاحْتَمَلَتُْ عَلَيْهِمَا أَدَاةَ الرَّاحِلَتَيْنِ اللَّتَيْنِ عَقَرَاهُمَا
فَبِعْتُهُمَا بِثَلَاثِينَ دِينَارًا !

(١) مصبوب على نفسك ؛ أى عنوث على اتباعها تستغويك فتسلس لها القياد (٢) السلوة : أن
يؤخذ من تراب قبر ميت فيذر على الماء ويسقاه الماشق ليلسو .

١٨ — قوة وبطش*

كان هلال^(١) فارساً شجاعاً شديد البأس والبطش ، أكثر الناس أكلاً ، وأعظمهم في حرب غناء . وكان يَرِدُ مع الإبل فياً كل ما وجد عند أهله ، ثم يرجع إليها ولا يتزود طعاماً ولا شراباً حتى يرجع يوم وريدها ، لا يذوق فيما بين ذلك طعاماً ولا شراباً ، وكان عادى الخلق^(٢) ، لا توصف صفتُهُ .

وكان يوماً في إبل له ، وذلك عند الظهيرة في يوم شديد وقع الشمس ، مُتَحَدِمُ المهاجرة^(٣) ، وقد عمد إلى عصاه فطرح عليها كسائه ، ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس ؛ فبينما هو كذلك إذ مرَّ به رجلان : أحدهما من بني نَهشل ، والآخر من بني قُقيم ، كانا أشدَّ تَمِيمَيْنِ في ذلك الزمان بطشاً ، وقد أقبلَا من البحرين ، ومعهما^(٤) أنواط من تمر هَجَر^(٥) ، وكان هلالٌ بناحية الصعاب^(٦) .

فلما انتهيا إلى الإبل — ولا يعرفان هلالاً بوجهه ، ولا يعرفان أن الإبل له — ناديا : ياراعى ، أعندك شرابٌ تَسْقِينَا ؟ وهما يظنانه عبداً — فناداهما هلال ورأسه تحت كسائه : عليكما بالناقة التي صفتها كذا في موضع كذا ، فأنيخاها : فإن عليها وَطْبَيْنِ^(٧) من لبن ، فاشربا منهما ما بدَا لكما . فقال له أحدهما : وَيَحْك ! انهض

* الأغاني : ٣ - ٥٣ (طبعة دار الكتب)

- (١) هلال بن الأسمر : شاعرا اشتهر في العصر الأموي ، وكان فارساً شجاعاً ، مات نحو سنة ١٣٠ هـ .
(٢) عادى الخلق : ملأ صخر الجسم ، نسبة إلى عاد (٣) المهاجرة : نصف النهار (٤) أنواط : جمع نوط ، والنوط : حلقة صغيرة فيها التمر ونحوه . (٥) هجر : قاعدة البحرين ، مشهورة بالتمر ، وقيل : ناحية البحرين كلها هجر . (٦) الصعاب : جبل بين اليمامة والبحرين (٧) الوطب : سقاء اللبن خاصة .

يا غلام فأتِ بذلك اللبن ! فقال لها : إن تلك لكما حاجة فستأتيانها ، فتخدران^(١)
الوطبين فتشربان .

فقال أحدهما : إنك لغلظ الكلام ، قم فاستقننا ثم دنا من هلال وهو على
تلك الحال ، فقال لها - حيث قال له أحدهما : إنك لغلظ الكلام - أراكما والله
ستلقين هواناً وصغاراً ؛ وسميماً ذلك منه ؛ فدنا أحدهما فأهوى له ضرباً بالسوط على
عجزه وهو مضطجع ، فتناول هلال يده فاجتذبه إليه ، ورماه تحت فخذه ، ثم
ضغطة ضغطة ، فنادى صاحبه : ويحك ! أغثنى قد قتلتني ! فدنا صاحبه منه ، فتناوله
هلال أيضاً فاجتذبه فرمى به تحت فخذه الأخرى . ثم أخذ برقابهما فجعل يصك
برؤوسهما بعضاً ببعض ؛ لا يستطيعان أن يمتنما منه .

فقال أحدهما : كنْ هلالاً ولا نبأى ما صنعت ! فقال لها : أنا والله هلال ،
ولا والله لا تفلتان مني حتى تُعطيانى عهداً وميثاقاً لا تخيسان به^(٢) ؛ لتأتين المرء^(٣) ،
إذا قدمتما البصرة ، ثم لتناديان بأعلى أصواتكما بما كان مني ومنكما .
فعاhead وأعطياه نوطاً من التمر الذي معهما ، وقدما البصرة ، فأتيا المرء ،
فناديا بما كان منه ومنهما .

(١) حذر الشيء : أنزله من علو . (٢) لا تخيسان به : لا تفدرانه به ولا تنكثان .
(٣) المرء : موضع بالبصرة ؛ كان سوقاً للابل ، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس ، وبه كانت
مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء .

١٩ — لا تمرضوا لهذا الشيطان *

حدث خالد عن كُثَيْف بن عبد الله المازني قال : كنتُ يوماً مع هلال ، ونحن نبتغي إبلًا لنا . فدَقَعْنَا إلى قومٍ من بَكْر بن وائل ، وقد لَفَيْنَا^(١) وعَطِشْنَا ، وإذا نحن بفتيةٍ شبابٍ عند رَكِيَّةٍ^(٢) لهم ، وقد وَرَدَتْ إبلهم ، فلما رأوا هلالًا استهولوا خلقه وقامته .

فقام رجلان منهم إليه ، فقال له أحدهما : يا عبدَ الله ، هل في الصِّراع ؟ فقال له هلال : أنا إلى غير ذلك أحوج . قال : وما هو ؟ قال : إلى لبنٍ وماء ؛ فإنني لَنِبْ ظَمآنٌ ، قال : ما أنت بذائقٍ من ذلك شيئًا حتى نعطينا عهدًا ؛ لَتُجِيبَنَّا إلى الصِّراع إذا أَرَحْتَ^(٣) ورويت .

فقال لها هلال : إنني لكم ضيف ، والضيفُ لا يُصارعُ ربَّ منزله ، وأنتم مكتفون من ذلك بما أقولُ لكم : اعمدوا إلى أشدِّ غُلٍ في إبلكم وأهْيَبِهِ صولةً ، وإلى أشدِّ رجلٍ منكم ذِرَاعًا ؛ فإن لم أقبض على هامةِ البعيرِ وعلى يدِ صاحبكم فلا يمتنعُ الرجلُ ولا البعيرُ حتى أَدْخَلَ يدَ الرجلِ في فمِ البعيرِ ، فإن لم أفعل ذلك فقد صرعتُموني ، وإن فعلته علمتم أن صراع أحدكم يُيسرُ من ذلك .

فمجبوا من مقاتله تلك ، وأَوْمَثُوا إلى فَحْلِ في إبلهم هائجٍ صائلٍ قَطِمٍ^(٤) ، فأتاه

* الأغاني : ٥٥-٣ (طبعة دار الكتب)

(١) لَفَّ : تمب وأصابه الإعياء (٢) الركبة : البئر (٣) أراح الرجل : رجعت إليه نفسه بعد الإعياء (٤) القطم : الهاج الذي صعب ركوبه .

هلال ومعه نفرٌ من أولئك القوم وشيخٌ لهم ، فأخذ بهامة الفحل مما فوق مشفره ، فضغطها ضغطةً جَرَّجِرَ^(١) الفحلُ منها واستخذى^(٢) ورَّغَا . وقال : لِيُفْطِنِي من أَحْبَبْتُ يده أو لِحْمَا في فم هذا الفحل .

فقال الشيخ : يا قوم ، تنكبُّوا هذا الشيطان ، فوالله ما سمعتُ الفلان^(٣) - يعني هذا الفحل - جَرَّجِرَ منذ بَزَلْ^(٤) قبل اليوم ، فلا تعرضوا لهذا الشيطان . وجعلوا يَتَّبِعُونَهُ وينظرون إلى خَطْوِهِ وَيَعْجَبُونَ منه حتى جَاوَزَهُمْ .

(١) جَرَّجِرَ : ردد صوته في حنجرتِه . (٢) استخذى . خضع . (٣) الفلان والفلانة : كناية عن غير الآدميين ، تقول : ركبت الفلان وركبت الفلانة ، أما فلان وفلانة فهما كناية عن أسماء الآدميين .

(٤) بَزَلَ البعير فهو بازل ، أى : دخل في سِنِّهِ التاسعة .

٢٠ — هلال يصارع عبداً جباراً*

حَدَّثَ مَنْ سَمِعَ هَلالًا يَقُولُ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ ، وَعَلَيْهَا رَجُلٌ مِنْ آلِ مَرْوان ،
فَلَمْ أَزَلْ أَضَعُ عَنْ إِبِلِي ، وَعَلَيْهَا أَحْمَالٌ لِلتَّجَارِ ، حَتَّى أَخَذَ يَيْدِي ، وَقِيلَ لِي : أَجِيبِ الْأَمِيرَ .
قُلْتُ لَهُمْ : وَيَلَكُمْ ! إِبِلِي وَأَحْمَالِي ! فَقِيلَ : لَا بَأْسَ عَلَى إِبِلِكَ وَأَحْمَالِكَ .
فَانْطَلَقَ بِي حَتَّى أُدْخِلْتُ عَلَى الْأَمِيرِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قُلْتُ : جُعِلْتُ
فِدَاكَ ! إِبِلِي وَأَمَانَتِي ، فَقَالَ : نَحْنُ ضَامِنُونَ لِإِبِلِكَ وَأَمَانَتِكَ حَتَّى تَوْدِّيَهَا إِلَيْكَ ؛
فَقُلْتُ عِنْدَ ذَلِكَ : فَمَا حَاجَةُ الْأَمِيرِ إِلَيَّ ؟ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاهُ ! فَقَالَ لِي - وَإِلَى جَنْبِهِ
رَجُلٌ أَصْفَرٌ ، مَارَأَيْتَ رَجُلًا قَطُّ أَشَدَّ خُلُقًا مِنْهُ ، وَلَا أَغْلَظَ عُنُقًا ، مَا أَدْرَى أَطْوَلُهُ
أَكْثَرُ أَمْ عَرَضُهُ - : إِنَّ هَذَا الْعَبْدَ الَّذِي تَرَى ، مَاتَرَكَ بِالْمَدِينَةِ عَرِيًّا يُصَارِعُ إِلَّا
صَرَعهُ ، وَبَلَعَنِي عَنْكَ قُوَّةٌ فَأَرَدْتُ أَنْ يُجَرِيَ اللَّهُ صَرَعهُ^(١) هَذَا الْعَبْدَ عَلَى يَدِكَ ؛ فَتَذَرِكْ
مَاعِنْدَهُ مِنْ أَوْتَارِ الْعَرَبِ .

فَقُلْتُ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاهُ الْأَمِيرِ ، إِنِّي لَنَفَبٌ نَصِيبٌ جَائِعٌ ، فَإِنْ رَأَى الْأَمِيرُ
أَنْ يَدْعَنِي ، حَتَّى أَضَعَ عَنْ إِبِلِي ، وَأَوْدَى أَمَانَتِي ، وَأُرِيحَ يَوْمِي هَذَا وَأَجِئْتُهُ غَدًا - فَلْيَفْعَلْ .
فَقَالَ لِأَعْوَانِهِ : انْطَلِقُوا مَعَهُ فَأَعِينُوهُ عَلَى الْوَضْعِ عَنْ إِبِلِهِ وَأَدَاءِ أَمَانَتِهِ ، ثُمَّ
انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى الْمَطْبَخِ فَأَشْبِعُوهُ . فَفَعَلُوا جَمِيعَ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ . فَظَلَلْتُ بَقِيَّةَ يَوْمِي ذَلِكَ ،
وَبَتُّ لَيْلَتِي تِلْكَ بِأَحْسَنِ حَالٍ شَبَعًا وَرَاحَةً وَصَلَاحٍ أَسْرَ ؛ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ

* الْأَغَانِي : ٣ - ٥٦ (مطبعة دار الكتب) .

(١) صَرَعه ، أَيْ قَتَلَهُ .

غدوت عليه وعلى جُبَّة لي صوف وَبَتٌ^(١) ، وليس على إزار ، إلا أنى قد
شدتُ بعمامتي وسطى . فسَلَمْتُ عليه فردَّ على السلام . وقال للأصفر : قم إليه ،
فقد أرى الله أتك بما يُخزِيك . فقال العبد : اتنز يا عرابي ، فأخذتُ بتي فَأَنْزَرْتُ
به على جُبَّتِي ؛ فقال : هيهات ! هذا لا يثبت ، إذا قبضتُ عليه جاء في يدي؛ فقلت:
والله مَالِي من إزار .

فدعا الأميرِ مُنْلَحَقَةً ما رأيتُ قبلها ، ولا عَلاً جلدِي مثلها ، فشددتُ بها
على حَقْوِي^(٢) وخلصتُ الجُبَّة .

وجعل العبدُ يدور حولي ويريد خَتْلِي وأنا منه وَجِل ، ولا أدري كيف
أصنع به ! ثم دنا مني دَنَوَةً ، فَفَقَدَ^(٣) جَبْهَتِي بظُفْرِهِ نَقْدَةً ظَنَنْتُ أَنَّهُ قد شَجَّنِي
وأَوْجَعَنِي . ففاظنني ذلك ، فجعلتُ أنظر في خَلْقِهِ ؛ بِمَ أَقْبِضُ منه . فما وجدت في
خَلْقِهِ شيئاً أصغر من رأسِهِ ، فوضعتُ إبهامي في صُدْغِيهِ وَأَصَابِي الأُخْرَى في أصل
أذنيه . ثم غَمَزَتْهُ غَمَزَةً صاح منها : قتلتنى ! قتلتنى ! فقال الأمير : اغمس رأس
العبد في التراب . فقلت له : ذلك على .

فغمستُ والله رأسَهُ في التراب ، ووقع شبيهاً بالمعشَى عليه . فضحك الأمير
حتى اسْتَلَقَى ، وأمر لي بمِائِزَةٍ وَصِلَةٍ وَكُسُوة ، وانصرفت .

(١) البت : كساء غليظ مهلهل مربع أخضر (٢) الحقو: الحصر (٣) قد الشيء: نقره بإصبعه .

٢١ - حديث عن الغريين*

قال المهدي ذات ليلة - وكان أميراً على الرمي من قبل أبيه المنصور: يا شرقي^(١)،
أريح قلبي بشيء، يلهيه! قال: نعم أصلح الله الأمير:
ذكروا أنه كان في ملوك^(٢) الحيرة ملك له نديمان: قد نزلا من قلبه منزلة
مكيئة، وكانا لا يفارقانه في لهنّوه ومنامه ويقظته، وكان لا يقطعُ أمراً دونهما،
ولا يصدرُ إلّا عن رأيهما، فغبر بذلك دهرأ طويلا.
فبينما هو ذات ليلة في شُرْبِه ولهنّوه إذ غلب عليه الشراب؛ فأزال عقله، فدعا
بسيّفه وانتصاه، وشد عليهما ققتلهما، وغلبته عيناه فنام.
فلما أصبح سأل عنهما فأخبر بما كان منه؛ فأكبّ على الأرض؛ عاضاً لها؛
تأسفاً عليهما، وجزعاً لفراقهما، وامتنع من الطعام والشراب، ثم حلف لا يشرب
شراباً يزُجج قلبه ماعاش! وواراهما وبنى على قبريهما بناءين، وسماهما الغريين^(٣)،
وسنّ ألا يمرّ بهما أحدٌ من الملّك قمنّ دونه إلا سجد لهما، وكان إذا سنّ الملّكُ
سنة توأرنوها، وأحيوا ذكرها ولم يُميتوها، وجعلوها عليهم حكماً واجباً وفرضاً لازماً،
وأوصى بها الآباء أعتابهم.
فغبر الناس بذلك دهرأ طويلا، لا يمرّ أحد من صغير ولا كبير إلا سجد لهما؛

* مروج الذهب: ٢-٢٥٢، معجم البلدان: ٦-٢٨٣.

(١) هو الشرقي بن الصلّاح: شاعر كلبي، كان وافر الأدب، عالماً بالنسب، وكان المنصور قد ضمه
إلى المهدي حين خلفه بالري، وأمره أن يأخذه بحفظ أيام العرب، ومكارم الأخلاق، ودراسة
الأخبار، وقراءة الأشعار (٢) ذكروا أنه النعمان بن المنذر (٣) الغريان: بناء ان بالكوفة؛
قيل سمياً بذلك لأن النعمان كان يغريهما بدم من يقتله.

فصار ذلك سنة لازمة كالشريعة والفريضة ، وحُكِمَ فيمن أبى أن يسجد لها بالقتل
بعد أن يُحْكَمَ له بخصلتين يُجَابُ إليهما كأننا ما كان !

فربوما قصَّار ^(١) معه كارة ^(٢) ثياب ، وفيها مِدَقَّتُهُ ^(٣) ، فقال الموكلون
بالغريين للقصَّار : اسجد ! فأبى أن يفعل . فقالوا له : إنك مقتول إن لم
تفعل ؛ فأبى .

فرفعوه إلى الملك ، وأخبروه بقصته ، فقال : ما منكم أن تسجد ؟ قال :
سجدت ولكن كذبوا على ! قال : الباطل قلت فاحتكم في خصلتين ؛ فأنت
مُجَابٌ إليهما ، وإنى قاتلك ! قال : لا بدَّ من قتلى بقول هؤلاء ؟ قال : لا بد من
ذلك ، قال : فإني أحتكم أن أضرب رقبة الملك بمدقتى هذه ! قال له الملك : يا جاهل ؛
لو حكمت على أن أُجْرَى على من تُخَلِّف وراءك ما يعينهم كان أصلح لهم !

قال : ما أحكم إلا بضربة لرقبة الملك ! فقال الملك لوزرائه : ماتون فيما حكم
به هذا الجاهل ؟ قالوا : نرى أن هذه سنة ، وأنت أعلم بما في نقض السنن من العار
والنار وعظم الإثم ، وأيضاً إنك متى نقضت سنة نقضت أخرى ، ثم يكون ذلك
لِمَن بعدك كما كان لك ، فتبطل السنن !

قال : فارغبوا إلى القصَّار أن يحكم بما شاء ويعفينى من هذه ؛ فإني أجيبه
إلى ما شاء ، ولو بلغ حكمه شَطْرَ ملكي ! فرغبوا إليه ، فقال : ما أحكم إلا
بضربة في عنق الملك !

فلما رأى الملك ذلك وما عزم عليه القصَّار ، قدم مقعداً عاماً ، وأحضر القصَّار ،

(١) قصر الثوب : صوره ودقه ، وسمى القصَّار لأنه يذق الثياب بالقصرة وهي قطعة من الخشب

(٢) الكارة : ما يحمل على الظهر من الثياب . (٣) المدق : ما يذق به .

فأبدى مِدَقَّتَه ، وضرب بها عنق الملك ؛ فأوهنه وخره مغشياً عليه !

فأقام يشكو ما به سنة ، فلما أفاق وتكلم ، وأكل وشرب سأل عن القصار ، فقيل : إنه محبوبس ؛ فأمر بإحضاره فحضر ؛ فقال : لقد بقيت لك خصلة فاحكم بها ، فإنى قاتلك لا محالة ؛ إقامةً للسنة ! قال القصار : فإذا كان لابد من قتلى فإنى أحكم أن أضرب الجانب الآخر من رقبة الملك مرة أخرى !

فلما سمع الملك ذلك خرَّ على وجهه من الجزع ، وقال : ذهبت^(١) والله نفسى إذن . ثم للقصار : ويليكَ دَعْ عنك ما لا ينفعك ، فإنه لم ينفعك منه ما مضى ، واحكم بغيره وأنفذه لك كائنًا ما كان ! قال : ما أرى حقى إلا ضربة أخرى ! فقال الملك لوزرائه : ما ترون ؟ قالوا : هذا حقه ! قال : ويلسكم ! إن ضرب الجانب الآخر ما شربت الماء البارد أبدا ! ؛ لأنى أعلم ما قد نالنى .

قالوا : فما عندنا حيلة !

فلما رأى ما قد أشرف عليه قال للقصار : أخبرنى . ألم أكن قد سمعتك تقول يوم أتى بك الموكلون بالفرسين : إنك قد سجدت ، وإنهم كذبوا عليك ؟ قال : قد كنتُ قلتُ ذلك فلم أصدق ! قال : فكنت سجدت ؟ قال : نعم ! فوثب من مجلسه ، وقبل رأسه ، وقال : أشهد أنك صادق ، وأهم كذبوا عليك ، وقد وليتك موضعهم ، وجعلت إليك أمرهم .

فضحك المهدي حتى فخص برجليه ، وقال : أحسنت ! ووصله .

(١) ذهبت نفسى ، أى هلكت .

٢٢ — المصا*

قال الشرقي بن القطامي :

خرجتُ من الموصل أريد الرقة^(١) ؛ فصحبني فتى من أهل الجزيرة ، وذكر
أنه من ولد عمرو بن كلثوم ، ومعه مزود^(٢) وركوة^(٣) وعصا ، ورأيتُه
لا يفارقها ؛ مُشاةً كُنَّا أورو كباناً ؛ وهو يقول : إن الله جعل جماع أمر
موسى ، وأعاجيبه وبراهينه ومآربه في عصاه ؛ وجعل يكثرُ من هذا وأنا أضحك
متهاوناً بما يقول .

فتخلف المسكاري^(٤) ؛ فكان حمارُ الفتى إذا وقف أكرهه بالمصا ، ويقف
حماري ، ولا شيء في يدي ؛ فيسبقني إلى المنزل فيستريح ويريح ، ولا أقدر على
البراح حتى يوافيني المسكاري . فقلت : هذه واحدة !

ثم خرجنا من غَدٍ مشاةً ؛ فكان إذا أعيا توكتاً على المصا ، واعتمد عليها ،
ومرّ كأنه سهمٌ زالج^(٥) ، حتى انتهينا ، وقد تفسختُ من الكلال ، وإذا فيه
فضلٌ كثير ؛ فقلت : وهذه أخرى !

فلما كان في اليوم الثالث هَجَمْنَا على حية منكرة ؛ فسارت إلينا فأسلمته إليها ،
وهربتُ منها ، فضربها بالمصا ، فقلت : هذه ثالثة !

* عيون الأخبار : ١-١٣٩

(١) الرقة : بلد على الفرات . (٢) المزود : وعاء الزاد . (٣) الركوة : إناء صغير من
جلد يشرب فيه الماء . (٤) المسكاري : المستأجر لسوق الدواب ، وهو اسم فاعل من كاري ،
والجمع المسكارون . (٥) زالج : مارق .

وخرجنا في اليوم الرابع ، وبنا قرَم^(١) إلى اللحم ، فاعترضتنا أرنب ، فخذفها بالعصا ، وأدركنا ذَكَاتِهَا^(٢) فقلت : هذه رابعة !

فأقبلتُ عليه ؛ فقلت : لو أن عندنا ناراً ما أخوت أكلها إلى المنزل فأخرج هوَيْداً من ميزْوِدِهِ ثم حكته بالعصا ؛ فأورتُ إِيْرَاءَ المَرْخِ والعَفَارِ^(٣) ، ثم جمع ما قدر عليه من الفَنَاءِ^(٤) والحشيش ، وأوقد ناراً ، وألقى الأرنبَ في جوفها ، فأخرجناها ، وقد لُزِقَ بهما من الرماد والتراب ما بَقِصَها إلى ، فعلقها بيده اليسرى ، ثم ضرب جُنُوبَهَا بالعصا ضرباً رقيقاً ، حتى انتثر كلُّ شَيْءٍ عليها ، فأكلناها ، وسكن القَرَم ، وطابت النفس ؛ فقلت : هذه خامسة !

ثم نزلنا بعضَ الخانات ، وإذا البيوتات مملوءة رَوْتًا وترباً ؛ فلم نجد موضعاً نَقْلَ فيه فنظر إلى حديدة مطروحة في الدار ، فأخذها ، فجعل العصا نصاباً^(٥) لها ، ثم قام فجرف ذلك الروث والتراب ، وجرد الأرض ، حتى أظهر بياضها ، وطابت ريحها ، فقلت : وهذه سادسة !

ثم نزع العصا من الحديدة ، فأوتدها^(٦) في الحائط ، وعلق عليها ثيابه وثيراني ، فقلت : هذه سابعة !

فلما صرنا إلى مَفْرَقِ الطريقين وأردتُ مفارقه ، قال لي : لو عدلت معي فبتٌ عِندِي ! فعدلت معه ، فأدخلني منزلاً يتصل بِبَيْعَةٍ^(٧) ، فإزال يحدثني

(١) القرم : شدة شهوة اللحم (٢) ذَكَاتِهَا : ذبحها (٣) المَرْخ : شجر شديد الوري ، ومثله العفار (٤) الفناء : البالي من ورق الشجر الخالط زبد السيل (٥) النصاب : ما عسكها به (كالايد القناس) (٦) أوتدها : ثبتها (٧) البَيْعَة : كنيسة النصارى .

وَيُطْرِفُنِي^(١) الليل كله ، فلما كان السحر أخذ العصا بمينها ، وأخذ خشبةً أخرى قَرَعَ بها العصا ، فإذا ناقوس ليس في الدنيا مثله ، وإذا هو أحذقُ الناس به ، فقلت له : ويحك ! أما أنتَ بمسلمٍ ا قال : بلى . قلت : فلم تضربُ بالناقوس ا قال : لأن أبي نصراني ، شيخ كبير ضعيف وأنا أبرّه .

فإذا هو شيطانُ مارد ، من أغلف الناس ، وأكثرهم أدباً فغَيَّرَته بالذي أحصيتُ من خصال العصا ، فقال : والله لو حدثتك عن مناقب العصا ليلةً إلى الصباح ما استنفدتُها .

(١) يطرفني ، أى يمتحنى بالطرف والأحاديث .

٢٣ - ضَرَّارُ بْنُ الْقَعْقَاعِ *

زعم الأصمعي^(١) أن حرباً كانت بالبادية ، ثم اتصلت بالبصرة ، ففارقَ الأُسْرُ فيها ، ثم مشى بين الناس بالصلح ، فاجتمعوا في المسجد الجامع .
قال : قُبِعْتُ وأنا غلام إلى ضَرَّارِ بْنِ الْقَعْقَاعِ مِنْ بَنِي دَارِمٍ ، فاستأذنتُ عليه ، فأذن لي ، فدخلت فإذا به في شَمْلَةٍ^(٢) يَخْلُطُ بِزُرٍّ لِعَنْزٍ لَهُ حُلُوبٌ بِمُجْتَمَعِ الْقَوْمِ ، فَأَمْهَلَ حَتَّى أَكَلْتُ الْعَنْزُ ، ثُمَّ غَسَلَ الصَّحْفَةَ^(٣) وَصَاحَ : يَا جَارِيَةُ غَدِينَا ؛ فَأَتَتْهُ بَزِيتٌ وَتَمَرٌ . فِدَعَانِي فَقَدِرْتُهُ^(٤) أَنْ أَكَلَ مَعَهُ ، حَتَّى إِذَا قَفَى مِنْ أَكْلِهِ حَاجَةٌ وَتَبَّ إِلَى طَيْنٍ مُلْتَقًى فِي الدَّارِ ، فَفَسَلَ بِهِ يَدَهُ ، ثُمَّ صَاحَ : يَا جَارِيَةُ ، اسْقِينِي مَاءً ، فَأَتَتْهُ بِمَاءٍ فَشَرِبَهُ ، وَمَسَحَ قُضْلَهُ عَلَى وَجْهِهِ ، ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، مَا هِ الْفُرَاتِ بِتَمَرِ الْبَصْرَةِ بَزِيتِ الشَّامِ . مَتَى نُؤَدِّي شُكْرَ هَذِهِ النَّعْمِ ! ثُمَّ قَالَ : يَا جَارِيَةُ ، عَلَى بَرْدَائِي ، فَأَتَتْهُ بِرِدَاءٍ عَدَنِي ، فَارْتَدَى بِهِ عَلَى تِلْكَ الشَّمْلَةِ .
قال الأصمعي : فَتَجَافَيْتُ عَنْهُ اسْتِقْبَاحًا لَزِيَّةً .

فلما دخل المسجد صلى ركعتين ، ثم مشى إلى القوم ، فلم تَبْقَ حُبُوءٌ إِلَّا حُلَّتْ إِعْظَامًا لَهُ ثُمَّ جَلَسَ فَتَحَمَّلَ جَمِيعَ مَا كَانَ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ^(٥) فِي مَالِهِ ، وَانصَرَفَ .

* الكامل للمبرد : ١ - ٨١

(١) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب ، اشتهر بالرواية والتضلع من اللغة . توفي سنة ٢١٦ هـ
(٢) الشملة : كساء يشتمل به (٣) الصفحة : إناء كالفصحة (٤) قدرته : أى استفدته وكرهته . (٥) الأحياء : جمع حى ، وهو البطن من بطون العرب .

البَابُ الثَّانِي

في القصص التي تصف أحوال المرأة العربية ،
وما تجرى عليه في تربية أطفالها ؛ ومعاشرتها زوجها ،
ومعاونتها له في الحياتين : الاجتماعية والمدنية ، بالسمي
معه في سبيل الرزق ، والاشتراك في خوض معامع
الحروب ، والأخذ بقسط من الثقافة الأدبية السائدة
في ذلك العهد .

٥٦ — مصرع الزَّباء *

كان يَدِيمَة^(١) قد ملك ماعلى شاطئ الفرات ، وكانت الزَّباء ملكة الجزيرة ، وكان جَذِيمَة قد وَتَرَهَا بقتل أبيها ، فلما استجمع أمرُها ، وانتظم شملُ مُلكها ، أَحَبَّتْ أَنْ تَفْرُوَ جَذِيمَة . ثم رأت أن تكتبَ إليه : أنها لم تَجِدْ مُلْكَ النساءِ إِلَّا قُبْحًا فِي السَّمْعِ ، وَضَعْفًا فِي السُّلْطَانِ ، وَأَنَّهَا لَمْ تَجِدْ لِمُلْكِهَا مَوْضِعًا ، وَلَا لِنَفْسِهَا كَفْئًا غَيْرَكَ ؛ فَأَقْبَلَ إِلَيَّ لِأَجْمَعَ مُلْكِي إِلَى مُلْكِكَ ، وَأَصِلَ بِلَادِي بِلَادِكَ ، وَتَتَقَلَّدَ أَمْرِي مَعَ أَمْرِكَ .

فلما أتى كتابُها جَذِيمَة ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ رَسُلُهَا اسْتَخَفَّهُ مَا دَعَتْهُ إِلَيْهِ ، وَرَغِبَ فِيهَا أَطْمَعَتُهُ فِيهِ ؛ فَجَمَعَ أَهْلَ الْحِجَا وَالرَّأْيَ مِنْ ثِقَاتِهِ - وَهُوَ يَوْمُئِذٍ بَبْقَة مِنْ شَاطِئِ الْفَرَاتِ - وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ مَا دَعَتْهُ إِلَيْهِ وَعَرَضَتْ عَلَيْهِ ؛ فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَسِيرَ إِلَيْهَا فَيَسْتَوْلِيَ عَلَى مُلْكِهَا .

وكان فيهم قَصِيرٌ - وَكَانَ أَرِييًّا حَازِمًا عِنْدَ جَذِيمَة - فَخَالَفَهُمْ فِيمَا أَشَارُوا بِهِ ، وَقَالَ : رَأْيُ قَاتِرٍ ، وَغَدْرٌ حَاضِرٌ^(٢) . ثُمَّ قَالَ لِلْجَذِيمَة : الرَّأْيُ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيْهَا ، فَإِنْ كَانَتْ صَادِقَةً فِي قَوْلِهَا فَلْتَقْبَلْ إِلَيْكَ ، وَإِلَّا لَمْ تَمُكِّنْهَا مِنْ نَفْسِكَ ، وَلَمْ تَقْعَ فِي حَبَاكِيهَا ، وَقَدْ وَتَرْتَهَا وَقَتْلَ أَبَاهَا ؛ فَلَمْ يُوَافِقْ جَذِيمَة وَقَالَ لَهُ : رَأْيُكَ فِي الْكَيْنِ لَا فِي الضَّحِّ^(٣) .

* مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ : ١ - ٢١٣ ، جَهْرَة الْأَمْثَالِ : ٦٢
(١) انظر صفحة ٢ من هذا الجزء (٢) ذهب مثلا (٣) الضح : الشمس وضوءها ،
والكين : ولاء كل شيء وسنره . ذهب مثلا .

ودعا جَذِيمة عمرو بن عدى ابن أخته فاستشاره فشجّعه على المسير ، وقال :
إن قومي مع الزَّباء ولو رأوك صاروا معك ، فأحبَّ جَذِيمة ما قاله ، وعَصَا قصيراً ،
فقال قصير : لا يُطاعُ قصيرُ أمرٍ^(١) .

واستخلف جَذِيمة عمرو بن عدى على مُلكه وسلطانه ، وسار في وُجُوهِ
أصحابه ، فأخذ على شاطئِ النّرات من الجانب الغربي ، فلما نزل دعا قصيراً فقال :
ما الرأي يا قصير ؟ فقال قصير : بَيِّقَةُ خَلَفْتُ الرّأى^(١) . قال : وما ظنك بالزَّباء ؟ قال :
القولُ رَدَافٌ ، والحزْمُ عثرته تُخَافُ^(١) .

واستقبلته رُسُلُ الزَّباء بالهدايا والألطاف ، فقال : يا قصير ؛ كيف ترى ؟ قال :
خَطْبٌ يسير في خطب كبير^(١) . وستَلْقَاكَ الجيوش ؛ فإن سارت أمامك فالمرأةُ
صادقة ، وإن أخذتُ جنبَتَيْكَ ، أحاطت بك من خَلْفِكَ فالقومُ غادرون بك ، وإذن
فاركب العَصَا^(٢) فإنها لا يسرُ حبارها . وكانت العصا فرساً لجذيمة لا تُجَارَى -
وإني راكبها ومُسايرُك عليها .

فلقِيته الخيولُ والكتائبُ ، فحالت بينه وبين العصا ؛ فركبها قصير ، ونظر
إليه جذيمة على متن العصا مولياً ، فقال : ويل أمّه حَزْماً على متن العصا^(١) ! وجرت
به إلى غروب الشمس ثم نفقت ، وقد قطعت أرضاً بعيدة .

وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيلُ حتى دخل على الزَّباء . فلما رآته قالت :
أشوار^(٣) عروس ترى ؟ فقال : أمر غديرُ أرى ثم دعت بالسيف والنّطع ، وقالت :
إن دماء الملوك شفاء من الكلب ، فأمرت بَطَسَتْ من ذهب قد أعدته له وسقته

(١) ذهبت أمثالاً (٢) العصا : اسم الفرس (٣) الشوار : الهيئة والزينة .

الخر حتى سكر ، وأخذت منه الخمر مأخذها ، فأمرت بـإِرهشيه ^(١) فقطعا ،
وقدّمت إليه الطّست - وقد قيل لها : إن قَطُر من دمه شيء في غير الطّست طَلِب
بدمه - فلما ضَعَفَتْ يداها سَقَطَتْما فقطر من دمه شيء في غير الطّست ؛ فقالت : لا تُضَيِّمُوا
دمَ الملك . فقال جذيمة : دَعُوا دَمًا ضَيِّعَهُ أَهْلُهُ ^(٢) . وهَلَكَ جذيمة .

وخرج قصير من الحى الذى هلكت العصا بين أظهرهم ، حتى قدم على عمرو
ابن عدى - وهو بالحيرة - فقال له قصير : أثار أنت ؟ قال : بل ثائرٌ سائر ^(٣) .
ووافق قصيرُ الناس وقد اختلفوا ، فأصلح بينهم ، ثم قال لعمرو بن عدى :
تهيأ واستعِدْ ولا تُطَلِّنْ ^(٤) دمَ خالك . قال : وكيف لى بها وهى أَمْنَعُ من
عُقَابِ الجو ^(٥) !

وكانت الزباء سألت كاهنة لها عن هلاكها ؛ فقالت : أرى هلاكك بسبب
غلام مهين غير أمين ، وهو عمرو بن عدى . ولن تموتى بيده ، ولكن حَتَفَكَ
بيدك ، ومن قبَله ما يكون من ذلك .

فحدّرتُ عمراً ، واتَّخَذَتْ لها نفقاً من مجلسها الذى كانت تجلسُ فيه إلى حصن
لها فى داخل مدينتها ، وقالت : إن فاجأتى أمرٌ دخلتُ النفق إلى حصنى . ودعتُ
رجلاً مصوراً من أجود أهل بلاده تصويراً ، وأحسنهم عملاً ، فجهّزته وأحسن
إليه ، وقالت : ميرحتى تقدّم على عمرو بن عدى متسكراً ، فتخلو بحشمه فتنضم إليهم
وتخالطهم وتعلمهم ما عندك من العلم بالصور ، ثم أثبتت ^(٦) لى عمرو بن عدى معرفة ؛
فصوره جالساً وقائماً وراكباً ومُتَفَضِّلاً ^(٧) ومتسلحاً بهيئته ولبسته ولونه ، فإذا أحكمت
ذلك فأقبل إلى .

(١) الراهشان : عرقان فى باطن الذراعين (٢) ذهب أمثالا (٣) طل دمه : هدر أو ألا يثأر به
(٤) أثبتته : عرفه حق المعرفة . (٥) المتفضل : من يلبس ملابس النوم وهى لبسة المتفضل .

فانطلق المصور حتى قدم على عمرو بن عدى ، وصنع الذى أمرته به الزباء ، وبلغ من ذلك ما أوصته به ، ثم رجع إلى الزباء يعلم ما وجهته له من الصورة على ما وصفت وأرادت أن تعرف عمرو بن عدى ، فلا تراه على حال إلا عرفته وحذرتة وعلمت علمه .

وقال قصير لعمرو بن عدى : اجدع أنفى ^(١) ، واضرب ظهري ، ودغنى وإياها . فقال عمرو : ما أنا بفاعل ، وما أنت لذلك مستحقا عندى . فقال قصير : خل غنى إذن وخلاك ذم ^(٢) ! فقال له عمرو : فانت أبصر . فجدع أنفه وأثر آثاراً بظهره ؛ فقالت العرب : لأمر ما جدع قصير أنفه ^(٣) .

ثم خرج قصير كأنه هارب ، وأظهر أن عمراً فعل ذلك به ، وأنه زعم أنه مكر بخاله جذيمة وغره ؛ فسار حتى قدم على الزباء ، فقبل لها : إن قصيراً بالباب . فأمرت به فأدخل ، فإذا أنفه قد جدع ، وظهره قد ضرب ؛ فقالت : ما الذى أرى بك يا قصير ؟ قال : زعم عمرو أنى قد غررت خاله وزينت له المصير إليك وغششته وما لآتئك ؛ ففعل بى ما ترين ؛ فأقبلت إليك . فأكرمته ، وأصابته عنده من الخزم والرأى ما أرادت .

فلما عرف أنها استرسلت إليه ، ووثقت به قال : إن لى بالعراق أموالاً كثيرة وطرائف وثياباً وعطراً ، فأبعثنى إلى العراق ، لأحمل مالى وأحمل إليك من بزها ^(٤) وطرائفها وطيبها ، لتصيبى من ذلك أرباحاً عظيمة ، وبعض مالا غنى للملوك عنه . وكان أكثر ما يطررها ^(٥) من الصرقان ^(٥) ، وكان يعجبها ؛ فلم يزل يزين ذلك حتى أذنت له ، ودفعت إليه أموالاً ، وجهزت معه عبيداً .

(١) جدع أنفه : قطعها (٢) ذهب أمثالا (٣) البر : الثياب (٤) يطررها : يعطيها .
(٥) الصرقان : تمر رزين صلب .

فسار قصير بما دفعت إليه حتى قَدِم العراق ، وأتى الخيرة متذكراً ، فدخل على عمرو بن عدى فأخبره الخبر ، وقال : جهزنى بصنوف البزّ والأمتعة ؛ لعل الله يُمكنُ من الزبّاء ؛ فتصيبَ ثأرك ، وتقتلَ عدوك . فأعطاه حاجته .

فرجع بذلك إلى الزبّاء ؛ فأعجبها ما رأت وسرها ، وازدادت به ثقةً ، وجّهزته ثانيةً ؛ فسار حتى قدم على عمرو فجهّزه وعاد إليها .

ثم عاد الثالثة وقال لعمرو : اجمع لى ثقات أصحابك ، وهَيّئِ الغرائر واحمل كل رجلين على بعيرٍ فى غِاراتين ، فإذا دخلوا مدينة الزبّاء أقمْتُك على باب نَفَقِها ، وخرجت الرجالُ من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة ، فَمَن قَاتَلهم قتلوه ؛ وإن أقبَلتِ الزبّاء تريد النَّفَقَ جَلَّتْها بالسيف .

ففعل عمرو ذلك ، وحمل الرجال فى الغرائر بالسلاح ، وسار يَكُنُ النهار ويسرى بالليل ، فلما صار قريباً من مدينتها تقدّم قصير فبشّرها ؛ وأعلمها بما جاء به من المناع والطرائف ؛ وقال لها : آخر البزّ على القُلُوص^(١) . وسألها أن تخرج فتنظر إلى ما جاء به . وقال لها : جئت بما صاء وصمت^(٢) .

ثم خرجت الزبّاء فأبصرت الإبل تكادُ قوائمها تَسُوخُ فى الأرض من ثقل أحمالها ، فقالت يا قصير :

ما للجبال مَشِيْهاً وئيداً أَجَنْدَلًا يَحْمِلُنْ أُمَ حديدَا
أُم صَرَفاً تَارِزاً شَدِيدَا^(٣)

(١) ذهبت مثلاً ، والبزّ : الثياب ، والقُلُوص : الأتقى الشابة من الإبل . (٢) أراد بما صاء : الشاء والإبل ، وبما صمت : الذهب والفضة ، وهو يريد أنه جاء بكل شيء ، وقد ذهبت مثلاً . (٣) التارز : اليابس .

فقال قصير في نفسه :

* بل الرجال قُبَضًا قعوداً *

فدخلت الإبل المدينة ؛ حتى كان آخرُها بعيراً مرَّ على بواب المدينة ، وكانت بيده منخسةٌ ؛ فنخس الغرارة ، فأصابت خاصرة الرجل الذي فيها ، فسمع له صوتاً ، فقال : شرٌّ في الجِوَالِقِ ^(١) !

فلما توسطت الإبلُ المدينةَ أُنيختْ ، ودلَّ قصيرٌ عمرأً على باب النفق الذي كانت الزبَاءُ تدخله ، وأرَّته إياه قبل ذلك ، وخرج الرجال من الغرائر ، فصاحوا بأهل المدينة ، ووضعوا فيهم السلاح ، وقام عمرو على باب النفق ، وأقبلت الزبَاءُ تريده ، فأبصرت عمرأً فعرفتَه بالصورة التي صُوِّرتَ لها ؛ فصَتَّ خاتمها - وكان فيه السم - وقالت : ييدى لا ييد عمرو ^(١) . وتلقاها عمرو فجلبها بالسيف وقتلها ، وأصاب ما أصاب من المدينة وأهلها ؛ وانكفأ راجعاً إلى العراق .

(١) ذهبت مثلاً .

٢٥ - قَبِّحَ اللهُ جَمَالاً لَا نَفْعَ فِيهِ *

كانت عَثمَةُ بنت ابن مطرود أَلْبَجَلِيَّة ذات عقل ورأى مستَمَعَ في قومها ، وكانت لها أخت يقال لها خَوْد ؛ ذات جمال وميَّسَم وعقل . ثم إن سبعة إخوة من الأزد خطبوا خَوْدًا إلى أبيها ، فأتوه وعليهم الحُلَلُ اليمانية ، ونحتهم النَجَائِبُ الفُرَّة^(١) . فقالوا : نحن بنو مالك بن غَفِيلَةَ . فقال لهم : انزلوا على الماء ، فنزلوا ليلتهم ثم أصبحوا غادين في الحُلَلِ والهيئة ، ومعهم ربيبة^(٢) لهم كاهنة يقال لها : الشعثاء . فمروا بوحيدة^(٣) ، يتعرَّضون لها ، وكلهم وسيمٌ جميل ، وخرج أبوها فجلسوا إليه ، فرحب بهم ، فقالوا : بلغنا أن لك بنتاً ، ونحن كما ترى شباب . وكلُّنا يَمْنَعُ الجانب ، ويمنع الراغب . فقال أبوها : كلِّم خيَّار . فأقيموا حتى نرى رأينا .

ثم دخل على ابنته فقال : ما ترين ؟ فقد أتاكَ هؤلاء القوم . فقالت : زوِّجني على قَدْرِي ، ولا تشطط في مهري ؛ فإن تخطئني أحلامُهم فلا تخطئني أجسامهم . لعلِّي أصيب ولداً ، وأَكْثَرُ عدداً .

فخرج أبوها ، فقال : أخبروني عن أفضلكم ، قالت ربيبتهم الشعثاء الكاهنة : اسمع أَخْبِرْكَ عنهم : هم إخوة ، وكلهم أسوة . أما الكبيرُ فإلك ، جرى فاتك ، يتعبُ السنايك^(٤) ، ويستصغر المهالك . وأما الذي يليه فالعَمْرُو ،

* بحج الأمثال : ٦ - ٩٠

(١) فره : جمع فاره ، وهو من الدواب الجيد السير النشيط الخفيف (٢) الربيبة : الحاضنة (٣) الوصيد : الفناء (٤) السنايك : أطراف حوافر الخيل .

بحر غمر^(١)، يقصر دونه الفخر، نهْد^(٢) صقر. وأما الذى يليه فعلقمة، صليب^(٣) للمعجمة، مَنِيعُ المَشْتَمَةِ، قليل الجمجمة^(٤). وأما الذى يليه فعاصم، سيدّ ناعم، جلد صَارِم، أبى حازم، جيشه غانم، وجارؤه سالم. وأما الذى يليه فتواب، سريع الجواب، عَتِيد الصواب، كريم النصاب^(٥)؛ كَلَيْثِ القاب. وأما الذى يليه فمُدْرِك، بذول لما يملك، عزوب^(٦) عما يُتْرَك، يُغْنِي ويُهْنِك.

وأما الذى يليه فجندل، لِقِرْنِه مُجَدَّل^(٧)، مُقَلّ لما يحمل، يُعطى وَيَبْذُل، وعن عدوّه لا يَنْكُل^(٨).

فشاورت أختها عَمْتَمَةَ فيهم، فقالت: ترى الفتيان كالتخل، وما يدريك ما الدّاخل^(٩)، اسمى منى كلمة: إن شرّ الغريبة يُعْتَن، وخيرها يُدْفَن، تزوّجى فى قومك، ولا تفرّزكِ الأجسام.

فلم تقبل منها، وبعثت إلى أبيها: زوّجنى مُدْرِكًا، فتمّ ذلك على مائة ناقة ورعاتها. وحمّلها مُدْرِك، فلم تلبث عنده إلا قليلا حتى صَبَحَهُمْ فوارس من بنى مالك ابن كِنانة، فاقتتلوا ساعة. ثم انكشف عنها زوجها وإخوته وعشيرته. فَسُبِّيتَ فيمن سُبِّين من النساء!

فبينما هى تسير بَكَتْ، فقالوا: ما يبكيك؟ أعلى فراق زوجك؟ قالت: قَبَحَ الله جمالا لا نفعَ معه، إنما أبكى على عِصْيَانِي أختى فى قولها: « ترى الفتيان

(١) الفمر: [مُعْظَم البحر (٢) التهد: الأسد والكريم (٣) الصليب: الشديد.
(٤) قليل الجمجمة: كلامه بين (٥) النصاب: الأصل (٦) عزوب: بعيد (٧) جلد: صرعه على
الجدالة (الأرض) (٨) لا ينسكل: لا يجين (٩) ذهب مثلا. يضرب لمن يكون منظره
خير من مخبره.

كالنخل ، وما يدريك ما الدخل ! » ، وأخبرتهم كيف خطبوها .
فقال لها رجل منهم - يكنى أبا نُوَّاس - شابٌ أسودُ أفوهُ ^(١) مضطرب
الخلق - أترضين بي على أن أمتك من ذئاب العرب ؟ فقالت لأصحابه :
أ كذلك هو ؟ قالوا : نعم ، إنه مع مائرين ليمنع الحليلة ^(٢) ، وتثقيبه
القبيلة .

قالت : هذا أجمل جمال وأكمل كمال ؛ قد رضيتُ به . فزوّجوها منه .

(١) رجل أفوه : عظيم الفم (٢) الحليلة : الزوجة .

٢٦ — أفضلُ النساءِ وأفضلُ الرجالِ *

خرجت المجفاه بنتُ علقمة السعدية وثلاثُ نسوةٍ من قومها ، وتواعدن روضةً يتحدثُن فيها ، فوافين بها ليلاً في قمرٍ زاهر ، وليلة طُلعةٍ ساكنة ، وروضةٍ معشبةٍ خصبة .

فلما جلسنَ قلنَ : مارأينا كالليلة ليلةً ، ولا كهذه الروضةِ روضةً أطيبَ ريحاً ولا أنضراً ؟ ثم أفضنَ في الحديث ، فقلنَ : أىُّ النساءِ أفضل ؟ قالت إحداهنَ : الخُرود^(١) الوُدود الوُدود . قالت الأخرى : خيرهنَ ذاتُ الفَناء ، وطيبِ الثناء ، وشدةِ الحياء . قالت الثالثة : خيرهنَ السُّموع^(٢) ، النَّفوع ، غيرُ المنوع . قالت الرابعة : خيرهنَ الجامعةُ لأهلها ، الوادعةُ ، الرافعةُ لا الواضعة .

قلنَ : فأىُّ الرجالِ أفضل ؟ قالت إحداهنَ : إن أبى يُكرمُ الجار ، ويُعظِمُ النارَ ، وينحَرُ العِشارَ^(٣) بعدَ الحِوَارِ^(٤) ، ويحملُ الأمورَ الكِبَارَ ، ويأنفُ من الصَّغار .

فقالَت الثانية : إن أبى عظيمُ الخطَر ، منيعُ الوَزَرِ^(٥) ، عزيزُ النَّفَر ، يُحمَدُ منه الوِردُ^(٦) والصَّدَر .

* بحج الأمثال ٢ : ٧٢

(١) الخُرود : الحية الطويلة السكوت (٢) السموع : التي تسمع القول (٣) العشار : جمع عشار ، وهى الناقة التى مضى لملها عشرة أشهر (٤) الحوَار : ولد الناقة ساعة تضعه ، أو إلى أن يفصل عن أمه (٥) الوزر : الملبأ (٦) الورد : الورود على الماء ، والصدر : المودة من الاستقاء .

فقلت الثالثة : إن أبي صدوق اللسان ، حَدِيدُ الْجَنَانِ ^(١) ، كثير الأَعْوَان ،
يُروى السَّنَانُ عند الطَّعْمَان .

قلت الرابعة : إن أبي كريم النَّزَالِ ، مُنِيف ^(٢) المَقَالِ ؛ كثيرُ النَّوَالِ ، قليلُ
السَّوَالِ ، كريمُ الفَعَالِ .

ثمُ تَنَافَرَنَ ^(٣) إلى كاهنةٍ معهنَّ في الحَيِّ ، فقام لها : اسمي ما قلنا ، واحكي
بيننا واعدلي ؛ ثم أَعَدَّنَ عليها قولهنَّ ، فقالت لمن : كلُّ واحدةٍ منكن مَارِدَةٌ ^(٤) ،
بأبيها وَاجِدَةٌ ^(٥) ، على الإحسان جَاهِدَةٌ ، لصواحبها حاسدةٌ ، ولكن اسمن قَوْلِي :
خير النساءِ الْمُبْقِيَةُ على بَعْلِها ، الصابِرَةُ على الضَّرَاءِ مخافةُ أن ترجعَ إلى أهلها ؛
فهي تُؤَثِّرُ حَظَّ زوجها على حَظِّ نفسها ، فذلك الكريمة الكاملة . وخير الرجال
الجوادُ البَطْلُ ، القليلُ الفِشْلُ ، إذا سأله الرجلُ ألفاءَ قليلِ العِلَالِ ، كثيرِ النَّفْلِ ^(٦) ،
ثم قالت : « كلُّ فَتَاةٍ بِأبيها مُعْجَبَةٌ ^(٧) » .

(١) الجنان : القلب (٢) منيف المقال : مرتفع (٣) تنافرن : ذهبن وتماكن (٤) ماردة : عانية
قد بلغت الغاية (٥) وجد به : أحبه (٦) النفل : العطية (٧) ذهبت مثلا .

٧ - نَكْبَةُ جَلِيلَةَ*

كانت جَلِيلَةُ بنتُ مُرَّةَ أُختُ جَسَّاسٍ زَوْجِ الكَلْبِ بنِ ربيعة^(١)؛ فلما قُتِلَ جَسَّاسٌ^(٢) كَلْبِيًّا اجتمع نساء الحى للمأتمِّ ، فَقُلْنَ لأختِ كَلْبِ : رَحِّلِي جَلِيلَةَ عن مَأْتَمِّكَ ؛ فَإِنَّ قِيَامَهَا فِيهِ شِمَاتَةٌ وَعَارٌ عَلَيْنَا عِنْدَ الْعَرَبِ ؛ فَقَالَتْ لَهَا : يَا هَذِهِ ؛ اخْرُجِي عن مَأْتَمِّنا ، فَأَنْتِ أُخْتُ وَاثِرِنَا وَشَقِيقَةُ قَاتِلِنَا ؛ فخرَجَتْ وهى نَجْرٌ أَعْطَافَهَا ؛ فَلَقِيَهَا أبوها مُرَّةً ، فَقَالَ لَهَا : مَا وَرَاءُكَ يَا جَلِيلَةُ ؟ قَالَتْ : نُكْلُ الْعَدَدِ ، وَحُزْنُ الْأَبَدِ ، وَقَدْ حَلِيلَ ، وَقُتِلُ أَخٍ عن قَلِيلِ ، وَبَيْنَ ذَيْنِ غَرَسِ الْأَحْقَادِ ، وَتَفَتَّتِ الْأَكْبَادِ ؛ فَقَالَ لَهَا : أَوْيَكْفُ ذَلِكَ كَرَمُ الصَّفْحِ وَإِغْلَاءُ الدِّيَابِ ؟ فَقَالَتْ جَلِيلَةُ : أُمْنِيَّةٌ مَخْدُوعٌ وَرَبُّ الْكُفَّةِ ! أبا لَبْدُنْ^(٣) تَدْعُ لَكَ تَقَلُّبُ دَمِ رَبِّهَا !

ثم بلغ جَلِيلَةُ أَنَّ أُخْتَ كَلْبِ قَالَتْ حينَ رَحَلَتْ : رِحْلَةُ الْمُعْتَدِي وَفِرَاقِ الشَّامِتِ ! وَيْلٌ غَدًا لآلِ مُرَّةَ ؛ مِنَ الْكَرَّةِ بَعْدَ الْكَرَّةِ ! فَقَالَتْ : وَكَيْفَ تَشَمَّتِ الْحُرَّةُ مَهْثَكَ سِتْرَهَا ، وَتَرْقُبُ وَتَرَهَا ! أَسَمَدَ اللَّهُ^(٤) جَدَّ أُخْتِي ، أَفَلَا قَالَتْ : نَفَرَةُ الْحَيَاةِ ، وَخَوْفُ الْإِعْتِدَاءِ ! ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

* الْأَغَانِي : ٦٣-٥ (طَبْعَةُ دَارِ الْكِتَابِ) ، نَهَايَةُ الْأَرْبِ : ٥-٢١٤ ، ابْنُ الْأَثِيرِ : ١-٢١٦ مَهْذَبُ الْأَغَانِي : ١-٨٥

(١) كَانَ كَلْبُ بْنُ ربيعةَ سَيِّدَ ربيعةَ ، يَنْزِلُهُمْ وَيَرْحَلُهُمْ ، وَلَا يَصْدُرُونَ فِي شَيْءٍ إِلَّا عَنْ أَمْرِهِ ، وَلَا يَجِيرُ أَحَدٌ مِنْ بَنِي ربيعةَ إِلَّا بِإِذْنِهِ ، وَكَانَ يَحْمِي أَمْكِنَةَ الْعَبِيدِ وَحِيَاضَ الْمَاءِ . وَضَرَبَ بِهِ الْبُتْلَ فَقَالُوا : أَغْزَى مِنْ كَلْبِ (٢) كَانَ لَجَسَّاسٍ خَالَةٌ مِنْ بَنِي سَعْدٍ جَاوَرَتْ بَنِي مُرَّةَ ، فَتَزَلَّتْ عَلَى جَسَّاسِ ابْنِ أُخْتِهَا ، وَمَعَهَا نَاقَةٌ ، فَتَدَّتِ النَّاقَةُ يَوْمًا ، فَدَخَلَتْ فِي إِبِلِ كَلْبِ تَرَعَى فِي حِمَاهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَأَنْكَرَهَا وَرَمَاهَا بِسَهْمٍ فِي ضَرْعِهَا ، فَوَلَّتْ حَتَّى بَرَكَتْ بِفَنَاءِ صَاحِبَتِهَا ، وَضَرَعَهَا بِشَجَبِ دِمَاءِ ، فَصَاحَتْ : وَادِّاهُ ! فَتَقَتَّلَ جَسَّاسٌ كَلْبِيًّا لِذَلِكَ ، وَقَتَّلَ جَسَّاسٌ نَحْوَ سَنَةِ ٨٥ ق. هـ (٣) الْبَدَنُ : جَمْعُ بَدَنَةٍ تَكُونُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ . (٤) الْجَدُّ هُنَا : الْحَظُّ .

يابنة الأقوام إن شئت قلا
 فإذا أنت تبيننت الذي
 إن تكن أخت امرئ ليمت على
 جلّ عندى فعل جساس فيا
 فعل جساس على وجدى به
 تحمل العين قذى العين كما
 ياقتيلاً قوض الدهر به
 هدم البيت الذى استحدثته
 يانسأى دونكن اليوم قد
 خصنى قتل كليب بلظى
 ليس من يبكى ليومين كمن
 يشقى المدرك بالنار ، وفى
 ليتّه كان دمي فاحتلبوا
 إننى قاتلة مقتولة
 تعجلى باللوم حتى تسأل
 يوجب اللوم قلوبى واغذلى
 شفى منها عليه فافعل
 حسرتى عما انجملت أو تنجلى !
 قاطع ظهري ومذن أجلى
 تحمل الأم أذى ما تفتلى^(١)
 سقف بيتى جميعاً من عل
 وانثنى فى هدم بيتى الأول
 خصنى الدهر برزء معضل
 من ورأى ولظى مستقبلى
 إنما يبكى ليوم ينجلي
 دركى تارى ككل المشكل^(٢)
 بدلاً منه دماً من أكل^(٣)
 ولعل الله أن يرتاح لى !

(١) نفلى : تربي (٢) المشكل : التى لازمها الحزن (٣) الأكل : عرق فى الذراع يفصد .

٢٨ — كأنما تزوجت بنت قيس بن خالد *

كان زُرارة بن عُدُس رجلاً شريفاً ، فنظر ذات يوم إلى ابنه لَقِيط ، فرأى منه خِيَلًا ونَشَاطًا ، وقد جعل يضربُ غِلْمَانَهُ — وهو يومئذ شاب — فقال له : لقد أصبحتَ تصنعُ صنيعاً كأنما جئتني بمائةٍ من هِجَانٍ ^(١) ابن اللنذر بن ماء السماء ، أو تزوجت بنت قيس بن خالد ! قال لقيط : لله على ألا يمسه رأسى غُسل ، ولا آكل لحماً ولا أشرب خمرًا حتى أجسهما جميعاً أو أموت .

فخرج لقيط ومعه ابنُ خال له يقال له القراد بن إهاب ، وكلاهما كان شاعراً شريفاً ، فسارا حتى أتيا بني شَيْبَانَ ، فسَلَّما على نَادِيهِم ، ثم قال لقيط : أفيكم قيس بن خالد ؟ — وكان سيدَ ربيعة يومئذ — قالوا : نعم . قال : فأبيكم هو ؟ قال قيس : أنا قيس ، فما حاجتك ؟ قال : جئتُك خاطباً ابنتك — وكانت على قيس يمينٌ ألا يخطبَ إليه أحد ابنته عَلَانِيَةً إلا أصابهَ بَشَرٌ ، وسمِعَ ^(٢) به — فقال له قيس : ومن أنت ؟ قال : لَقِيطُ بن زُرارة بن عُدُس . قال قيس : محبباً منك ! هَلَا كان هذا بيني وبينك ؟ قال : لِمَ يَعمى ؟ فوالله إن فيك لرَغْبَةً ، وما بى من عَنِيْبٍ ، ولئن ناجيتُك لا أخدعُك ، ولئن عالتُك لا أفصحُك . فأعجبَ قيساً كلامه وقال : كَفءٌ كريمٌ ، إني قد زوّجتك ومهرتك مائة ناقة ؛ ليس فيها نَابٌ ولا كَرْوَمٌ ^(٣) ، ولا تبيت عندنا عَزْبًا ولا محرومًا .

* الأغاني : ٩ - ١٣٠ (طبعة الساسي) ، مجمع الأمثال : ٢ - ١٥٣
(١) إبل هجان : بيض كرام (٢) سمع به : فضحه وشتمه (٣) الناب : الناقة المسنة ، والكروم . ناقة ذهبت أسنانها هرمًا .

ثم أرسل إلى أم الجارية : إني قد زوجت لقيط بن زُرارة ابنتي فلانة فاضنعيها ، واضربي لها ذلك البلق^(١) ؛ فإن لقيط بن زُرارة لا يبيت فينا عزباً .

وجلس لقيط يتحدث معهم . فذكروا الغزو ، فقال لقيط : أما الغزو فأزداها للفتح ، وأهزلها للجبال ، وأما المقام فاسمنها للجبال ، وأحبها للنساء . فأعجب ذلك قيساً ، وأسر لقيطاً فذهب إلى البلق فجلس فيه ، وبعثت إليه أم الجارية بمخمرة وبخمر ، وقالت للجارية : اذهبي إليه فوالله لئن ردها ما فيه خير ؛ فلما جاءته الجارية بالخمرة بمخر شفره ولحيته . ثم ردها عليها ، فلما رجعت الجارية إليها خبرتها بما صنع ، فقالت : إنه خلقي للخير .

فلما أسى لقيط أهديت الجارية إليه ، فازحها بكلام اشمازت منه ، فنام وطرح عليه طرف خميسة^(٢) ، وبات قريباً منه .

فلما استنقل انسلت فرجعت إلى أمها ، فانتبه لقيط فلم يرها ، فخرج حتى أتى ابن خاله قراداً وهو في أسفل الوادي ، فقال : ارحل يعيرك^(٣) ، وإياك أن يسمع رغاؤها .

فتوجهتا إلى المنذر بن ماء السماء ، وأصبح قيس ففقد لقيطاً ، فسكت ولم يدر ما الذي ذهب به ، ومضى لقيط حتى أتى المنذر ، فأخبره ما كان من قول أبيه وقوله ، فأعطاه مائة من هجائنه^(٤) ، فبعث بها قراداً إلى أبيه زُرارة ، ثم مضى إلى كسرى فكساه وأعطاه جوهرأ ، ثم عاد إلى قيس بن خالد فجهر بفته ، ولما أرادت الرحيل قال لها : يا بنية ، كوني لزواجك أمةً يكن لك عبداً ؛ وليكن أكثر

(١) البلق : الفسطاط (٢) الخميسة : كساء أسود مربع له علان (٣) البعير : الجمل البازل أو الجذع ، وقد يكون للأنثى ، ورحل البعير : حط عليه الرحل (٤) هجائه ، أى هجانه .

طبيك الماء فإنك إنما يذهب بك إلى الأعداء ، واعلمى أن زوجك فارس مُضر ،
وأنه يوشك أن يقتل أو يموت ، فلا تخمشى عليه وجهاً ولا تحلقى شعراً ، قالت
له : أما والله لقد رببتنى صغيرة ، وأقصيتنى كبيرة ، وزودتنى عند الفراق
شرّاً زَاداً !

وارتحل بها لقيط ، فجعلت لا تمرّ بحىٍّ من أحياء العرب إلا قالت : يا لقيط ،
أهؤلاء قومك ؟ فيقول : لا ، حتى طلعت على محلة بنى عبد الله بن دارم ، فرأت
القياب والخيل العراب ، فقالت : يا لقيط ، أهؤلاء قومك ؟ قال : نعم . فأقام أياماً
يُطعم وينتحر ، ثم أقامت عنده حتى قُتل يوم جَبَلَة ^(١) .

فبعث إليها أبوها أخاً له ليتحمّل إليه ، فلما ركبت أقبلت حتى وقفت على
نادى بنى عبد الله بن دارم ، فقالت : يا بنى دارم ؛ أوصيكم بالفرائب خيراً ، فوالله
ما رأيتُ مثلاً لقيط لم تحمّ . رَأَتْ وَجْهَهَا ، ولم تحلق عليه شعراً ، فلولا أنى
غريبة غلشت وحلقت . فأثنوا عليها .

(١) جبلة : هضبة حمراء بين الشريف والشرف ، وهما ماءان لبني نمير وبني كلاب ، وكان
اليوم بين عيس وذبيان ابني بغيض .

٢٩ — ما وراءك يا عصام*

لما بلغ الحارث بن عمرو^(١) ملك كِنْدَةَ جمالُ ابنة عوف بن مُحَلِّم الشَّيْبَانِيَّ ، وكلَّها وقوة عقلها ، دعا امرأة من بنى كِنْدَةَ يقال لها عصام ، ذات عقلٍ ولسانٍ وأدبٍ وبيانٍ ، وقال لها : اذهبي حتى تَعْلَمِي لى علم ابنة عوف .

فصت حتى انتهت إلى أمها ، فأعلمتها ما قدمت له ، فأرسلت إلى ابنتها ، وقالت : أى بُنْيَّة ! هذه خالتك أنتك لتنظرَ إليك ، فلا تسترى عنها شيئاً أرادت النظر إليه من وَجْهِ وخلقٍ ، وناطقها إن استنطقتكَ .

فدخلت عصامُ إليها ، فنظرت إلى مالم ترَ عينُها مثله قطُّ بهِجَةً وحُسناً وجمالاً ؛ فإذا هى أكلُ الناس عقلاً وأفصحهم لساناً ؛ فخرجت من عندها وهى تقول : ترك الخداع من كَشَفِ القناع .

ثم أقبلت إلى الحارث ، فقال لها : ما وراءك يا عصام ؟ قالت : صرَّحَ الخفضُ عن الزُّبْدِ^(٢) . قال : أخبريني . قالت : أخبرُكَ صِدْقاً وحقاً .

رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة ، يزينها شعر حالك كَأَذْنَابِ الخيلِ المصفورة ، إن أرسلته خِلَّتْهُ السلاسل ، وإن مَشَطَّتْهُ قلت عناقيدُ كَرَمٍ جلاها الوابل^(٣) ، وحاجبين كأنهما خطاً بقلم أو سُوداً بِمُحْمٍ^(٤) ، قد تقوَّسَا على عينِ الخُلَيْةِ

* يجمع الأمثال : ٢ - ١٩٢ ، العقد الفريد : ٣ - ٢٢٣

(١) كان الحارث بن عمرو من أشرف العرب في الجاهلية ، وكان مطاعاً في قومه ، قوياً في عصبته ، وكانت تضرب له قبة في عكاظ ، توفي نحو سنة ٤٥ ق . هـ . (٢) خفض اللين : أخذ زبده ، والصرخ : التين . وهو مثل ؛ يضرب للأمر إذا انكشف وتبين (٣) الوابل : المطر الشديد (٤) المحم : الفحم .

العُبْهَرَةُ^(١) ، التي لم يَرُغْهَا قَانِصٌ ولم يَذْعَرْهَا قَسُورَةٌ^(٢) ، بينهما أنفٌ كحدِّ السيف المصقول ، لم يَخْنِسْ^(٣) به قِصَرٌ ، ولم يَمْضِ به طَوْلٌ ، حُفَّتْ به وَجَنْتَانِ كالأَرْجُوانِ^(٤) في بياضِ تَحْضٍ كالجُمانِ^(٥) ، شُقَّ فيه فَمٌ كالتَّحَاتِمِ ، لذيذِ المَبْتَسَمِ فيه ثَنَائِيَا غُرٌّ ، ذَوَاتُ أَشْرٍ^(٦) ، وأسنان تَبْدُو كالدُّرَرِ ، يَتَقَلَّبُ فيه لِسَانٌ ذُو فَصَاحَةٍ وِبيانٍ ، يَحِرُّ كَهَ عَقْلٌ وافرٌ ، وجوابٌ حاصرٌ^(٧) ... إلى أن قالت : فأما ما سوى ذلك فتركتُ أن أصفه . غير أنه أحسن ما وصفه واصفٌ بنظم أو نثر . فأرسل الملك إلى أبيها فخطبها ، فزوجه إياها .

فلما حُجِّتْ إلى زوجها ؛ قالت لها أمها ، أُمَامَةُ بنت الحارث :
أى بُنْيَّةٌ ؛ إن الوصِيَّةَ لو تُرِكَتْ لَفَضَّلَ أدبٌ ، تُرِكَتْ لذلك منك ، ولكنها تذكرةٌ للغافل ؛ ولو أن امرأةً استغفنت عن الزوج لَغَيَّ أبويها ، وشدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عنها ، رَسَكَنَّ النساءُ خُلُقُنَّ للرجال ، ولهنَّ خُلُقُ الرجال .

أى بُنْيَّةٌ ؛ إنكِ فَارَقْتِ الجَوْءَ الذي منه خرجتِ ، وخَلَفْتِ العُشَّ الذي فيه دَرَجْتِ ، إلى وَكْرٍ لم تَعْرِفِيهِ ، وقرينٍ لم تَأْلَفِيهِ ، فأصبح بملكه عليك رقيقاً ومليكا ، فكوني له أمةً يَكُنْ لك عَبْداً وشيكاً^(٨) .

يَابُنْيَّةُ أَجْمَلِي عَنَى عَشَرَ خِصَالٍ تَكُنْ لَكَ ذُخْراً وَذِكْراً : الصُّعْبَةُ بالقناعة ، والمُعَاشِرَةُ بِحُسْنِ السَّمْعِ والطاعة ، والتَعَهُّدُ لمَوْقِعِ عَيْنِهِ ، والتَفَقُّدُ لمَوْضِعِ أَنْفِهِ ؛ فلا تقع

(١) العبهره : الرقيقة البشرة الناصعة البياض (٢) القسورة : الرماة من الصيادين (٣) خنس : تأخر ، والخنس : تأخر الأتق عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة (٤) الأرجوان : صبغ أحمر (٥) الجمان : اللؤلؤ (٦) أشر الأسنان : التحريز الذي فيها (٧) انظر بقية الوصف في مراجع القصة (٨) الوشيك : السريم .

عينه منك على قبيح ، ولا يَشَمَّ منك إِلَّا أَطِيبَ رِيح ، والكُفْلُ أحسنُ الحُسْن ،
والملة أَطِيبُ الطَّيْبِ المفقود ، والتعهدُ لوقتِ طعامه ، والهُدُوْءُ عنه عند منامه ؛ فَإِنَّ
حرارةَ الجوعِ مَلْهَبَةٌ ، وَتَنْفِيصُ النَّوْمِ مَغْضَبَةٌ . والاحتفاظُ بِبَيْتِهِ وَمَالِهِ ،
وَالْإِرْعَاءُ^(١) عَلَى نَفْسِهِ وَحَشَمِهِ وَعِيَالِهِ ، فَإِنَّ الاحتفاظَ بِالماءِ حَسَنُ التَّقْدِيرِ ، وَالْإِرْعَاءُ
عَلَى الْعِيَالِ وَالْحَشَمُ جَمِيلُ حَسَنِ التَّدْيِيرِ ؛ وَلَا تُفْشِ لَهُ سِرًّا ، وَلَا تَعْصِي لَهُ أَمْرًا ؛
فإِنَّكَ إِنْ أَفْشَيْتَ سِرَّهُ لَمْ تَأْمَنِ غَدْرَهُ ، وَإِنْ عَصَيْتَ أَمْرَهُ أَوْغَرْتَ صَدْرَهُ ؛
نَمِ اتَّقِ مَعَ ذَلِكَ الْفَرْحَ إِنْ كَانَ تَرَحًّا ، وَالْاِكْتِثَابَ عِنْدَهُ إِنْ كَانَ فَرَحًا ، فَإِنَّ
الْخِصْلَةَ الْأُولَى مِنَ التَّقْصِيرِ ، وَالثَّانِيَةَ مِنَ التَّكْدِيرِ ، وَكَوْنِي أَشَدَّ مَا تَكُونِينَ لَهُ
إِعْظَامًا يَكُنْ أَشَدَّ مَا يَكُونُ لَكَ إِكْرَامًا ، وَأَشَدَّ مَا تَكُونِينَ لَهُ مُوَافَقَةً يَكُنْ أَطْوَلَ
مَا تَكُونِينَ لَهُ مُرَافَقَةً .

واعلمى أَنَّكَ لَا تَصْلِينَ إِلَى مَا تُحِبِّينَ حَتَّى تُؤْثِرِي رِضَاهُ عَلَى رِضَاكَ ، وَهَوَاهُ
عَلَى هَوَاكَ فَمَا أَحْبَبْتَ وَكَرِهْتَ : وَاللَّهُ يَخَيْرُ لَكَ !

٣٠ - لَا أَتَزَوَّجُ إِلَّا مِنْ كَرِيم*

كانت امرأة من العرب من بنات ملوك اليمن ذات جمال وكال ، وحسب ومال ، قالت ألا تزوج نفسها إلا من كريم ، ولئن خطبها لئيم لتجد عن أنفه ؛ فتحامها الناس حتى انتدب^(١) إليها زيد الخيل ، وحاتم بن عبد الله ، وأوس ابن حارثة الطائيون ، فارتحلوا إليها .

فلما دخلوا عليها قالت : مرحباً بكم ، ما كنتم زوّاراً ؛ فما الذي جاء بكم ؟ قالوا : جنناً زوّاراً خطّاباً ، قالت : أكفاه كرام . ثم أنزلتهم وفرت بينهم ، وأسبغت لهم القرمى ، وزادت فيه .

فلما كان اليوم الثانى بعثت بعض جواربها متسكرة في زى سائلة تتعرض لهم ؛ فدفع إليها زيد وأوس شطراً ما حمل إلى كل واحد منهما . فلما صارت إلى رخل حاتم دفع إليها جميع ما كان من نفقته ، وحمل إليها جميع ما حمل إليه . فلما كان اليوم الثالث دخلوا عليها ، فقالت : ليصف كل واحد منكم نفسه في شعره ؛ فابتدر زيد وأنشأ يقول :

هلاً سألت بنى ذبيان : ما حسبي	عند الطعان إذا ما انجرت الحدق ! ^(٢)
وجاءت الخيل محمراً بوادرها ^(٣)	بالماء يسفح من لبائها العلق ^(٤)
والجار يعلم أتى لست خاذله	إن ناب دهر لعظم الجار معترق ^(٥)

* الخزانة : ٤ - ١٦٠ (طبعة السلفية) ، ذيل الأمل : ١٥٤ (طبعة دار الكتب) ، شرح العمون : ٧٥ .

(١) انتدب إليها : أسرع وخف . (٢) إذا ما اشتد الحرب . (٣) البادرة : اللعنة التي بين المنكب والعنق ، وهي تحمر من الدم الذي يسيل عليها من فرسانها . (٤) العلق : الدم . (٥) اعترقه : أكل ما عليه من اللحم .

هذا الثناء ، فإن تَرْضَى فراضيةً أوتسخطى فإلى من تُعْطَفُ العُنُقُ !
وقال أوس بن حارثة : إنك لتعلمين أننا أكرمُ أحساباً ، وأشهرُ أفعالاً من أن
نُصِفَ أنفسنا لك ؛ أنا الذى يقول فيه الشاعر :

إلى أوس بن حارثة بن لأمٍ لِيَقْضَى حاجتي ولَقَدْ قضاها
فما وطيء الحصى مثل ابنِ سَعْدَى ولا لبسَ النعال ولا احتذاها
وأنا الذى عَقَّتْ عقيقته ^(١) ، وأعتقت عن كلِّ شعرةٍ فيها عنه نَسَمَةً ، ثم
أنشأ يقول :

فإن تنكحني ماوية الخير حاتماً
فتى لا يزال الدهرُ أكبرُ هممه
وإن تنكحني زيدا ففارسُ قومه
وإن تنكحيني تنكحني غيرَ فاجرٍ
ولا متقى يوماً - إذا الحربُ شمرت -
وإن طارقُ الأضياف لا ذرَ برخله
فأى فتى أهدى لك الله فاقبلي
وأشد حاتم يقول :

أماوى قد طال التجنُّبُ والهجرُ
وأماوى إن المالَ غادٍ ورائحُ
وقد عذرتني ^(٢) في طلايبكم عذراً ^(٣)
ويبقى من المال الأحاديثُ والذكرُ

(١) العقيقة : شعر كل مولود من الناس . (٢) الأشأم : جمع أشأم وهو ضد الأيمن .
(٣) عَم الرجل عن الشيء : كَف عنه بعد المضي فيه . (٤) عذرتني : أى رفعت عني
اللام وعمت الإساءة وطبستها . (٥) العذر : جمع عذير ، والعذير هو الحال .

أَمَاوِيَّ إِنِّي لَا أَقُولُ لِسَائِلٍ إِذَا جَاءَ يَوْمًا : حَلَّ فِي مَالِنَا النَّزْرُ^(١)
أَمَاوِيَّ إِمَّا مَانِعٌ فُبَيِّنْ وَإِمَّا عَطَاءٌ لَا يُنْهِنُهُ^(٢) الزَّجْرُ
أَمَاوِيَّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشَرَجَتْ^(٣) يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ
أَمَاوِيَّ إِنْ يُصْبِحُ صَدَائِي^(٤) بِقَفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ لَا مَاءَ لِدَيَّ وَلَا خَمْرُ
تَرَى أَنْ مَا أَنْفَقْتُ لَمْ يَكُ ضَائِرِي وَأَنْ يَدِي مِمَّا بَخِلْتُ بِهِ صِفْرُ
أَمَاوِيَّ إِنِّي رُبٌّ وَاحِدٌ أَمِّهِ أَخَذْتُ فَلَا قَتْلَ عَلَيْهِ وَلَا أَمْرُ
وَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ لَوْ أَنَّ حَاتِمًا أَرَادَ ثَرَاءَ الْمَالِ كَانَ لَهُ وَفْرُ
أَمَاوِيَّ إِنْ الْمَالُ مَالٌ بَذَلْتُهُ فَأَوَّلُهُ شُكْرُ وَآخِرُهُ ذِكْرُ
وَلَمَّا لَا آلُو^(٥) بِمَالِي صَنِيعَةً فَأَوَّلُهُ زَادٌ وَآخِرُهُ ذُخْرُ
يُفَكُّ بِهَ الْعَانِي^(٦) وَيُوْكَكِلُ طَبِيبًا وَمَا إِنْ يَعْرِيهَ الْقِدَاحُ^(٧) وَلَا الْقَمْرُ
وَلَا أَظْلِمُ ابْنَ الْعَمِّ إِنْ كَانَ إِخْوَتِي شُهُودًا وَقَدْ أَوْدَى يَأْخُوْتُهُ الدَّهْرُ
غَنِينًا^(٨) زَمَانًا بِالتَّصْلُكِ وَالْغِنَى وَكَأَنَّهَا بَكَاسِيْهَ الدَّهْرِ
فَمَا زَادَنَا بَأْوًا^(٩) عَلَى ذِي قَرَابَةٍ غِنَانًا ، وَلَا أَزْرَى بِأَحْسَابِنَا الْفَقْرُ
وَمَا ضَرَّ جَارًا يَابِنَةَ الْقَوْمِ فَأَعْلَى يُجَاوِرُنِي إِلَّا يَكُونُ لَهُ سِتْرُ
بِعَيْنِي عَنْ جَارَاتِ قَوْمِي غَفْلَةً وَفِي السَّمْعِ مِنِّي عَنْ أَحَادِيثِهَا وَقُرُ
قَالَتْ : أَمَا أَنْتَ يَا زَيْدُ فَقَدْ وَتَرْتِ الْعَرَبَ ، وَبِقَاوِكَ مَعَ الْحَرَةِ قَلِيلٌ ، وَأَمَا
أَنْتَ يَا أَوْسُ فَرَجَلُ ذَوْضَرَائِرَ ، وَالدَّخُولُ عَلَيْهِمْ شَدِيدٌ ، وَأَمَا أَنْتَ يَا حَاتِمُ فَرَضِي
الْأَخْلَاقَ ، مُحَمَّدُ النَّسِيمِ ، كَرِيمُ النَّفْسِ ، وَقَدْ زَوَّجْتُكَ نَفْسِي !

(١) النزر : القلة (٢) نهنه : منه (٣) الحشرجة : الرغبة عند الموت (٤) الصدى :
ما يبق من الميت في قبره (٥) لا آلو : لا أقصر (٦) العاني : الأسير (٧) القداح : قذاح
اليسر . القمر : القامرة (٨) غنينا : غنى بالساكن : أقام به (٩) البأو : الكبر والفخر :

٣١ — سبيّة عُرْوَة بن الورد*

أصاب عُرْوَة^(١) بن الورد امرأة من بنى كنانة ، يقال لها سلى ، فأعتقها واتخذها لنفسه ، فمكثت عنده بضع عشرة سنة وولدت له أولاداً ، وهو لا يشك في أنها أرغب الناس فيه ، وهى تقول له : لو حَجَّجْتُ بى ، فأمرُ على أهلى وأراهم ! فحَجَّجَ بها ، فاتى مكة ، ثم أتى المدينة ، وكان يُخالط من أهل يثرب بنى النضير ، فيُقرضونه إن احتاج ، ويُبايعهم^(٢) إذا غنم .

وكان قومها يُخالطون بنى النضير ، فاتوهم وهو عندهم ، فقالت لهم سلى : إنه خارجٌ بى قبل أن يخرج الشهر الحرام ، فتعالوا إليه ، وأخبروه أنكم تستحيون أن تكون امرأة منكم معروفة النسب صحيحته سبيّة ، وافتدوني منه ، فإنه لا يرى أنى أفارقَه ، ولا اختارُ عليه أحداً ؛ فاتوهُ فسقوه الشراب ، فلما كمل قالوا له : فادنا^(٣) بصاحبتنا ؛ فإنها وسيطة^(٤) النسب فينا ، معروفة ، وإن علينا سبيّة أن تكون سبيّة ، فإذا صارت إلينا ، وأردت معاودتها ، فاطبها ؛ فإننا نزوجك ؛ فقال لهم : ذاك لكم ؛ ولكن لى الشرط فيها أن تخبئوها ، فإن اختارتنى انطلقت معى إلى ولديها ، وإن اختارتكم انطلقتم بها ؛ قالوا : ذاك لك . قال : دعوا ذلك إلى غد .

* الشعر والشعراء : ٢٦ ، الأغاني : ٣-٢٦ (طبعة دار الكتب)

(١) عروة بن الورد : شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فرسانها العدودين المقدمين الأجراد . وكان يلقب عروة الصعاليك ؛ لأنه كان كالرئيس عليهم يجمعهم ويقوم بأمرهم . توفى نحو سنة ٣٠ ق هـ . (٢) يبايعهم : يعقد معهم البيع . (٣) المفاداة : إنقاذ الأسير بالفدية . (٤) وسيطة النسب : حسيبة كريمة .

فلما كان الغد جاءوه فامتنع من فِدائِها ، فقالوا له : قد فادَيْتَنَّا به منذ البارحة ؛
وشهِدَ بذلك جماعةٌ مِن حُضر ، فلم يَقْدِر على الامتناع وفادِها ، فلما فادَوْهُ خَيْرُوها
فاختارتْ أهلُها ؛ ثم أَقبلتْ عليه ، فقالت : يا عُرْوَةُ ، أما إني أقولُ فيكَ - وإن
فارقتُكَ - الحقَّ : والله ما أعلمُ امرأةً من العرب أَلقتْ سِتْرَها على بَعْلِ خَيْرَ منك ،
وأَغضَّ طرفًا ، وأَقْلَّ فُحشًا ، وأَجودَ يَدًا ، وَأَحْيَى لِحَقيقَةٍ ^(١) . وما مرَّ علىَّ يومٌ
منذ كنتُ عندكَ إلا والموتُ فيه أحبُّ إليَّ من الحياة بين قومك ، لأنِّي لم أكن
أشاه أن أسمع امرأةً من قومك تقول : قالت أُمّةٌ عُرْوَةُ كذا وكذا ؛ والله لا أنظرُ
في وَجْهِ غَظْفاً نِيَّةً أبداً ^(٢) ، فازْجِعْ راشداً إلى وَلَدِكَ وأَحْسِنِ إليهم !

ثم تزوّجها رجلٌ من بني عَمِّها ، فقال لها يوماً : يا سَلَى ؛ أني علىَّ كما أنثيتِ
على عُرْوَةَ - وقد كان قولُها فيه شُبه - فقالت له : لا تكلّفني ذلك ؛ فإني إن قلتُ
الحقَّ غَضِبْتَ ، ولَا واللاتِ والعزّى لا أكذب ؛ فقال : عزمتُ عليكِ لتأْتينني في
مجلس قومي فلتُتَنِّينَ عليَّ بما تعملين .

وخرج فَجَلَسَ في نَدَى القوم ، وأقبلتْ فرمّاهما القومُ بأبصارهم ، فوقفَتْ عليهم
وقالت : أنعمُوا صباحًا ، إن هذا عَزَمَ عليَّ أن أنثيَ عليه بما أعلمُ . ثم أَقبلتْ عليه
فقالت : والله إن شُرْبَكَ لَاشْتِفاف ^(٣) ، وإنك لتنامُ ليلةً تخافُ ، وتشبعُ ليلةً
تُضَافُ ، وما تُرْضِي الأهلَ ولا الجانبَ ^(٤) . ثم انصرفتْ . فَلَامَهُ قَوْمُهُ ، وقالوا :
ما كان أغناكَ عن هذا القولِ منها .

(١) الحقيقة : ما يجب على الرجل أن يحميه (٢) غطفان : هم قوم عُرْوَةَ (٣) الاشتفاف : شرب
كل ما في الإناء (٤) الجانب : القريب ، والمراد به الضيف .

٣٢ - لو كان النساء كمثل هذى *

قال الحارث^(١) بن عوف يوماً لخارجة بن سنان المري : أترانى أخطبُ إلى أحدٍ فيردني ؟ فقال له : نعم ! قال : ومن ذاك ؟ قال : أوسُ بن حارثة الطائي ؛ فقال الحارث لعلامه : ارحل بنا . ففعل ، وركبا حتى أتيا أوسَ بن حارثة في بلاده ، فوجداه في فناء منزله ، فلما رأى الحارث بن عوف قال : مَرَّحَباً بك يا حارث ، قال : وَبِكَ ، قال : ما جاء بك ؟ قال : جئتُك خاطباً ، قال : لستَ هناك !

فانصرف ولم يكلمه ، ودخل أوس على امرأته مُغضباً - وكانت من عبس - فقالت : مَنْ رجلٌ واقف عليك فلم يُطل ، ولم تسكلمه ؟ قال : ذاك سيدُ العرب الحارث بن عوف ، قالت : فما لك لم تستنزلهُ ؟ قال : إنه استعصم^(٢) . قالت : وكيف ؟ قال : جاءني خاطباً . قالت : أفتريدُ أن تزوجَ بناتك ؟ قال : نعم ، قالت : فإذا لم تزوجَ سيدَ العرب فمن ؟ قال : قد كان ذلك . قالت : فعدَّارك ما كان منك . قال : بماذا ؟ قالت : تلحقهُ فتدُّه ، قال : وكيف وقد فرط منى ما فرط إليه ! قالت : تقولُ له لقيتني مُغضباً بأمرٍ لم تقدم فيه قولاً ، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت . عدُّ ذلك عندي كلُّ ما أحببت ، فإنه سيفعلُ . فركب في أثرهما .

قال خارجة بن سنان : فوالله إني لأسيرُ مع الحارث إذ حانت مني التفاتةُ فرأيت أوساً ، فأقبلتُ على الحارث - وما يكلمني غمًّا - فقلت له : هذا أوسُ بن

* الأغاني : ١٠ - ٢٩٤ (طبعة دار الكتب) ، المستطرف : ٢ - ٢٢٢

(١) الحارث بن عوف من بني مرة ، أسلم وحسن إسلامه وبث معه رسول الله رجلاً من الأنصار في جواره يدعو قومه إلى الإسلام ، فقتلوا الأنصارى (٢) استعصم : فعل فعل الحق .

حارثة في أثرنا ، قال : وما نصنعُ به ؟ امض . فلما رأنا لا نقفُ عليه صاح : يا حارث ! ازْبِعْ^(١) عليَّ ساعةً ، فوقفنا له ، فكلَّمتهُ بذلك الكلام ، فرجع مسروراً .

ودخل أوس منزله ، وقال لزوجته : ادْئِ لي فلانة - لأَكْبِرَ بنايتَه - فأتته ، فقال : يا بُنَيَّةُ ، هذا الحارثُ بن عوف ، سيدٌ من سادات العرب ، قد جاءني طالباً خاطباً ، وقد أردتُ أن أزوجهُك منه ، فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل ، قال : ولم ؟ قالت : لأنني امرأةٌ ، في وجهي رَدَّةٌ^(٢) ، وفي خلقي بَعْضُ المَهْدَةِ^(٣) ، ولست بابنةِ عمِّه فَبِرْعَى رَحِمِي ، وليس بجارك في البلد فيستحي منك ، ولا آمَنُ أن يَرَى مِنِّي ما يَكْرَهُ فيطْلُقني ، فيكونَ عليَّ في ذلك ما فيه .

قال : قومي ، بارك الله عليك ، ادْئِ لي فلانة - لابنته الوُسْطَى - فدعَّتها ، ثم قال لها مثل قوله لأختها ، فأجابته بمثل جوابها ، وقالت : إني خَرَفَاءُ^(٤) ، وليست بيدي صناعة ، ولا آمَنُ أن يَرَى مِنِّي ما يَكْرَهُ ، فيطْلُقني ، فيكونَ عليَّ في ذلك ما تعلم ، وليس بابنِ عمِّي فيرعى حقِّي ، ولا جارك في بلدك فيستحييك^(٥) ، قال : قومي ، بارك الله عليك ، ادْئِ لي بُهَيْسَةَ - صُفْرَى بنايتَه - فأتى بها ، فقال لها كما قال لها ، فقالت : أنتَ وذاك فقال لها : قد عَرَضْتُ ذلك على أختيك فأبتاه ، فقالت - ولم يذكر لها مآلَتيهما - : لكني والله الجميلةُ وجهاً ، الصنَّاعُ يَدًا ، الرفيعةُ خلقاً ، الحسبيةُ أبا ، فإن طَلَّقني فلا أَخْلَفَ اللهُ عليه بخير ! فقال له بارك الله عليك . ثم خرج إلى الحارث فقال : زوجتك يا حارثُ بُهَيْسَةَ بنت أوس ؛ قال : قبلت : فأمر أمها أن تُهَيِّئَها ؛ وتُصلحَ من شأنها ؛ ثم أمر بيته فضرب له ؛ وأنزله إياه ؛ فلما هَيَّئَتْ بُعْثَ بها إليه .

(١) رجع عليه : وقف له ، أو مال إليه (٢) الردة : شيء من قبح (٣) المهدة : العيب

(٤) خرفاء : امرأة غير صنَّاع (٥) فيستحييك : يستحي منك .

قال خَارِجَةُ بن سنان : فلما أَدَخَلْتُ إِلَيْهِ كَبِثَ هُنَيْهَةٌ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى ، قُلْتُ : أَفَرَّغْتَ مِنْ شَأْنِكَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ . قُلْتُ : وَكَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ : لَمَّا دَخَلْتُ إِلَيْهَا قَالَتْ : مَهْ ! أَعْنَدَ أَبِي وَإِخْوَتِي ؟ هَذَا وَاللَّهِ مَا لَا يَكُون . قَالَ خَارِجَةُ : ثُمَّ أَمَرَ بِالرَّحْلَةِ ؛ فَارْتَحَلْنَا وَرَحَلْنَا بِهَا مَعَنَا ؛ فَسَرَّنا مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ قَالَ لِي : تَقْدِّمُ ، فَتَقْدَمْتُ ، وَعَدَلْتُ بِهَا عَنِ الطَّرِيقِ ؛ فَسَالَيْتُ أَنْ لَحِقَ بِي ؛ فَقُلْتُ : أَفَرَّغْتَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، قُلْتُ : وَلِمَ ؟ قَالَ : قَالَتْ لِي : أَكَمَا يُفْعَلُ بِالْأُمَّةِ الْجَلِيلَةِ ^(١) أَوِ السَّيِّئَةِ الْأَخِيذَةِ ^(٢) ! لَا وَاللَّهِ ، حَتَّى تَنْتَحِرَ الْجَزُورَ ^(٣) وَتَذْبِجَ الْغَنَمَ ، وَتَدْعُوَ الْعَرَبَ ، وَتَعْمَلَ مَا يُعْمَلُ لِمِثْلِي ! قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى هِمَّةً وَعَقْلًا ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ مُنْجِبَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال خَارِجَةُ : فَرَحَلْنَا حَتَّى جِئْنَا بِلَادَنَا ، فَأَحْضَرَ الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا ، وَخَرَجَ إِلَى ، قُلْتُ : أَفَرَّغْتَ ؟ قَالَ : لَا ، قُلْتُ : وَلِمَ ؟ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَيْهَا ، وَقُلْتُ لَهَا : قَدْ أَحْضَرْنَا مِنْ الْمَالِ مَا قَدْ تَرَيْنَ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَقَدْ ذَكَرْتُ لِي مِنَ الشَّرَفِ مَا لَا أَرَاهُ فِيكَ ! قُلْتُ : وَكَيْفَ ؟ قَالَتْ : أَتَفَرَّغُ لِلنِّسَاءِ - وَالْعَرَبُ تَقْتُلُ بَعْضُهَا بَعْضًا ^(٤) ! قُلْتُ : فَيَكُونُ مَاذَا ؟ قَالَتْ : أَخْرَجَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَاصْلَحَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ أَرْجَعَ إِلَى أَهْلِكَ فَلَنْ يَفُوتَكَ مَا تَرِيدُ ، قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى هِمَّةً وَعَقْلًا ، وَلَقَدْ قَالَتْ قَوْلًا ...

قال خَارِجَةُ : ثُمَّ قَالَ الْحَارِثُ : أَخْرَجَ بَنَاهُ ، فَخَرَجْنَا حَتَّى أَتَيْنَا الْقَوْمَ فَشِينَا فِيهِمْ بِالصَّلَاحِ ، فَاصْطَلَحُوا عَلَيَّ أَنْ يَحْتَسِبُوا الْقَتْلَ ، فَيُؤْخَذَ الْفَضْلُ مِنْهُ هُوَ عَلَيْهِ ، فَحَمَلْنَا عَنْهُمْ الدِّيَّاتَ ، فَكَانَتْ ثَلَاثَةُ آلَافٍ بِعِزِّي ثَلَاثَ سِنِينَ ، فَانْصَرَفْنَا بِأَجَلٍ الذِّكْرُ ! فَدَحَ بِذَلِكَ وَقَالَ فِيهِ زَهِيرُ قَصِيدَتِهِ :

* أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلِّمْ *

(١) الجليلية : المجلوبة (٢) الأخيذة : المأخوذة (٣) جمع جزور ؛ وهو البعير (٤) كان ذلك في أيام حرب عيس وذيان ، وهي المروقة بحرب داحس والغبراء .

٣٣ — بنت حاتم الطائي *

قال علي بن أبي طالب - عليه السلام : يا سبحان الله ! ما أزهّد كثيراً من الناس في الخير ! عجبتُ لرجلٍ يميّتهُ أخوه في حاجةٍ فلا يرى نفسه للخير أهلاً ! فلو كنّا لا نرجو جنة ولا نخافُ ناراً ، ولا ننتظر ثواباً ، ولا نخشى عقاباً لكان ينبغي لنا أن نطلبَ مكارمَ الأخلاق ؛ فإنها تدل على سبيل النجاة .

فقام إليه رجل فقال : فذاك أبي وأمي يا أمير المؤمنين ! أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، وما هو خيرٌ منه ؛ لما أتينا بسبأياً طيئاً كانت في النساء جاريةٌ حَمَاءٌ ^(١) ، حوزراه العينين ^(٢) لَمَسَاءٌ ^(٣) ، لَمِيَاءٌ ^(٤) عَيْطَاءٌ ^(٥) ، شَمَاءٌ الأنف ، مُعْتَدِلَةٌ القامة .

فلما رأيتها أُعجبتُ بها ؛ فقلت : لأطلبنّها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجعلها من قَبِيئِي ^(٦) ، فلما تكلمتُ أنسيتُ جمالها لما سمعتُ من فصاحتها ، قالت : يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ؛ فإن رأيتَ أن تخلّي عني ، فلا تُشِمّتْ بي أحياء العرب ! فإنني بنتُ سيدٍ قومي ؛ كان أبي يَفكُّ العاني ، ويحمي الذّمَارَ ؛ ويُقرى الضيف ، ويُشبع الجائع ، ويفرّجُ عن المكروب ، ويُطعمُ الطمّام ، ويُفشي السلام ، ولم يردّ طالب حاجة قط ؛ أنا بنتُ حاتم طيئ . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جارية ؛ هذه صفاتُ المؤمن ، ولو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه ، خَلّوا عنها ، فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق !

* الأغاني : ١٦-٩٠٣ (طبعة الساسي) ، شرح الميون : ٧٣

(١) حماء : سوداء (٢) الحوز : سواد العين كلها ؛ مثل الطباء ، ولا يكون في بني آدم ، بل يستعار لها (٣) جارية لمساء : في شقتها أدنى سواد ، مشربة بحمرة (٤) اللمي : سمرّة في الأنف (٥) امرأة عيطاء : طويلة العنق (٦) القبي : القبيّة .

٣٤ — أيتها أعظم العرب مصيبة ؟ *

لما كانت وقعة بدر قُتل فيها عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم ، وبلغها تسويم^(١) الخنساء^(٢) هودجها في الموسم ، ومعاظمتها العرب بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخوها صخر ومعاوية ، وأنها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم ، وقد سوّت هودجها براية ، وأنها تقول : أنا أعظم العرب مصيبة ؛ وإن العرب قد عرفت لها بعض ذلك .

فلما أصيبت هند^(٣) بما أصيبت به وبلغها ذلك ، قالت : أنا أعظم من الخنساء مصيبة ، وأمرت بهودجها فسوّم براية ، وشهدت الموسم بكأظ - وكانت سوقاً يجتمع فيها العرب - فقالت : اقرّوا جلي يحمل الخنساء ، ففعلوا ؛ فلما أن دنت منها قالت لها الخنساء : مَنْ أنت يا أخية ؟ قالت : أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغني أنك تعاطمين العرب بمصيبتك ، فبِمَ تعاطمينهم ؟ قالت الخنساء : بعمرو بن الشريد ، وصخر ، ومعاوية ابني عمرو . وبِمَ تعاطمينهم أنت ؟ قالت : بأبي عتبة بن ربيعة ، وعمي شيبة بن ربيعة ، وأخي الوليد ؛ قالت الخنساء : أو سواه عندك ؟ ثم أنشأت تقول :

* الأغانى : ٢١٠-٤ (طبعة دار الكتب) ، معاهد التنصيص : ١-١١٧
(١) سوم القى : جعل له سومة وعلامة ليعرف ويميز (٢) اسمها قحضر بنت عمرو بن الفريد السلي ، كانت من هواهر العرب ، المترف لمن بالقدم وأدركت الإسلام ، وأسست ومات أولادها الأربعة في حرب القادسية ، وأكثر شعرها في رثاء أخوها معاوية وصخر ، ومات في زمن معاوية بالبادية (٣) هي هند بنت عتبة زوج أبي سفيان وأم معاوية :

أَبْكَى أَبِي عَمْرَأَ بَعِينَ غَزِيرَةً قَلِيلٌ إِذَا نَامَ انْخَلِي هُجُودُهَا
وَصِنَوِيَّ ، لَا أَنْتَى مَعَاوِيَةَ الَّذِي لَهُ مِنْ سَرَاتِهِ الْحَرَّتَيْنِ ^(١) وَفُودُهَا
وَصَخْرَاءُ ، وَمَنْ ذَا مِثْلُ صَخْرٍ إِذَا غَدَا بِسَاهِمَةِ الْأَطَالِ قُبَاً ^(٢) يَقُودُهَا
فَذَلِكَ يَاهْنِدُ الرِّزْيَةَ فَاعْلَمِي وَنِيرَانُ حَرْبٍ حِينَ شَبَّ وَقُودُهَا

فَقَالَتْ هِنْدُ تَجِيبُهَا :

أَبْكَى عَمِيدَ الْأَبْطَحَيْنِ ^(٣) كَلِمَا وَحَامِيَهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ يُرِيدُهَا
أَبِي عَتَبَةَ الْخِلْبَرَاتِ وَيَنْحَكِ فَاعْلَمِي وَشِبَّةَ وَالْحَامِي الذَّمَارِ وَلِيدُهَا
أُولَئِكَ آلُ الْمَجْدِ مِنْ آلِ غَالِبٍ وَفِي الْعَزِّ مِنْهَا حِينَ يُنْبِي عَدِيدُهَا ^(٤)

ثُمَّ قَالَتْ :

مَنْ حَسَّ عَلَى الْأَخَوَيْنِ كَالْفُصْتَيْنِ أَوْ مِنْ رَأَاهُمَا ^(٥) قَرَمَانٌ لَا يَتَقَالَمَا نَ وَلَا يَرَامُ حَاهُمَا
وَيَنْبِي عَلَى الْأَخَوَيْنِ وَالْقَسِيرِ الَّذِي وَارَاهُمَا لَا مِثْلَ كَهْلٍ فِي الْكُهْوِ لَ وَلَا فَنَى كَفْتَاهُمَا
أَسْدَانٌ لَا يَتَذَلَّلَا نَ وَلَا يَرَامُ حَاهُمَا
رُئُوحَانِ خَطِيَّانِ فِي كَبَدِ السَّمَاءِ سَنَاهُمَا
مَا خَلَفَا إِذْ وَدَّعَا فِي سُودَدٍ شَرَّوَاهُمَا ^(٦)
سَادَا بِفَسِيرٍ تَكْلَفُ غَوَاً يَفِيضُ نَذَاهُمَا

(١) الحرة : الأرض ذات الحجارة السود . والمراد حرة بن سليم ، وحرة بن هلال بالحجاز .
أى هو مقصد الأشراف تأتبه وفودها فيما يلم بها (٢) الساهمة : الدقيقه ، والأطال : جمع أطال
وهو الحاصرة ، والقب : جمع أقب ، وهى الفرس الدقيقه الحصر ، الضامرة البطن (٣) الأبطحان
تريد بطحاء مكة وسهل تهامة (٤) عديدها : جموعها (٥) راما : أصله رآما (٦) شرؤاها :
مثلها .

٣٥ — شجاعة صفيّة بنت عبد المطلب *

قالت صفيّة بنت عبد المطلب : كان حسان^(١) بن ثابت معصافى حصن قارع^(٢) يوم الخندق ، ومعنا النساء والصبيان ، فر بنا رجل من يهود ، فجعل يطيف بالحصن ؛ فقلت : يا حسان ؛ إن هذا اليهودى - كما ترى - يطيف بالحصن ، وأنا والله لا آمن أن يدُلّ علينا من وراءنا من يهود ، ورسول الله قد شغل عنا ؛ فانزل إليه واقتله . فقال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ، لقد عرفت ما أنا بصاحب شجاعة !

قالت : فلما قال لى ذلك ولم أرَ عنده شيئاً ، اعتجرت^(٣) ، ثم أخذتُ عموداً ، ونزلتُ إليه من الحصن فضربتُه بالسود حتى قتلتُه ؛ فلما فرغتُ منه رجعتُ إلى الحصن ، وقلت : يا حسان ؛ انزلْ إليّ ، فاسلبه^(٤) فإنه لم يمنعنى من سلبه إلا أنه رجل ! فقال : مالى بسلبه من حاجتِ يا بنت عبد المطلب !

* الفر : ٢٢٥ ، معاهد التنصيص ١ - ٧٤ الأغاني ٤ - ١٦٥ (طبعة دار الكتب) .
(١) هو شاعر الرسول ، وقد نشأ فى الجاهلية ونبه شأنه فيها ، وعاش طويلاً فى الإسلام ، ومات فى خلافة معاوية سنة ٥٢ هـ . (٢) حصن بالمدينة ، ويوم الخندق واقعة مشهورة بين رسول الله والمكركين . (٣) اعتجرت المرأة : ليست المعجّر وهو ما تشده على رأسها (٤) سلبه : السلب ما يأخذ أحد الطرفين فى الحرب من قرنه مما يكون عليه ومعه . من ثياب وسلاح ودابة .

٣٦ - الخنساء عند عائشة *

دخلت الخنساء على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وعليها صِدار ^(١) من شعر ، قد استشعرته إلى جلدها ؛ فقالت لها : ما هذا يا خنساء ؟ فوالله لقد توفى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما لبسته .

قالت : إن له معنى دعانى إلى لباسه ؛ وذلك أن أبى زوجى سيد قومه ، وكان رجلاً مثلاً ، فأُسْرِفَ في ماله ، حتى أنفدَه ، ثم رجع إلى مالى ، فأَنفدَه أيضاً .

ثم التفت إلى فقال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر ، فأتيناه ، فقسَمَ ماله شطرين ^(٢) ، ثم خيّرنا في أحسن الشطرين ، فرجعنا من عنده على حال حسنة ؛ فلم يزل زوجى حتى أذهب جميعه .

ثم التفت إلى ، فقال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر ، فرحلنا إليه فقسَمَ ماله شطرين ، وخيّرنا في أفضل الشطرين .

فقالت له زوجته : أما ترضى أن تشاطرهم مالك حتى نخيّرهم بين الشطرين !

فقال :

والله لا أمنحها شِزارها فلو هلكتُ قدَدَت ^(٣) خَارَها

* وَأَتَّخَذْتُ مِنْ شَعْرِ صِدَارِها *

فَأَلَيْتُ أَلَا يَفَارِقُ الصَّدَّارُ جَسَدِي مَا بَقِيَتْ !

* المقد الفريد : ١ - ٢٢ ، سرح العيون : ٢٩٩

(١) الصدار : ثوب رأسه كالقنعة ، وأسفله يفتش الصدر والنسكين ، وكانت المرأة إذا فقدت جميعها فأحدثت عليه لبست صداراً من صوف . (٢) شطر الشيء : نصفه . (٣) قددت : قادت .

٣٧ - إلهُ عمر يعلم*

نهى عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته عن مَذَقِ (١) اللَّبَنِ بِالماء ، فخرج ذات ليلة فى حَواشى المدينة ، فإذا بإمرأة تقولُ لابنةِ لها : أَلَا تَمَذِّقِينَ لبنك فقد أَصْبَحْتَ ؟ فقالت الجارية : كيف أَمَذُّق وقد نهى أميرُ المؤمنين عن اللَّذقِ !

فقالت : قد مَذَّقَ الناسُ فامَذِّقِي فما يدري أميرُ المؤمنين ؟ فقالت : إن كان عمرُ لا يعلم فإنَّه عمرٌ يعلم ، ما كنتُ لأفعله وقد نهى عنه .

فوقعت مقالتها من عمر . فلما أصبح دعا عاصمًا ابنه ، فقال : يا بنى ؛ اذهب إلى موضع كذا وكذا فاسأل عن الجارية - وَوصفها له - فذهب عاصم ، فإذا جاريةٌ من بنى هلال . فقال عمر : اذهب يا بنى فتزوجها ، فما أحرأها أن تأتى بفارس يَسُوذُ العرب ، فتزوجها عاصم بن عمر ، فولدت له أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجها عبد العزيز بن مروان ؛ فأنت بعمر بن عبد العزيز !

* سيرة عمر بن عبد العزيز : ١٧ ، نهاية الأرب : ٣ - ٢٣٨ ، مجمع الأمثال ٢ - ١٣٨ ، ابن أبي الحديد : ١١٠ .
(١) اللَّذق : الخلط .

٣٨ — كذلك الدهر !*

لما قدم سعد بن أبي وقاص^(١) القادسية ، أتته حُرقة بنت النعمان بن المنذر في جوارٍ كلهن في مثل زِيَّها ، يطلبنَ صلته .

فلما وقفنَ بين يديه قال : أيتكنَ حُرقة ؟ قلن : هذه . قال لها : أنت حُرقة ؟ قالت : نعم ، فما تَكْرَارَكَ في السؤال ؟ إن الدنيا دارٌ زاول ، لا تدومُ على حال ؛ إنا كنّا ملوكَ هذا المِصر ، يُجْبَى إلينا خراجُه ، ويُطِيعنا أهله مَدَى الإمْرِ وزمان الدولة ، فلما أذبر الأمر وانقضى ، صاح بنّا صائح الدهر فصدع عَصَانَا ، وشئتَ مَلَانَا . وكذلك الدهر يا سعد ؛ إنه ليس يأتي قوماً بِمِسرَّةٍ إلَّا ويُعقِبهم حَسرة . ثم أنشأت تقول :

بيننا نَسوسُ الناسَ والأمرُ أمرُنا إذا نحنُ فيهم سوقَةٌ نَنصَفُ^(٢)
فأفٍ لِدُنْيَا لا يدومُ نعيمُها تَقَلَّبُ تاراتٍ بنا وتَصَرَّفُ !

فقال سعد . قاتل الله عدىَّ بن زيد كأنه ينظر إليها حيث يقول :

إِنَّ لِلدَّهْرِ صَوْلَةً فَاحْذَرْنَهَا لَا تَبْتَئَنَّ قَدْ أُمِنْتَ الدَّهَوْرَا
قَدْ بَيَّتُ النِّتْيَ مُعَافَى فَيَزْدَى وَلَقَدْ كَانَ آمِنًا مَسْرُورًا

ودخل عمرو بن معد يكرب — وكان من قُصَّاد النعمان — وهى بين يدي سعد ، فلما نظر إليها قال : أنتِ حُرقة ؟ قالت : نعم . قال : فما دَهَمَكَ ؟ أين تتابع

* خزانة الأدب : ٣-١٨١ (الطبعة الأميرية)

(١) هو قاتج العراق ومدائن كسرى ، وفقد بصره في آخر حياته ، وتوفى سنة ٥٥ هـ .

(٢) نَنصَفُ : نخدم .

تَعْمِكَ ، وسطوات نَعْمِكَ ؟ فقالت : يا عَمْرُو ، إن للدهر عَثْرَاتٍ تَعَثِّرُ بِالْمُلُوكِ وَأَبْنَاءَهُمْ
فَتُخَفِّضُهُمْ بَعْدَ رِفْعَةٍ ، وَتُقَرِّدُهُمْ بَعْدَ مَنَعَةٍ ، وَتُذَلِّهِمْ بَعْدَ عِزٍّ . إن هذا الأَمْرَ كُنَّا
نَنْتَظِرُهُ فَلَمَّا حَلَّ لَمْ نُنْكَرْهُ .

فلما انصرفت من لَدُنْ سَعْدٍ لَقِيَهَا نِسَاءُ الْقَادِسِيَّةِ فَقُلْنَ لَهَا : مَا فَعَلَ بِكَ الْأَمِيرُ ؟
قالت : أَكْرَمَ وَجْهِي ، وَإِنَّمَا يُكْرِمُ الْكَرِيمَ الْكَرِيمُ .

٣٩ — لَا تَذْهَبِي بِنَفْسِكَ عَنِ الْحَقِّ *

قال عَلِيُّ بْنُ أَبِي رَافِعٍ : كُنْتُ عَلَى بَيْتِ مَالِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَكَاتِبِهِ ،
فَسَكَنَ فِي بَيْتِ مَالِهِ عِقْدٌ لَوْلُو كَانَ أَصَابَهُ يَوْمَ الْبَصْرَةِ ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى بِنْتِ عَلِيٍّ
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ ؛ فَقَالَتْ لِي : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ فِي بَيْتِ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عِقْدَ لَوْلُو ،
وَهُوَ فِي يَدِكَ ، وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ تُعِيرَنِيهِ ، أَتَجَمِّلُ بِهِ فِي يَوْمِ الْأَضْحَى .

فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهَا : عَارِيَةٌ مَضْمُونَةٌ ، مَرْدُودَةٌ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَا بِنْتَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
فَقَالَتْ : نَعَمْ ! عَارِيَةٌ مَرْدُودَةٌ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ .

فَدَفَعْتُهُ إِلَيْهَا وَإِذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَأَاهُ عَلَيْهَا فَعَرَفَهُ ؛ فَقَالَ لَهَا : مِنْ أَيْنَ جَاءَ إِلَيْكَ
هَذَا الْعِقْدُ ؟ فَقَالَتْ : اسْتَعْرَضْتُهُ مِنْ ابْنِ أَبِي رَافِعٍ خَازِنِ بَيْتِ مَالِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؛
لِأَنْزِيلِي بِهِ فِي الْعِيدِ ، ثُمَّ أَرُدُّهُ .

فبعث إلى أمير المسلمين فجثته ؛ فقال لى : أَمْخُونُ الْمُسْلِمِينَ يَا بِنِ أَبِي رَافِعٍ ؟
فقلت : معاذ الله أن أخونَ المسلمين ! فقال : كيف أعرّت بنت أمير المؤمنين
العقد الذى فى بيت مال المسلمين بغير إذنى ورضاهم ! فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إنها
بنتك ؛ وسألتنى أن أعبرها العقدتين به فأعرّتها إياه عاريةً مضمونة مردودة على
أن تردّه سالمًا إلى موضعه ؛ فقال : رُدّه من يومك ، وإياك أن تعود إلى مثله ؛
فتنالك عقوبتى . ثم قال : ويل لابنتى ! لو كانت أخذت العقد على غير عاريةٍ
مردودة مضمونة لكانت إذن أولَ هاشمية قُطِعَت يَدُها فى سرقة .

فبلغت مقالته ابنته ، فقالت له : يا أمير المؤمنين ؛ أنا ابنتك وبَضْعَةٌ^(١)
منك ، فمن أحقُّ بلبسِهِ منى ! فقال لها : يا بنت أبى طالب ؛ لا تذهبي بنفسك عن
الحق ! أكلُّ نساء المهاجرين والأنصار يتزيّنن فى مثل هذا العيد بمثل هذا !
فقبضته منها ورددته إلى موضعه .

(١) بضعة ، أى قطعة .

٤٠ — المغيرة يخطب بنت النعمان *

سار المغيرة ^(١) بن شعبة — حينما كان والياً على الكوفة — إلى دير هند بنت النعمان بن المنذر ، وهي فيه عمية متهمة ، فاستأذن عليها ، فقيل لها : أميرُ هذه المدرة ^(٢) بالباب ! فقالت : قولوا له : أمينُ وَلَدِ جَبَلَةٍ بن الأيهم أنت ؟ قال : لا . قالت : أمينُ وَلَدِ لُنْدَرِ بن السماء ؟ قال : لا . قالت : فمن أنت ؟ قال : المغيرة ابن شعبة الثقفي ! قالت : فما حاجتك ؟ قال : جئتُك خاطباً ! قالت : لو كنت جئتني لجمالٍ أو ليالٍ لأطلبْتُكَ ^(٣) ، ولكنك أردت أن تتشرف بي في محافل العرب ، فتقول : تزوجتُ ابنةَ الثُمَامِ بن المنذر ، وإلا فأى خير في اجتماع أعور وعمياء ؟

فبعث إليها : كيف كان أمرُكم ؟ فقالت : سأختصرُ لك الجوابَ : أمسينا مساءً وليس في الأرض عَرَبِيٌّ إلا وهو يرغب إلينا وَيَرْهَبُنَا ، ثم أصبحنا وليس في الأرض عَرَبِيٌّ إلا ونحن نرغبُ إليه ونرهبُه .

* الكامل للبرد : ١ - ١٧٧ ، السمودي : ٢ - ٦٨

(١) المغيرة بن شعبة : من ثقيف ، أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد يعة ائرضوان وفتوح الشام واليرموك ، والقادسية ، وولاه عمر البصرة ، ومات بالكوفة وهو أميرها سنة ٥٠ هـ .

(٢) المدرة : المدينة الضخمة . (٣) أطلبه : أعطاه ما طلبه .

٤١ — ولقد أيت على الطوى *

قال تميم بن عدى اليزبوعى :

كنتُ مع عبد الله بن العباس ^(١) عند مُنصرَفه من دمشق ، فسألته فى بعض الأيام وقلتُ له : بماذا يتمُّ عقلُ الرجل ؟ فقال : إذا صنع المعروفَ مبتدئاً به ، وجادَ بما هو محتاجٌ إليه ، وتجاوزَ عن الزَّلة ، وجازى على المَكْرمة ، وتجنَّبَ مواطنَ الاعتذار ؛ فقد تمَّ عقله . فحفظتُ ذلك منه ، وألصقته بقلبي .

ثم بعد أيام نزلنا منزلاً ، فطلبنا طعاماً فلم نجد ، ولا قدَرنا عليه — فإنَّ زياداً كان قد نزل بذلك المنزلَ قبلنا بأيام قليلة فى جَمْعٍ كثير ؛ فأتوا على ما كان فيه من الطعام — فقال عبدُ الله لوكيله : اخرجْ إلى هذه البرية ، فاعلِكْ تجدُ بها راعياً معه طعام ، فضى الوكيلُ ومعه غلمان ؛ فأطالوا التوقف ، فلما كادوا يَرِجُونَ لَاحَ لهم خِباء ، فأثمَّوه ؛ فوجدوا فيه عجوزاً ، فقالوا لها: هل عندك طعامٌ نبتاعه منك؟ فقالت: أمَّا طعامٌ يبيعُ فلا ؛ ولكن عندى أكلة لى ، وبأولادى إليها أمسُ حاجة ، قالوا : وأين أولادُك ؟ قالت : فى رَعِيهم ، وهذا وقتُ عَوَدَتهم . قالوا : فما أعددتِ لهم ؟ قالت :

* العقد الفريد للملك السعيد : ١٣

(١) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب : ولد قبل الهجرة بستين ، وكان رسول الله يحبه ويقربه ودعاه فقال : « اللهم علمه التأويل » فكان أعلم الناس بآيات القرآن وتأويلها والفقه فى الدين ، على ما أوتيته من لسان ذلق غواص على موضع الحاجة ، وعاش عمره عجباً إلى الخلفاء . وتوفى سنة ٦٨ هـ .

خُبْزَةً^(١) تَحْتَ مَلَّتَيْهَا^(٢) أَنْتَظِرُ بِهَا أَنْ يَجِثُوا ، قَالُوا لَهَا . فْجُودِي لَنَا بِنَصْفِهَا ، قَالَتْ : لَا ؛ وَلَكِنْ بِهَا كُلِّهَا . قَالُوا : وَلَمْ مَنَعْتَ النِّصْفَ وَجُدْتَ بِهَا كُلَّهَا ، وَلَا خُبْزَ عِنْدَكَ غَيْرَهَا ؟ قَالَتْ : إِنْ إِعْطَاءَ الشُّطْرِ^(٣) مِنْ خُبْزَةٍ نَقِصَةَ ؛ فَأَنَا أَمْنَعُ مَا يَنْقُصُنِي ، وَأَجُودُ بِمَا يَرْفَعُنِي ، فَأَخْذُوا الْخُبْزَةَ لَقَرَطِ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا . وَانصَرَفُوا ؛ وَلَمْ تَسْأَلِ : مَنْ هُمْ ؟ وَلَا مِنْ أَيْنَ جَاءُوا !

فَلَمَّا أَتَوْا عَبْدَ اللَّهِ ، وَأَخْبَرُوهُ خَبَرَ الْعَجُوزِ عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : ارْجِعُوا إِلَيْهَا فَاحْمِلُوهَا فِي دَعَةٍ ، وَأَحْضَرُوهَا ؛ فَرَجَعُوا إِلَيْهَا ، وَقَالُوا لَهَا : إِنْ صَاحِبُنَا أَحَبَّ أَنْ يَرَائِكَ . قَالَتْ : وَمَنْ صَاحِبُكُمْ ؟ قَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ . قَالَتْ : مَا أَعْرِفُ هَذَا الْأَسْمَ . قَالُوا : الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَهُوَ عَمُّ النَّبِيِّ . قَالَتْ : وَاللَّهِ هَذَا الشَّرَفُ الْعَالِي وَذِرْوَتُهُ الرَّفِيعَةُ ، وَمَاذَا يَرِيدُ مِنِّي ؟ قَالُوا : يَرِيدُ أَنْ يَكَافَتَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ . قَالَتْ : لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَاشِيَّ مَا أَثَّلَ لَهُ ابْنُ عَمَةٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ! وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مَا فَعَلْتُ مَعْرُوفًا مَا أَخَذْتُ عَلَيْهِ ثَوَابًا ؛ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَجِبُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَفْعَلَهُ . قَالُوا : فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَرَاكَ وَيَسْمَعَ كَلَامَكَ . قَالَتْ : أَصِيرُ إِلَيْهِ ؛ لِأَنِّي أَحَبُّ أَنْ أَرَى رَجُلًا مِنْ جَنَاحِ النَّبِيِّ وَعَضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ .

فَلَمَّا سَارَتْ إِلَيْهِ رَحَّبَ بِهَا وَأَدْنَى مَجْلِسَهَا ، وَقَالَ : يَمَنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : مِنْ كَلْبٍ . قَالَ : كَيْفَ حَالُكَ ؟ قَالَتْ : لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَفْرَحُ إِلَّا وَقَدْ بَلَغَتْهُ ، وَإِنِّي الْآنَ أَعِيشُ بِالْقَنَاعَةِ ، وَأَصُونُ الْقُرَابَةَ ، وَأَنَا أَنْتَوِّعُ مَفَارِقَةَ الدُّنْيَا صَبَاحًا وَمَسَاءً . قَالَ :

(١) الخُبْزَةُ : عَجِينٌ يَوْضَعُ فِي الْمِلَّةِ حَتَّى يَنْضَجَ (٢) الْمِلَّةُ : الرَّمَادُ الْحَارُّ وَالْجَمْرُ

(٣) شَطْرُ الشَّيْءِ : نَصْفُهُ .

أخبرني ، ما الذي أعددت لأولادك عند انصرافهم بعد أخذنا الخبزة ؟ قالت :
أعددت لهم قول العربي :

ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المساكين

فأعجبه قولها ؛ وقال لبعض غلمانه : انطلق إلى خبائسها ، فإذا أقبل بنوها ،
فجئ بهم . فقالت للغلام : انطلق ، فكن بفناء البيت ، فإنهم ثلاثة ، فإذا رأيتمهم
تجد أحدهم دائم النظر نحو الأرض ، عليه شعار الوقار ، فإذا تكلم أفصح ، وإذا
طلب أنجح . والآخر حديد النظر ، كثير الحذر ، إذا وعد فعل ، وإن ظلم قتل .
والآخر كأنه شعلة نار وكأنه يطلب بئار ، فذاك الموت المائت والداء الكابت ،
فإذا رأيت هذه الصفة فيهم ، فقل لهم عني : لا تجلسوا حتى تأتونى .

فانطلق الغلام ، فأخبرهم الخبر ، فما بعد أمدّه حتى جاءوا ، فأدناهم عبد الله
وقال : إني لم أبعث إليكم وإلى والدكم إلا لأصلح من أمركم ، وأصنع ما يجب
لكم ؛ فقالوا : إن هذا لا يكون إلا عن مسألة أو مكافأة فعل جميل تقدّم ، ولم يصدر
منا واحدة منهما ؛ فإن كنت أردت التكرّم مبتدئاً فمعروفك مشكور ، وبرك
مقبول مبرور . فأمر لهم بسبعة آلاف درهم وعشرين من النوق ؛ فقالت لهم
العجوز : ليقبل كل واحد منكم بيتاً من قوله :

فقال الأكبر :

شهدت عليك بحسن المقال وصدق الفعل وطيب الخبر

وقال الأوسط :

تبرعت بالتبذل قبل السؤال فعال كريم عظيم الخطر

وقال الأصغر :

وَحَقٌّ لِمَنْ كَانَ ذَا فَعْلِهِ أَنْ يَسْتَرْقَّ رِقَابَ الْبَشَرِ

وقالت العجوز :

فَعَمَّرَكَ اللَّهُ مِنْ مَاجِدٍ وَوَقَّيْتُ - مَاعَشَتْ شَرَّ الْقَدَرِ

ثم ودَّعوه وانصرفوا .

قال تميم اليزبوعى : فالتفت إلى وقال لى : يا تميم ؛ وودت لو وَجَدْتُ مُزِيداً
فى ابتداء المعروف إلى هذه المرأة وبنيتها ، وجعل يتأوّه من تقصيره عن مراده فى
ذلك . فقلت له : لقد أحسنتَ وَأَرْجَحْتَ وقد شهد فعلك بما سبق من قولك ،
فأنتَ أتمُّ الناسِ عقلاً ، وأكملهم مُروءةً !

٤٢ — أبو الأسود الدؤلى وزوجه *

قال أبو محمد القشيري :

كان أبو الأسود ^(١) الدؤلى من أكبر الناس عند معاوية بن أبي سفيان ، وأقربهم مجلساً ، وكان لا ينطق إلا بعقل ، ولا يتكلم إلا بحد فهم .

فبينما هو ذات يوم جالس ، وعنده وجوه قريش وأشراف العرب ، إذ أقبلت امرأة أبي الأسود حتى حاذت معاوية وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ؛ إن الله جعلك خليفة في البلاد ، ورفيقاً على العباد ؛ يُستسقى بك المطر ، ويُستنبت بك الشجر ، وتؤلف بك الأهواء ، ويأمن بك الخائف ، ويردع بك الجانف ^(٢) ، فأنت الخليفة المصطفى ، والإمام المرتضى ، فأسأل الله لك النعمة في غير تغيير ، والعافية من غير تعذير ^(٣) . قد ألباني إليك يا أمير المؤمنين أمر ضاق على فيه للنهج ، وتفاقم على منه الخرج ، لأمر كرهت عاره ، لما خشيت إظهاره ؛ فليُنصفني أمير المؤمنين من الخصم ، فإني أعود بعقوته ^(٤) من العار الويل ، والأمر الجليل ؛ الذي يشتد على الحرائر ذات البمول الأجائر ^(٥) .

فقال لها معاوية : ومن بلك هذا الذي تصفين من أمره المنكر ؛ ومن فعله المشهر ؟ فقالت : هو أبو الأسود الدؤلى .

* بلاغات النساء : ٥٣

(١) اسم : ظالم بن عمرو ، وأبو الأسود كنيته ، وهو معدود في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة والنحويين ، كان أكثر الناس تعلقاً ببل بن أبي طالب وعنه أخذ النحو ، توفي سنة ٩٩ هـ (٢) الجانف : المائل (٣) تعذير : قص (٤) العقوة في الأصل : ماحول الدار (٥) البمول : جم بمل ، وهو الزوج ، والأجائر : جم أجور ؛ تفصيل من جار :

فالتفت إليه وقال : يا أبا الأسود ؛ ما تقول هذه المرأة ؟ فقال أبو الأسود : هي تقول من الحق بعضاً ، ولن يستطيع أحدٌ عليها نقضاً ، أما ما ذكرت من طلاقها فهو حق ؛ وأنا نخبرُ عنه أميرَ المؤمنين بالصدق ؛ والله يا أميرَ المؤمنين ما طلقَتْها عن ربيّةٍ ظهرت ، ولا لأى هفوةٍ حضرت ؛ ولكن كرهت شمالكها ؛ فقطعتُ عنى حبالها . فقال معاوية : وأى شمالكها يا أبا الأسود كُرفت ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنك مهتَجُّها على بجواب عتيدي^(١) ولسانٍ شديد .

فقال معاوية : لا بدّ لك من محاورتها ، فاردّدْ عليها قولها عند مراجعتها . فقال أبو الأسود : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنها كثيرة الصّخب ، دائمة الذّرب^(٢) ، مهينة للأهل ، مؤذية للبخل ، مُسيئة إلى الجار ، مُظهرة للعار ، إن رأت خيراً كتمته ، وإن رأت شراً أذاعته .

فقلت : والله لولا مكانُ أميرِ المؤمنين ، وحضورُ مَنْ حضره من المسلمين ، لردّدتُ عليك بَوادرَ كلاميك ، بنوافذِ أقرعُ بها كلّ^(٣) سيّاميك ؛ وإن كان لا يحملُ بالمرأة الحرّة أن تشتمَ بعلّاً ، ولا أن تظهر لأحد جهلاً .

فقال معاوية : عزّمتُ عليك لما أجبتّه . فقلت : يا أميرَ المؤمنين ما علمته إلا ستّولاً جهولاً ، مُلحاً بخيلاً^(٤) ، إن قال فشرُّ قاتل ، وإن سكت فذودٌ غائل^(٥) ، ليثٌ حين يَأْمَنُ ، وثعلبٌ حين يخاف ، شحيحٌ حين يُضَافُ ، إذا ذُكِرَ الجود انقمع ؛ لما يعرف من قصَرِ رشائه^(٦) ، ولو لم آبائه ، ضيفه جانع ، وجاره ضائع ؛ لا يحفظُ جاراً ؛ ولا يحصى

(١) عتيدي : حاضر (٢) الذرب : حدة اللسان (٣) يقال : كل السيف ؛ إذا لم يقطع ، فهو كل وكليل (٤) اشتهر أبو الأسود بالبخل ، وله في ذلك نواحر (٥) الدفائل : جمع دغيلة ، والدغيلة : دخل في الأمر مفسد (٦) الرشاء في الأصل : الحبل .

ذِمَارًا ، وَلَا يُذْرِكُ ثَارًا ، أَكْرَمُ النَّاسِ عَلَيْهِ مَنْ أَهَانَهُ ، وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِ مَنْ أَكْرَمَهُ .

قَالَ معاوية : سَبَّحَانَ اللَّهِ لِمَا تَأْتِي بِهِ هَذِهِ الْمَرْأَةُ مِنَ السَّجْعِ ! فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ :
أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ إِنَّهَا مُطَلَّقةٌ ، وَمَنْ أَكْثَرَ كَلَامًا مِنْ مُطَلَّقةٍ ! ثُمَّ قَالَ لَهَا
معاوية : إِذَا كَانَ رَوْاحًا^(١) فَتَعَالَى أَفْصَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ بِالْقَضَاءِ .

فَلَمَّا كَانَ الرَّوَاحُ جَاءَتْ وَمَعَهَا ابْنُهَا قَدْ احْتَضَنَتْهُ ؛ فَلَمَّا رَأَاهَا أَبُو الْأَسْوَدِ قَامَ
إِلَيْهَا لِيُشِيرَعَ ابْنَهُ مِنْهَا ، فَقَالَ لَهُ معاوية : يَا أَبَا الْأَسْوَدِ ، لَا تُعْجِلِ الْمَرْأَةَ أَنْ تَنْطِقَ
بِحُجَّتِهَا .

قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ أَنَا أَحَقُّ بِحَمْلِ ابْنِي مِنْهَا ، فَقَالَ لَهُ معاوية : يَا أَبَا الْأَسْوَدِ
دَعَهَا تَقُلْ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَمَلَتْهُ قَبْلَ أَنْ تَحْمِلَ لَهُ . فَقَالَتْ : صَدَقَ وَاللَّهِ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، حَمَلَهُ خِفًا وَحَمَلَتْهُ ثِقَلًا ، إِنْ بَطْنِي لَوْ عَاوُوهُ ، وَإِنْ ثَدْيِي لَسِيقَاوُوهُ ،
وَإِنْ حِجْرِي لَفِينَاوُوهُ . فَقَالَ معاوية : سَبَّحَانَ اللَّهِ لِمَا تَأْتِينَ بِهِ ! ثُمَّ قَالَ لِأَبِي الْأَسْوَدِ :
إِنَّهَا قَدْ غَلَبَتْكَ فِي الْكَلَامِ ، فَكَلِّفْ لَهَا آيَاتًا لِمَلِكٍ تَغْلِبُهَا ؛ فَأَنشَأَ يَقُولُ :

مَرْحَبًا بِالتِّي تَجْمُرُ عَلَيْنَا ثُمَّ مَهْلًا بِالْحَامِلِ الْمُحْمُولِ
أَغْلَقْتُ بَابَهَا عَلَى وَقَالَتْ : إِنْ خَيْرَ النِّسَاءِ ذَاتُ الْبُعُولِ
شَغَلَتْ نَفْسَهَا عَلَى فَرَاغًا هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْفَارِغِ الْمَشْغُولِ !

فَأَجَابَتْهُ :

لَيْسَ مَنْ قَالَ بِالصَّوَابِ وَبِالْحَقِّ كَمَنْ جَارَ عَلَى مَنَارِ السَّبِيلِ
كَانَ ثَدْيِي سِقَاءَهُ حِينَ يُضْحِي ثُمَّ حِجْرِي فَنَاءَهُ بِالْأَصِيلِ
لَسْتُ أَبْنِي بَوَاحِدِي يَا بَنَ حَرْبٍ بَدَلًا مَا عَلِمْتَهُ وَالْخَلِيلِ^(٢)

فَقَضَى لَهَا معاوية عَلَيْهِ ، وَاحْتَمَلَتْ ابْنَهَا وَانصَرَفَتْ .

(١) الرَّوَاحُ : الْعَشِيُّ . (٢) تَرِيدُ بِالْخَلِيلِ مَحْدًا رَسُولَ اللَّهِ .

٤٣- إن قريشا تحدث أنك من أحلمها*

كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش البارقية برحليها ، وأعلمه أنه مجازيه بقولها فيه ؛ بالخير خيراً وبالشر شراً .
فلما ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها إياه ؛ فقالت : أما أنا فقير زائغة عن طاعة ، ولا مُتَعَلِّة بكذب ! ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأموٍرٍ مُخْتَلِجٍ^(١) في صدرى .

فلما حلها وأراد مفارقتها ، قال لها : يا أم الخير ، إن أمير المؤمنين كتب إلى : إنه يجازيني بقولك في بالخير خيراً وبالشر شراً ، فما عندك ؟ قالت : يا هذا ؛ لا يُطمعك بك بي أن أسرك بباطل ، ولا تؤيسنك معرفتى بك أن أقول فيك غير الحق ؟

فسارت خير مسير ، حتى قَدِمَتْ على معاوية ، فأنزلها مع جريمه ثلاثاً ، ثم أذن لها في اليوم الرابع ، وعنده جُلساؤه ؛ فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ؛ قال لها : وعليك السلام يا أم الخير ، وبالزَّغْمِ منك دعوتى بهذا الاسم . قالت : مه^(٢) يا أمير المؤمنين ! لـكـلٍّ أجل كتاب .

قال : صدقت ، فكيف حالك يا خالة ؟ وكيف كنت في مسيرك ؟ قالت : لم أزل في عافية وسلامة حتى صرت إليك ؛ فأنا في عيش أنيق ، عند ملك رقيق ؛ قال معاوية : بحسن نيتي ظفرتُ بكم وأعنتُ عليكم ! قالت : يا أمير المؤمنين ؛ أعيذك

* المقدم الفريد : ١ - ٢١٧ ، بلاغات النساء : ٤١ .

(١) مُخْتَلِجٌ في الأمر : تَرَدَّد فيه . (٢) مه : كف .

بِاللهِ مِنْ دَخْصٍ ^(١) الْمَقَالَ وَمَا تُرْذِي عَاقِبَتُهُ ، قَالَ : لَيْسَ لِهَذَا أَرْدَنَاكَ . قَالَتْ : إِنَّمَا أَجْرِي فِي مِيدَانِكَ ؛ فَاسْأَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ ! قَالَ : أَخْبِرِيْنِي كَيْفَ كَانَ كَلَامُكَ يَوْمَ قُتِلَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ؟ قَالَتْ : لَمْ أَكُنْ وَاللَّهِ وَرَثَتُهُ ^(٢) قَبْلُ ، وَلَا رَوَيْتُهُ بَعْدُ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ كَلِمَاتٌ نَفْسُنَ لِسَانِي حِينَ الصَّدْمَةِ ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ أُحْدِثَ لَكَ مَقَالًا غَيْرَ ذَلِكَ فَعَلْتُ . قَالَ : لَا أَشَاءُ ذَلِكَ .

نَمِ التَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَ أُمِّ الْخَيْرِ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : أَنَا أَحْفَظُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَحَفْظِي سُورَةَ الْحَمْدِ . قَالَ : هَاتِيهِ ؛ قَالَ : نَعَمْ ! كَأَنِّي بِهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، عَلَيْهَا بُرْدُ زَبِيدِي كَثِيفُ الْحَاشِيَةِ ، وَهِيَ عَلَى جَمَلٍ أَرَمَكُ ^(٣) وَقَدْ أُحِيطَ حَوْلَهَا حِوَاءٌ ^(٤) ؟ وَيَيْدُهَا سَوْطٌ مَنْتَشِرُ الضَّفَرِ ^(٥) ، وَهِيَ كَالْفَعْلِ يَهْدِرُ فِي شِقْشِقَتِهِ ^(٦) تَقُولُ :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ! إِنْ اللَّهُ قَدْ أَوْضَحَ الْحَقَّ ، وَأَبَانَ الدَّلِيلَ ، وَنَوَّرَ السَّبِيلَ ، وَرَفَعَ الْعَلَمَ ، فَلِمَ يَدْعُوكُمْ فِي عَمِيَاءٍ مُبْهِمَةٍ ! وَلَا سُودَاءٍ مُدْ لِمَةٍ ^(٧) ، فَإِلَى أَيْنَ تُرِيدُونَ رَحِمَكُمُ اللَّهُ ! أَفَرَأْرًا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمْ فَرَأْرًا مِنَ الزَّخْفِ ، أَمْ رَهْبَةً عَنِ الْإِسْلَامِ أَمْ ارْتِدَادًا عَنِ الْحَقِّ ! أَمَّا سَمِعْتُمْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ .

نَمِ رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ تَقُولُ :

(١) دَخْصُ الْمَقَالَ : بَاطِلُهُ (٢) زُورُ الْكَلَامِ : أَعْدَهُ ؛ تَرِيدُ أَنَّهَا قَالَتْهُ ارْتِجَالًا (٣) أَرَمَكَ : لَوْنُهُ لَوْنُ الرَّمَادِ (٤) الْحِوَاءُ : مَا يَعْمَلُ كَالْوَسَادَةِ لِلرَّاكِبِ عَلَى رَحْلِ الْجَمَلِ بَدُونِ هُوْدُجٍ (٥) ضَفَرُ الشَّعْرِ : لَوِيٌّ بِضَهْهُ عَلَى بَعْضِ (٦) الشَّقْشَقَةُ : شَيْءٌ يُخْرِجُهُ الْبَعِيرُ مِنْ فِيهِ إِذَا هَاجَ (٧) ادْهَمُ الظَّلَامُ : كَثْفٌ ، وَأَسْوَدُ مَدْلُهُمْ ، مُبَالَغَةٌ .

قد عِيلَ الصَّبْرُ ، وَضُمَّفَ اليَقِينُ ، وَانْتَشَرَ الرَّغْبُ ، وَبِيدَكَ يَارَبَّ أَرْيَمَةَ الْقُلُوبِ ،
فَاجْعِ الْكَلِمَةَ عَلَى التَّقْوَى ، وَأَلْفَ الْقُلُوبَ عَلَى الْمُهْدَى ، وَارْزُدْ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ .
هَلِّمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ إِلَى الْإِمَامِ الْعَادِلِ ، وَالْوَصِيِّ الْوَفِيِّ ، وَالصَّدِيقِ الْأَكْبَرِ . إِنَّهَا لِحَقٌّ
بَذَرِيَّةٌ ^(١) ، وَأَحْقَادٌ جَاهِلِيَّةٌ ، وَضَغَائِنُ أُحْدِيَّةٍ ^(٢) ، وَتَبَّ بِهَا مَعَاوِيَةُ حِينَ الْفَقْلَةِ
لِيَدْرِكَ بِهَا ثَارَاتِ بَنِي هَبْدِ شَمْسٍ ^(٣) .

ثم قالت : قَاتِلُوا أَرْيَمَةَ الْكَفْرِ ، إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُوْنَ ، صَبْرًا
مَعَشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، قَاتِلُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَثَبَاتٍ مِنْ دِينِكُمْ ، وَكَأَنِّي
بَكُمْ غَدًا قَدْ لَقِيتُمْ أَهْلَ الشَّامِ كَحُمُرٍ مُسْتَنْفِرَةٍ ^(٤) ، فَوَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ^(٥) ، لَا تَنْدَرِي
أَيْنَ يُسَلِّكُهَا مِنْ فِجَاجِ الْأَرْضِ ، بَاعُوا الْآخِرَةَ بِالْأُولَى ، وَاشْتَرَوْا الضَّلَالََةَ بِالْمُهْدَى ،
وَبَاعُوا الْبَصِيرَةَ بِالْعَمَى ، وَعَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ، حِينَ تَحُلُّ بِهِمُ النَّدَامَةُ ،
فَيَطْلُبُونَ الْإِقَالََةَ ! إِنَّهُ وَاللَّهِ مَنْ ضَلَّ عَنْ الْحَقِّ وَقَعَ فِي الْبَاطِلِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْكُنِ الْجَنَّةَ
نَزَلَ فِي النَّارِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الْأَكْيَاسَ ^(٦) اسْتَقْصَرُوا عُمرَ الدُّنْيَا فَرَفَضُوهَا ، وَاسْتَبْطَأُوا مُدَّةَ
الْآخِرَةِ فَسَمَوْا لَهَا ؛ فَاللَّهُ اللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ تَبْطُلَ الْحَقُوقُ ، وَتُعْطَلَ الْحُدُودُ ،
وَيُظْهَرَ الظَّالِمُونَ ، وَتَقْوَى كَلِمَةُ الشَّيْطَانِ . فَإِلَى أَيِّنَ تَرِيدُونَ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - عَنْ
ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَوْجِ ابْنَتِهِ وَأَبِي ابْنِهِ ^(٧) خُلِقَ مِنْ طِينَتِهِ ،

(١، ٢) بدر وأحد : واقتتان بين النبي والمشركين (٣) قوم معاوية . لأن عليا قتل كثيرا منهم
في وقتي بدر وأحد (٤) مستنفرة : نافرة (٥) القسور : الأسود ، والجمع قسورة (٦) الأكياس :
جمع كيس ، وهو العاقل (٧) تريد الحسن والحسين وهما ابنا فاطمة .

وَتَفَرَّعَ عَنْ تَبِعْتَهُ ، وَخَصَّهُ بِسَرِّهِ ، وَجَعَلَهُ بَابَ مَدِينَتِهِ ^(١) ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ يُؤَيِّدُهُ
اللَّهُ بِمَعُونَتِهِ ، وَيَمُضِي عَلَى سُنَنِ اسْتِقَامَتِهِ لَا يُعَرِّجُ ^(٢) لِرَاحَةِ اللَّذَاتِ .

وَهُوَ مُفَلِّقُ الْهَامِ ، وَمُكَسِّرُ الْأَصْنَامِ ، إِذْ صَلَّى وَالنَّاسُ مُشْرِقُونَ ، وَأَطَاعَ
وَالنَّاسُ مُرْتَابُونَ . فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قَتَلَ مُبَارِزِي بَدْرٍ ، وَأَفْنَى أَهْلَ أَحُدٍ ،
وَفَرَّقَى كَجَمْعِ هَوَازِنٍ ، فَيَالِهَا وَقَائِعَ زَرَعَتْ فِي قُلُوبِ قَوْمٍ نِفَاقًا ، وَرِدَّةً وَشَقَاقًا !
وَقَدْ اجْتَهَدْتُ فِي الْقَوْلِ ، وَبَالَغْتُ فِي النَّصِيحَةِ ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : وَاللَّهِ يَا أَمَّ الْخَيْرِ مَا أُرِدْتُ بِهِذَا إِلَّا قَتْلِي ! وَاللَّهُ لَوْ قَتَلْتُكَ
مَاحَرَجْتُ ^(٣) فِي ذَلِكَ .

قَالَتْ : وَاللَّهُ مَا يَسُوغُنِي يَا بَنَ هَذَا أَنْ يُجَرِّيَ اللَّهُ ذَلِكَ عَلَى يَدَيَّ مِنْ يُسْعِدُنِي
اللَّهُ بِشَقَائِهِ ، قَالَ : هِيَ بَات ، يَا كَثِيرَةَ الْفُضُولِ ! مَا تَقُولِينَ فِي عُمَانَ بْنِ عِفْصَانَ ؟
قَالَتْ : وَمَا عَسَيْتُ أَنْ أَقُولَ فِيهِ ! اسْتَخْلَفَهُ النَّاسُ وَهُمْ كَارِهُونَ ، وَقَتْلُوهُ وَهُمْ
رَاضُونَ ، فَقَالَ : لِمَ يَا أَمَّ الْخَيْرِ ، هَذَا ثَنَاؤُكَ الَّذِي تَنْهِنِينَ ؟ قَالَتْ : لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ ،
وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ، مَا أُرِدْتُ بِعُمَانَ نَقْصًا ، وَلَقَدْ كَانَ سَبَاقًا إِلَى الْخَيْرَاتِ ، وَإِنَّمَا
لِرَفِيعِ الدَّرَجَةِ .

قَالَ : فَمَا تَقُولِينَ فِي طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ؟ قَالَتْ : وَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ فِي طَلْحَةَ ؟
اغْتِيلَ مِنْ مَأْمَنِهِ ، وَأُنِّي مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْذَرْ ؛ وَقَدْ وَعَدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الْجَنَّةَ . قَالَ : فَمَا تَقُولِينَ فِي الرَّثِيمِ ؟ قَالَتْ : يَا هَذَا ؛ لَا تَدْعُنِي كَرَجِيمِ الصَّبِيغِ يُعْرَكَ

(١) لَهَا تَشْبِيرٌ إِلَى مَا يَرَوْنَ عَنِ النَّبِيِّ : أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَى بَابِهَا (٢) لَا يَمُرُّ : لَا يَمِيلُ .

(٣) مَاحَرَجْتُ : مَا أَثَمْتُ .

في المَرْكَنِ^(١) ، قال : حَقَّ الْقَوْلُ لِنَّ ذَٰلِكَ ، وَقَدْ عَزَمْتُ^(٢) عَلَيْكَ . قَالَتْ : وَمَا عَسَيْتُ
أَنْ قَوْلَ فِي الزَّيْرِ ابْنِ عَمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَوَارِيَّةِ^(٣) ؟ وَقَدْ شَهِدَ
لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ ، وَلَقَدْ كَانَ سَبَّاقًا إِلَى كُلِّ مَكْرُمَةٍ فِي الْإِسْلَامِ .
وَأِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللَّهِ يَا مَعَاوِيَةَ ، فَإِنْ قَرِيشًا مُخَدِّثُ أَنْكَ مِنْ أَحْلَمِهَا - أَنْ تَسَمِّنِي
بِفَضْلِ حِلْمِكَ ، وَأَنْ تُنْفِئَنِي مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ ، وَأَمْضِي لِمَا شِئْتَ مِنْ غَيْرِهَا . قَالَ :
نَعَمْ وَكَرَامَةً ، قَدْ أَغْفَيْتُكَ . وَرَدَّهَا مَكْرَمَةً إِلَى بِلْدِهَا .

(١) المَرْكَنُ : الإِنَاءُ يُنْسَلُ فِيهِ الثِّيَابُ . وَيَمْرُكُ . يَحْكُ . وَالرَّجِيعُ : الْمُرْدُودُ ، أَيْ لَا تَجْمَلُنِي كَالْثَوْبِ
الْمُصْبُوغِ ، يَحْكُ فِي الْإِنَاءِ مَرَّةً أُخْرَى لِإِخْرَاجِ صَبْغِهِ مِنْهُ ؛ تَشْبَهُ عَمَّاوِيَةَ مَعَاوِيَةَ لِأَيَّاهَا وَسْؤَالُهَا
مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ لِاسْتِخْرَاجِ مَا فِي قَبْضِهَا بِمَا يُنْسَلُ مِنَ الثِّيَابِ الْمَصْبُوغَةِ لِاسْتِخْرَاجِ صَبْغِهَا مِنْهَا .
(٢) أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ (٢) الْحَوَارِيُّ : نَاصِرُ الْأَنْبِيَاءِ .

٤٤ — سودة بنت عماره عند معاوية *

وفدت سودة بنت عماره على معاوية بن أبي سفيان ، فاستأذنت عليه فأذن لها .
فلما دخلت سلمت عليه ، فقال لها : كيف أنت يا سودة ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين ،
قال لها : أنت القائلة يوم صفين ^(١) :

شمر كفعل أليك يا بن عماره	يوم الطعان ومُلتقى الأقران ^(٢)
وانعز عليا والحسين ورهطه	واقصده لهند وابنها بهوان ^(٣)
إن الإمام أبا النبي محمد	علم الهدى ومنارة الإيمان
فقه الختوف وسير أمام لوائه ^(٤)	قدما بأبيض صارم وستان ^(٥)

قالت : إى والله ، مامئلى من رغب عن الحق ، أو اعتذر بالكذب ! قال لها :
فما حملك على ذلك ؟ قالت : حب على ، واتباع الحق . قال : فوالله ما أرى عليك
من أثر على شيئا . قالت : أنشدك الله يا أمير المؤمنين ؛ مات الرأس ، وبتر الذنب ،
فدع عنك إعادة ما مضى ، وتذكّر ما قد نسى ! قال : هيهات ! ليس مثل مقام
أخيك يُنسى ! وما لقيت من أحد ما لقيت من قومك وأخيك ! قالت : صدق
فوك والله يا أمير المؤمنين ؛ ما كان أخى ذميم المقام ، ولا خفى المكان ، ولكن
كما قالت الخنساء :

* العقد الفريد : ١ - ٢١١ ، بلاغات النساء : ٣٥

(١) هو يوم من أيام الحرب بين على ومعاوية (٢) الأقران : الأكفاء

(٣) هند : أم معاوية . (٤) الختوف : الناي . (٥) الصارم : السيف القاطع ، والستان :

ستان الريمج .

وإن صَخْرًا لتَأْتُمُّهُ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ

وبالله أسأل يا أمير المؤمنين إغفائي مما استغفيتُ منه ! قال : قد فعلت ، فقولي حاجتك ! قالت : يا أمير المؤمنين ؛ إنك أصبحت للناس سيداً ، ولأمرهم متقلداً ، والله سائلك عما افترض عليك من حقنا ، ولا تزال تُقدِّم علينا من ينهض بعزك ، ويبطش بسُلطانك ، فيخصدنا حصَادَ السُّنْبُلِ ، ويدُوسنا دِباسَ البقر ، ويسومنا الخِيسَةَ ، ويسلبنا الجليلة ؛ هذا ابن أَرْطَاةَ ^(١) قدم علينا من قبلك قتل رجالى ، وأخذ مالى ، يقول لى : فوهى بما أستمصمُ الله منه ، وألجأ إليه فيه ^(٢) ، ولولا الطاعة لكان فينا عزٌّ ومنعة ! فإما عزله فشكرناك ، وإمّا لا عرفناك !

فقال معاوية : إيتاى تهديدٍ بقومك ! والله لقد هممت أن أردك إليه على قَتَبِ أَشْرَسَ ^(٣) ، فينفذ حكمه فيك . فأطرقتُ تبكى ، ثم أنشأت تقول :

صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى رُوحِ تَضَيَّنْهُ قَبْرٌ فَأَصْبَحَ فِيهِ الْعَدْلُ مَدْفُونًا
قَدْ حَالَفَ الْحَقُّ لَا يَبْنِي بِهِ بَدَلًا فَصَارَ بِالْحَقِّ وَالْإِيمَانِ مَقْرُونًا

قال لها : ومن ذلك ؟ قالت : على بن أبى طالب رحمه الله تعالى ، قال : وما صنع بك حتى صار عندك كذلك ! قالت : أتيتهُ يوماً فى رجل ولّاه صدقاتنا ، فكان يبتناوينه ما بين النثِّ والسمين ، فوجدته قائماً يعلى ، فأنفثلَ عن الصلاة ^(٤) ، ثم قال برأفة وتعطف : ألك حاجة ؟ فأخبرته خبرَ الرجل ، فبكى ، ثم رفع يديه إلى السماء ، فقال : اللهم إنك أنتَ الشاهدُ علىّ وعليهم ، إني لم آمرهم بظلم خلقك ،

(١) ابن أَرْطَاة : بسر بن أَرْطَاة كان معاوية سيره إلى الحجاز واليمن ليقْتُلَ شِيعَةَ عِلى ويأخذ البيعة له .

(٢) تعنى أنه يطلب منها أن تسب علياً (٣) القتب : الإكاف على قدر سنام البحر ، والمراد نفس البعير بدليل الصفة بعده ، وأشرس : لم يرض (٤) أنفثل عن صلاته : انصرف .

ولا يترك حقك ؛ ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب ، فكتب فيه :
 « بسم الله الرحمن الرحيم . (قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ
 وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا^(١) النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا
 ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) . إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في
 يدك حتى يأتي من يقبضه منك ، والسلام .

فأخذته منه يا أمير المؤمنين ، ماخرمه بخزام ، ولا ختمه بختام .
 فقال معاوية . اكتبوا بالإنصاف لها والعدل عليها . قالت : ألي خاصة أم لقوى
 عامة ؟ قال : وما أنت وغيرك ! قالت : هي والله إذن الفحشاء واللؤم ؛ إن كان
 عدلا شاملا وإلا يسعني مايسع قومي .

قال : هيهات ، لفظكم^(٢) ابن أبي طالب الجرأة ، وغركم قوله :
 فلو كنتُ بواباً على باب جنةٍ لقلتُ لهُمْدَانِ ادخلوا بسلام
 اكتبوا لها ولقومها .

(١) القسط : العدل ، والبخس : النقص والظلم (٢) لفظه : ذوقه .

٤٥ — مثلك من قدر فمعا *

لما وَلِيَ معاويةُ الخلافةَ ، وانتظمت إليه الأمور ، وامتلات منه الصدور ، وأذعن لأمره الجمهور ، وساعده الله في مُرادِه ، استحضر ليلَةَ خواص أصحابِه ، وذاكرهم وقائعَ أيامِ صِفِّينَ ، وَمَنْ كان يتولَّى كِبَرَ الكريهةِ مِنَ المعروفينَ ، فانهمكوا في القول الصحيح والبريظ ، وآلَ حديثهم إلى مَنْ كان يجتهدُ في إيقادِ نارِ الحربِ عليهم زيادةَ التحريضِ . فقالوا : امرأةٌ من أهلِ الكوفةِ تسمَّى الزرقاءُ^(١) بنتُ عدى ، كانت تَعْتَمِدُ الوقوفَ بين الصفوفِ ، وترفعُ صوتها صارخةً : يا أصحابَ عليٍّ ! تسميهم كلاماً كالصوارمِ ، مستحثةً لهم بقولِ لو سمىه الجبانُ لقاتلَ ، والمذبرُ لأقبلَ ، والمسايلُ لحاربَ ، والنفارُ لكرَ ، والمتزلزلُ لاستقرَّ .

فقال لهم معاوية : أيكم يحفظُ كلامها ؟ قالوا : كلُّنا نحفظه . قال : فما تشيرونَ عليٍّ فيها ؟ قالوا : نشيرُ بقتلها ، فإنها أهلُ لذلك . فقال لهم معاوية : بئسَ ما أشرتمُ به ، وقُبْحاً لما قلتم : أيحسنُ أن يَشْتَهَرَ عني أنني بعد ما ظفرت وقدرتُ قتلْتُ امرأةً قد وفَّتْ لصاحبها ! إني إذنُ للثيمِ ، لا والله لا فعلتُ ذلك أبداً .

ثم دعا بكتابهِ فكتب كتاباً إلى واليهِ بالكوفة : أن أُنْذِرَ إلى الزرقاءِ

* العقد الفريد : ١-٢١٤ ، بلاغات النساء : ٣٧

(١) هي الزرقاء بنت عدى بن غالب بن قيس الهمدانية . من أهل الكوفة ، كانت ذات شجاعة فائقة ، وبلاغة فادرة ، شهدت مع قومها واقعة صفين ، ولها عدة خطب تعرض الناس فيها على القتال ضد معاوية .

بنت عدى ، مع فرس من عشرتها وفرسان من قومها ، ومهد لها وطاء لينا ومركبا ذلولا .

فلما ورد عليه الكتاب ركب إليها وقرأه عليها . فقالت بعد قراءة الكتاب : ما أنا بزائفة عن الطاعة . فحملها في هودج ، وجعل غشاه خزا مبطنًا ، ثم أحسن صُحْبَتَهَا .

فلما قدمت على معاوية ، قال لها : مرحبًا وأهلاً ! خيرَ مَقْدَمٍ قَدِمَهُ وافدٌ . كيف حالك ياخالة ؟ وكيف رأيت سيرك ؟ قالت : ربيبة ^(١) يت أو طفلًا مهادًا . فقال : بذلك أمرناهم . هل تعلمين لِمَ بعثُ إليك ؟ قالت : وأتى لى بعلم ما لم أعلم ! لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى . قال : ألسنِ الراكبة الجمل الأحمر يوم صِفِّين وأنت بين الصفوف توقدين نار الحرب ، وتُحَرِّضِينَ على القتال ! قالت : نعم . قال : فما حملك على ذلك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، إنه قد مات الرأس وبتر الذئب ، ولن يعود ما ذهب ، والدَّهْرُ ذو غير ، ومن تفكَّر أبصر ، والأمر يحدث بعده الأمر .

فقال : صدقت ، فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلت ؟ قالت : لا والله ، ولقد أنسيته . قال : لله أبوك ! فلقد سمعتك تقولين : أيها الناس ، ارعوا وارجعوا ! إنكم أصبحتم في فتنة غشتكم جلايب الظلم ، وجارت بكم عن قصد المحجة ، فيا لها فتنة عياء صماء بكاء ، لا تسمع لنا عقيها ، ولا تسلس لقائدها !

إن المصباح لا يضى^٢ في الشمس ، وإن الكواكب لا تنير مع القمر ، وإن البغل لا يسبق الفرس ، ولا يُقطع الحديد إلا بالحديد ، ألا من استرشدنا أرشدناه ، ومن سألنا أخبرناه !

(١) الزبيب : الملك والسبد .

أيها الناس ، إن الحقَّ كان يطلب ضالَّتهُ فأصابها . فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار على الفُصص ! فكأنكم وقد التأمَّ شملُ الشَّتات ، وظهرت كلمة العدل ، وغلبَ الحقُّ باطله . فإنه لا يستوى الحقُّ والباطل . أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً ! لا يَسْتَوْن . فالنَّزَالُ النَّزَالُ ، والصبرُ الصبرُ ! ألا إن خِصَابَ النساءِ الحِنَاءِ ، وخِصَابَ الرجالِ السماء . والصبرُ خيرُ الأمور عاقبة ، اثقوا الحرب غير ناكسين ؛ فهذا يومٌ له ما بعده !

ثم قال : يا زرقاء ، أليس هذا قولك وتحريضك ؟ قالت : لقد كان ذلك ! قال : لقد شاركتِ عليّاً في كلِّ دَمٍ سفكه . فقالت : أحسن الله بشارتك أمير المؤمنين ، وأدام سلامتك ، فمثلك من بَشَّرَ بخير ، وسرَّ جليسه .

فقال معاوية : أوبسركِ ذلك ؟ قالت : نعم ، والله لقد سرني قولك ، وأنى لي بتصديق الفعل ! فضحك معاوية وقال : والله لو فاؤكم له بعد موته أعجبُ عندي من حبكم له في حياته ؛ اذكرى حاجتك ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ إنى آليت على نفسي ألا أسأل أحداً أعنتُ عليه أبداً . فقال : قد أشار على بعض من عرفك بقتلك . فقالت : لوؤمُّ من المشير ، ولو أطمعته لشاركته . قال : كلا ، بل نفعو عنك ، ونحسن إليك وترعاك . فقالت : يا أمير المؤمنين ، كرمٌ منك ومثلك من قدَّرَ فعفا ، وتجاوز عن أساء ، وأعطى من غير مسألة .

فأعطاهما كسوةً ودرام ، وأقطعها ضيعة تُقِلُّ^(١) لها في كلِّ سنةٍ عشرة آلاف درهم ، وأعادها إلى وطنها سالمةً ، وكتب إلى والي الكوفةِ بالوصية بها وبعتيرتها .

(١) تقل : تفتح .

٤٦- نَبِّهْكُمْ عَلَى !*

يروى أن عِكْرَ شَةَ بِنْتَ الْأَطْرَشِ دخلت على معاوية مُتَوَكِّئَةً عَلَى عُكَّازٍ لها ، فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ بِالْخُلَافَةِ ، ثُمَّ جَلَسَتْ ، فَقَالَ لَهَا معاوية : الْآنَ صِرْتُ عِنْدَكَ أمير المؤمنين ! قالت : نعم ، إِذْ لَا عَلَىَّ حَيٌّ ؟ قال : أَلَسْتَ الْمُتَقَلِّدَةَ حَامِلَةَ السِّيفِ بِصَفَيْنَ^(١) وَأَنْتِ وَاقِفَةٌ بَيْنَ الصَّفَيْنِ تَقُولِينَ :

أَيُّهَا النَّاسُ ، عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا هَدَيْتُمْ ؛ إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَحْزَنُ مَنْ قَطَّنَهَا ، وَلَا يَهْرَمُ مَنْ سَكَّنَهَا ، وَلَا يَمُوتُ مَنْ دَخَلَهَا ؛ فَابْتَاعُوا بِأَبْدَانِهِمْ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا ، وَلَا تَنْصَرِمَ هُمُومُهَا . وَكُونُوا قَوْمًا مُسْتَبْصِرِينَ فِي دِينِهِمْ ، مُسْتَظْهِرِينَ عَلَى حَقِّهِمْ .

إِنَّ معاوية دَلَّفَ إِلَيْكُمْ بِعَجْمِ الْعَرَبِ ، لَا يَفْقَهُونَ الْإِيمَانَ ، وَلَا يَذَرُونَ مَا الْحِكْمَةُ ، دَعَاهُمْ إِلَى الْبَاطِلِ فَأَجَابُوهُ ، وَاسْتَدْعَاهُمْ إِلَى الدُّنْيَا فَلَبَّوْهُ ، قَالَ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ فِي دِينِ اللَّهِ ! وَإِيَّاكُمْ وَالتَّوَكُّلَ كُلَّ فَإِنَّ ذَلِكَ يَنْقُضُ عُرَا الْإِسْلَامِ ، وَيُطْفِئُ نَوْرَ الْحَقِّ . هَذِهِ بَذَرُ الصُّغْرَى ، وَالْعَقَبَةُ الْآخَرَى . يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ؛ امْضُوا عَلَى بَصِيرَتِكُمْ ، وَاصْبِرُوا عَلَى عَزِيمَتِكُمْ ، فَكَأَنِّي بِكُمْ غَدًا وَقَدْ لَقِيتُمْ أَهْلَ الشَّامِ كَالْحُمْرِ النَّاهِقَةِ ، تَقْصَعُ قِصْعَ الْبَعِيرِ^(٢) .

* بلاغات النساء : ٤١ ، العقد الفريد : ١-٢١٦

(١) موضع قرب الرقة بشاطئ الفرات كانت به الوقعة العظمى بين علي ومعاوية في غرة صفر سنة ٣٧ هجرية (٢) يقال : قصع البعير بجمرته يقصع قصعا : مضها .

سم قال : فكأنني أراك على عصاك هذه قد انكفأ^(١) عليك المسكران يقولون : هذه عكرشة بنت الأطرش ، فإن كدت لتفلين^(٢) أهل الشام لولا قدر الله ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً ، فما حلك على ذلك ؟

قالت : يا أمير المؤمنين ؛ يقول الله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عفا الله عنها والله غفورٌ حلیمٌ ﴾ . وإن الليب إذا كره أمراً لا يحب إعادته .

قال : صدقت ، فاذكري حاجتك . قالت : كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فترد على فقرائنا ، وقد فقدنا ذلك ، فما يجبر لنا كسبر ، ولا ينمش لنا فقير ، فإن كان عن رأيك فمثلك من انتبه من الغفلة وراجع التوبة ، وإن كان من غير رأيك فما مثلك من استعان بالخوانة ، ولا استعمل الظلمة .

قال معاوية : يا هذه ؛ إنه ينوء بنا عن أمور رعييتنا نفور تفتق ؛ وبحور تندفق . قالت : سبحان الله ! والله ما فرض الله لنا حقاً فجعل فيه ضراراً لغيرنا وهو علام الغيوب . قال معاوية : هيهات يأهل العراق ! نبهكم على فلن تطاقوا :

ثم أمر برد صدقاتهم فيهم وإنصافهم .

(١) انكفأ : رجع (٢) فل الجبش : هزمه .

٤٧ — وهل أحلُّ عندك محل علي*

حج معاوية سنة من سنيه ، فسأل عن امرأة من بنى كنانة كانت تنزل بالحبون^(١) ، يقال لها : دارميّة الحبونيّة ، وكانت سوداء كثيرة اللحم ، فأخبر بسلامتها ، فبعث إليها فجيء بها . فقال : ما حالك يا بنتَ حام ؟ فقالت : لست لحام إن عيّنتي ؛ إنما أنا امرأة من بنى كنانة ثُمّت من بنى أبيك . قال : صدقت ، أتدريين لِمَ بعثتُ إليك ؟ قالت : لا يعلمُ الغيبَ إلا الله . قال : بعثتُ إليك لأُسألك : علامَ أحببتُ عليّاً وأبغضتني ، وواليتّه وعاديتني ؟ قالت : أو تعفيني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا أعفيك . قالت : أما إذ آيت ، فإني أحببتُ عليّاً على عدله في الرعية ، وقسمه بالسوية ، وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر ، وطلبتك^(٢) ما ليس لك بحق ، وواليتُ عليّاً على ما عقد له رسول الله من الولاء ، وعلى حبه المساكين ، وإعظامه لأهل الدين ؛ وعاديتك على سفكك الدماء ، وشقك العصا ، وجورك في القضاء ، وحكك بالهوى .

قال : فلذلك انتفخ بطنك ! قالت : يا هذا ؛ بهند^(٣) والله كان يُضرب المثل في ذلك لأبي . قال معاوية : يا هذه ، اربعي^(٤) ، فإننا لم نقل إلا خيراً . فرجعت وسكنت .

* المقد الفريد : ١ - ١٣٢ ، صبح الأعشى : ١ - ٢٥٩ ، بلاغات النساء : ٦٧
(١) الحبون : جبل بمكة (٢) الطلبة : الطلب (٣) هند : أم معاوية (٤) ربح : وقف وانتظر وتعبس .

فقال لها : يا هذه ، هل رأيتِ علياً ؟ قالت : إى والله لقد رأيته . قال : فكيف رأيته ؟ قالت : رأيته والله لم يفتنه الملكُ الذى فتنتك ، ولم تشغله النعمة التى شغلتنك . قال : هل سمعتِ كلامه ؟ قالت : نعم والله ، كان يجلو القلوب من العمى ، كما يجلو الزيتُ الصداً .

قال : صدقت ، فهل لك من حاجة ؟ قالت : أو تفعل إذا سألتك ؟ قال : نعم . قالت : تعطينى مائة ناقة حراء فيها فحلها وراعيها . قال : تصنعين بها ماذا ؟ قالت : أغزو بالبانها الصغار ، وأستحيى بها الكبار ، وأكتسب بها المكارم ، وأصلح بها بين العشائر . قال : فإن أعطيتك ذلك فهل أحلٌ عندك محلّ على ؟ قالت : ماء ولا كصداء^(١) ، ومرعى ولا كالسعدان^(٢) ، وفتى ولا كاللك^(٣) ، سبحان الله ! أو دونه ؟ فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أعد بالحلم منى عليكم فن ذا الذى بعدى يؤمّل للحلم !
خديها هنيئاً ، واذكرى فعلَ ماجدٍ جزاك على حرب العداوة بالسلم
ثم قال : أما والله لو كان على حيّ ما أعطاك منها شيئاً ، قالت : لا والله ولا وبرةً واحدة من مال المسلمين !

(١) صداء : عين لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها (٢) السعدان : نبت ذو شوك ، وهو من أفضل مراعى الإبل (٣) قاله متمم بن نويرة فى أخيه مالك لما قتل فى الردة ، والأمثال الثلاثة تضرب للشيء يفضل على أقرانه .

٤٨ — نَبَّحْتَنِي كَلَابِكَ*

استأذنت بكارة الهلالية على معاوية بن أبي سفيان فأذن لها - وهو يومئذ بالمدينة - وعنده مروان بن الحكم ، وعمرو بن العاص - فدخلت عليه ، وكانت امرأة قد أسنت ، وعشى^(١) بصرها ، وضعت قوسها ، ترعش بين خادمين لها ، فسلمت وجلست ، فرد عليها معاوية السلام . وقال : كيف أنت يا خالة ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين ! قال : غَيْرِكَ الدهرُ . قالت : كذلك هو ذُو غير^(٢) ، مَنْ عاش كبير ، ومن مات قَبْر ! قال عمرو بن العاص : هي والله القائلة يا أمير المؤمنين يوم صفين :

يازيدُ دونك فاحتر من دارنا سيفاً حُساماً في التراب دفيناً^(٣)

قد كنتُ أدخرُهُ ليوم كريمةٍ فالיוםُ أبْرَزَهُ الزمانُ مَصُوناً^(٤)

قال مروان : هي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

أترى ابن هندٍ للخلافة مالِكاً هيهات ذاك - وإن أراد - بعيداً^(٥)

منتك نفسك في الخلاء ضلالةً أغراك عمرو للشقا وسعيداً

قال سعيد بن العاص : هي والله القائلة :

قد كنتُ أطمعُ أن أموتَ ولا أرى فوق المنابر من أميةً خاطباً

* بلاغات النساء : ٤٠ ، القد الفريد : ١ - ٢١٢

(١) عشى بصرها : ضف (٢) غير الدهر : أحواله المتغيرة (٣) احتفر الشيء : قاه كما تحفر الأرض بالمجديدة (٤) أدخره (٥) أي معاوية .

قَالَهُ أَخْرُمْدَتِي فَتَطَاوَلْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ مَجَائِبًا
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلزَّمَانِ خُطِيبُهُمْ بَيْنَ الْجَمِيعِ لَأَلِ أَحْمَدَ طَائِبًا
ثُمَّ سَكَتُوا فَقَالَتْ بَكَارَةٌ : نَبَحَتْكِ كِلَابُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاعْتَوَرْتَنِي ^(١) ،
قَهْمُورِي مَحْجَنِي ^(٢) ، وَكَثْرَ عَجَبِي ، وَعَشَى بَصْرِي .
وَأَنَا وَاللَّهِ قَائِلَةٌ مَا قَالُوا ، لَا أَدْفَعُ ذَلِكَ بِتَكْذِيبٍ ، وَمَا خَفَى عَلَيْكَ مِنِّي أَكْثَرُ ،
فَامْضِ لِشَأْنِكَ ، فَلَا خَيْرَ فِي الْعِيشِ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَضَحَكَ مَعَاوِيَةُ ، وَقَالَ :
لَيْسَ يَمْنَعُنَا ذَلِكَ مِنْ بَرِّكَ . اذْكُرِي حَاجَتَكَ : قَالَتْ : أَمَا الْآنَ فَلَا .

(١) اعتورتني : تناوبتني (٢) المحجن : العما المقنونة الرأس .

٤٩ — أرؤى بنت الحارث *

دخلت أرؤى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية ، وهي عجوز ، فلما رآها معاوية قال : مرحباً بك وأهلاً يا عمّة ! فكيف كنت بعدنا ؟ قالت : يا بن أخي ! لقد كفرت بالنعمة ، وأسأت لابن عمك ^(١) الضحبة ، وتسميت بنير اسمك ، وأخذت ^(٢) غير حقك ، من غير بلاء كان منك ولا من آبائك ، ولا سابقة في الإسلام ، بعد أن كفرتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتعس ^(٣) الله منكم الجلود ، وأضرع منكم الخلود ، وردّ الحق إلى أهله ، ولو كره المشركون !

وكانت كلمتنا هي العليا ، ونبينا ، صلى الله عليه وسلم هو المنصور على من ناواه ، ولو كره المشركون ؛ فكنا — أهل البيت — أعظم الناس في الدين حظاً وصيباً وقدرأ ، حتى قبض الله نبيه ، فوُلّيتم علينا من بعده ، وتحتجّون بقرابتكم من رسول الله ، ونحن أقرب إليه منكم ، وأولى بهذا الأمر ، فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون ؛ وكان على بن أبي طالب — رحمه الله — بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى ؛ فغايبتنا الجنة ، وغايبتكم النار .

وقال لها عمرو بن العاص : كُفّي أيتها العجوز الضالة ! وأقصرى عن قولك ، وغضّي من طرفك !

* المقد الفريد : ١ - ٢١٩ ، بلاغات النساء : ٣٢ .
(١) تريد على بن أبي طالب (٢) تشير إلى أخذه الخلافة (٣) أتعس : أهلك ، أو أعثر .
والجلود : الخطوط .

قالت : وأنت يا عمرو تتكلم ! اغنِ بشأن نفسك ؛ فوالله ما أنت من قريش في اللباب من حسبيها ، ولا كريم منصبيها . وأملك كانت أشهر امرأة تُغنى بمكة ، وآخذهن لأجرة !

فقال مروان : كفى أيتها البيرة ! أقصرى لما جئت له . فقالت : وأنت أيضاً يابن الزرقاء تتكلم ! ثم التفتت إلى معاوية فقالت : والله برأ على هؤلاء غيرك ! وإن أملك القائلة في قتل حمزة :

نحن جزيناً لكم يوم بدرٍ والحربُ بعد الحرب ذاتُ سُعرٍ ^(١)
 ما كان، عن عُتْبةٍ نى من صبرٍ أبى وعمى وأخى وصهرى ^(٢)
 شفيت وحشى غليل صدرى شفيت نفسى وقضيت نذرى ^(٣)
 فشكرُ وحشى على دهرى حتى تريم أعظمى فى قبرى

فقال معاوية لمروان وعمرو : ويلكما ! أتما عرضتاني لما وأسمعتاني ما أكره ، ثم قال لها : يا عمة ! اقصدى قصد حاجتك ، ودعى عنك أساطير النساء ، قالت : تأمر لى بألفى دينار ، وألفى دينار ، وألفى دينار ! قال : ماتصنعين يا عمة بألفى دينار ؟ قالت : أشتري بها عيناً خرخارة ^(٤) فى أرض خوار ^(٥) ، تكون لولد الحارث ابن عبد المطلب ! قال : نعم الموضع وضعتها ؛ فما تصنعين بألفى دينار ؟ قالت : أستعين بها على عُسر المدينة ، وزيارة بيت الله الحرام ! قال : نعم الموضع وضعتها ! فما تصنعين بألفى دينار ؟ قالت : أزوّج بها فتيان عبد المطلب من أكفائهم . قال : نعم الموضع وضعتها ! هى لك !

(١) ذات سعر ؛ من سعر الحرب : أوقدها (٢) تنبى إلى من قتل من بنى أمية يوم بدر (٣) وحشى : قاتل حمز . يوم أحد (٤) خرخارة : عين ماء جارية (٥) خوار : منخفضة ، والمراد : أرض للزراعة ليست وعرة .

ثم قال لها : والله لكان على ما أمر لك به !! قالت : صدقت ، إن علياً أدى الأمانة ؛ وعمل بأمر الله ، وأخذ به ، وأنت ضيعت أمانتك ، وخنت الله في ماله ، فأعطيت مال الله من لا يستحقه ، وقد فرض الله في كتابه الحقوق لأهلها وبينها ، فلم تأخذ بها ؛ ودعانا على إلى أخذ حقنا الذي فرض الله لنا فشغل بحربك عن وضع الأمور مواضعها ! وما سألتك من مالك شيئاً ! فتمنّ به ؛ إنما سألتك من حقنا ، ولا نرى أخذ شيء غير حقنا : أتذكرُ علياً قضى الله فاك ! ثم علا نبيها وقالت :

ألا ياعينُ ويحكِ أسعدينا ألا وابكى أمير المؤمنين
رُزينا خير من ركب المطايا وفارسها ومن ركب السفينا^(١)
ومن لبس النعال أو احتذاها ومن قرأ المثاني والمئينا^(٢)
فأمر لها بستة آلاف ديناً وقال لها : ياعمة ؛ أنفق هذه فيما تحبين ، فإذا
احتجتِ فاكتبي إلى ابن أخيك يُحسن صَفَدَكَ^(٣) ومعونتك إن شاء الله !

(١) رزينا : أصبنا (٢) المثاني : آيات القرآن (٣) الصند : العطاء .

٥٠ - أم سنان تشكو مروان *

حبس مروان^(١) بن الحكم ، وهو والى المدينة غلاماً من بنى ليث ، فى جناية جناها بالمدينة ، فأتته جدّة الغلام - وهى أم سنان بنت خيثمة المذحجية - فكلمته فى الغلام ، فأغلظ لها ؛ فخرجت إلى معاوية ، فدخلت عليه فانتسبت له فعرقها ، فقال لها : مرحبا يا بنت خيثمة ؛ ما أقدمك أرضنا وقد عهدتكم تشلتين^(٢) قُرْبى ، وتحضين^(٣) على عدوى !

قالت : يا أمير المؤمنين ! إن لبنى عبد مناف أخلاقاً طاهرة ، وأحلاماً وافرة ، لا يجهلون بعد علم ، ولا يسفهنون بعد حلم ، ولا ينتقمون بعد عفو ، وإن أولى الناس باتباع ماسن آباؤه لأنت . قال : صدقت ! نحن كذلك ، فكيف قولك^(٤) :

عَزَبَ الرِّقَادُ ، فَقُلْتُ لَا تَرَقُدُ وَاللَّيْلُ يُصْدِرُ بِالْهُمُومِ وَيُورِدُ^(٥)
يَا آلَ مَذْحِجٍ لَا مُقَامَ فَشَمَرُوا إِنَّ الْعَدُوَّ لَأَلٍ أَحْمَدُ يَقْصِدُ
هَذَا عَلَى كَالْهَلَالِ تَحْفُهُ وَسَطَ السَّمَاءِ مِنَ الْكُوكِبِ اسْتَعْدُ^(٦)
خَيْرُ الْخَلَائِقِ وَابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ إِنْ يَهْدِ كُمْ بِالنُّورِ مِنْهُ تَهْتَدُوا
مَازَالَ مُذْ شَهِدَ الْحُرُوبَ مَظْفَرًا وَالتَّصَرُّ فَوْقَ لَوَائِهِ مَا يُفْقَدُ

* العقد الفريد : ١ - ٢١٤ ، بلاغات النساء : ٦٨

(١) ولد مروان بن الحكم سنة ٢ هـ وأسلم أبوه الحكم يوم الفتح ، فنشأ مروان مسلماً ، وكتب لعثمان فى خلافته ، وولى معاوية المدينة مرات ، وبويع بالخلافة ولكن لم تطل مدته فيها ومات سنة ٦٥ هـ (٢) تشلتين قرى : تحضين (٣) تحضين : تذكرها بقولها فى الحرب التى كانت بينه وبين على بن أبى طالب لأنها كانت من شيعة على (٥) عزب : بعد (٦) سعود النجوم عشرة : منها سعد النابغ وسعد السعود . وهى تشير إلى صحابة على .

قالت : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ؛ وأرجو أن تكون لنا خلفاً ! فقال رجل من جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين ، وهى القائلة أيضا ؟

إِنَّمَا هَلَكْتَ أبا الحسين فلم تَزَلْ بالحقِّ تُعرَفْ هاديا مَهْدِيًّا
فأذهب، عليك صلاةُ ربك مادَعْتَ فوقَ الفصون حمامةً قَرِيًّا^(١)
قد كُنْتَ بعدَ محمدٍ خَلْفًا كما أوصى إِلَيْكَ بنا ، فكنتَ وفِيًّا
فاليوم لا خَلْفٌ يُؤمِّلُ بعده هِيَّاتِ تَأْمُلُ بعده إنْسِيًّا
قالت : يا أمير المؤمنين ؛ لسانُ نطق ، وقول صدق ، ولئن تحقَّقَ فيك ماظنُّنا ،
فخطُّك الأوفر ، والله ما وَرَثَتِكَ الشَّانُ^(٢) في قلوب المسلمين إِلَّا هَوْلًا ، فأدْحِضْ
مقاتِلَهُمْ ؛ وأبعدْ منزلتهم ، فإنَّكَ إن فعلتَ ذلك تَزِدُّدَ من الله قربًا ، ومن
المؤمنين حُبًّا .

قال : وإِنَّكَ لتقولين ذلك لعلَّ : يا سبحان الله ! والله ما مثلك مُدِحٌ بباطل ،
ولا اعتذرَ إِلَيْهِ بكذب ؛ وإِنَّكَ لتعلم ذلك من رأينا ، وضمير قلوبنا .

كان والله على أَحَبِّ إِلَيْنَا منك ، وأنتَ أَحَبُّ إِلَيْنَا من غيرك . قال : بمن ؟
قالت : من مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص . قال : وبِمِ استحققتَ ذلك
عندك ؟ قالت : بسعةِ حِلْمِكَ ، وكرِيمِ عَفْوِكَ . قال : فإنَّهما يَطْمَعَانِ في ذلك ؟
قالت : هما والله من الرأى على مثل ما كنتَ عليه لعثمان بن عفان رحمه
الله تعالى^(٣) .

قال : والله لقد قاربتِ ؛ فما حاجتك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ؛ إن مروان
تَبَنَّىكَ^(٤) بالمدينة تَبَنَّىكَ مَنْ لا يريدُ منها البرَّاحَ ، لا يحكمُ بعدلٍ ، ولا يقضى بسُنَّةٍ ، يتَّبِعُ

(١) القمري : نوع من الحمام (٢) الشَّان : البفض (٣) تريد أنهما يأملان الخلافة بعدك كما
كنت تأملها بعد عثمان (٤) تبَنَّى : أقام .

عثراتِ الملهين ، ويكشفُ عَوَراتِ المؤمنين ، حبس ابن ابني فأتيتُه ،
فقال : كنتِ وكنتِ ، فألقمتُه أحسنَ من الحجر ، وألقمتُه أمرَ من الصبر ،
ثم رجعتُ إلى نفسي باللائمة ، وقلت : لم لا أصرف ذلك إلى من هو أولى منه
بالعفو عنه !

فأتيتُكِ يا أميرَ المؤمنين ؛ لتكونِ في أمرى ناظراً ، وعليه مُعدياً ^(١) . قال :
صدقتِ ، لا أسألكِ عن ذنبه ، ولا عن القيامِ بحُجَّتِه ، اكتبوا لها بإطلاقه .
قالت : يا أميرَ المؤمنين ؛ وأنَّى لي بالرجمة ^(٢) ! وقد نفذ زادي ، وكلَّت راحلتي !
فأمر لها برحلة وخمسة آلاف درهم .

(١) معدياً : معيناً فاصراً (٢) الرجمة : الرجوع .

٥١ — ليلي الأخيلية عند معاوية*

بيننا معاوية يسير إذ رأى راكباً ؛ فقال لبعض شُرطه : اثنى به ، وإيّاك أن
تروّعه^(١) فأتاه فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : إياه أردتُ .

فلما دنا الراكبُ حَذَرَ^(٢) لثامه ، فإذا ليلي الأخيلية^(٣) ، فأنشأت تقول :

معاوى لم أ كدّ آتيك تهوى برحلي نحو ساحتك الركابُ
تجوبُ الأرضَ نحوك ما تأنى^(٤) إذا ما الأكم^(٥) قنعها السرابُ
وكنتَ الرنجي ، وبك استعاذت لتُنمِشها إذا بخل السحابُ

فقال : ما حاجتك ؟ قالت : ليس مثلي يطلبُ إلى مثلك حاجة ، فتخبر أنت .
فأعطاهما خمسين من الإبل ، ثم قال : أخبريني عن مضر . قالت : فآخِرُ بمضَر ،
وحارب بقيس ، وكأثرُ بتميم ، وناظر بأسد . فقال : ويحك ياليلي ؟ أ كما يقول الناس
كان توبة ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، ليس كلُّ الناسِ يقولون حقاً ! الناس شجرة
بني ، يحسدون النعم حيث كانت ، وعلى من كانت ، ولقد كان يا أمير المؤمنين سبّط^(٦)
البنان ، حديد اللسان ، شجى للأقران ، كريم الخبَر ، عفيف المتزّر ، جميل المنظر ،

* الأغاني : ١٠ - ٧٤ ، مهذب الأغاني : ٤ - ٢٣٩ ، زهر الآداب : ٤ - ٧٣
(١) تروعه : تفزعه (٢) حذر الشيء : أنزله (٣) هي ليلي الأخيلية بنت عبد الله ؟ من بني
الأخيل بن عامر ؟ من النساء التقدّمات في الشعر ، هويها توبة بن الحير ، وخطبها إلى أبيها ، فأبى
أن يزوجه لئلا . توفيت نحو سنة ٨٠ هـ (٤) تأنى : تتأنى (٥) الأكم : جمع أكمة : الموضع
يكون أشد ارتفاعاً من غيره (٦) سبط البنان : سخي .

وهو يا أمير المؤمنين كما قلتُ له . قال : وما قلتُ له ؟ قالت : قلتُ ولم أتمد الحق
وعليّ فيه :

يميد للمدى لا يبلغ القوم شأوه الد^(١) مِلْدٌ يَنْلُبُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ
إذا حلّ ركب في ذراه وظلّه لينعمهم مما تخاف نوازه
حامهم بفصل السيف من كل قاذح يخافونه حتى تموت خصائله^(٢)
فقال معاوية : ويحك يا بلي ! يزعم الناس أنه كان عاهراً فاجراً ! فقالت من
ساعها مرتجلة :

معاذ الله قد كان - والله - توبةً جواداً على العلات جماً نوافله^(٣)
أغرّ خفاجياً يرى البخل سبّةً^(٤) تحالف كفاه الندى وأنامله
عفيفاً بعبد الممّ صلباً فثاته جميلاً محبباً قليلاً غوايله
وكان إذا ما الضيف أرغى بعيره لديه ، أتاه نيله وفواضله
وقد علم الجوع الذي كان سارياً على الضيف والجيران أنك قاتله
وأنت رَحْبُ الباع ياتوب بالقرى إذا مالئتم القوم ضاقت منازلها
بيت قرير العين من كان جاره ويضحى بخير ضيفه ومنازله

فقال لها معاوية : ويحك يا بلي ! لقد جُزّت بتوبة قدره ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين
والله لو رأيته وخبرته لملت أنى مقصرة في نعمته ؛ لا أبلغ كُنته ما هو أهله ! فقال لها
معاوية : في أى سنّ كان ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ؛

(١) الدد : شدة الخصومة (٢) المصلحة : كل لمة فيها عصب (٣) جوادا على العلات : أى
على كل حال (٤) خفاجة : حى من بنى عامر .

أنته للنساي حين تمّ تمامه وأقصر عنه كل قرن بؤسولة
وصار كليث الغاب يحى عرينه فترضى به أشباله وحلائله
عطوف حلیم حين يطلب حله وسمّ زُعاف لا نصاب مقاتله
فأمر لها بجائزة ، وقال : أى ماقلت فيه أشعر ؟ قالت : ياأمير المؤمنين ؛ ماقلت
شيئاً إلا والذي فيه من خصال الخير أكثر ، ولقد أجذتُ حيث أقول :
جزى الله خيراً - والجزاء بكفه فتى من عُقيلٍ ساد غير مكلف
فتى كانت الدنيا تهونُ بأسرها عليه فلم ينفك جمّ التصرف
ينالُ علياتِ الأمور بهونة إذا هي أُعيت كل خرق مُشرف^(١)

(١) الهونة : الرفق والسهولة. الخرق : السخى أو الظريف في سخاوة . مشرف : جل لهشرف.

٥٢ — أم *

دخل ابنُ الزَّيِّير^(١) على أمه^(٢) حين رأى من الناس مارأى من خِذلانهم ، فقال : يا أمه ؛ خَذَلَنِي الناسَ حتى ولَدِي وأَهْلِي ، فلم يبقَ معي إِلَّا السَّيْرُ مِمَّنْ لَيْسَ عنده مع الدَّفْعِ أَكْثَرُ من صَبْرِ سَاعَةٍ ، والقَوْمُ يُعْطُونَنِي مَا أُرَدْتُ من الدُّنْيَا ، فما رَأَيْكَ ؟

فَقَالَتْ : أَنْتَ وَاللَّهِ يَا بَنِي أَعْلَمُ بِنَفْسِكَ ؛ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ وَإِلَيْهِ تَدْعُو فَاْمُضْ لَهُ ، فَقَدْ قُتِلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُكَ ، وَلَا تَمَكِّنْ مِنْ رَقَبَتِكَ يَتَلَعَّبَ بِهَا غُلَامُنُ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا أُرَدْتَ الدُّنْيَا فَبُئْسَ الْعَبْدُ أَنْتَ ! أَهْلَكَتَ نَفْسَكَ وَأَهْلَكَتَ مَنْ قُتِلَ مَعَكَ . وَإِنْ قُلْتَ : كُنْتُ عَلَى حَقٍّ ، فَلِمَا وَهَنَ أَصْحَابِي ضَعُفْتُ ؛ فَهَذَا لَيْسَ فَعَلَ الْأَحْرَارُ ، وَلَا أَهْلُ الدِّينِ ... وَكَمْ خُلُودُكَ فِي الدُّنْيَا ! الْقَتْلُ أَحْسَنُ ! وَاللَّهِ لَضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ فِي عِزٍّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ ضَرْبَةٍ بِسَوْطٍ فِي ذُلٍّ . قَالَ : إِنِّي أَرَى إِنْ قَتَلُونِي أَنْ يُمَثَّلُوا بِي ! قَالَتْ : يَا بَنِي ؛ إِنْ الشَّاةُ لَا يَضْرُئُهَا سَلْخُهَا بَعْدَ ذُبْحِهَا .

فَدَنَا ابْنُ الزَّيِّيرِ ، فَقَبَّلَ رَأْسَهَا ، وَقَالَ . هَذَا وَاللَّهِ رَأْيِي ؛ وَالَّذِي قَتَلْتُ بِهِ دَاعِيًا إِلَى يَوْمِ هَذَا ، مَا رَكَنْتُ إِلَى الدُّنْيَا ، وَلَا أَحْبَبْتُ الْحَيَاةَ فِيهَا ، وَمَادَعَانِي إِلَى الْخُرُوجِ إِلَّا

* تاريخ الطبري : ٧ - ٢٠٣ ، بلاغات النساء : ١٣٠ ، العقد الفريد : ٢ - ٢٧١

(١) عبد الله بن الزبير بن العوام ؛ طلب الخلافة بعد موت يزيد بن معاوية ، وبويع له في الحجاز والعراق واليمن ، ومكث خليفة تسع سنوات ، ثم حاصره الحجاج بمكة . وقتل سنة ٧٣ هـ (٢) هي أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وهي من قریش ، من فضليات نساء العرب ، وأخت عائشة لأبيها توفيت سنة ٧٣ هـ . وهذه المحاورة كانت حين حاصر الحجاج ابن الزبير في مكة ، وحين خذله عبد الله أعوانه .

الغضبُ أن الله تُسْتَحَلَّ حُرْمُهُ ، ولكنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَعْلَمَ رَأْيَكَ ، فزِدْنِي
بصيرةً مع بصيرتي ، فانظري يا أُمّةُ فَإِنِّي مَقْتُولٌ مِنْ يَوْمِي هَذَا ، فلا يَشْتَدَّ حَزَنُكَ ،
وَسَلِّ لَأَمْرِ اللَّهِ ؛ فَإِنَّ ابْنَكَ لَمْ يَتَعَمَّدْ إِتْيَانًا مَنَكْرًا وَلَا عَمَلًا بِفَاحِشَةٍ ، وَلَمْ يَجْزُ فِي حَكْمِ
اللَّهِ ، وَلَمْ يَنْدِرْ فِي أَمَانٍ ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ ظُلْمَ مُسْلِمٍ وَلَا مُعَاهَدٍ ، وَلَمْ يَبْلُغْ ظُلْمًا عَنْ عَمَالِي
فَرَضِيَّتْ بِهِ ، بَلْ أَنْكَرْتُهُ ؛ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ آتَرَ عِنْدِي مِنْ رِضَا رَبِّي ؛ اللَّهُمَّ إِنِّي
لَا أَقُولُ هَذَا تَرْكِيًا مَنِي لِنَفْسِي ؛ أَنْتَ أَعْلَمُ بِي وَلَكِنْ أَقُولُهُ تَمْزِيَةً لَأُمِّي لَتَسْلُوَ عَنِّي .
قَالَتْ أُمُّهُ : إِنِّي لَأَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ عِزَّائِي فِيكَ حَسَنًا إِنْ تَقَدَّمْتَنِي ،
وَإِنْ تَقَدَّمْتُكَ فَنِي نَفْسِي حَرَجٌ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَّا مَ بَصِيرًا مُرْكًا . قَالَ : جِزَاكَ اللَّهُ
يَا أُمّةُ خَيْرًا ؛ فَلَا تَدْعِي الدُّعَاءَ لِي قَبْلُ وَبَعْدُ . قَالَتْ : لَا أَدْعَاهُ أَبَدًا ، فَن قَتَلَ عَلَى
بَاطِلٍ فَقَدْ قُتِلَتْ عَلَى حَقٍّ ! ثُمَّ قَالَتْ : اللَّهُمَّ ارْحَمْ طَوْلَ ذَلِكَ الْقِيَامِ فِي اللَّيْلِ الطَّوِيلِ ،
وَذَلِكَ النَّحِيبِ وَالظُّلْمَاءِ فِي هَوَاجِرِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ ، وَيَرْءَهُ بِأَيِّهِ وَبِي ، اللَّهُمَّ قَدْ سَلَّمْتَهُ
لَأَمْرِكَ فِيهِ ، وَرَضِيْتُ بِمَا قَضَيْتَ فَأَثْبِنِي فِي عَبْدِ اللَّهِ ثَوَابَ الصَّابِرِينَ الشَّاكِرِينَ .
ثُمَّ وَدَّعَهَا وَخَرَجَ ، وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قُتِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ !

٥٣ — التلطف في السؤال *

دخلت امرأة من هوازن على عبيد الله بن أبي بكرة ^(١) ، فوقفت بين السامعين ^(٢) ، وجعلت تُظهر وجهها مرة ، وتستره أخرى ؛ فلما أبصرها علم أن لها حاجة ؛ فقال لجلسائه . ما عليكم أن تقوموا حتى تقول هذه المرأة حاجتها . فتقدمت ، وقالت : أصلح الله الأمير إني أتيتك من أرض شاسعة ، ترفنى رافعة ، وتخفضني واضعة ؛ للمات قد أكلن لحمي ، وبرين عظمي فضاقي بي البلد العريض . وقد جئتُ بلدا لا أعرف فيه أحدا ، لا قرابة تكفني ، ولا عشيرة تعرفني ، بعد أن سألتُ أحياء العرب : من الرجؤ نائله ، المعطى سائله ؛ فأرسلتُ إليك ، ودلتُ عليك ؛ وأنا - أصلحك الله - امرأة قد هلك عنها الوالد ، وذهب عنها الطارف والتالد ، ومثلك يسد الخلّة ، ويزيح العلة ؛ فإما أن تحسن صفدي ^(٣) وتقيم أودي ، وإما أن تردني إلى بلدي ! فقال : بل أجمع لك كل ما ذكرت . ثم أمر لها بمشرة آلاف درهم ، وزاد وكسوة وراحلة .

* غرر الحقائق الواضحة : ١٦٥

(١) عبيد الله بن أبي بكرة كان أجمل الناس وأشجعهم ، ولده الحاج سبستان سنة ٧٨ هـ ، ومات هناك (٢) السامعان : الصفاق (٣) الصفد : الطاء .

٥٤ — نساء بنى تميم *

قال الشعبي : قال لى شريح ^(١) : يا شعبي ؛ عليكم بنساء بنى تميم ، فإنهن النساء اقلت : وكيف ذاك ؟ قال : انصرفت من جنازة ذات يوم مُظهِراً ^(٢) ، فررت بدور بنى تميم ، فإذا امرأة جالسة فى سقيفة ^(٣) على وسادة ، وتُجَاهها جارية رُوْدَةٌ ^(٤) ، ولها دُؤَابَةٌ على ظهرها كأحسن مَنْ رَأَيْت من الجوارى ، فاستسقيت — وما بى من عطش — فقالت : أىُّ الشراب أعجب إليك ؟ أَلْنَيْذ أم اللبَن أم الماء ؟ قلت : أىُّ ذلك تيسر عليكم . قالت : اسقوا الرجل لبناً فإنى إخاله غريباً . فلما شربت نظرت إلى الجارية فأعجبتنى ، قلت : مَنْ هذه ؟ قالت : ابنتى ، قلت : ومَنْ ؟ قالت : زينب بنت حُدير ، إحدى نساء بنى تميم . قلت : أطارغة أم مشغولة ؟ قالت : بل طارغة . قلت : أتزوجينها ؟ قالت : نعم ، إن كنت كفتاً ؛ ولها عمٌ فاقصده .

وانصرفت إلى منزلى لأقيل فيه ، فامتنعت منى القائلة ^(٥) ، فأرسلت إلى إخوانى القُرءاء ^(٦) ، ووافيت معهم صلاة العصر ، فإذا عمُّها جالس ، فقال : أبا أمية !

* مذهب الأغاني : ٣ - ٨٠ ، المستطرف : ٢ - ١٩ ، المقد الفريد : ٤ - ٨٠ ، الأغاني : ١٦ - ٣٦ (طبعة الساسي)

(١) هو شريح بن الحارث . أدرك الجاهلية ، واستقضاء عمر بن الخطاب على الكوفة ، فأقام بها قاضياً مدة طويلة لم يعطل فيها إلا ثلاث سنين فى فتنه ابن الزبير امتنع من القضاء فيها ، وكان أعلم الناس بالقضاء ، ذا فطنة وذكاء ومعزقة ، وعقل وإصابة ؛ كما كان شاعراً محسناً . توفى سنة ٨٧ هـ . (٢) أظهر : دخل فى الظهيرة ، والظهيرة : حد اتصاف النهار (٣) السقيفة : الموضع المظلل (٤) الرُوْدَةُ : الشابة الحسنة (٥) القائلة : نصف النهار ، وقال قبلا : نام فيه . (٦) جمع قارىء ، وهم الذين يقرءون القرآن ويتلونه .

حاجتك ، قلت : إليك . قال : وما هي ؟ قلت : ذكرك لي بنت أخيك زينب ، فقال : ما بها عنك رغبة ، ثم زوجنيها . وما بلغت منزلي حتى ندمتُ وقلت : تزوجت إلى أغلظ العرب وأجفاها ! ثم همت بطلاقها ، ولكن قلت : أجمعها إلي ، فإن رأيت ما أحب وإلا طلقها .

ثم مكثت أياماً حتى أقبل نساؤها يهادينها ^(١) ، ولما أدخلتُ قلت . يا هذه ؛ إن من السنة إذا دخلت المرأة على الرجل أن يُصلي ركعتين وتُصلي ركعتين ، ويسألا الله خيرَ ليلتهما ويتعمّدا به من شرّها . فتوضأتُ فإذا هي تتوضأ بوضوئي ، وصليتُ فإذا هي تصلي بصلاتي ، ولما قضينا الصلاة قالت لي : إني امرأة غريبة ، وأنت رجل غريب لا علم لي بأخلاقك ، فبين لي ما تحب فأتيته ، وما تكره فأنزجرت عنه . فقلت : قدمت خير مقدم ؛ قدمت على أهل دار ، زوجك سيد رجالهم ، وأنت سيّدة نساءهم ، أحب كذا وأكره كذا ، وما رأيت من حسنة فابثيتها ، وما رأيت من سيئة فاستريتها .

قالت : أخبرني عن اختناك ^(٢) أحب أن يزوروك ؟ فقلت : إني رجل قاض وما أحب أن تملؤني . قالت : فمَنْ تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ، ومَنْ تكرهه أكرهه ؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء .

وأقت عندها ثلاثاً ؛ ثم خرجتُ إلى مجلس القضاء ؛ فكنت لا أرى يوماً إلا وهو أفضل من الذي قبله ؛ حتى إذا كان رأس الحول دخلتُ منزلي امرأة عجوز تأمر وتنهى . قلت : يا زينب ؛ مَنْ هذه ؟ قالت : أمي فلانة . قلت : حيّاك الله

(١) يقال : تهادت المرأة إذا تمايلت في مشيتها ، وكل من فعل ذلك بأحد فهو يهاديه .

(٢) المخت : الصهر ، أو كل من كان من قبل المرأة .

بالسلام ، قالت : أبا أمية ؛ كيف أنت وحالك ؟ قلت : بخير ، أحمده الله . قالت :
أبا أمية ، كيف زوجك ؟ قلت : كخير امرأة ، قالت : إن المرأة لا ترى في حال
أسوأ خلقاً منها في حالين : إذا حظيت عند زوجها ، وإذا ولدت غلاماً ، فإن رابك
منها ريب فالسوط ، فإن الرجال ما حازت - والله - بيوتهم شرّاً من الورهاء ^(١)
المتدلة ^(٢) .

قلت : أشهد أنها ابنتك ، فقد كفييتني الرياضة ، وأحسن الأدب . قالت :
أنحب أن يزورك أختانك ؟ قلت : متى شاءوا .
قال شريح : فكانت كل حول تأتينا وتوصي تلك الوصية ، ثم تنصرف .
ومكثت مع زينب عشرين عاماً ، فما غضبتُ عليها قط إلا مرة كفت لها فيها
ظلاماً ^(٣) .

(١) الورهاء : الحفاه (٢) يقال : تدلت المرأة على زوجها ؛ إذا أرتته جراءة عليه كأنها تخالفه
وما بها خلاف .

(٣) قد رووا أن شريحاً رأى رجلاً يضرب امرأته فقال :

رأيت رجلاً يضربون نساءهم	فشلت يميني يوم أضرب زينبا
أأضربها في غير جرم أنت به	إلى فإعذري إذا كنت مذنباً
فتاة تزني المحلى إن هي حليت	كأن فيها السك خالط مجلباً

•• — ليلي الأَخِيلِيَّة عند الحِجَّاج *

قال مولى من الموالى : كنت أدخل مع عَنبَسَةَ بن سعيد ^(١) بن العاص إذا دخل على الحِجَّاج ؛ فدخل يوماً ، فدخلتُ إليهما ، وليس عند الحِجَّاج أحدٌ إلا عَنبَسَةُ ؛ فأقمتني ، فجئى إلى الحِجَّاجِ بِطَبَقٍ فيه رُطَبٌ ، فأخذ الخادمُ منه شيئاً ، فجاءني به ثم جئى بطبق آخر ، حتى كثرت الأطباق ، وجعل لا يأتون بشيء إلا جاءني منه شيء ، حتى ظننتُ أن ما بين يديَّ أكثرُ مما عندهما .

ثم جاء الحاجبُ ؛ فقال : امرأةٌ بالباب ؛ فقال له الحِجَّاج : أدخلها ، فدخلت ، فلما رآها الحِجَّاج طأطأ رأسه حتى ظننتُ أن ذقنه قد أصاب الأرض ؛ فجاءت حتى قصدت بين يديه ؛ فنظرتُ فإذا امرأةٌ قد أسنت ، حَسَنَةُ الخلق ، ومعها جاريتان لها ، وإذا هي ليلي الأَخِيلِيَّة .

فسألها الحِجَّاج عن نسبها فانتسبت له ؛ فقال لها : يا ليلي ؛ ما أتى بك ؟ فقالت إخلاف ^(٢) النجوم ، وقلةُ النجوم ، وكَلَبُ ^(٣) البردِ ، وشدةُ الجهد ؛ وكنتُ لنا بعد الله الرَفْد ^(٤) .

* الأمالى : ١ - ٨٦ : زهر الآداب : ٤ - ٧٦ ، مصارع العشاق : ١٨٥ ، الأغاني : ١٠ - ٧٨ (طبعة الساسي) ، فوات الوفيات : ٢ - ١٧٦ ، المحاسن والأضداد : ٢٤٦ ، سمط اللآلى : ١ - ٢٨٠ ، أشعار النساء : ٣ - ٣٧

(١) كان عنبسة آثر الناس عند الحِجَّاج ، وكان على جانب عظيم من البخل ، وله فيه أخبار طريفة (٢) إخلاف النجوم ؛ تريد : أخلفت النجوم التي بها يسكون المطر فلم تأت بمطر (٣) كلب المطر : شدته (٤) الرَفْد : للموتة والعلية .

قال لها : صفى لنا الفِجَاجُ ^(١) ، فقالت : الفِجَاجُ مُغْبِرَةٌ ، والأَرْضُ مُقْسِمَةٌ ،
وَالكَبْرُكُ ^(٢) مَمْتَلٌ ، وذو العيال مُخْتَلٌ ^(٣) ، والمالِكُ لِلْقُلِّ ^(٤) ، والناسُ مُسْتَفْتُونَ ^(٥) ،
رحمةَ الله يَرْجُونَ ؛ وأصابَتْنا سِنُونُ مُجْحِفَةٌ ^(٦) مَبْلُطَةٌ ^(٧) ، لم تَدْعَ لنا هُبَمًا ^(٨)
ولا رُبَمًا ، ولا عَافِطَةً ^(٩) ولا نَافِطَةً ، أَذْهَبَتِ الأَمْوَالُ ؛ ومَزَقَتِ الرِّجَالُ ،
وأَهْلَكَتِ العِيَالُ .

ثم قالت : إني قلت في الأمر قَوْلًا ، قال : هاتِي ، فَأَنْشَأَتْ تقول :

أَجْجَاجٌ لَا يَفْلَحُ سِلَاحُكُ ^(١٠) إِنِّهَا أَلْ	مَنَيا بِكَفِّ الله حَيْثُ تَرَاهَا
أَجْجَاجٌ لَا تَمُطُ الْعَصَا مُنَاهُمْ	وَلَا اللهُ يُعْطِي لِلْعَصَا مُنَاهَا
إِذَا هَبَطَ الْحَجَاجُ أَرْضًا مَرِيضَةً	تَتَّبِعُ أَقْصَى دَائِهَا فَشَفَاهَا
شَفَاهَا مِنَ الدَّاءِ الْمُضَالِ الَّذِي بِهَا	غَلَامٌ إِذَا هَزَّ الْقَنَافَةَ سَقَاهَا
سَقَاهَا فَرَوَّاهَا بِشَرْبِ سِجَالِهِ ^(١١)	دَمَاءَ رِجَالٍ حَيْثُ مَالٌ حَشَاهَا
إِذَا سَمِعَ الْحَجَاجُ رِزًّا ^(١٢) كَتِيبَةً	أَعَدَّ لَهَا قَبْلَ النُّزُولِ قِرَآهَا
أَعَدَّ لَهَا مَسْمُومَةً فَارِسِيَّةً	بِأَيْدِي رِجَالٍ يَحْتَبُونَ صَرَّاهَا ^(١٣)
فَمَا وَلَدَ الْإِبْكَارُ وَالْمُونُ ^(١٤) مِثْلَهُ	يَبْحِرُ وَلَا أَرْضٍ يَجِفُّ ثَرَاهَا

(١) الفِجَاجُ : جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين (٢) الكبرك : أُرادت الإبل ؛ فألمت
المبرك مكانها (٣) ذو العيال مختل : أى محتاج ، والمخلة : الحاجة (٤) المالِكُ للقل : من أجل
القلة (٥) مستنون : مقطوع (٦) السنة المجحفة : التى تحجب بالقوم قتلا وإنساداً للأحوال ،
أو مضرة بالمال (٧) مبلطة : ملزقة بالبلاط ؛ تريد مهلكة (٨) الهب : ماتج في الصيف ،
والريح : ماتج في اربيع (٩) العافطة : الضأن ، والنافطة : اللاعزة (١٠) السلاح : يذكر
ويؤنث (١١) السجال : جمع سجل ، وهو القلو العظيمة (١٢) الرز : الصوت تسمعه من بعيد
(١٣) الصرى : البقية . قال في السط منه تفسير هذا البيت : تمنى نصال الرماح والسهام كأنها
مسقية ، من أصابته لم ينج منها (١٤) المون : جمع هوان ، وهى التى كان لها زوج .

فلما قالت هذا البيت ، قال الحجاج : قاتلها الله ! والله ما أصاب صفتي شاعرٌ
مذ دخلتُ العراقَ غيرها .

ثم التفتَ إلى عنبسة بن سعيد ، فقال : والله إنى لأعدُّ للأمرِ عُذَّتَه ، عسى
ألا يكون أبداً . ثم التفتَ إليها ، فقال : حسبك !

قالت : إنى قد قلت أكثر من هذا ! قال : حسبك ، ويحك ! حسبك .

ثم قال : يا غلام ؛ اذهب إلى فلان ؛ فقل له : اقطعُ لسانها ، فذهب بها ،
فقال له : يقولُ لك الأمير : اقطعُ لسانها !

فأمرَ بإحضار الحجام ؛ فالتفتت إليه فقالت : نِكَلْتِكَ أُمُّكَ ! أما سمعتَ
ما قال ! إنما أمرُك أن تقطعَ لسانى بالصلة ، فبعتَ إليه يستثبته ؛ فاستشاط الحجاج
غضباً ، وهمَّ بقطع لسانه ، وقال : اردِّدْها . فلما دخلتُ عليه قالت : كاد والله
يقطع مقولى ، ثم أنشأت تقول :

حَجَّاجُ أَنْتَ الَّذِي مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ إِلَّا اخْلِيفَةُ وَالْمُسْتَغْفَرُ الصَّمَدُ
حَجَّاجُ أَنْتَ شِهَابُ الْحَرْبِ إِنْ لَقِيتَ ^(١) وَأَنْتَ لِلنَّاسِ نُورٌ فِي الدُّجَا يَقْدُ
ثم أقبلَ الحجاج على جلسائه فقال : أتدرون مَنْ هذه ؟ قالوا : لا والله أيُّها
الأمير ، إلا أننا لم نَرَ قطُّ أفصحَ لساناً ، ولا أحسنَ محاورَةً ، ولا أملحَ وجهاً ،
ولا أَرْضَنَ شعراً منها .

فقال : هذه ليلي الأخيلية ، التي ماتت توبة الخفاجي من حبها ، ثم التفتَ
إليها ؛ فقال : أنشدينا ياليلي بعضَ ما قال فيك توبة .

(١) أصله من لقيت الإبل ؛ إذا حلت . والحرب إذا عظمت تولد عنها الأمور التي لم تكن
تحتسب (الخزائن - ١ : ٤٢٦)

قالت : نعم أيها الأمير، هو الذى يقول :

وهل تَبْكِينَ لى إِذَا مُتَ قَبْلَهَا وقام على قبرى النساءِ النوايحُ ؟
 كما لو أصاب الموتُ لى بَكْتِيْهَا وجادَ لها دمعٌ من العينِ سافحٌ^(١)
 وأَغْبَطُ من لَيْلى بما لا أناله لى، كلَّ ما قَرَّتْ به العينُ طامحُ
 ولو أَنَّ لَيْلى الأَخْيَلِيَّةَ سَلَمَتْ عَلَى ؛ ودوى جَنْدَلٌ وصفاحُ
 لَسَلَمْتُ تَسْلِمَ البَشاشَةِ أَوْ زَقَا إليها صدى من جانب القبرِ صائحُ

فقال : زينا من شعره يالىلى ، قالت : هو الذى يقول :

حَمَامَةٌ بَطْنِ الوَادِيَيْنِ تَرْنَمُ سقاك من الغرِّ الفوادى^(٢) مَطِيرُهَا
 أَيْبَنى لى، لا زَالَ ريشكِ ناعماً ولا زلتِ فى خضراءِ غُضِّ نَضِيرُهَا
 وكنتُ إِذَا ما زرتُ لى تَبَرَّقَعْتُ فقد زابنى منها القَدَاةُ سُفُورُهَا
 وقد زابنى منها صدودُ رأيتُه وإعراضها عن حاجتى وبُسُورُهَا^(٣)
 وأشرفَ بالقُورِ^(٤) اليفاعَ لعلنى أرى نارَ لى أو يرانى بصيرُهَا
 يقول رجالٌ : لا يضيرُكِ نأْيُهَا بلى ! كلَّ ماشفٍ^(٥) النفوسِ بَصِيرُهَا
 بلى اقد يضيرُ العينَ أن تكثرَ البُكا ويُمنَعَ منها نومُها وسرورُهَا
 وقد زعمتُ لىلى بأئى فاجرٍ لنفسى تُقاها، أو^(٦) عليها فُجُورُهَا

فقال الحجاج : يالىلى ؛ ما الذى رآه من سُفُورك ؟ فقالت : أيها الأمير ؛ كان
 يُلم بى كثيراً ؛ فأرسل إلى يوماً : إني آتيكِ ، وقطن الحى ؛ فأرصدوا له ، فلما

(١) سافح: منصب (٢) الفوادى : جمع غادية ، وهى السحابة تنشأ غدوة . (٣) بسورها: عبوسها
 (٤) القور . جمع قارة ، وهى الأرض ذات الحجارة السوداء : واليفاع كسحاب : التل (٥) شفه
 الهم : هزله . أو هنا بمعنى الواو .

أفانى سَفَرْتُ عن وجهي ، فلم أن ذلك لشرٍّ ؛ فلم يزد على التسليم والرجوع .
 قال : لله درك ! فهل رأيت منه شيئاً تكرهينه ؟ قالت : لا والذي أسأله
 أن يصلحك ، غير أنه قال مرة قولاً ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر ، فأنشأتُ
 أقول :

وذي حاجةٍ قلنا له لا تُبْعِجْ بها فليس إليها ماحيتٌ سبيلُ
 لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحبٌ و خليل
 فلا والله الذي أسأله أن يصلحك ما رأيتُ منه شيئاً ، حتى فرّق اللوت بيني
 وبينه . قال : ثم مه ؟ قالت : ثم لم يلبث أن خرج في غزاةٍ له ، فأوصى ابن عم له :
 إذا أتيت الحاضر من بني عبادة ، فنادِ بأعلى صوتك :

هذا الله هنا ، هل أيتنَّ ليلةً من الدهر لا يسرى إلى خيالها !
 وأنا أقول :

وهنه هماربي وأحسن حاله فمَزَّت علينا حاجةٌ لا ينالها
 قال : ثم مه ! قالت : ثم لم يلبث أن مات ؛ فأتانا نعيه .

قال : أنشدينا بعض مرثيتك فيه ، فأنشدت :
 لَتَبِكَ الْعَذَارَى مِنْ خِفَاجَةٍ نِسْوَةٍ ^(١) بماء شئون المَبْرَةِ لِلتَّحَدُّرِ
 قال لها : فأنشدينا ؛ فأنشدته :

كأن فتى الفتيان تَوْبَةً لم يُنْجِجْ قلانص يفحصن الحصى بالكراكر ^(٢)
 فلما فرغت من القصيدة ، قال محسن الفَقْعَسِي ^(٣) - وكان من جلساء الحجاج :

(١) نِسْوَةٌ : تبين ، وارتفاعه بفعل مضمر ، كأنها قالت تبكيه نِسْوَةٌ . وفي هامش الأمل : « والله
 المتحادر بالألف قبل الدال لتستقيم القافية » (٢) الكركرة : رحي زور البعير ، أو صدر كل
 ذي خف ، وتفضل الإبل ذلك في شدة الحر يطلبين برد الماء لينلنه (٣) كان محسن الفَقْعَسِي من
 جلساء الحجاج .

من الذى تقول هذه هذا فيه ؟ فوالله إني لأظنها كاذبة ! فنظرت إليه ، ثم ردت عليه رداً شديداً ، فقال الحجاج : هذا وأبيك الجواب ، وقد كنت عنه غنياً .

ثم قال لها : سلى ياللى تُعْطَى ، قالت : أعطِ ، فثلك أعطى فأحسن ، قال : لك عشرون ، قالت : زد فثلك زاد فأجمل ، قال : لك أربعون ، قالت : زد فثلك زاد فأكمل ، قال : لك ثمانون ، قالت : زد ، فثلك زاد فتم ، قال : لك مائة ، واعلمى أنها غنم ، قالت : معاذ الله أيها الأمير ! أنت أجودُ جوداً ، وأجودُ مجداً ، وأورى زنداً ، من أن تجمعلها غنماً . قال : فاهى ؟ ويحك ياللى ! قالت : مائة من الإبل برُعاتها . فأمر لها بها .

ثم قال : ألك حاجة بعدها ؟ قالت : تدفع إلى النابغة الجعدي ، قال : قد فعلت ، وقد كانت تهجوه ويهجوها ، فبلغ النابغة ذلك ؛ فخرج هارباً عائداً بعبد الملك . فاتبته إلى الشام ، فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان ، فاتبته على البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة ، فأتى قُومِس^(١) .

(١) صنع كبير بين خراسان وبلاد الجبل .

٥٦ - الحجاج يخالف سبأياه*

خرج زيد بن شبيب الشيباني في أيام عبد الملك بن مروان ، فظفر به الحجاج^(١) وبأصحابه ، وجعل يقتل كل مقدور عليه منهم ، فلما كان آخر الأمر قدم إليه رجل منهم ، له سميت^(٢) ورؤاء وهيئة .

فلما هم الحجاج بقتله سمع ضجةً بالباب ؛ فقال لحاجبه : ماهذه الضجة ؟ قال : نسوة في الباب يسألن الدخول على الأمير . فقال الحجاج : ائذن لمن بالدخول ؛ فدخلن وهن ثلاث وعشرون امرأة ، كلهن أهل بيت هذا الرجل الذي هم الحجاج بقتله ، فقال لمن الحجاج : ما حاجتكن ؟ فتقدمت امرأةً منهن فقالت : أصلح الله الأمير ! إن رأيت أن تجود باستماع ما أقول ؛ فقال لها : قولي ما أحببت ، فقالت :

أحجاجُ إِمَّا أَنْ تَمُنَّ بِتَرْكِهِ عَلَيْنَا وَإِمَّا أَنْ تُقَتِّلَنَا مَعَا
أحجاج لو تشهد مقام بناته وعماته يندبته الليل أجمعاً
أحجاج لا تفجع به إن قتلته ثمانا وتسعاً واثنين وأربعمائة
فمن رجلٌ دانٍ يقومُ مقامه علينا فهلاً لا تزدنا نَضْمُضْماً

فلان الحجاج لقولها ، ووجد رقةً عليهن ، وغف عنه وأطلقه ، وزاد في عطائه مائة دينار ، وكتب كتاباً إلى عبد الملك يذكر له خبره وخبر النسوة والمرأة وشعرها ، وأنه قدرق لمن ، وأطلقه وزاد في عطائه مائة دينار .

فكتب إليه عبد الملك يحمده على ذلك ، وأمره أن يزيد مائة أخرى في عطائه .

* القصد القريد للملك السعيد : ١١٨ ، المجاس والمساوى : ٦٠٢ (طبع ليزج) .

الاستطرف : ١ - ١٩٥

(١) انظر صفحة ٤٣ (٢) السميت : هيئة أهل الخير .

٥٧ — أسدٌ علىَّ وفي الحروب نعمة*

قدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك ؛ فدخل وعليه درع وعمامة سوداء ، وقوس عربية وكفانة ، فبعثت إليه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، فقالت : مَنْ هذا الأغرابي المُستَلْتَمُ^(١) في السلاح عندك ، وأنت في غلالة^(٢) ! فبعث إليها : إنه الحجاج .

فأعادت الرسول إليه ، فقال : تقول لك : والله لأن يَخَاوُ بك ملكُ الموت أَحَبُّ إليَّ من أن يَخْلَوْ بك الحجاج ! فأخبره الوليد وهو يمازحه ؛ فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : دَعْ مِنْكَ مَفَاكِهِ النِّسَاءِ بِزُخْرَفِ الْقَوْلِ ؛ فَإِنَّمَا الْمَرْأَةُ رِيحَانَةٌ ، وَلَيْسَتْ قَهْرَمَانَةً^(٣) ؛ فَلَا تُنْطَلِمِهَا عَلَى سِرِّكَ ، وَمَكَايِدَةَ عَدُوِّكَ .

فلما دخل الوليد أخبرها بمقالة الحجاج ؛ فقالت : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ حَاجَتِي إِلَيْكَ أَنْ تَأْمُرَهُ غَدًا بِأَنْ يَأْتِنِي مُسْتَلْتِمًا ، ففعل ذلك .

وأتاه الحجاج ؛ فحجبته ثم أدخلته ولم تأذن له في القعود ، فلم يزل قائمًا ، ثم قالت : إِيْهِ يَا حَجَّاجُ ! أَنْتَ الْمَتَنُّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِقِتَالِ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَابْنِ الْأَشْعَثِ ! أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَلِمَ أَنَّكَ شَرُّ خَلْقِهِ مَا ابْتَلَاكَ بِرُمَى الْكُمَيْتَةِ الْحَرَامِ ،

* ابن أبي الحديد : ٢ - ٤٠ ، بلاغات النساء : ١٢٤ ، عيون الأخبار : ١ - ١٦٩ .

(١) استلثم الرجل ؛ إذا لبس ما عنده من عدة : رمح وبيضة ومغفر وسيف ونبل .

(٢) الغلالة : شعار تحت الثوب (٣) القهرمان : هو كالحازن والوكيل الحافظ لما تحت يده

والقائم بأمور الرجل بلغة الفرس .

(١٠ - قصص العرب - ٢)

ولا يقتل ابن ذات النطاقين^(١) ؛ أول مولود في الإسلام .

وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفارقة النساء وبلوغ أوطاره ، فإن كُنَّ يلدن مثلك فما أحقه بالقبول منك ، وإن كن يلدن مثله فهو غير قابل لقولك . أما والله لقد نَفَضَ نساء أمير المؤمنين الطيب من غدائهن والحلى من أيديهن وأرجلهن فيبغته في أعطية أهل الشام ، حين كنت في أضيَقَ من القرن^(٢) ، قد أظلتك رماحهم ، وأنخك^(٣) كفاحهم ، وحين كان أمير المؤمنين أحب إليهم من آبائهم وأبنائهم ؛ فأنجأك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه ؛ قاتل الله القاتل حين نظر إليك وسنان غزالة^(٤) بين كتفك :

أسدٌ على وفي الحروب نعمةٌ فتَحَاهُ تنفرُ من صغير الصافر^(٥)
هَلَاكَرَّتْ على غزالة في الوغى بل كان قلبك في جَوَانِحِ طائر
ثم قالت لجواربها : أخرِجته ؛ فأخرج !

فدخل على الوليد ، فقال : ما كنت فيه ياحجاج ؟ قال : يا أمير المؤمنين : ماسكت حتى ظننت نفسي قد ذهبت ، وحتى كان بطن الأرض أحب إلي من ظهرها ، وما ظننت أن امرأة تبلغ بلاغتها ، وتحسن فصاحتها ! قال : إنها بنت عبد العزيز !

(١) ذات النطاقين : أسماء بنت أبي بكر ، سميت بذلك لأنها شقت نطاقها ليلة خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى القار ، فجعلت واحدة لسفرة النبي ، والأخرى عصاً لقربه (٢) القرن هنا : الجملة من جلود تكون مشقوقة ثم تحز (٣) أنخن : غلب وقهر (٤) غزالة : امرأة شيبه الخارجي (٥) يقال ناقة فتخاء : ارتفعت أخلافها قبل بلتها ؛ وهو ذم .

٥٨ — الشعراء عند سكينه بنت الحسين *

اجتمع الفرزدق وجميل وجرير ونصيب وكثير في موسم من المواسم ، فقال بعضهم لبعض : والله لقد اجتمعنا في هذا الموسم ، وما ينبغي لنا أن نتفرق إلا وقد تتابع لنا في الناس شيء نذكر به . فقال جرير : هل لكم في سكينه ^(١) بنت الحسين ، نقصدها فنسلم عليها ؛ فلعل ذلك يكون سبباً لبعض ما نريد ! فقالوا : امضوا بنا . فكنوا أياماً ، ثم أذنت لهم ، فدخلوا عليها وقعدت لهم حيث تراهم ولا يرونها ، ثم أخرجت لهم وصيفة لها وضيفة ، وقد روت الأشعار والأحاديث ، فأقرأها كل منهم السلام فقالت : أيكم الفرزدق ؟ فقال : هأنذا ، قالت : أنت الذي تقول :

أبيتُ أمتي النفس أن سوف نلتقى وهل هو مقدورٌ لنفسي لقاءها
فإن ألقها أو يجمع الدهر بيننا ففيها شفاء النفس منها ودأوها
قال : نعم ! قالت : قولك أحسن من منظرِكَ ! وأنت القائل :

ودعني بإشارةٍ ونحيبٍ وتركني بين الديار قتيلاً
لم أستطع ردَّ الجواب عليهم عند الوداع وما شفين غليلاً
لو كنت أملكهم إذن لم يبرحوا حتى أودع قلبي المحبلاً

* المحاسن والمساوي : ٢٣٤ (طبع ليزج) ، مصارع العشاق : ٢٧٢ ، الأغاني : ١٤ - ١٩٦
(طبعة الساسي) ، الموشح : ١٥٩
(١) هي سكينه بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ؛ كانت برزة من النساء ، تجالس الأجلة من قريش ، ويجتمع عندها الشعراء ، وتزوجت عدة أزواج . وتوفيت سنة ١١٧ هـ .

قال : نعم ، قالت : أحسنت ، أحسنَ اللهُ إليك ! وأنتَ القائل :
 هُمَا دَلَّتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً كَمَا انْقَضَ بَارِأَقْتَمُ الرِّيشِ كَامِرُهُ^(١)
 فلما استوت رجلای فی الأرضِ نَادَتَا : أَحْيِ فَيُرْجَى أُمُ قَتِيلٍ نَحَازِرُهُ !
 فقلت : ارفعوا الأسباب لا يشعروا بنا وولیتُ فی أَغْقَابِ لَيْلٍ أَبَادِرُهُ
 قال : نعم ، قالت : سَوَاءٌ لَكَ ! فما دعاكَ إلى إفشاءِ سرِّها وسرِّكَ ! هلا سترتَ
 عليها وعلى نفسك ! فضرب بيده على جَبْهَتِهِ ، وقال : نعم ، فسوءة لى !
 ثم دخلت على مولاتها وخرجت وقالت : أيكم جرير ؟ فقال : هأنذا ؛ قالت :
 أنتَ القائل :

رُزِقْنَا بِهِ الصَّيْدَ الْغَزِيرَ وَلَمْ نَكُنْ كَمَنْ نَبَلُهُ مُحْرَمَةٌ وَحَبَائِلُهُ
 فَهِيَ هِيَ هِيَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَهِيَ هِيَ هِيَ الْعَقِيقُ نَوَاصِلُهُ
 قال : نعم ، قالت : أحسنَ اللهُ إليك ، وأنتَ القائل :
 كَأَنَّ عَيُونََ الْمُجْتَلِينَ تَعْرِضَتْ وَشُمْسًا تَجَلَّى يَوْمَ دَجْنِ سَحَابِهَا^(٢)
 إِذَا ذُكِرَتْ لِلْقَلْبِ كَادَ لِذِكْرِهَا يَطِيرُ إِلَيْهَا وَاعْتَرَاهُ عَذَابُهَا
 قال : نعم ، قالت : أحسنت ! وأنتَ القائل :

سَرَّتِ الْمَهْمُومُ فَبِتْنَ غَيْرَ نِيَامٍ وَأَخُو الْمَهْمُومِ يَرُومُ كُلَّ مَرَامٍ
 دُمَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنْزِلَةِ اللَّوَى وَالْعِيشَ بَعْدَ أَوْلَئِكَ الْآيَامِ
 طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقْتَ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامٍ

(١) كسر الطائر جناحيه : إذا ضم منهما شيئاً ، وهو يريد الوقوع أو الانقضاض (٢) الدجن : المطر الكثير .

لو كان عهدك كالذي حدثني لوصلت ذاك فكان غير ريمام
تجزي السواك على أغر كأنه برد نهدر من مئون غمام

قال : نعم ، قالت : سوء لك ! جعلتها صائدة القلوب ، حتى إذا أناخت بياك
جملت دونها حجاباً ! ألا قلت :

طرقتك صائدة القلوب فرحاً نفسى فداوك فادخل بسلام
قال : نعم ! فسوء لي !

ودخلت على مولاتها وخرجت ، وقالت : أيكم كثير ؟ فقال : هانذا !
قالت : أنت القائل :

وأعجبني يا عز منك خلانق - حسان إذا عُدَّ الخلائق - أربع
دُنُوكِ حتى يطمع الصب في الصبا وقطمك أسباب الصبا حين تقطع
وأنك لا تدري غريماً مطلته أيشد إن قاصاك أم يتضرع !
وأنك إن واصلت أعلمت بالذي لديك فلم يوجد لك الدهر مطمع
قال : نعم ، قالت : أعطاك الله منك ! وأنت القائل :

هنيئاً مريئاً غير داء مخامر لعزة من أعراضنا ما استحل
فما أنا بالداعي لعزة بالجوى ولا شامت إن نعل عزّة زلت
وكنت كذى رجلين رجل صحيحه ورجل رمى فيها الزمان فشت
قال : نعم ، قالت : أحسن الله إليك .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، وقالت : أيكم نصيب ؟ فقال : هانذا ،
قالت : أنت القائل :

ولولا أن يقال : صَبَا نَصِيبٌ لقلت : بِنَفْسِي النَّشَأُ الصَّغَارُ^(١)
قال : نعم ! قالت : أحسنت وكرمت ، إلا أنك صبوت إلى الصغار ، وتركت
الناهضات بأحمالها .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، وقالت : أيكم جميل ؟ قال : أنا ، قالت :
أنت القائل :

لقد ذَرَفَتْ عَيْنِي وَطَالَ سَفُوحُهَا وَأَصْبَحَ مِنْ نَفْسِي سَقِيًّا صَحِيحُهَا
أَلَا لَيْتَنَا كُنَّا جَمِيعًا وَإِنْ تَمَتَّ يُجَاوِرُ فِي الْمَوْتَى ضَرِيحِي ضَرِيحُهَا
أَظْلُهُ نَهَارِي مُسْتَهَامًا وَيَلْتَقَى مَعَ اللَّيْلِ رُوحِي فِي النَّامِ وَرُوحُهَا
فَهَلْ لِي فِي كِتْمَانِ حَبِي رَاحَةً ! وَهَلْ تَنْفَعُنِي بَوَاحَةٌ لَوْ أَبُوحُهَا ؟

قال : نعم ! قالت : بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ ؛ وَأَنْتَ الْقَائِلُ :

خَلِيلِي فِيمَا عِشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا قَتِيلًا بَكَى مِنْ حُبِّ قَاتِلِهِ قَبْلِي ؟
أَيُّتُ مَعَ الْهَلَاكِ ضَيْفًا لِأَهْلِهَا وَأَهْلِي قَرِيبٌ مُوسِعُونَ ذَوْوُ فَضْلِي
فِيَارِبْ إِنْ تَهَلَّكَ بُشَيْنَةٌ لَا أُعِشْ فَوَاقًا^(٢) ، وَلَا أَفْرَحُ بِمَالِي وَلَا أَهْلِي
وِيَارِبْ إِنْ وَقَيْتَ شَيْئًا فَوْقَهَا حَتُوفَ الْمَنَآيَا رَبِّ وَاجْعَ بِهَا شَمْلِي

قال : نعم ! قالت : أَحْسَنْتَ . أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَأَنْتَ الْقَائِلُ :

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَ لَيْلَةً بَوَادِي الْقُرَى إِنِّي إِذْ لَسَعِيدُ
لِكُلِّ حَدِيثٍ عِنْدَهُنَّ بِشَاشَةٌ وَكُلِّ قَتِيلٍ يَنْهَنُ شَهِيدُ
وَيَالَيْتَ أَيَّامَ الصَّبَا كُنَّ رُجْمًا وَدَهْرًا تَوَلَّى يَابُشَيْنَ يَمُودُ

(١) النَّشَأُ : جم فاشئ للذكر واللؤث ، وهو الحدث الذى جاوز حد الصغر .

(٢) فَوَاقًا : فترة .

إذا قلتُ : ما بى يا بُيئةُ قاتلى من الحبِّ قالت : ثابتٌ ويزيدُ
 وإن قلتُ: رُدِّى بعضُ عفى أعش به تنامتْ وقالت : ذاك منكَ بعيدُ
 فما ذُكرَ الخِلانُ إلا ذكَّرتُها ولا البخلُ إلا قلتُ سوفَ تجودُ
 فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً ولا حُبُّها فيما يبيدُ يبيدُ
 يموتُ الموصى منى إذا مالتِها ويحيى إذا فارقتُها ويزيدُ
 قال : نعم ، قالت : لله أنت ! جعلتَ لحدِيثها مَلاحةً وبشاشةً ، وقتيلها شهيداً ،
 وأنتَ القاتلُ :

ألا ليتنى أعمى أصمُّ تقودُنِي بئينةُ لا يخفى على مكانِها
 قال : نعم ، قالت : قد رضيتَ من الدنيا أن تقودك بئينة وأنتَ أعمى أصم !
 قال : نعم .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، ومعها مذهبٌ فيه غالية^(١) ، ومنديل فيه
 كسوة ، وصرةٌ فيها خمسمائة دينار فصبت الغالية على رأس جميل ، حتى سالت على
 لحيته ، ودفعت إليه الصرة والكسوة ، وقالت : أبسط لنا العذر ؛ أنتَ أشعرهم ،
 وأمرتُ لأصحابه بمائة مائة .

(١) الغالية : الطيب .

٥٩ — الفرزدق وسكينة بنت الحسين *

خرج الفرزدق^(١) حاجاً ؛ فلما قضى حجة عدل إلى المدينة ، فدخل إلى سُكينة بنت الحسين ، فسَلَّم ، فقالت له : يا فرزدق ، مَنْ أشعر الناس ؟ قال : أنا ، قالت : كذبت ، أشعرُ منك الذي يقول :

بنفسى مَنْ تَجَنَّبُهُ عَزِيزٌ عَلَى وَمَنْ زيارته لِيَامُ
وَمَنْ أَمْسَى وَأَصْبَحَ لَا أَرَاهُ وَيَطْرُقُنِي إِذَا هَجَعَ النَّيَامُ
فقال : أما والله لو أذنت لي لأسمعك أحسن منه . قالت : أقيموه ؛ فأخرج .
ثم عاد إليها من الغد ، فدخل عليها ؛ فقالت : يا فرزدق ، مَنْ أشعرُ الناس ؟ فقال :
أنا ، قالت : كذبت ، صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول :

لولا الحياه لعادني استعمارٌ ولزرتُ قبركِ والحبيبُ يُزارُ
كانت إذا هجر الصَّبيحُ فراشها^(٢) كُتِمَ الحديثُ وعُفِيَ الأسرار
لا يلبث القرناء أن يتفرقوا ليلٌ يـُـكـرُّ عليهم ونهارُ
فقال : والله لئن أذنت لي لأسمعك أحسن منه ، فأمرت به فأخرج .
ثم عاد إليها في اليوم الثالث ، وحوالها مَوَلَّدَاتٌ لها كأنهن التماثيل ؛ فنظر
الفرزدق إلى واحدة منهن فأعجب بها ، وبُهِتَ ينظر إليها . فقالت له

* الأغاني : ٨ — ٣٨ (طبعة دار الكتب) ، مصارع العشاق : ٧٤ ، انحاسن والساوى : ٢٣٣ (طبع ليذج) .

(١) هو أبو فراس همام بن غالب ، نشأ بالبصرة وأخذ به رواية الشعر وظلمه ، فرواه ونبغ فيه ، وتعرف بولاية البصرة ومدحهم ومجاشم ، ثم رحل إلى خلفاء بني أمية بالشام ومدحهم ونال جوائزهم . مات سنة ١١٠ هـ .

(٢) الضجيج هنا : الزوج ، وهجرها أن يغيب عنها ؛ يصفها بالغاف .

سكينة : يا فرزدق من أشعرُ الناس ؟ قال : أنا ؛ قالت : كذبت ؛ صاحبك أشعر منك حيث يقول :

إنَّ العيونَ التي في طرفها مَرَضٌ قتلنا ثم لم يُحمِين قتلانا
يصرعن ذاللبِّ حقَّ لا حرَّ اك به وهُنَّ أضفُّ خَلْقِ الله إنسانا
فقال : لئن تركتني لأسمعَنَّك أحسنَ منه ، فأمرت بإخراجه .

فالتفت إليها ، وقال : يا بنت رسول الله ، إن لي عليك حقاً عظيماً . قالت : وما هو ؟ قال : ضربتُ إليك آباط الإبل من مكَّة إرادة التسليم إليك ، فكان جزائي من ذلك تكذيبي وطردى ، وتفضيلَ جرير على ، ومنعك إياي أن أنشدك شيئاً من شعري ، وبى ما قد عيلَ منه صبرى ؛ وهذه المنايا تغدو وتروح ، ولعلّى لا أفارقُ المدينة حتى أموت ، فإذا أنا مت فمرى بى أن أدرج في كفتى ، ثم أدفن في ثياب هذه الجارية ^(١) .

فضحكت سكينة وأمرت له بالجارية ، فخرج بها آخذاً برِيطَها ^(٢) ؛ ثم قالت له : يا فرزدق ، احتفظ بها وأحسنْ صحبتها ، فإني آثرتُك بها على نفسى ، بارك الله لك فيها .

قال الفرزدق : فلم أزل والله أرى البركة بدعائها في نفسى وأهلى ومالى .

(١) . يشير إلى الجارية التي أعجبه . (٢) الرِبطَة : الملاة .

٦٠ - يوم عند امرأة من بنى أمية*

خرج النضيب هو وكثير الأحوص^(١) غيباً يوم أمطرت فيه السماء ، فقال :
هل لكم في أن نركب جميعاً فנסير حتى نأتي العقيق ، فنمتع فيه أبصارنا ؟ فقالوا :
نعم ؛ فركبوا أفضل ما يقدرون عليه من الدواب ، ولبسوا أحسن ما يقدرون عليه من
الثياب ، وتفكروا ثم ساروا حتى أتوا العقيق ، فجعلوا يتصفحون^(٢) ويرون بعض
ما يشتهون ، حتى رفع لهم سواد عظيم فأموه ، فإذا وصائف ورجال من الموالي
ونساء بارزات ، فسألنهم أن ينزلوا فاستحيوا أن يجيبوهن من أول وهلة ؛ فقالوا :
لا نستطيع أو نمضي في حاجة لنا ، فحلفنهم أن يرجعوا إليهن ، ففعلوا وأنوهن
فسألنهم النزول فنزلوا .

ودخات امرأة من النساء فاستأذنت لهم ، فلم تلبث أن جاءت للمرأة فقالت :
ادخلوا .

قال النضيب : فدخلنا على امرأة جميلة برزة على فرش لها ، فرحبت ، وحييت ؛
وإذا كرامتي موضوعة ، فجلستنا جميعاً في صف واحد كل إنسان على كرسی ،
فقلت : إن أحببتكم أن ندعو بصبي^(٣) لنا فنضيحه ونعزله أذنه فعلنا ، وإن شئتم
بدأنا بالغداء ، فقلنا : بل تدعين بالصبي ، ولن يفوتنا الغداء .

فأومات بيدها إلى بعض الخدم ، فلم يكن إلا كلاً ولأ^(٤) حتى جاءت جارية

* الأغاني . ١ - ٣٥٦ (طبعة دار الكتب) .

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله ، شاعر هجاء ، كان معاصراً لجريير والفرزدق ، وهو من
سكان المدينة ، ولقب بالأحوص لضيق في مؤخر عينيه . توفي سنة ١٠٥ هـ (٢) تصفحت
الشيء : نظرت إليه لأنعرفه (٣) تريد العود ؛ على التشبيه (٤) العرب إذا أرادوا تقليل مدة
فعل أو ظهور شيء خفي قالوا : كان فعله كلاً ، وربما كرروا فقالوا : كلاً ولا . اللسان - مادة «لا» .

جميلة قد سُرَّتْ بِمُطَرَفٍ ، فأمسكوه عليها حتى ذهب بُهْرُها^(١) ، ثم كَشَفَ عنها ،
وإذا جارية ذات جمالٍ ، قرييةٌ من جمال مَوَلَاتِها ، فرجبت بهم وحيتهم ، فقالت
لها مولاتُها : خُذِي العود ويحك ! وغنى من قول النصيب ، عافى الله أبا محجن !

أَلا هل من البين المُفَرِّق من بُدٍّ وهل مثلُ أُمَامٍ بِمُنْقَطَعِ^(٢) السَّمْعِ
تَمَنَيْتُ أَيَّامِي أَوْلَئِكَ وَالْمَنَى عَلَى عَهْدِ عَادٍ مَا تُعِيدُ^(٣) وَلَا تُبْدِي

فَفَنَنْتُهُ ، فجاءت به كأحسن ما سمعته قط ؛ بأحلى لفظ وأشجى صوت ، ثم قالت
لها : خُذِي أَيْضًا مِنْ قَوْلِ أَبِي مُحَجَّن ، عافى الله أبا محجن !

أَرْقَ الحُبُّ وعاده سَهْدُهُ لَطَوَارِقِ المَمِّ التي تَرِدُهُ
وَذَكَرْتُ مِنْ رَقَّتْ لَهُ كَبْدِي وَأَبَى فَلَيْسَ تَرَقُّ لِي كَبْدُهُ
لَا قَوْمُهُ قَوْمِي ، وَلَا بَلَدِي - فَتَكُونُ حِينًا جَبْرَةً - بَلَدُهُ
وَوَجَدْتُ وَجْدًا لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ قَبْلِي مِنْ أَجْلِ صَبَابَةٍ يَحْدُهُ
إِلَّا ابْنُ عَبَّالَانَ^(٤) الَّذِي تَبَلَّتْ هَنْدٌ قَفَاتِ^(٥) بِنَفْسِهِ كَدَّهُ

قال : فجاءت به أحسن من الأول ، فكادت أظيرُ سرورًا ، ثم قالت لها :
ويحك ! خُذِي مِنْ قَوْلِ أَبِي مُحَجَّن ، عافى الله أبا محجن !
فِيَالِكَ مِنْ لَيْلٍ تَمْتَمْتُ طَوْلَهُ وَهَلْ طَائِفٌ مِنْ نَائِمٍ مُتَمَتِّعٍ !

(١) البهر في الأصل : انقطاع النفس من الإعياء ، ويراد هنا : الحجل والروع (٢) منقطع
المكان : حيث ينتهي ، والسعد : موضع قرب المدينة (٣) أى لا تائدة منها (٤) هو عبادة
ابن عبالة ، شاعر جاهلي عاشق ؛ عشق هند بنت كعب بن عمر ومات في سبيلها ، فغضب القتل
بشقه (تزيين الأسواق : ٢ - ٧٦) .
(٥) أى أن الكد أهلكه وذهب بنفسه .

نعم إن ذا شَجْوٍ - متى يلقَ شَجْوَهُ ولوناً مُسْتَعْتَبٌ^(١) أو مودَّعُ
له حاجةٌ قد طالما قد أَسْرَّها من الناسِ في صدرٍ بها يقصدُ
تحمّلها طولَ الزمانِ اعلمها يكونُ لها يوماً من الدهرِ مَنزَعُ
وقد قُرِعتْ في أمِّ عمرو إلى العِصا قديماً ، كما كانت لدى الحِلْمِ تُقَرَّعُ^(٢)

قال : فجاءت والله بشيء حَيَرَنِي وأذهلَنِي طرّاً بالحسن الغناء ، وسروراً باختيارها
الغناء في شعري ، وما سمعتُ فيه من حُسْنِ الصَّنْعةِ وجَوْدَتِها وإحكامها . ثم قالت
لها : خُذِي أيضاً من قول أبي عَجْن ، عافى الله أبا عَجْن :

يأيُّها الرّكبُ إني غيرُ تابِكم حتّى تَلْعَوْا وأتم بي مُلُوناً
فما أرى مثلكم ركباً كَشَلِكُم يدعوهم ذُو هوى إلا يَعُوجُوناً
أم خَبَرُونِي عن دأبي بعلِّكم وأعلمُ الناسِ بالداءِ الأطْبُوناً^(٣)

قال نصيب : فوالله لقد زُهَيْتُ بما سمعت زهواً ، خَيْلٌ إلى أُنَى من قُرَيْش ،
وأن الخلافة لي ، ثم قالت : حَسْبُكَ يَا بُنَيَّةُ ، هاتِ الطعامَ يا غلام ؛ فوثبَ الأُحوصُ
وكثيّرٌ ، وقالوا : والله لا نَطْعَمُ لكِ طعاماً ، ولا نَجْلِسُ لكِ في مجلس ، فقد أَسأتِ
عِشْرَتَنَا واستَخَفَفْتِ بِنَا ، وقد مَتَّ شِعْرُ هذا على أشعارنا ، واستمعت الغناء فيه ؛
وإن في أشعارنا لَمَّا يَفْضُلُ شعْرَهُ ، وفيها من الغناء ما هو أحسنُ من هذا ، فقالت :
على معرفةٍ كلُّ ما كان مني !

(١) الاستعتاب : طلب العتي وهو الرضا (٢) يشير إلى التل : « إن العِصا قرعت لدى
الحلم » يضرب لمن إذا نه انتبه ، والمعنى أنه قد لِم قديماً في حبها (٣) الأطبون : البارعون
في الطلب .

ثم خرجا مُغْضِبَيْنِ وَاحْتَبَسْتَنِي . فتغديت غندها ، وأمرت لي بثلاثمائة دينار وحُلَّتَيْنِ وطيبٍ ، ثم دفعتُ إلى مائتي دينار ، وقالت : ادفعا إلى صاحبيك ، فإن قَبَلَاها وإلا فهي لك .

فأتيتُهما منازلُهما فأخبرتُهما القصة ، فأما الأُحوص فقَبِلَها ، وأما كثير فلم يقبلها وقال : لعن الله صاحبتك وجائزتها ولعنك معها ، فأخذتها وانصرفتُ .

قال الراوي : فسألتُ النصيب : مِمَّنِ المرأةُ ؟ قال : من بنى أُمِّيَّة ، ولا أذكر اسمها ما حييتُ لأحد .

٦١ — حديث عائشة بنت طلحة مع النُميرى *

لَمَّا تَأَيَّمَتْ ^(١) عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ كَانَتْ تَقِيْمُ بِمَكَّةَ سَنَةً وَبِالْمَدِيْنَةِ سَنَةً؛ وَتَخْرُجُ إِلَى مَالٍ ^(٢) عَظِيْمٍ لَهَا بِالطَّائِفِ ، وَقَصْرِ كَانَ لَهَا هُنَاكَ فَتَنْزِعُهُ فِيهِ ، وَتَجْلِسُ بِالْعَشِيَّاتِ ، فَيَتَنَاضَلُ بَيْنَ يَدَيْهَا الرُّثَمَاءُ .

فَرَبَّهَا النُّمَيْرِيُّ الشَّاعِرُ ^(٣) ، فَسَأَلَتْ عَنْهُ فَتُسَبِّحُ لَهَا ، فَقَالَتْ : ائْتُونِي بِهِ فَأَتَوْهَا بِهِ . فَقَالَتْ لَهُ : أَتَشِدُّنِي بِمَا قُلْتَ فِي زَيْنَبٍ ^(٤) ؟ فَامْتَنَعَ عَلَيْهَا وَقَالَ : تِلْكَ ابْنَةُ عَمِّي ، وَقَدْ صَارَتْ عَظَامًا بِالْيَةِ ، قَالَتْ : أَقَسَمْتُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ إِلَّا فَعَلْتُ ؛ فَأَنْشَدَهَا قَوْلَهُ :

نَضَوَعَ مِسْكَابُنُ نَعْمَانَ ^(٥) إِذْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبُ فِي نِسْوَةِ عَطِرَاتِ
تَهَادَيْنَ مَا بَيْنَ الْمُحْصَبِ ^(٦) مِنْ مَنِي وَأَقْبَلْنَ لَا شُعْمًا وَلَا غَبِرَاتِ
أَعَانَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ عَرْشَهُ مَوَاشِيََ بِالْبَطْحَاءِ مُؤْتَجِرَاتِ ^(٧)
مَرَزْنَ بَفَخٍ ^(٨) ، ثُمَّ رُحْنَ عَشِيَّةً يَلْبَسِينَ لِلرَّحْنِ مُعْتَمِرَاتِ

* الأغانى . ٦ - ٢٠٣ (طبعه دار الكتب)

(١) تأيأت المرأة : إذا مات عنها زوجها ولم تتزوج . وقد كانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر فهلك عنها فتزوجها بعده مصعب بن الزبير فقتل عنها ، ثم تزوجها عمر ابن عبد الله بن معمر ، فمات عنها ، فلم تتزوج بعده . توفيت سنة ١١٠ (٢) المال : ما ملكه الإنسان من كل شيء . (٣) هو محمد بن عبد الله ، من ثقيف ، شاعر غزل مولد من شعراء الدولة الأموية . توفي سنة ٩٠ هـ . (٤) هي زينب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج الثقفي ، وللنُميرى فيها أشعار كثيرة : شبيب بها في حياتها وورثاها بعد موتها . (٥) بطن نعمان : موضع بين مكة والطائف (٦) المحصب : موضع بين مكة ومنى (٧) مؤتجرات : طالبات للأجر (٨) فخ : موضع ؛ بينه وبين مكة ثلاثة أميال .

يَحْبِئْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّتَى وَيَقْتُلْنَ بِالْأَلْحَظِ مُقْتَدِرَاتِ
تَقْسِمْنَ لِيَّ يَوْمَ نَعْمَانِ لِمَتْنِي رَأَيْتِ فَوَادِي عَارِمٍ ^(١) النَّظَرَاتِ
جَلَوْنَ وَجُوهَهَا لَمْ تَلَحْظْهَا سَمَائِمٌ حَرُورٌ ، وَلَمْ يُسَفِّقْنَ بِالسَّبَرَاتِ ^(٢)

وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ الْغَيْبِ رَاعَهَا وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذَرَاتِ
فَأَذْنَيْنِ حَتَّى جَاوَزَ الرِّكْبُ دُونَهَا حِجَابًا مِنَ الْقَسَى ^(٣) وَالْحَبَرَاتِ
فَكِدَتْ أَشْتِيَاقًا نَحْوَهَا وَصَبَابَةً تَقْطَعُ أَنْفَاسِي لِأَثَرِهَا حَسَرَاتِ
فَرَاغَتْ نَفْسِي وَالْحَفِيزَةَ بَعْدَهَا بَلَلْتُ رِداءَ الْعَصَبِ ^(٤) بِالْعَبَرَاتِ ^(٥)

فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا قُلْتُ إِلَّا جَمِيلًا ، وَلَا ذَكَرْتُ إِلَّا كَرَمًا وَطِيبًا ، وَلَا وَصَفْتُ
إِلَّا دِينَارًا وَتَقَى ! أَعْطَوْهُ أَلْفَ دَرَاهِمٍ .

فَلَمَّا كَانَتِ الْجُمُعَةُ الْآخَرَى تَعَرَّضَ لَهَا ؛ فَقَالَتْ : عَلَى بِهِ ، فَأَحْضَرَ . فَقَالَتْ لَهُ :
أَنْشِدْنِي مِنْ شَعْرِكَ فِي زَيْنَبَ ، فَقَالَ لَهَا : أَوْ أَنْشِدُكَ مِنْ شَعْرِ الْحَارِثِ بْنِ خَالِدٍ
فِيكَ ؟ فَوَثَبَ مَوَالِيهَا إِلَيْهِ ؛ فَقَالَتْ : دَعُوهُ فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَسْتَقِيدَ ^(٦) لَبِنتِ عَمَّهُ ؛
هَاتِ مَا قَالَ الْحَارِثُ فِيَّ فَأَنْشِدْهَا ^(٧) :

(١) عارم النظرات : شديدها (٢) لاحته الشمس : لفحته وغيرت وجهه ، والسائم : جمع
سموم وهي ريح حارة ، وسففته : غيرته . والسبرات : جمع سبرة وهي شدة البرد (٣) القسى :
نوع من الثياب ، والحبرات : ضرب من برود اليمن (٤) العصب : برود يصبغ غزلها ثم تنسج
(٥) روى أن هذه القصيدة حينما بلغت عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج : « قد بلغني
قول الحبيث في زينب ، فإلهه ، وأعرض عن ذكره ؛ فإنك إن أدنيتيه أو عاتبتيه أطعمته ،
وإن عاتبتيه صدقته » (٦) يأخذ بثأرها (٧) قال الحارث بن خالد هذه الأبيات حين تزوج
مصعب بن الزبير عائشة ، ورحل بها إلى العراق . والحارث بن خالد : أحد شعراء قريش
المعروفين بالفزليين ، وكان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة في شعره ، لا يتجاوز الغزل إلى المديح
والهجاء إلا نادراً .

ظَمَنَ الْأَمِيرُ بِأَحْسَنِ الْخَلْقِ وَغَدَا بِلَبِّكَ مَطْلَعُ الشَّرْقِ
فِي الْبَيْتِ ذِي الْحَسْبِ الرَّفِيعِ وَمِنْ أَهْلِ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالصَّدْقِ
مَا صَبَّحَتْ أَحَدًا بِرُؤْيَيْهَا إِلَّا غَدَا بِكُوَاكِبِ الطَّلْقِ ^(١)
فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا ذَكَرْتُ إِلَّا جَمِيلًا ؛ ذَكَرْتُ أَنِّي إِذَا صَبَّحْتُ زَوْجِي بِوَجْهِ غَدَا
بِكُوَاكِبِ الطَّلْقِ ، وَأَتَى غَدَوْتُ مَعَ أَمِيرٍ تَزَوَّجَنِي إِلَى الشَّرْقِ ، وَأَتَى أَحْسَنُ الْخَلْقِ
فِي الْبَيْتِ ذِي الْحَسْبِ الرَّفِيعِ ؛ أَعْطَوْهُ أَلْفَ دَرَاهِمٍ وَاسْكُوه حَلَّتَيْنِ ، وَلَا تَمُدُّ لِي تِيَانَنَا
بَعْدَ هَذَا يَا نَمِيرَى .

(١) يقال : يوم طلق ؛ أى مشرق متدل ، وهو يريد : أن من تصبجه برويتها يرى اليوم
طيباً سعيداً .

٦٢ — أتريد أن تقتلني ؟ *

أقبل أبو العباس السفاح^(١) على أخى أم سلمة^(٢) بنت يعقوب، فسأله التزويج بها فزوجه إياها ، فأصدقها خمسمائة دينار ، وأهدى مائتي دينار ، ودخل عليها من ليلته ، وحظيت عنده ، وحلف ألا يتزوج عليها ولا يتسرى ، وغلبت عليه غلبة شديدة حتى ما كان يقطعُ أمراً إلا بمشورتها وبأمرها ، ثم أفضت الخلافةُ إليه ، فوقى لها بما حلف .

فلما كان ذات يوم في خلافته خلا به خالد بن صفوان ؛ فقال: يا أمير المؤمنين إنى فكرت في أمرك ، وسعة ملكك ، وقد ملكت نفسك امرأة واحدة ، فإن مرضت مرضت ، وإن تأملت أملت ، وحرمت نفسك الجوارى ، والتمتع بما تشهى منهن ؛ فإن منهن — يا أمير المؤمنين — الطويلة العيذاء^(٣) ، وإن منهن الفضة ، والدقيقة السمراء ، من مولدات المدينة ؛ ولورأيت يا أمير المؤمنين الطويلة البيضاء ، والسمراء اللعساء^(٤) ، من مولدات البصرة والكوفة ، وذوات الألسن العذبة والقُدود المهففة ، وحسن زيهن وزيتهن ، وشكلهن لرأيت شيئاً حسناً .

* المحاسن والمساوى : ٤٣٠ (طبع ليزج) ، ثمرات الأوراق : ٢ - ٢٩٢ ، السعوى :

٢ - ٢١٥ .

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، رأس الدولة العباسية . بويج بالخلافة سنة ١٣٢ ومات سنة ١٣٦ (٢) كانت عند عبد العزيز بن الوليد فهلك عنها ، ثم كانت عند هشام فهلك عنها (٣) الفيداء : المتذنية ليناً (٤) اللس : سواد مشرب بحمرة .
(١١ - قصص العرب - ثان)

وَأَيْنَ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بَنَاتِ الْأَحْرَارِ ، وَالنَّظَرُ إِلَى مَا عِنْدَهُنَّ مِنَ
الْحَيَاءِ وَالتَّخَفُّرِ !

وجعل خالد يجيد في الوصف ، ويجدُّ في الإطناب ، بحلاوة لفظه وجودة
وصفه .

فلما فرغ قال له أبو العباس : ويحك يا خالد ! ماصك مسامى - والله - قط
كلام أحسن مما سمعته ، فأعِدْ عَلَى كَلَامِكَ ؛ فقد وقع منى موقعا . فأعاد عليه خالد
الكلام أحسن مما ابتدأه ، ثم انصرف .

وبقى أبو العباس مفكرا فيما سمع منه ، فدخلت عليه أم سلمة امرأته . وكانت
تبره كثيرا ، وتتحرى مسرته وموافقته في جميع ما أراده - فقالت له : إني
لَأُنْكِرُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ فهل حدث أمر تَكْرَهُهُ ؟ أو أتاك خَبَرٌ قَارَعَتْ لَهُ ؟
قال : لم يكن من ذلك شيء !

قالت : فما قصتك ؟ فجعل ينزوي عنها ؛ فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد له ،
فقالت : فما قلت له ؛ إنه ... قال : سبحان الله ينصحني وتشتمينه !

فخرجت من عنده مغضبة ، وأرسلت إلى خالد بعض خدمها ، وأمرتهم ألا
يتروكوا منه عضواً صحيحاً .

قال خالد : فانصرفتُ إلى منزلي ، وأنا مسرور بما رأيتُ من أمير المؤمنين ؛
وإعجابه بما ألقىته إليه . ولم أشك أن صلته ستأتينني ، فلم ألبث حتى صار إلى
أولئك الخدم ، وأنا قاعد على باب داري ؛ فلما رأيتهم قد أقبلوا نحوي أيقنتُ
بالجائزة ، حتى وقفوا على ؛ فسألوا عني ؛ فقلت : هاأنذا خالد ؛ فسبق إلى أحدهم

بهرأوة كانت معه ، فلما أهوى بها إلى وثبت فدخلت منزلي ، وأغلقت الباب على واستترت ، ومكثت أياماً على تلك الحال لا أخرج من منزلي ، ووقع في خلدي أني أتيت من قبل أم سلمة .

وطلبني أبو العباس طلباً شديداً ، فلم أشعر ذات يوم إلا بقوم قد هجموا على وقالوا : أجب أمير المؤمنين ، فأيتت بالموت .

ولما وصلت إلى الدار أوماً إلى بالجلوس ، ونظرت فإذا خلف ظهري باب عليه ستور قد أرخيت ، وحركة خلفها ! فقال : يا خالد : لم أرك منذ ثلاث . قلت : كنت عليلًا يا أمير المؤمنين : قال : ويحك ! إنك وصفت لي في آخر دخلة من أمر النساء والجواري ما لم يخرج مسامعي قط ؛ فأعده علي .

قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، أعلمتك أن العرب اشتقت الضرّة من الضرّ ، وأن أحدهم ما تزوج من النساء أكثر من واحدة إلا كان في جهدي^(١) ، فقال : ويحك ! لم يكن هذا في الحديث ، قلت : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وأخبرت أن الثلاث من النساء كأتاني^(٢) القدر يغلي عليهن . قال أبو العباس : برئت من قرابتي من رسول الله إن كنت سمعت هذا منك في حديثك ! قلت : وأخبرت أن أن الأربعة من النساء شرّ لصاحبهن يُشيبنه ويهرّ منه ويسقيمه . قال : ويلك ! والله ما سمعت هذا الكلام منك ولا من غيرك قبل هذا الوقت . قلت : بلى والله ، قال : وتلك ! أوتكذّبنني ! قلت : وتريد أن تقعلنني يا أمير المؤمنين !

(١) الجهد : المشقة (٢) الأتاني : جمع أنفية : وهي ما يوضع عليه القدر .

قال خالد : فسمعت الضحك من وراء الستر . قلت : نعم ، وأخبرتكم أيضاً أن
بنى مخزوم ريمانة قريش ، وأنت عندك ريمانة من الرياحين ، وأنت تطعم بمينيك
إلى حرائر النساء وغيرهن من الإماء .

فقبل لي من وراء الستر : صدقت والله يا عماء وبررت ، بهذا حدثت أمير
المؤمنين ، ولكنه بدل وغير ، ونطق عن لسانك !

فقال أبو العباس : مالك قاتلك الله وأخزأك ، وفعل بك وفعل !
فتركته وخرجت ، وقد أيقنت بالحياة ، فما شعرت إلا برسل أم سلمة قد صاروا
إلى ، ومعهم عشرة آلاف درهم ونخت^(١) ويرذون وغلाम .

(١) التخت : وعاء يسان فيه الثياب .

٦٣ — بعد أن ذهب الملك*

كانت الخيزران^(١) أم الهادي والرشيد في دارها ، وعندها أمهات أولاد الخلفاء وغيرهن من بنات بني هاشم ؛ فبينما هي كذلك إذ دخلت عليها جارية من جواربها ، فقالت : أعز الله انسيدة ! بالبواب امرأة ذاتُ حسن وجمال ، في أطمار رثة ، وليس وراء ما هي عليه من سوء الحال غاية ، تأتي أن تُخبرَ باسمها ، وهي تروم الدخول .

فقالت الخيزران للجارية : أدخلها ، فإنه لا بد من فائدة أو ثواب ، فدخلت امرأة ذاتُ بهاء وجمال ، في أطمار رثة ؛ فوقفت بجانب عضادة الباب ثم سلّمت متضائلة ، وتكلمت فأوضحت عن بيان ولسان . فقالت : من أنت ؟

قالت : أنا مزنة زوج مروان بن محمد ، وقد أصارني الدهر إلى ما ترين ، ووالله ما الأطمارُ الرثةُ التي على - إلا عارية ، وإنكم لما غلبتمونا على هذا الأمر ، وصار لكم دوننا لم نأمن مخالطة العامة - على ما نحن فيه من الضرر - على بادِرة إلينا تزيل موضع الشرف ؛ فقصدناكم لتكونَ في حجابكم على أية حال كانت ؛ حتى تأتي دعوةٌ من له الدعوة .

* ثمرات الأوراق : ١ - ٢١٨ ، السعدي : ٢ - ٢٤٩ .

(١) هي زوجة المهدي العباسي ، وأم الهادي والرشيد ، يمانية الأصل ، ولها ولي ابنها الهادي استبديت بالأمور دونه ، فكانت المواقب تغدو وتروح إلى بابها فنمها الهادي من ذلك . وكانت حازمة ، توفيت في خلافة الرشيد سنة ١٨٣ .

فاغرورقت عينا الخيزران بالدموع ، ونظرت إليها زينب^(١) بنت سليمان بن علي فقالت : لا خففَ الله عنك يا مَرْزُنة ! أتذكرين وقد دخلتُ إليك وأنت على هذا البساط بعينه ، فكلمتُك في جنة إبراهيم الإمام ، فانتهرتيني ، وأمرت بإخراجي ، وقلت : ما للنساء والدخول على الرجال في آرائهم ! فوالله لقد كان مَرْوانُ أَرْغَى للعقِّ منك ! لقد دخلتُ إليه فحلفَ إنَّه ما قتلَه - وهو كاذب - وخيَّرني بين أن يدفنه ، أو يدفعَ إلى جُنته ، وعرض على مالا فلم أقبله .

فكانت مَرْزُنة : والله ما أداني إلى هذه الحال التي ترىنها إلّا تلك الفِعال التي كانت مني ، وكأنك استحسنيتها ، فخرشت الخيزران على مثلها ؛ إنَّما كان يجب أن تحضّيها على فعل الخير ، وتركِ المِقابلة بالشر ؛ لتُحرِّزَ بذلك نعيمها ، وتُصونَ دينها ثم قالت لزينب : يا بنت عم ؛ كيف رأيت صليح الله بنا في العقوق ، فأحببت التأمسي بنا ! ثم ولت باكية .

فأشارت الخيزران إلى جارية من جواريتها ، فعدلت بها إلى بعض المقاصير ، وأمرت بتغيير حالها والإحسان إليها .

فلما دخل المهدي عليها - وقد انصرفت زينب - قصّت الخيزران عليه قصتها ، وما أمرت به من تغيير حالها ؛ فدعا بالجارية التي رَدَّتها ، فقال لها لما رددتها إلى المقصورة : ما الذي سمعتها تقوله ؟ قالت لحقتها : وهي تبكي في خروجها ، وتقرأ : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ؛ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ، فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ .

(١) كان للمهدي قد تقدم إلى الخيزران بأن تلزم زينب بنت سليمان ، وقال لها : اقتبسي من آدابها ، وخذي من أخلاقها ، فإنها مجوز لنا قد أدركت أوائلنا .

ثم قال للخيزران : والله لو لم تفعل بها ما فعلت ما كنتك أبداً ، وبكى بكاءً كثيراً ، وقال : اللهم إني أعوذ بك من زوال النعمة !

ثم بعث جارية إلى مقصورتها التي أخليت لها ، وقال للجارية : اقرئي عليها السلام ، وقرئي لها : يا بنت عم ؛ إن أخواتك قد اجتمعن عندي ، ولولا أني ابن عمك لجنناك !

فلما سمعت الرسالة علمت مراد المهدي ، فجاءت تسحب أذيالها فأمرها بالجلوس ، ورحب بها ورفع منزلتها .

ثم تذكروا أخبار أسلافهم ، وأيام الناس والدولة وتنقلها ؛ فاتركت لأحد في المجلس كلاماً !

فقال لها المهدي : يا بنت عم ؛ والله لولا أني لا أحب أن أجمل لقوم أنت منهم في أمرنا شيئاً لتزوجتك ، ولكن لا شيء أضون لك من حجابي ، وكونك مع أخواتك في قصرى ؛ لك ما هن ، وعليك ما عابهن ، إلى أن يأتيك أمر من له الأمر فيما حكم به على الخلق .

ثم أخذ منها^(١) وأجازها ، فأقامت في قصره إلى أن قضى المهدي والمهادي ، ومضى صدر من أيام الرشيد وماتت في خلافته ؛ فجزع عليها جزعاً شديداً .

(١) أخذت فلانا . أعطيته خادماً يخدمه .

٦٤ — أم أمير المؤمنين بالباب *

كانت أم جعفر^(١) بن يحيى أرضعت الرشيد^(٢) مع جعفر ، لأنه كان رُبِّي في حجرها ، وغذِّي برِسلها^(٣) إذ أن أمه ماتت عن مَهْدِهِ ، فكان الرشيد يشاورها ، مُظهِراً لإكرامها ، والتبرُّك برأيها . وكان آلى - وهو في كفالتها - ألا يحجبها ، ولا استشفعته لأحد إلا شفّعها ، وآلت عليه أم جعفر ألا دخلت عليه إلا مأذوناً لها ، ولا شفعت لأحدٍ مقترف ذنباً ، فكم أسير فكّت ، ومُبهمّ عنده فتحت ، ومستغلق منه فرّجت !

وتغيّر الرشيد على البرامكة^(٤) ، فقتل جعفرأ ، وسجن يحيى والفضل ، وسجن معهما أقاربهما ، واستصفى ضياعهم وأموالهم . ثم احتجب عن الناس ، فسعت إليه أم جعفر ، وطلبت الإذن عليه ومثّت^(٥) بوسائلها إليه ، فلم يأذن لها ، ولا أمر بشيء فيها ، فلما طال ذلك بها خرجت كاشفةً وجهها ، واضعةً لثامها ، محتفية^(٦) في مشيها ، حتى صارت بباب قصر الرشيد .

فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب ، فقال : ظنّ أمير المؤمنين بالباب ، في حالةٍ تقلب شماتة الحاسد ، إلى شفقة أم الواحد . فقال الرشيد : ونحك يا عبد الملك !

* المقد الفريد . ٣ - ٣٣ .

- (١) هي فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قطيبة (٢) هو هارون الرشيد بن عبد المهيدي ، كان ديناً عافياً كثير الجهاد ، وافر العطاء ؛ توفي سنة ١٩٣ هـ (٣) الرسل : اللب .
(٤) كانت نكبة البرامكة سنة ١٨٧ هـ ؛ بعد عودة الرشيد من الحج
(٥) مثت : توسلت (٦) احتفى : مضى حافياً .

أو ساعية؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين وحافية ! قال : أدخلها يا عبد الملك ، قرب كبد غزنها ، وكربية فرجتها ، وعورة سترتها ! .

ودخلت ، فلما نظر الرشيد إليها داخلّة محتضية ، قام محتضياً حتى تلقاها بين عمد المسجد ، وأكب على تقبيل رأسها ، ثم أجلسها معه ؛ فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ أبعُدو علينا الزمان ، ويخفوننا خوفاً لك الأعوان ، ويُجردك^(١) بنا البهتان ، وقد ربيتك في حجرى ، وأخذت برضاعك الأمان من هذوى ودهرى ؛ فقال لها : وماذا يا أم الرشيد ؟ قالت : ظنرك^(٢) يحبى وأبوك ، ولا أصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين ؛ من نصيحتة له ، وإشفاقه عليه . . .

فقال لها : يا أم الرشيد ، أمر سبق ، وقضاء حم^(٣) ، وغضب من الله نفذ . فقالت : يا أمير المؤمنين ﴿ يَمْخُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ . فقال : صدقت ، فهذا مما لم يَمْخُه الله . فقالت : الفيب محجوب عن النبئين ، فكيف عنك يا أمير المؤمنين ! فأطرق الرشيد ملياً ، ثم قال :

وَإِذَا الْمَنِيَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ^(٤)

فقال : بغير رواية : ما أنا ليحيى بتميمية يا أمير المؤمنين ، وقد قال الأول^(٥) :

وَإِذَا افْتَقَرْتَ إِلَى الذَّخَائِرِ لَمْ تَجِدْ ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ الْأَعْمَالِ

هذا بعد قول الله عز وجل : ﴿ وَالْكَافِرِينَ الْغَيْظُ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ

وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

(١) يجردك : يفضلك (٢) الظئر : من يصف على ولد غيره - للذكر والانثى .
(٣) حم : نزل ووقع (٤) التميمية : خزيمة كان العرب في جاهليتهم يملقون العدد منها على أولادهم وقاية لهم من العين ، والبيت لأبى ذؤيب (٥) البيت للأختل .

فأطرق الرشيد ثانية ، ثم قال : يا أم الرشيد ، أقول :
إذا انصرفتْ نفسى عن الشيء لم تَكْذُ إليه **وَجْهٌ** آخر الدهر تُقبل
فقلت : يا أمير المؤمنين ، وهو يقول أيضاً ^(١) :

سَتَقَطُّعُ في الدنيا - إذا ما قطعنى - بيمينك ، فانظر أى كَف تَبْدَلُ !
فقال هارون : رضيت ! فقلت : هَبْ لى يا أمير المؤمنين ، فقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : « مَنْ تَرَكَ شَيْئًا ، لم يُوجَدْهُ الله لفقهه » ، فأكب ملياً ،
ثم رفع رأسه وقال : ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ . فقلت : يا أمير المؤمنين ،
﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَقَرُّحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَهْضِ اللَّهِ يَنْصُرُهُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ ،
واذكر يا أمير المؤمنين أَلَيْتَكَ ^(٢) : مَا اسْتَشْفَعْتُ إِلَّا شَفَعْنى ! فقال : واذكرى
يا أم الرشيد أَلَيْتَكَ إِلَّا شَفَعْتَ لمقترف ذنباً . فلما رآته قد صرَّح بمنعها ، ولأذ عن
مطلبها ، أخرجت حقاً من زُمُرْدَةٍ خضراء فوضعت بين يديه ، فقال الرشيد : ما هذا ؟
ففتحتهُ ، وأخرجت منه ذوائبه وثناياه ، وقد غمست جميع ذلك فى المسك .

فقلت : يا أمير المؤمنين ، استشفع إليك ، وأستعين بالله عليك ، وبما صار
معى من كريم جسدك ، وطيب جوارحك أن تشفعنى فى عبدك يحبى .

فأخذ هارون ذلك ، ولثمه ، ثم بكى طويلاً ، فأبكى أهل المجلس ، وذهب
البشير إلى يحى وهو لا يظن إلا أن البكاء رحمة له ورجوع عنه . فلما أفاق رى
جميع ذلك فى الحَقِّ ، وقال لها : لَحَسَنٌ ما حفظتِ الوديسة . فقلت : وأهل
للكافاة أنت يا أمير المؤمنين .

(١) هذا البيت والذى قبله لمن بن أوس . (٢) الآية : الخلفة .

فسكت وأقلل الحقّ، ودفعه إليها ، وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا
الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ . فقالت : والله يقول : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ
تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ ، ويقول : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ . ثم قال : وما
ذاك يا أمّ الرشيد ؟ قالت : أو ما أقسمت ألاّ تمنّجيني ولا تمنّهنّى .

فقال : أحب يا أمّ الرشيد أن تبيعيني ذلك محكمة فيه . فقالت : أنصفت
يا أمير المؤمنين ، وقد فعلتُ غير مستقيمة لك ، ولا راحة عنك . فقال : بكم ؟
قالت : برضاك عن لم يُسْخِطْكَ . فقال : يا أمّ الرشيد ؛ أمانى من الحقّ عليك
مثل الذى له ا قالت : بلى ! أنت أعزّ علىّ وهو أحبّ إلى . قال : فتحكى فى تمنّيةٍ
بغيره . فقالت : قد وهبتك وجملتك فى حلّ منه ؛ وقامت عنه غضبى ، وبقي
مبهوتا ، ما يُحير لفظه .

٦٥ - كريم يجمع بين زوجين *

قال إبراهيم بن ميمون : حججتُ في أيام الرشيد^(١) ، فبينما أنا بمكة أجول في سَككِهَا إذا أنا يسوداء قائمة ساهية ، فأنكرتُ حالها ، ووقفت أنظر إليها ، فسكتُ كذلك ساعةً ثم قالت :

أعمرُّو علامَ تَجَنَّبَتْنِي أخذتُ فؤادى فعذَّبَتْنِي !
فلو كنتُ يا عمرو خَيْرَتْنِي أخذتُ حذارى فما نَلَّتْنِي

فدنوت منها ، فقلت : يا هذه ؛ مَنْ عمرو ؟ فارتاعت من قولى ، وقالت : زوجى . فقلت : وما شأنه ؟ قالت : أخبرنى أنه يهوانى وما زال يدس إلىَّ ، ويلقى بى فى كُلِّ طريق ، ويشكو شدةَ وَجْدِهِ حتى تزوجنى ، فلبث معى قليلاً ، وكان له عندى من الحبِّ مثل الذى كان لى عنده ، ثم مضى إلى جُدة ، وتركنى قلت : صفه لى ، فقالت : أحسنُ من تراه ، وهو أسمرُّ حلوظ ريف .

قلت : فخبرينى ، أنحبين أن أجمع بينكما ؟ قالت : فكيف لى بذلك ! وظللتنى أهزل بها .

فركبتُ راحلتى ، وصرت إلى جُدة ، فوقفت فى المرق أنبصرُ من يعمل فى السفن ، وأصوتُ^(٢) يا عمرو ! يا عمرو ! فإذا به خارجٌ من سفينة وعلى عنقه صَنْ^(٣) ، فمرفته بالصِّفَّة .

* مصارع المشاق : ١٥٩ .

(١) انظر صفحة ١٦٢ (٢) أصوت : أنادى (٣) الصن : شبه السلة المطبقة ؛ يجعل فيها الطعام . الحز

قلت : « أعمرو ، علام تجنبتني ! » فقال : هيه ! هيه ! رأيته ، وسمعت منه !
ثم أطرق هنيهة ، واندفع يغنيه ، قلت : ألا ترجع ! فقال : بأبي أنت ! ومن لي
بذلك ؟ ذلك والله أحب الأشياء إليّ ، ولكن منع منه طلبُ المعاش . قلت : كم
يكفيك كل سنة ؟ قال : ثلاثمائة درهم ، فأعطيته ثلاثة آلاف درهم ، قلت : هذه
لعشر سنين ، ورددته إليها ، قلت له : إذا فئت أو قاربت الفناء قدمت على
وأعطيتك ، وإلا وجهت إليك . وكان ذلك أحب إليّ من حجّتي .

٦٦ - أعرايةٌ على قبرِ زوجها *

قال الأصمعي^(١) : دخلتُ بعضَ مقابرِ الأعرابِ ، ومعى صاحبٌ لى ، فإذا جارية على قبرِ كأنها تمثال ، وعليها من الحلَى والحلل ما لم أر مثله ، وهى تبكى بعين غزيرة ، وصوتٍ شجى ! فالتفتُ إلى صاحبى ؛ فقلت : هل رأيتَ أعجبَ من هذه ؟ قال : لا والله ، ولا أحسبني أراه !

ثم قلتُ : يا هذه : إني أراك حزينة وما عليكِ زىَ الحزن ! فأنشأت تقول :

فإن تسألانى : فِيمَ حزنى ؟ فإنتى رهينةُ هذا القبرِ يا فتى
وإنى لأستحييه والترُّبُ بيننا كما كنتُ أستحييه حين يرانى

ثم اندفعت فى البكاء ، وجعلت تقول :

يا صاحب القبر ، يَأْمَنُ كان ينعم بى بآلا ، ويكثرُ فى الدنيا مُواساتى
قد زرتُ قبرك فى حُلِيِّ وفى حُلَى كأننى لستُ من أهل المصيبات
أردت آتيك فيما كنتُ أعرفه أن قد تسرُّ به من بعض هيثابى
فمن رَأَى رَأَى عَبرى موله عجيبه الزى تبكى بين أموات !

٦٧ — على قبور الزاهدين *

قال الأصمعي :

دَفَعْتُ يَوْمًا فِي تَلَمُّسِي بِالْبَادِيَةِ إِلَى وَادٍ خَلَاءَ ، لَا أَنْيَسَ بِهِ إِلَّا بَيْتَ مُعْتَنَزٍ ^(١) ،
بِفَنَائِهِ أَعْنَزَ ، وَقَدْ ظَلِمْتُ ، فَيَمِّمْتُهِ فَسَلَّمْتُ ، فَإِذَا عَجُوزٌ قَدْ بَرَزَتْ كَأَنَّهَا نَعَامَةٌ
رَاحِمٌ ^(٢) ، فَقُلْتُ : هَلْ مِنْ مَاءٍ ؟ فَقَالَتْ : أَوْ لَبَنٍ ! فَقُلْتُ : مَا كَانَ بُغِيَّتِي إِلَّا الْمَاءُ ،
فَإِذَا يَسَّرَ اللَّهُ اللَّبَنَ فَإِنِّي إِلَيْهِ فَقِيرٌ .

فَقَامْتُ إِلَى قَعْبٍ فَافْرَغْتُ فِيهِ مَاءً ، وَنَظَفْتُ غَسَلَهُ ، ثُمَّ جَاءَتْ إِلَى الْأَعْنَزِ
فَتَغَيَّرَتْهُنَّ ^(٣) حَتَّى احْتَلَبْتُ قُرَابَ ^(٤) مِلءِ الْقَعْبِ ، ثُمَّ أَفْرَغْتُ عَلَيْهِ مَاءً حَتَّى رَغَا ،
وَوُطِفَتْ ثُمَالَتُهُ ^(٥) ، كَأَنَّهَا غَمَامَةٌ بَيضاء ، ثُمَّ نَاوَلْتَنِي إِيَّاهُ فَشَرِبْتُ حَتَّى تَحَبَّبْتُ ^(٦)
رِيًّا ، وَاطْمَأْنَنْتُ .

فَقُلْتُ : إِنِّي أُرَكِّ مُعْتَنَزَةً فِي هَذَا الْوَادِي الْمَوْحَشِ ، وَالْحِلَّةُ ^(٧) مِنْكَ قَرِيبٌ ،
فَلَوْ انْضَمَمْتَ إِلَيَّ جَنَابَهُمْ ^(٨) فَأَنْتَ بِهِمْ . فَقَالَتْ : يَا بَنَ أَخِي ! إِنِّي لَأَنْسُ
بِالْوَحْشَةِ وَأَسْتَرِيحُ إِلَى الْوَحْدَةِ ، وَيَطْمِئِنُّ قَلْبِي إِلَى هَذَا الْوَادِي الْمَوْحَشِ ، فَأَتَذَكُرُ
مَنْ عَاهَدْتُ فَكَأَنِّي أَخَاطَبُ أَعْيَانَهُمْ ، وَأَتَرَاءِي ، أَشْبَاحَهُمْ ، وَتَتَخَيَّلُ لِي أُنْدِيَّةُ
رَجَالِهِمْ ، وَمَلَاعِبُ وَلَدَانِهِمْ ، وَمَنْدَى أَمْوَالِهِمْ .

* الأملال : ٢-٧ .

(١) معتنز : منفرد (٢) الراخم : التي تحضن بيضها (٣) تغيرتهن : احتلبت الفبر وهو بقية
اللبن في الصرع (٤) قراب : قريب (٥) الثمالة : الرغوة (٦) تحببت : امتلأت
(٧) الحلة : وجهها حلال : بيوت الناس (٨) الجناب : فناء الدار .

والله يابن أخى ، لقد رأيتُ هذا الوادى بشع^(١) اللديدين^(٢) بأهل أدواح^(٣)
وقبَاب ، ونعم^(٤) كالمضاب ، وخيل كالذئاب ، وفتيان كالرماح ، يبارون الرياح ،
ويحمون الصَّبَاح ، فأحال عليهم الجلاء قَمًا^(٥) بفرقة ، فأصبحتِ الأثَارُ دَارسة ،
والمحال طامسة ، وكذلك الدهر فيمن وثق به .

ثم قالت : أزمِ بعينك فى هذا الملا^(٦) المتباطن^(٧) . فنظرت فإذا قبور
نحو أربعين أو خمسين . فقالت : أترى تلك الأجداث ؟ قلت : نعم . قالت :
ما انطوت إلا على أخ أو ابن أخ أو ابن عم ، فأصبحوا قد أَلَمَات^(٨) عليهم الأرض ،
وأنا أترقب ما غَالَهُمْ ! انصَرِفْ راشداً رحمك الله .

(١) بشع : ملآن (٢) اللديدان : الجانبان (٣) الأدواح : الأشجار العظيمة
(٤) المضاب : الجبال الصغار (٥) قما : كنسا (٦) الملا : ما اتسع من الأرض
(٧) المتباطن : المتطامن (٨) أَلَمَات : احتوت .

٦٨ - الحق أنطقها وأخرسه *

قال الشَّيْبَانِي : جلس المأمون^(١) يوماً للعظام ، فكان آخرُ مَنْ تقدم إليه وقد همَّ بالقيام - امرأة عليها هيئة السفر ، عليها ثياب رثة .

فوقفت بين يديه وقالت : السلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فنظر المأمونُ إلى يحيى بن أكرم . فقال لها يحيى : وعليك السلام يا أمة الله ، تكلمي في حاجتك ؛ فقالت :

يا خيرَ منتصفٍ يَهْدِي له الرشدُ ويا إماماً به قد أشرقَ البـلـدُ
تشكو إليك عَمِيدَ القومِ أزملةً عداً عليها فلم يُترك لها سبـدُ^(٢)
وابترَّ مني ضياعي بعدَ منعتها ظُلماً وفرَّقَ مني الأهلُ والولدُ

فأطرق المأمونُ حيناً، ثم رفع رأسه إليها ، وهو يقول :

في دُونِ ما قُلْتُ زال الصبر والجلدُ عني ؛ وفرَّحَ مني القلبُ والكبدُ
هذا أو أن صلاةَ العصرِ فأنصر في وأحضري الخصرَ في اليوم الذي أعدُ
والجلس السبتُ إن يقضَ الجلوسُ لنا ننصفك منه ؛ وإلاَّ المجلسُ الأحدُ
فلمَّا كان يوم الأحد جلس ، فكان أوَّلَ مَنْ تقدم إليه تلك المرأة ،

* العقد : ١ - ١٥ ، المحاسن والساوى* : ٣٥٠ (طبع ليزج) .

(١) هو عبد الله بن المأمون بن هارون الرشيد ، من أعظم خلفاء بني العباس وعلماهم وحكامهم كان وافر الخلق ، عظيم الحلم عباً للعلم ، مؤثراً للحكمة . توفي سنة ٢١٨ هـ (٢) السبد هنا : القليل ، وهو في الأصل القليل من الشعر .

(١٢ - قصص العرب ٢)

فَقَالَتْ : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . فَقَالَ : وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ، أَيْنَ الْخَصْمُ ؟ فَقَالَتْ : الْوَاقِفُ عَلَى رَأْسِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - وَأَوْمَأَتْ إِلَى الْعَبَّاسِ ابْنِهِ .

فَقَالَ : يَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ ، خُذْ يَدَهُ فَأَجْلِسْهُ مَعَهَا مَجْلِسَ الْخَصُومِ . فَجَعَلَ كَلَامُهَا يَمْلُوكَلَامَ الْعَبَّاسِ ، فَقَالَ لَهَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ : يَا أُمَّةَ اللَّهِ ؛ إِنَّكَ بَيْنَ يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنَّكَ تَكَلِّمِينَ الْأَمِيرَ ، فَاخْفِضِي مِنْ صَوْتِكَ ، فَقَالَ لِلْأَمَوْنَ : دَعِي يَا أَحْمَدُ ، فَإِنَّ الْحَقَّ أَنْظَقَهَا وَأَخْرَسَهُ . ثُمَّ قَضَى لَهَا بَرْدَ ضَيْعَتِهَا إِلَيْهَا ، وَأَمَرَ بِالْكِتَابِ لَهَا إِلَى الْعَامِلِ بِبِلَدِهَا أَنْ يُوْغِرَ لَهَا ^(١) ضَيْعَتَهَا وَيُحْسِنَ مَعَاوَتَهَا ، وَأَمَرَ لَهَا بِنَفَقَةٍ .

(١) أَوْغَرَ الْمَلِكُ الرَّجُلَ الْأَرْضَ : جَعَلَهَا لَهُ مِنْ غَيْرِ خَرَاكِ .

٦٩ - أجارها ثم تزوجها *

قال إبراهيم بن المدير ^(١) :

جاءني يوماً محمد بن صالح ^(٢) بعد أن أُطلقَ من الحبس ، فقال لي : إني أريد المقام عندك اليوم على خَلْوَةٍ لأبْنِتِكَ من أمرى شيئاً لا يصلحُ أن يسمعه غيرُنا .
فقلت : أفعل ؛ فصرفتُ مَنْ كانَ بِمَحْضَرَتِي وَخَلَوْتُ معه .

فلما اطمأنَّ وأكلنا واضطجعنا قال لي : إني خرجت في سنة كذا وكذا ،
ومع أصحابي على القافلة فقاتلنا من كان فيها فهزمنام وملكنا القافلة ؛ فبينما أنا
أحوزُها وأُنِيخُ الجمالَ إذ طلعت على امرأة ، ما رأيتُ قطُّ أحسنَ منها وجهاً ولا
أحلى منطقاً . فقلت : يافتي ؛ إن رأيتَ أن تدعولي بالشريف المتولي أمر هذا
الجيـش ؟ فقلت : قد رأيته وسمِعَ كلامك ! فقلت : سألتك بحق الله وحق
رسوله ؛ أنت هو ؟ فقلت : نعم وحقَّ الله وحقَّ رسوله إني لهو . فقلت : أنا حمدونة
بنت عيسى بن موسى ؛ ولأبي محلّ من سلطانه ، ولنا نعمة إن كنتَ ممن سمعَ بها
فقد كفك ما سمعتَ ، وإن كنتَ لم تسمع بها فسل عنها غيري ! ووالله لا استأثرت
عنك بشيء أملكه ، ولك بذلك عهدُ الله وميثاقه عليّ . وما أسألك إلا أن تصونني
وتستُرني ، وهذه ألفُ دينارٍ معي لنفقتي ، فخذها حالا ، وهذا حلّي عليّ ثمنه خمسمائة

* الأغاني : ١٥ - ٨٧ (طبعة الساسي) .

(١) إبراهيم بن المدير ، شاعر كاتب ، من وجوه كتاب أهل العراق ومتقدمهم وذوى الجاه
فيهم ، وكان التوكل يقدمه ويؤثره ويفضله ، توفي سنة ٢٧٠ هـ (٢) محمد بن صالح : ينتهي نسبه
إلى علي بن أبي طالب ، كان شاعراً حجازياً ظريفاً من شعراء أهل بيته المقدمين ، توفي سنة ٢٣٨ هـ

دينار فخذ ؛ وما شئت بعده آخذه لك من تجار المدينة أو مكة أو أهل اللؤس ، فليس منهم أحدٌ يمنعني شيئاً أطلبه ، وادفع عني واحني من أصحابك ومن عاري يلحقني .
فوقع قولها من قلبي موقماً عظيماً . فقلت لها : قد وهب الله لك مالك وحليتك وجاهك ، ووهب لك القافلة بجميع ما فيها .

ثم خرجت ، فناديتُ في أصحابي فاجتمعوا ، فناديت فيهم : إني قد أجرت هذه القافلة وأهلها وخفرتها وحسيتها ، ولها ذمةُ الله وذمةُ رسوله وذمتي ؛ فمن أخذ منها خيطاً أو عقلاً فقد آذنته بحربٍ . فانصرفوا معي وانصرفت .

فلما أخذتُ^(١) وحسيتُ جاءني يوماً السجان ، وقال لي : إن بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك ، وقد حُظِرَ عليَّ أن يدخلَ عليك أحدٌ ؛ إلا أنهما أعطتاني دُمْلَجَ ذهب ، وجعلتاه لي إن أوصلتهما إليك ، وقد آذنتُ لهما وهما في الدَّهْلِيز .
فاخرج إليهما إن شئت .

ففكرت فيمن يجيئني في هذا البلد وأنا به غريب لا أعرف أحداً . ثم قلت : لعليهما من ولد أبي أو بعض نساء أهلي . فخرجتُ إليهما فإذا بصاحبتي ، فلما رأتني بكتُ لما رأت من تغيير خلقي وثقل حديدي ، فأقبلت عليها الأخرى فقالت : أهو هو ! فقالت : إي والله إنه لهو هو ! ثم أقبلت عليَّ فقالت : فذاك أبي وأمي ! والله لو استطعت أن أقيك بما أنت فيه بنفسي وأهلي لفعلت وكنت بذلك مني حقيقاً ، والله لا تركت المعاونة لك والسمي في حاجتك وخلاصك بكل حيلة ومالٍ وشفاة . وهذه دنانير وثياب وطيب فاستمن بها على موضعك ، ورسولي يأتيك في كل يوم بما يصلحك حتى يُفرج الله عنك . ثم خرجت إليَّ كسوةً وطيباً ومائتي دينار .

(١) حبس التوكل محمد بن صالح حين خرج عليه ثلاث سنين ، ثم عفا عنه لشعر مدحه به .

وكان رسولها يأتيه كل يوم بطعام نظيف ، ويتواصل برؤها بالسجّان ، فلا يمتنع من شيء أريدّه . ثمّ من الله بخلصي لخطبتها ؛ فقالت : أمّا من جئتي فأنا متّابعة مطيعة والأمر إلى أبي . فأتيت خطبتها إليه ، فردّني فقت من عنده منكسراً مستحيّاً .

قال إبراهيم بن المدبر : قلت له : إن عيسى صنيعة أخى وهو لى مطيع وأنا أكيفك أمره . فلما كان من الغد لقيت عيسى فى منزله وقلت له : قد جئتُك فى حاجة لى ، فقال : مقضية ؛ ولو كنت استعملت ما أحبه لأمرتني فجئتُك ، وكان أسراً لى . قلت له : قد جئتُك خاطباً إليك ابنتك ، فقال : هى لك أمة وأنا لك عبدٌ وقد أجبتك . قلت : إني خطبتها على من هو خير منى أباً وأماً ، وأشرف لك صهراً : محمد بن صالح العلوى . فقال لى : ياسيدى ؛ هلا كان غير هذا ! فلم أزل أرفق به حتى أجاب . وبعثت إلى محمد بن صالح فأحضرتة وما برحت حتى زوجته ، وسقتُ الصداق عنه ^(١) .

(١) وفى ابن المدبر يقول بن صالح حينما أولاه وأعانه على زواجه :

فهل لى الذى أولاك عرفاً	تسرى من مقالك ما يسير
ثناء غير مختلق ومدحاً	مع الركبان بنجد أو يفور
أخ وإساك فى كلب اليبالى	وقد خذل الأفارب والنصير
حفاظاً حين أسلمك الموالى	وضن بنفسه الرجل الصبور
فإن تشكر فقد أولى جيلاً	وإن تكفر فإنك للكفور

وكل خلقه ، حملته على عتاق الخليل ففترس وفترس^(١) ، ولبس السلاح ، ومشى بين بُونَيَاتِ الحَيِّ الخِلَاءِ ، فأخذ في قَرَى الضيف ، وإطعام الطعام ، وأنا عليه وَجِلَةٌ ، أشفق عليه من العيون أن تصيبه .

ثم اتفق أن نزلنا بمنهل من المناهل بين أحياء العرب ، فخرج فتیانُ الحَيِّ في طلب نَارٍ لهم ، وشاء الله أن أصابته وَعْكَةٌ^(٢) شغلته عن الخروج ، وأمن القوم ، ولم يبق في الحَيِّ غيره ، ونحنُ آمنون وادعون ، ثم أدبر الليل ، وأسفر الصباح ، فطلعت علينا غُرر الجياد ، وطلائع المدو ، وما هو إلا هُنَيْهَةٌ حتى أحرزوا الأموال دون أهلها ، وهو يسألني عن الصوت ، وأنا أستر عنه الخبر إشفاقاً عليه وضناً به .

ولما عَلَّتِ الأصوات ، وبرزت المخدرات^(٣) ، رَمَى دِثَارُهُ^(٤) ، وثار كما يثور الأسد ، وأسر بإسراج فرسه ، ولبس لَأْمَةً حربيه ، وأخذ رُمحه بيده ، ولحق حُمَاة القوم ، فظعن أدنانهم منه فرمى به ، ولحق أبعدهم منه فقتله ؛ فانصرفت وجوه الفرسان ، ثم رأوه صبيحاً صغيراً لا مدد وراءه ، فحملوا عليه ، فأقبل يؤم البيوت ، ونحنُ ندعو الله عز وجل له بالسلامة ، حتى إذا مذهب وراءه ، وامتمدوا في أثره عطف عليهم ، ففرق شملهم ، وشنت جمعهم ، وقلل كثيرتهم ، ومزقهم كلِّ مُمَزَّقٍ ، ومَرَّقٍ كما يمرقُ السهم . وناداهم : خلوا عن المال ! فوالله لا رجعت إلا به أو أهلك دونه !

فانصرفت إليه الأقران ، وتمايلت نحوه الفرسان ، وحملوا عليه ، وقد رفعوا إليه الأستة ، وعطفوا عليه بالأعنة ، فوثب عليهم وهو يهذر كما يهذر الفحل من وراء

(١) فترس : تثبت ونظر ، ورأى الناس أنه فارس ، وفترس : عالج الأمور ، واحتك بها .
(٢) الوعكة : الألم من شدة التعب (٣) المخدرات : المحجوبات من النساء (٤) الدثار : ما فوق الشعار من الثياب .

٧٠ - كيف ربّت ابنها ! *

قال الفضل بن يزيد: نزل علينا بنو ثعلبة في بعض السنين، وكنت مشغوقاً بأخبار العرب، أحبُّ أن أسمعها وأجمعها. فبينما أنا أدور في بعض أحيائهم، إذا بامرأة واقفة في فناء خبائها، وهي آخذة بيد غلام. قلما رأيت مثله في حسنه وجماله، وهي تعاتبه بلسان رطب، وكلام عذب، تمنح إليه الأسماع، وترتاح إليه القلوب. وأكثر ما أسمع منها: أي بني، وهو يتسم في وجهها، قد غلب عليه الحياء والحجل، لا يردّ جواباً؛ فاستحسنْتُ ما رأيت، واستحلّيت ما سمعت، ثم دنوت منه وسلمت عليه، فردّ عليّ السلام، فوقفت أنظر إليهما.

فقلت: يا حضري، ما حاجتك؟ فقلت: الاستكثار مما أسمع، والسرور بما أرى من هذا الغلام. فقلت: يا حضري، إن شئت سقتُ إليك من خبره ما هو أحسن مما شاهدتَ من أدبه، فقلت: قد شئتُ - يرحمك الله! - فقلت: حملته والرزق عسير، والعيش نكد، حملاً خفيفاً، حتى إذا مضت له تسعة أشهر ولدته؛ فوَرَبِكَ ما هو إلا أن صار ثالثَ أبويه حتى أفضلَ الله عز وجلّ وأعطى، وأتى من الرزق بما كفى وأغنى؛ ثم أرضعته حوَلَيْنِ كاملين، فلما استتمَّ الرضاع قلته من خرق المهد إلى فراش أبيه، فنشأ كأنه شبل أسد، أقيه برد الشتاء وحرّ الحجير، حتى إذا مضت له خمسُ سنين أسلمته إلى المؤدب، لحفظه القرآن فتلاه، وعلمه الشعر فَرَوَاهُ، ودرّب في مفاخر قومه وآبائه وأجداده، فلما أن بلغ الحلم، واشتدَّ عظمه،

الإبل ، وجعل لا يعطف على ناحية إلا حطّما ، ولا كتيبة إلا مزقها ، حتى لم يبق من القوم إلا من نجا به فرسه .

ثم ساق المال وأقبل به ؛ فكبر القوم عند رؤيته ، وفرح الناس بسلامته . فوالله ما رأينا قطّ يوماً كان أسمع صباحاً ، وأحسن رواحاً من ذلك اليوم ، ولقد سمعته يقول في وجوه فتيات الحلى هذه الأبيات :

تأملنّ فعلى هل رأيتنّ مثله إذا حشّرتْ نفسُ الجبان من الكرب !
وضاقت عليه الأرض حتى كأنه من الخوف مسلوب العزيمة والقلب
ألم أعط كلاً حقّه ونصيبه من السّمهرى اللدن والمُرْهف المعضب^(١)
أنا ابنُ أبي هند بن قيس بن مالكٍ سليل للمعالي والمكارم والسيب^(٢)
أبى لي أن أعطى الظّلامة مُرْهَفٌ وطِرفٌ^(٣) قوى الظّهر والجوف والجنب
وعزّمٌ صحيح لو ضربت بحذاء الجبال الرواسى لانحططن إلى التّرب
وعِرضٌ نقي أتقى أن أعيبه وبيتٌ شريف في ذُرّاتِ قلب القلب^(٤)
فإن لم أقاتل دونكُنّ وأحتى لكنّ ، وأحيكُنّ بالطن والضرب
فلا صدق اللاتى مشين إلى أبى يهنئنه بالفارسِ البطلِ النّذب^(٥)

(١) السّمهرى : الرمح ، وهو منسوب إلى سمهر ؛ رجل لأن يثقف الرماح ، والمُرْهف : السيف الرقيق الحد ، والمعضب : القاطع (٢) السيب : العطاء (٣) الطرف : الكريم من الخيل .
(٤) ثلب : أصله ثلبة وهى قبيلة الغلام ، والقلب جمع أغلب ، وهو الأسد ؛ يريد أنهم شجعان .
(٥) النذب : الخفيف فى الحاجة .

٧١ — خائف وجد مأمناً*

قال وهب بن ناجية الرُّصافي: كنتُ أحدَ مَنْ وقعت عليه التهمةُ في مال مصر أيامَ الواثق، فطلبني السلطان طلباً شديداً، حتى ضاقتُ على الرُّصافة^(١) وغيرُها، فخرجتُ إلى البادية مرتاداً رجلاً عزيزَ الدار، منيعَ الجار، أعودُ به، وأنزلُ عليه.

فبينما أنا أسيرُ إذا رأيتُ خياماً، فعدلتُ إليها، فلتُ إلى بيت منها مضروب، وبنفائه رُمحٌ مركوز، وفرسٌ مربوط؛ فدنوتُ فسلمتُ، فردَّ عليّ نساءً من وراء السَّجف^(٢)، وقالت لي إحداهنَّ: اطمئنْ يا حضري، فنعَم مناخُ الضيفانِ بؤاك القدرَ، ومهدك السفر. قلتُ: وأنى يطمئنُّ المطلوب، أو يأمنُ المرغوب، من دون أن يأوى إلى جَبَلٍ يعصيه، أو مأمنٍ أو مغزَعٍ يمتعه! وقليلًا ما يجمعُ من السلطان طالِبُهُ، والخوفُ غالبه! قالت: لقد تَرجمَ لسانك عن ذَنْبٍ عظيم، وقلبٍ صغير، وإيمٌ الله لقد حلتَ بفناء رجل لا يُضامُ بفنائه أحدٌ، ولا يجمعُ بساخته كَيْدٌ، هذا الأسودُ بن قنان، أخواله كعب، وأعمامه شيبان، صُعلوك^(٣) الحى في ماله، وسيدُّهم في حاله، وسندُّهم في فعّاله^(٤)، صدوق الجوار، وقود النار؛ وبهذا وصفته أمانة بنت خزرخ حيث تقول:

* محاضرات الأبرار: ٢ - ١١٦

(١) الرصافة: عمله ببغداد (٢) السجف: الستر (٣) أصل الصعلوك الفقير، وإراد أنه ينفق حتى يصير فقيراً (٤) الفعّال: (بالفتح) الفعل الحسن من فاعل واحد، وإذا كان من فاعلين فهو الفعّال (بالكسر).

إذا شئت أن تلقى فتى لو وزنته بكل معدى وكل يمماني
وفى بها فضلاً وجوداً وسودداً ورأياً ، فذاك الأسود بن قنان
فتى لا يرى فى ساحة الأرض مثله ليوم ضراب أو ليوم طمعان
قال : قلت : يا جارية ، وأتى لى به ! فقالت : يا خادم ، مولاك ! فلم تلبث
أن جاءت وهو معها فى جماعة من قومه ، وقال : أى المنعمين علينا أنت ؟ فسبقتنى
المرأة ، وقالت : هذا رجل نبت به أوطانه ، وأزعجه زمانه ، وأوحشه سلطانه ؛
وقد صمماً له ما يضمن لمثله على مثلك ، قال : بل الله فاك ، أشهدكم يا بنى عمى
أن هذا الرجل فى جوارى وفى ذمتى ، فمن آذاه فقد آذانى ، ومن كاده فقد كادنى .
وأمر بيته فضرب إلى جانبه ، وقال : هذا بيتك وأنا جارك ، وهؤلاء رجالك .
فلم أزل بينهم فى خفضٍ وسعةٍ إلى أن سرت عنهم .

٧٢ - تحنُّ إلى وطنها*

هوى بعضُ خلفاءِ بنى العباسِ أعرابيةً فتزوَّجَ بها ، فلم يوافقها هوى المَدَن ، فلم تزل تمُتَل وتَتَأَوَّه ، مَعَ ما هى عليه من النِّعَمِ والرَّاحَةِ ، والأمرِ والنهى ؛ فسألها عن شأنها ، فأخبرتهُ بما تَجِدُ من الشَّوقِ إلى البرارى وأحاليبِ^(١) الرِّعَاءِ ، وورودِ المياهِ التى تعودُ ؛ فبنى لها قصرًا على رأسِ البريةِ بشاطئِ دجلةِ^(٢) ، وأمر بالآغنامِ والرِّعَاءِ أن تَسْرَحَ بين يديها وتتراى لها ؛ فلم يزدها ذلك إلا اشتياقًا إلى وطنها .

ثم مرَّ بها يومًا فى قصرها من حيث لا تشعر بمكانه ، فسمعها تنحبُّ وتبكي ، حتى ارتفعَ صَوْتُها ، وهلا نحيبُها ، ثم قالت :

وما ذنبُ أعرابيةٍ قدَّفتُ بها صروفُ النَّوى من حيثُ لم تك ظنَّتى
تمنَّتْ أحاليبَ الرِّعَاءِ وخيمَةً بنجدٍ فلم يُقْضَ لها ما تمنَّتِ
إذا ذكَّرتُ ماءَ المُذَيَّبِ^(٣) وطيبه وبردَ حصاهُ آخرَ الليلِ أنتِ
لها أنَّةٌ عندَ العشاءِ وأنَّةٌ سحيراً ، ولولا أنَّتُها لَجُنَّتِ

فخرج عليها الخليفة ، وقال : قد قُضِيَ ما تمنيت ، فالحقِّ بأهلك من غير فراق ؛ فما مرَّ عليها وقتٌ أسَرَ من ذلك ، وسرى ما الحياة فى وجهها من حِينِها ، والتَّحَقَّتْ بأهلها بجميع ما كان عندها فى قصرها ، وظلَّ الخليفة يزورها فى أهلها بين الحين والحين .

* محاضرات الأبرار : ٢ - ٢٤٨

(١) الإحلابة : أن يجلب لأهله وهو فى المرمى لبناً ، ثم يمت به اليهم ، وجهه أحاليب ، والرِّعَاءُ جمع راع (٢) دجلة : نهر بالمِراق (٣) المذيب : موضع .

٧٣ — سئمتُ حياتي حين فارقت قبره!

قال محدث : سألت أبا الندى ^(١) - وكان من أعلم من شاهدتُ بأخبار العرب : هل تعرف من شعر الذّلاء بنت الأبيّض في ابن عمها نجدة بن الأسود ؟ قال : نعم ، كنتُ فيمن حفرَ جنازةَ نجدة ، حتى وضعناه في قبره ، وأهلاً عليه التراب ، وصدرنا ^(٢) عنه غير بعيد ، فأقبلتُ نسوةٌ يتهادين ^(٣) ، فيهنَّ امرأةٌ قد فاقتهنَّ طولاً ، كالنفس الرطب ، وإذا هي الذّلاء ؛ فأقبلتُ حتى أكتبُ على القبر ، وبكتُ بكاءً مُحرِقاً ، وأظهرتُ من وجدي ما خفنُ معه على نفسها ، فقلن لها : يا ذّلاء ؛ إنه قد مات الساداتُ من قومك قبل نجدة ، فهل رأيتِ نساءً هم قتلن أنفسهنَّ عليهم ؟ فلم يزلن بها حتى قامت ، فانصرفتُ عن القبر ، فلما صارت منه غير بعيد عطفتُ بوجهها عليه ، وقالت :

سئمتُ حياتي حين فارقتُ قبره ورُحْتُ وماء العين ينهلُ هامِلُهُ ^(٤)
وقالت نساء الحى : قد مات قبله شريفٌ فلم تهلكِ عليه حلائله ^(٥)
صدقن ، لقد مات الرجالُ ولم يمت كنجدة من إخوانه من يُصادِلُهُ
فتى لم يَضِقْ عن جسِمِهِ لحدِّ قبرِهِ وقد وسِعَ الأرضَ القضاء فضائلُهُ
قال . فقلت : أحسنتُ والله يا أبا الندى وأحسنتُ ! فهل تعرف من شعرها شيئاً آخر ؟ قال : نعم ! كنتُ بمن حضرَ قبرَ نجدة عند زيارتها إياه لتمام الحول ،

* معجم الأدباء : ١٧ - ١٦٠

(١) محمد بن أحمد أبو الندى الفندجاني اللوى : رجل واسم العلم ، راجع المعرفة باللغة وأخبار العرب وأشعارها (٢) رجعتاه (٣) يتاملن في مشيتهن (٤) ينهل : ينصب ؛ وهامله : دمه الفائض (٥) أى زوجاته .

فرايتها قد أقبلت حتى أكبَّتْ على القبر، وبَكَتْ بكاءً شديداً ، ثم أنشأت تقول :
يا قبرَ نَجْدَةٍ لم أهْجُرْكَ مَقِيلَةً ولا جفوتُكَ من صَبْرِي ولا جَلَدِي
لَكِنْ بِكِيتِكَ حتى لم أجدَ مَدَدًا من الدموعِ ولا هَوْنًا من الكَمَدِ
وَأَبَسْتَنِي جفوني من مَدَامِعِهَا فقلت للعَيْنِ : فيضِي من دم الكَبَدِ
فلم أزلْ بَدَمِي أبكيكَ جَاهِدَةً حتى بقيتُ بلا عَيْنٍ ولا جَسَدِ
والله يَلمُ لولا الله ما رَضِيتُ نَفْسِي عَلَيْكَ سَوَى قَتْلِهَا بِيَدِي

قال : فقلت : أحسنتَ والله يا أبا الندى وأحسنتَ ! فهل تعرف من شعرها شيئاً آخر ؟ قال : نعم : حضرنا في زمن الربيع ونحنُ في رياضٍ خَصِرَةٍ مُعْشِبَةٍ ، فركبَ الفتيانُ ، وغقدوا المَذْبَ (١) الصُّفْرَ ، في القنا الحمر ، وجعلوا يتجاولون . فلما أردنا الانصراف ، قال بعضنا لبعض : ألا تجعلون طريقكم على الدلاء ! لعلها إذا نظرت إليكم تسلتُ بمن بقى عن هلاك !

قال : فخرجنا نوثُها فأصبناها بارزةً من خباثتها ، وهي كالشمس الطالعة ، إلا أنه يعلوها كسوفُ الحزن ، فسلمنا عليها ، وقلنا : يا ذلاء ! إلى متى يكون هذا الوجد على نَجْدَةٍ ! أما آن لك أن تتسلَّى بمن بقي من بني عمك عن هلاك ؟ هانحن أولاء سادات قومك وفتيانهم ونجومهم ، وفينا السادة والذَّادَةُ (٢) ؛ والبأس والنَجْدَةُ ؛ فأطرقتُ ملياً ، ثم رفعت رأسها ياكية وهي تقول :-

صدقتُم إنكم لنجومٌ قومي لُيُوثٌ عند مُخْتَلَفِ العَوَالِي (٣)
ولكنْ كان نَجْدَةُ بدرٍ قومي وكنْهُمْ المنيفَ على الجبالِ !
فما حسنُ السماءِ بلا نجومٍ وما حسنُ النجومِ بلا هلالِ !
ثم دخلت خباءها ، وأرسلت سِتْرَها ، فكان آخرَ العهدِ بها !

(١) أى الرايات ، والقنا الحمر : الرماح (٢) الذادة المدافعون ، جمع ذائد (٣) العوالى : جم عالية ، وهي أعلى القناة أو النصف الذى يلى السنان .

٧٤ — المتكلمة بالقرآن *

قال عبدُ الله بنُ المبارك : خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام ، وزيارة نبيه عليه السلام ، فبينما أنا في الطريق إذ أنا بسواد ، فتميزت ذاك ، فإذا عجوزٌ عليها درع ^(١) من صوف وخار ، فقلت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته . فقالت : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴾ . فقلت لها : رَحِمَكَ اللهُ ! ما تصنعين في هذا المكان ؟ قالت : ﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ ؛ فعلتُ أنها ضالة عن الطريق .

فقلت لها : أين تريدین ؟ قالت : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَمْرُئِي بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ ، فعلتُ أنها قضت حجَّها وهي تريد بيت المقدس . فقلت لها أنتِ منذ كم في هذا الموضع ؟ قالت : ﴿ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ . فقلت : ما أرى معك طعاماً تأكلين ؟ قالت : ﴿ هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ . فقلت : فبأي شيء تتوضئين ؟ قالت : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ . فقلت لها : إن معي طعاماً ؛ فهل لك في الأكل ؟ قالت : ﴿ نَهْمٌ أَنْتُمُ الصَّيَّامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ ، فقلت : قد أبيعَ لنا الإفطار في السفر ، قالت : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

فقلت : لم لا تكلمينني مثل ما أكلملك ؟ قالت : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ، فقلت : فمن أي الناس أنتِ ؟ قالت : ﴿ وَلَا تَقَفُ

مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْنُوءًا .

فقلت : قد أخطأتُ هاجليتي في خِلِّ ، قالت : ﴿ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَنْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ .

فقلتُ : فهل لك أن أحلك على ناقتي ؛ فعدركي القافلة ؟ قالت : ﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ﴾ :

قال : فأخذتُ الناقة ، فقالت : ﴿ قُلِ الْمُؤْمِنِينَ يَفْعَلُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ . ففَضَضْتُ بصرى عنها ؟ وقلت لها أَرْكَبِي .

فلما أرادت أن تركب نمرت الناقة ؛ فزقتُ نياها ؛ فقالت : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُتِبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ ، فقلت : لها اركبي ، قالت : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ^(١) ۝ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ :

فأخذت بزمام الناقة ، وجعلت أَسْمَى وَأَصْبَح ؛ فقالت : ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ ، فجعلت أَمْشِي رويداً رويداً ، وأترتم بالشعر ؛ فقالت ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ . فقلت لها : لقد أوتيت خيراً كثيراً ، فقالت : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .

فلما مشيت بها قليلاً قلتُ لها : أَلَيْكَ زَوْجٌ ؟ قالت : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ ﴾ .

فسكت ولم أكلّمها ، حتى أدركتُ بها القافلة ، فقلت لها : هذه القافلة ؛ فمن لك فيها ؟ فقالت : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ؛ فعلت أن لها أولاداً .

(١) أقرن للأمر : أطاقه وفقرى عليه .

قلت : وما شأنهم في الحج ؟ قالت : ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ، فعلت
أنهم أدلاء الركب .

قصدت القباب والعمارات ؛ قلت : هذه القباب ؛ فمن لك فيها ؟ قالت :
﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ . ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ . ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ
الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ . فناديت : يا إبراهيم ، يا موسى ، يا يحيى ؛ فإذا بشبان كأنهم
الأقار قد أقبلوا ؛ فلما استقر بهم الجلوس ، قالت : ﴿ ابْعَثُوا أَحَدَكُمْ
يُورِثُكُمْ ^(١) هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ
بِرِزْقٍ مِنْهُ ﴾ .

فضى أحدهم ، فاشتري طعاماً فقدموه بين يدي ، فقالت : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا
هَنِيئًا مِمَّا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ .

قلت : الآن طعامكم على حرام حتى تخبروني بأسرها ؛ فقالوا : هذه أمنا ، لها
منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن ؛ مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن ؛ قلت :
﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

البَابُ الثَّالِثُ

في القصص التي تمثل ذلاقة ألسنتهم، وحكمة منطقهم،
وما ينضاف إلى ذلك من فصاحة اللفظ، وبلاغة المعنى،
وجمال الأسلوب، وحسن التصرف في الإبانة والتعبير.

٧٥ — بنو أسد وامروء القيس*

قَدِمَ عَلَى امْرِئِ الْقَيْسِ^(١) بَنُ حُجْرٍ الْكِنْدِيَّ بَعْدَ مَقْتَلِ أَبِيهِ رَجَالَاتٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ ، فِيهِمُ الْمُهَاجِرُ بْنُ خِدَاشٍ ، وَعَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ ، وَقَبِيصَةُ بْنُ نَعْمٍ ؛ وَكَانَ رَجُلًا مَقِيمًا فِي بَنِي أَسَدٍ ، ذَا بَصِيرَةٍ بِمَوَاقِعِ الْأُمُورِ وَرَدًّا وَإِصْدَارًا ، يَعْرِفُ ذَلِكَ لَهُ مَنْ كَانَ حَيْضًا بِأَكْنَافِ بِلَدِهِ مِنَ الْعَرَبِ .

فَلَمَّا عَلِمَ امْرِئُ الْقَيْسِ بِمَكَانِهِمْ أَمَرَ بِإِزَالِهِمْ ، وَتَقَدَّمَ^(٢) فِي إِكْرَامِهِمْ وَالْإِفْضَالِ عَلَيْهِمْ ، وَاحْتَجَبَ عَنْهُمْ ثَلَاثًا .

فَقَالُوا لَمَنْ يَبَاهُ مِنْ رَجَالِ كِنْدَةَ : مَا بَالُ الرَّجُلِ لَا يَخْرُجُ إِلَيْنَا ؟ فَقِيلَ لَهُمْ : هُوَ فِي شُغْلٍ يَأْخُذُ بِمَا فِي خَزَائِنِ حُجْرٍ مِنَ الْعُدَّةِ وَالسَّلَاحِ . فَقَالُوا : اللَّهُمَّ غَفْرًا ! إِنَّمَا قَدِمْنَا فِي أَمْرِ تَنَاسَى بِهِ ذِكْرَ مَاسَلَفٍ ، وَنَسْتَدْرِكُ بِهِ مَا فَرَطَ ؛ فَلْيَبْلُغْ ذَلِكَ عَنَّا .

فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ ثَلَاثٍ فِي قَبَاءٍ^(٣) وَخَفَّ وَحِمَامَةٍ سَوَادَاءَ — وَكَانَتِ الْعَرَبُ لَا تَعْتَمُ بِالسَّوَادِ إِلَّا فِي الثَّرَاتِ^(٤) — فَلَمَّا رَأَوْهُ نَهَضُوا لَهُ ، وَبَدَرُوا إِلَيْهِ قَبِيصَةُ فَقَالَ : إِنَّكَ فِي الْمَحَلِّ وَالْقَدْرَ وَالْمَعْرِفَةَ بِتَصَرُّفِ الدَّهْرِ ، وَمَا تُحَدِّثُهُ أَيَّامُهُ ، وَتَتَنَقَّلُ بِهِ

* الْأَغَانِي : ١٠٣-٩ (طَبْعَةُ دَارِ الْكِتَابِ) ، صَبْحُ الْأَعَشَى : ١٢٦-٣

(١) هُوَ أَشْهُرُ شُعْرَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَرْفَعُهُمْ مَنَزَلَةً ، يَتَّصِلُ نَسَبُهُ بِمُلُوكِ كِنْدَةَ ، كَانَ قَوًى الشَّاعِرَةِ رَفِيقَ الْوَصْفِ ذَقِيقَ الشُّعُورِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٥٦٠ م (٢) تَقَدَّمَ فِي كَذَا : أَمْرٌ بِهِ . (٣) الْقَبَاءُ : الثَّوْبُ الْمُجْتَمِعُ الْأَطْرَافُ (٥) الثَّرَاتُ : جَمْعُ ثَرَةٍ ؛ وَهِيَ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ وَتَرْتِيبٌ ؛ أَيْ قَصٌّ ، وَاسْتَعْمَلَ فِي النَّارِ .

أحواله بحيث لا تحتاج إلى تبصير واعظ، ولا تذكرة مُجرب، ولك من سوؤدٍ منصبك، وشرف أغراقك^(١)، وكرم أصلك في العرب مُحتملٌ مُحتملٌ ما مُحمّل عليه من إقالة العترة، والرجوع عن المفوّة؛ ولا تتجاوزُ الهَمُّ إلى غايةٍ إلا رجعت إليك؛ فوجدتُ عندك من فضيلة الرأي، وبصيرة الفهم، وكرم الصنع ما يطول رغباتها، ويستغرق طلباتها.

وقد كان الذي كان من الخطيب الجليل، الذي عمّت رزيته زاراً واليمن، ولم تخصّص به كنفةً دوننا؛ للشرف البارع الذي كان للحجر. ولو كان يفدى هالك بالأنفس الباقية بعده لما بخلت كرائمنا^(٢) على مثله ببذل ذلك، ولقد يناله منه، ولكن مَضَى به سبيلٌ لا ترجع أولاه على أخراه، ولا يُلحقُ أقصاه أذناه.

فأخذُ الحالات في ذلك أن تعرفَ الواجبَ عليك في إحدى خلال ثلاث: إما أن اخترتَ من بنى أسدٍ أشرفها بيتاً، وأعلاها في بناء المكرّمات صوتاً، فقد ناله إليك ينسمة^(٣) تذهب مع شفرات حُسامك بباقي قصّده^(٤)، فيقال: رجل امتحنَ بهلك عزيز عليه؛ فلم تُستلَّ سخيته إلا بتمكينه من الانتقام؛ أو فداء بما يروح^(٥) على بنى أسدٍ من نعمها، فهي ألوف تجاوزُ الحسبة، وكان ذلك فداءً ترجع به القُضب^(٦) إلى أجفانها، لم يردّذه تسليط الإحن على البرءاء؛ وإما أن توادعنا حتى نضع الحواملُ فتسدّل الأزر، وتُعمّقَ الخُرُ فوق الرايات.

فبكي امرؤ القيس ساعة، ثم رفع طرفه إليهم فقال: قد علمتِ العربُ أن

(١) الأعراق: جمع عرق، وهو أصل كل شيء (٢) الكرائم: خيار الأموال وقد يراد بها النفوس أو النساء (٣) النسمة: السير من الجلد يجعل زماما للسير فيقاده (٤) القصدة: الضيق (٥) يروح: يرجع (٦) القُضب: السيوف.

لا كُفءٌ لِحُجْرِي فِي دَمٍ ، وَأَتَى لَنِ اعْتَاضَ بِهِ نَاقَةً أَوْ جَمَلًا فَأُكْتَسِبَ بِذَلِكَ سُبَّةٌ
الْأَبَدُ ، وَفَتَّ الْعَضُدُ ؛ وَأَمَّا النَّظَرَةُ فَقَدْ أُوجِبَتْهَا الْأَجَنَةُ فِي بَطُونِ أُمَهَاتِهَا ، وَإِنِّي لَنِ
أَكُونُ لِعَطْلِهَا سَبِيًّا ، وَتَعْرِفُونَ طَلَاتِمَ كَنَدَةٍ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ تَحْمِلُ فِي الْقُلُوبِ حَقَقًا ،
وَفَوْقَ الْأُسْنَةِ عَلَقًا ^(١)

إِذَا جَالَتْ الْخَلِيلُ فِي مَازِقٍ ^(٢) تُصَافِحُ فِيهِ لِلنَّسَايَا النَّفُوسَا
أَتَقِيمُونَ أَمْ تَنْصَرِفُونَ ؟ قَالُوا : بَلْ نَنْصَرِفُ بِأَسْوَأِ الْأَخْتِيَارِ ؛ لِحَرْبٍ وَبَلِيَّةٍ ،
وَمَكْرُوهٍ وَأَذِيَّةٍ ! ثُمَّ نَهَضُوا عَنْهُ وَقَبِيصَةً يَقُولُ مِمَثْلًا :

لَعَلَّكَ أَنْ تَسْتَوْخِمَ الْمَوْتَ إِنْ غَدَتِ كِتَابَتُنَا فِي مَازِقِ الْمَوْتِ تُنْطَرُ
فَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ : لَا وَاللَّهِ ، لَا أَسْتَوْخِمُهُ وَلَكِنْ أَسْتَعْذِرُ بِهِ ؛ فَرَوَيْدًا يَنْكَشِفُ
لَكَ دُجَاهَا عَنْ فُرْسَانِ كَنَدَةٍ وَكِتَابِ خَيْرٍ ، وَلَقَدْ كَانَ ذِكْرُ غَيْرِ هَذَا أَوْلَى بِي ،
إِذْ كُنْتُ نَازِلًا بِرَبْعِي ، وَمَتَحَرَّمًا بِذِمَامِي ، وَلَكِنَّكَ قُلْتَ فَأَجَبْتُ .

قَالَ قَبِيصَةُ : إِنْ مَا تَتَوَقَّعُ فَوْقَ قَدْرِ الْعَاتِبَةِ الْعَاتِبَةِ وَالْإِعْتَابِ ^(٣) ، قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

هُوَ ذَاكَ !

(١) العلق : الدم (٢) المأزق : المضيق (٣) الاعتاب والعبي : رجوع المتوب عليه
إلى ما يرضى العاتب .

٧٦ - نهاية الأعشى *

وفد الأعشى ^(١) إلى النبي عليه السلام ، وقد مدحه بقصيدته التي أولها :
 ألم تغمض عينك ليلة أرمداً ^(٢) وعادك ما عاد السليم ^(٣) المسهداً
 وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خلة مهّداً ^(٤)
 وفيها يقول لناقته :

فأليت لا أُرثي لها من كلاله ^(٥) ولا من حفاً ^(٦) حتى تزور محمدًا
 نبي يرى مالا ترؤن وذكره أغار لعمري في البلاد وأنجدًا ^(٧)
 متى ماتناخي عند باب ابن هاشم تراحي ^(٨) وتلقني من فواضله يداً
 فبلغ خبره قريباً ؛ فرصدوه على طريقه وقالوا : هذا صنّاجة ^(٩) العرب ، مامدح
 أحداً قط إلا رفع في قدره .

فلما ورد عليهم قالوا له : أين أردت يا أبا بصير ؟ قال : أردت صاحبكم
 هذا لأسلم . قالوا : إنه نهاك عن خلal ويحرمها عليك ، قال : وما هي ؟
 فقال أبو سفيان بن حرب : الزنا . قال : لقد تركني الزنا وتركته ، ثم ماذا ؟
 قالوا : القمار ، قال كعلّي إن لقيته أن أصيب منه عوضاً من القمار ، ثم ماذا ؟

* الأغاني : ٩-١٢٥ (طبعة دار الكتب) ، سيرة ابن هشام : ١-٢٣١

(١) اسمه ميبون بن قيس ، أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وخواصهم ، متصرف في المديح
 والهجاء ، وهو أول من سأل بالشعر ، واتجم به أفاضل البلاد : توفي سنة ٦٢٩ م (٢) رجل
 أرمداً : به رمد في عينيه ، والسلام على تقدير مصدر محذوف ، والتقدير . اغتماض ليلة أرمداً ،
 غطف المضاف وأقيمت ليلة بدله (٣) السليم . اللديغ (٤) مهّداً : اسم امرأة (٥) الكلاله : التعب
 (٦) الحفا : رقة القدم (٧) أغار : دخل القور ؛ وهو كل ما انحدر مغرباً عن تهامة ، وأنجد :
 دخل النجد ، وهو ضد القور (٨) تراحي : تستريح (٩) كان الأعشى يسمى صنّاجة العرب ،
 لجودة شعره . وأصل الصنّاجة : اللاعب بالسنج .

قالوا : الربا . قال : ما دِنتُ ولا اَدْنْتُ ؛ ثم ماذا ؟ قالوا : الخمر . قال : أَوْه !
أَرْجِعْ إِلَى صُبَابَةٍ قَدْ بَقِيتَ فِي الْمِهْرَاسِ ^(١) فَأَشْرُهَا .

فقال له أبو سفيان : هل لك في خير مما همتَ به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن
وهو الآن في هُدْنَةٍ ، فتأخذ مائة من الإبل ، وترجع إلى بلدك سَلَتَكَ هذه ، وتنظر
ما يصير إليه أمرنا . فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذتَ خَلْفًا ، وإن ظهر علينا أَيْدَتُهُ .
فقال : ما أكرهُ ذلك . فقال أبو سفيان : يامعشر قريش ، هذا الأعشى ! والله لئن
أتى محمداً واتبعه لِيُضْرَمَنَّ عَلَيْكُمْ نيران العرب بشعره ، فاجمعوا له مائة من الإبل ،
فقمّلوا ، فأخذها وانطلق إلى بلده . فلما كان بقاع مَنفُوحَةٍ ^(٢) رَمَى به بِمِيرٍ فقتله .

(١) المِهْرَاس : حجر منقور يسم كثيرا من الماء (٢) منفوحة : قرية مشهورة من
نواحي البصرة .

٧٧ — رثاء فوق قبر *

كان عامر^(١) بن الطفيل أفرس أهل زمانه وأسوّدهم ، فلما مات ودّفن مرّة على قبره حيّان بن سلمى - وقد غاب عند موته - فقال : ماهذه الأنصاب ؟ فقالوا : نصّناها على قبر عامر ، فقال : ضيّقتم على أبي عليّ ، وأفضّلتُم^(٢) منه فضلاً كثيراً . ثم وقف على قبره وقال : أنتم ظلاماً أبا على ! فوالله لقد كنت تشنّ الغارة ، وتحمى الجارة ، سريعاً إلى المولى بوعدك ، بطيئاً عنه بوعيدك^(٣) ؛ وكنت لا تضلّ حتى يضلّ النجم ، ولا تنهّب حتى يهاب السيل ، ولا تعطش حتى يعطش البعير ؛ وكنت والله خيرَ ما تكون حين لا تظنّ نفسٌ بنفسٍ خيراً .

ثم التفت إليهم ، فقال : هلاً جعلتم قبر أبي عليّ ميلاً في ميل !

* مجمع الأمثال : ٢-٢٣

(١) عامر بن الطفيل بن مالك ابن أخي عامر ملاعب الأسمّة ، وابن عم ليد الشاعر المعروف ، كان منادياً ينادى يمشكظ : هل من راجل فأحله ، أو جاثم فأطمعه ، أو خائف فأؤمنه ؟ وكان سيد بني عامر غير مدافع . وقد وفد على النّبي ومعه أريد أخو ليد يضمران الشرّ والسوء غلب مسامحا ، وسار عامر يريد قومه فأتى الطريق سنة ١١ هـ (٢) أفضل منه : إذا ترك منه شيئا ، والفضل والفضلة : البقية من الشيء (٣) الوعيد في الشرّ ، والوعد في الخير .

٧٨ — بمثل هذا فليُثنَّ على الملوك *

قال حسان بن ثابت ^(١) : قدِمت على عمرو بن الحارث ، فاعتاص على الوصولُ
إليه ، فقلت للحاجب بعد مدَّة : إن أذنتَ لى عليه وإلا هجوتُ اليمينَ كلها ثم
انقلبْتُ عنكم . فأذن لى ، فدخلتُ عليه فوجدتُ عنده النابغة وهو جالس عن
يمينه ، وعلقمة بن عبدة وهو جالس عن يساره ، فقال لى : يا ابن الفُرَيْمَةِ ؛ قد عرفت
عيصَكَ ^(٢) ونسبك فى غَسَّان ، فارجعْ فإني باعثُ إليك بصِلَّةً سنِيَّةً ، ولا أحتاج
إلى الشعر ، فإني أخافُ عليك هذين السَّبْعين — النابغة وعلقمة — أن يفضحاك ؛
وفضيحتك فضيحتى ، وأنت والله لا تُحسِنُ أن تقول :

رِفاقُ النعالِ طيِّبٌ حُجْرَتُهُمْ يُحْيَوْنَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَّاسِ ^(٣)
فأيتُ وقلت : لا بدَّ منه ، فقال : ذاك ، فقال لى عميك ، فقلت لهما : بحقِّ الملك
إلا قدَمتانِ عليكما ! فقالا : قد فعلنا ، فقال عمرو بن الحارث : هاتِ يا ابن الفُرَيْمَةِ ،
فأنشأت :

* الأغاني : ١٤ — ٢٢ .

(١) حسان بن ثابت ، شاعر الأنصار فى الجاهلية ، وشاعر رسول الله فى النبوة ، وشاعر اليمين
كلها فى الإسلام ، دافع عن رسول الله بغيره ، كما دافع عنه قومه بغيرهم ، وعمر طويلا . ومات سنة
٥٤ هـ (٢) العيص : الأصل ، والفريمة : أمه (٣) رفاق النعال : أى أن نالهم رقيقة لا يخفضونها
طباقا ، وذلك كناية عن قلة مشيهم ، لأنهم ملوك . بل يركبون الحبل غالبا ، وحجزة الإزار والسراويل
تجمع شدما على الوسط من الجسم ، كناية عن عقبتهم ، والسباسب : يوم الثعابين ، وهو يوم عيد
عند النصارى ، وكان المدوح نصرانيا .

لله دَرَّ عَصَابَةٌ نَادَتْهُمْ يوماً بجلق^(١) في الزَّمان الأول
 أولادُ جفنة^(٢) عند قبر أبيهم^(٣) قبر ابن مارية الكريمة المُفْضِل
 يَسْقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيسِ^(٤) عليهم بَرَدَى يُصَفِّقُ^(٥) بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ
 يُنْشَوْنَ حَتَّى مَاتَهُمْ كَلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
 بِيضُ الْوَجْهِ كَرِيمَةٍ أَحْسَابُهُمْ شَمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ
 فَلَبِثْتُ أَرْمَانًا طَوَالاً فِيهِمْ ثُمَّ أَدْرَكْتُ كَأَنِّي لَمْ أَفْعَلِ

قال : فلم يزل عمرو بن الحارث يَزْحَلُ^(٧) عن موضعه سُرُورًا ، وهو يقول :
 هذا وأبيك الشعر ! لا مَائِعَلَلَانِي به منذ اليوم ! هذه والله البتَّارة التي قد بترت المدائح !
 أحسنت يا بن الفُرَيْمَةِ ! هات له يا غلام ألفَ دينار مَرْجُوحَةٍ^(٨) ، فَأُعْطِيتُ ذَلِكَ ،
 ثم قال : لك على في كل سنة مثلها .

ثم أقبل على النابغة فقال : قم يا زياد ، فهاتِ الثناء المسجوع ، فقام النابغة
 فقال : ألا أنتم صباحاً أيها الملك المبارك ! السماء غطاؤك ، والأرض وطاؤك ، ووالدي

(١) جلق : دمشق (٢) جفنة : هو جفنة بن عمرو أبو ملوك الشام ، وأولاده هم : النعمان
 والننر والنيزر ووجه وأبو شمر ، وكانوا جميعاً ملوكاً (٣) أراد بهذا أنهم أعزاء مقيمون بدار
 مملكتهم ، ليسوا أصحاب رحلة واتجاع (٤) هي مارية بنت ظالم الكندية أم الحارث الأعرج ،
 وهي ذات القرطين الذين يضرب بها اللث ، فيقال لا يفل به الثمن . بقرطى مارية ، وأختها هند
 الهنود امرأة حجر آكل الرار (٥) البريس : غوطة دمشق (٦) صفق الشراب : حوله بمزجوا
 من إناء إلى إناء ليصفو . والرحيق : الخمر أو أطيبها ، والسلسل : العذب البارد (٧) زحل عن
 موضعه : زحف (٨) مرجوحة : هي ما كان في كل دينار منها عشر دنائير .

فداؤك ، والعرب وقاؤك ، والعجم حماؤك ، والحكماء جلساؤك ، والمداريه^(١) سمارك ،
والمقاويل إخوانك والعقل شعارك ، والحلم دثارك ، والسكينة مهادك ، والوقار غشاؤك ،
والبر وسادك ، والصدق رداؤك ، وأيمن حذاؤك ، والسخاء ظهارتك ، والحمة
بطانتك ، والملاء غايتك وأكرم الأحياء أحياءك ، وأشرف الأجداد أجدادك ،
وخير الآباء آباؤك ، وأفضل الأعمام أعمامك ، وأسرى الأخوال أخوالك ، وأعف
النساء حلائلك ، وأفخر الشبان أبناؤك ، وأطهر الأمهات أمهاتك ، وأعلى البنيان
بنيانك ، وأعذب المياه أمواهك ، وأفيح الدارات^(٢) دارتك ، وأنزه الحدائق
حداقتك ، وأرفع اللباس لباسك ، قد حالف الإضرىج^(٣) عاتقك ، ولام المسك^(٤)
مسكك^(٥) ، وجاور العنبر ترائيك^(٦) ، وصاحب النعم جسّدك .

المسجد آيتك ، واللجين صحافك ، والمصّب^(٧) مناديلك ، والحواري^(٨)
طعامك ، والشهد إدامك ، وأخرطوم^(٩) شرابك ، والأشراف مناصفك^(١٠) ،
والخير بفنائك ، والشر بساحة أعدائك ، والنصر منوط بلوائك ، والخذلان مع
الوية حسادك ، والبر فلك . قد طحطح^(١١) عدوك غضبك ، وهزم مقابهم^(١٢)
مشهدك ، وسار في الناس عدلك ، وسكن قوارع الأعداء ظفرك .

الذهب عطاؤك ، والدواء رمزك ، والأوراق لحظك ، والغنى إطرقتك ، وألف
دينار مرجوحة إيمانك .

(١) المداريه : جمع مدريه ، وهو السيد الشريف ، والمقدم في اللسان واليد عند الخصومة
(٢) الدارة : المحل يجمع البناء (٣) الإضرىج : الخرز (٤) المسك . الجلد (٥) الترائب : عظام
الصدر (٦) المصّب : نوع من البرود (٧) الحواري : لباب الدقيق (٨) الخرطوم : أول ما يجرى
من المنى قبل أن يداس (٩) جمع منصف وهو الخادم (١٠) طحطح : كسر وفرق وبدد إهلاكاً .
(١١) المقب من الخيل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين .

أَيَاخِرُكَ الْمُنْذِرُ اللَّحْمَى ! فَوَاللَّهِ لَقَفَّاكَ خَيْرٌ مِنْ وَجْهِهِ ، وَلَشِمَّاكَ خَيْرٌ مِنْ يَمِينِهِ
وَلَأَخْمَصَكَ خَيْرٌ مِنْ رَأْسِهِ ، وَلَخَطَوُكَ خَيْرٌ مِنْ صَوَابِهِ ، وَلَصَمْتُكَ خَيْرٌ مِنْ كَلَامِهِ ،
وَلَأَمَّكَ خَيْرٌ مِنْ أَبِيهِ ، وَتَخْدَمُكَ خَيْرٌ مِنْ قَوْمِهِ . فَهَبْ لِي أَسَارَى قَوْمِي ، وَاسْتَرْهِنْ
بِذَلِكَ شَكْرِي ، فَإِنَّكَ مِنْ أَشْرَافِ قَحْطَانٍ ، وَأَنَا مِنْ سَرَواتِ عَدْنَانَ .
فَرَفَعَ عَمْرُو رَأْسَهُ إِلَى جَارِيَةٍ كَانَتْ قَائِمَةً عَلَى رَأْسِهِ ، وَقَالَ : بِمِثْلِ هَذَا فَلْيُنِثْنِ عَلَى
الْمُلُوكِ ، وَمِثْلُ ابْنِ الْقَرِيمَةِ فَلْيَمْدَحْهُمْ . وَأَطْلَقَ لَهُ أَسْرَى قَوْمِهِ .

٧٨ — عُتْبَةُ وَأَعْرَابِي*

حَجَّ عُتْبَةُ^(١) سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ ، وَالنَّاسُ قَرِيبٌ عَهُدُهُمْ بِفِتْنَةٍ ، فَصَلَّى بِمَكَّةَ الْجُمُعَةَ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنَّا قَدْ وَلَيْنَا هَذَا الْمَقَامَ الَّذِي يُضَاعَفُ فِيهِ لِلْمُحْسِنِ الْأَجْرُ ، وَعَلَى الْمُسِيءِ فِيهِ الْوِزْرُ ، وَنَحْنُ عَلَى طَرِيقِ مَا قَصَدْنَا ؛ فَلَا تَمْدُّوا الْأَعْنَاقَ إِلَى غَيْرِنَا ؛ فَإِنَّهَا تَنْقَطِعُ دُونَنَا ، وَرَبِّ مُتَمَنٍّ حَتْفُهُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ؛ فَاقْبَلُوا الْعَافِيَةَ مَا قَبَلْنَاهَا فِيكُمْ وَقَبَلْنَاهَا مِنْكُمْ ؛ وَإِلَّا كُمْ وَلَوْ^(٢) فَإِنَّهَا أَنْعَمَتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَنْ تُرِيحَ مَنْ بَعْدَكُمْ ؛ وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعْينَ كُلًّا عَلَى كُلِّ .

فَصَاحَ بِهِ أَعْرَابِي : أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ ! فَقَالَ لَسْتُ بِهِ وَلَمْ تُبْعِدْ^(٣) . فَقَالَ : يَا أَخَاهُ . قَالَ : سَمِعْتُ قُلَّ . قَالَ : تَاللَّهِ إِنْ تَحْسَنُوا - وَقَدْ أَسَأْنَا - خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَسِيئُوا وَقَدْ أَحْسَنَّا ؛ فَإِنْ كَانَ الْإِحْسَانُ بِكُمْ دُونَنَا فَمَا أَحَقَّكُمْ بِاسْتِمَامِهِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْهَا أَوْلَاكُمْ بِمَكَافَاتِنَا ! رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ صَمْعَةَ يَلْقَاكُمْ بِالْعُمُومَةِ ، وَيَقْرُبُ إِلَيْكُمْ بِالْخُثُولَةِ ، قَدْ كَثُرَ الْعِيَالُ^(٤) ، وَوُطِئَ الزَّمَانُ ، وَبِهِ فَقْرٌ ، وَفِيهِ أَجْرٌ ، وَعِنْدَهُ شُكْرٌ .

فَقَالَ عُتْبَةُ : اسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْكُمْ ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَيْكُمْ ، قَدْ أَمَرْنَا لَكَ بِغِنَاكَ ، فَلَيْتَ

إِسْرَاعَنَا إِلَيْكَ يَقُومُ يَا بَطَّائِنَا عَنْكَ !

* الْأَمَالِيُّ : ١ - ٢٣٦ .

(١) هُوَ عُتْبَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، أَخُو مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ ، وَوَلَاهُ أَخُوهُ مَعَاوِيَةُ إِمَارَةَ مِصْرَ سَنَةَ ٤٣ هـ وَشَهِدَ يَوْمَ الدَّارِ مَعَ عُثْمَانَ ، وَيَوْمَ الْجَمَلِ مَعَ عَائِشَةَ ، وَكَانَ مِنْ خُطَبَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ لِلْمَعْدُودِينَ ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٤ هـ (٢) الْوُ : قَوْلُ الْمُتَنَمِّ عَلَى الْفَاتَةِ : لَوْ كَانَ كَذَا لَقُلْتُ وَلَفَعْتُ ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ « لِيَاكَ وَالْوُ ؛ فَإِنَّ الْوُ مِنَ الشَّيْطَانِ » (٣) وَلَمْ تَبْعِدْ : أَيْ أَنَا أَخُو الْخَلِيفَةِ وَهُوَ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ . (٤) كَثُرَ الْعِيَالُ : كَانُوا كَثِيرِينَ فَظَلِمُوهُ بِكَثْرَتِهِمْ .

٨٠- إن من البيان لَسِحْرًا *

وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزُّبْرَقَانُ ^(١) بن بدر وعمرو ^(٢) بن الأَهمّ ؛ فقال الزُّبْرَقَانُ : يا رسولَ الله ، أنا سيدُ تميم ، والمطاعُ فيهم ، والجبابُ منهم ، آخذُ لهم بحَقِّهم ، وأمنعُهم من الظلم ؛ وهذا يعلمُ ذلك - يعني عمراً . فقال عمرو : أجبل يا رسولَ الله ! إنه مانعُ كَلَوَزَتِهِ ^(٣) ، مطاعٌ في عشيرته ، شديدُ العارضة ^(٤) فيهم .

فقال الزُّبْرَقَانُ : أما إنه والله قد علمُ أكثر مما قال ، ولكنه حسدني شرفي ! فقال عمرو : أما والله لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيقُ العطن ^(٥) زَمِر ^(٦) المروءة ، أحقُّ الأب ، لثيم الخلال ، حديث الغنى !

فراى الكراهة في وجه رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله ، فقال يا رسولَ الله ، رضيتُ قُلتُ أحسنَ ما علمتُ ، وغضبتُ قُلتُ أقبحَ ما علمتُ ، وما كذبتُ في الأولى ، ولقد صدقتُ في الثانية !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لَسِحْرًا » .

* زهر الآداب : ١-٥ . معجم الأمثال : ١-٧ .

(١) الزُّبْرَقَات : اسمُ حصين بن بدر ، وفد على رسول الله في قومه - وكان أحد ساداتهم ، فأُسلِموا في سنة تسع ، وولاه صفقات قومه . وأقره أبو بكر وعمر على ذلك ، والزُّبْرَقَانُ في الأصل : القمر ، ولقب به لحسنه . وتوفي نحو سنة ٤٥ هـ (٢) عمرو بن الأَهمّ : هو عمرو بن سنان ، وسمى سنان الأَهمّ ، لأن قيس بن عاصم المنقرى ضربه بقوس فهِمَ فاه . وبنو الأَهمّ أهل بيت بلاغة في الجاهلية والإسلام (٣) حوزة الرجل : ما يحوزة ويملكه (٤) العارضة : البلية وقوة الكلام (٥) العطن : الناح حول الورد ، وضيق العطن : كناية عن البخل . (٦) زمر المروءة : قليلها .

٨١ - عبد الله بن عباس والحطيئة *

بينما ابن عباس جالسٌ في مجلسٍ ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كُفَّ بصره ، وحوله ناسٌ من قريش ، إذ أقبل أعرابي ^(٢) يَحْطِرُ ، وعليه مطرَفٌ ^(٣) وجبةٌ وعمامة خبز ، حتى سَلَّمَ على القوم ، فردّوا عليه السلام ، فقال : يا بنَ عمِّ رسول الله ؛ أَفْتِنِي ، قال : فِيمَ ؟ قال : أَخْشَى عَلَى جُنَاحِي أَنْ يَظْلِمَنِي رَجُلٌ فَظَلَمْتُهُ ، وَشَتَمَنِي فَشَتَمْتُهُ ، وَقَصَّرَ بِي فَقَصَّرْتُ بِهِ ؟ فقال : العفو خيرٌ ، وَمَنْ اتَّصَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ . فقال : يا بنَ عمِّ رسول الله ؛ أَرَأَيْتَ إِنْ أَتَانِي فَوْعَدَنِي وَغَرَّانِي وَمَنَّانِي ، ثُمَّ أَخْلَفَنِي وَاسْتَخَفَّ بِحُرْمَتِي ، أَيْسَعُنِي أَنْ أَهْجُوهُ ؟ قال : لَا يَصْلَحُ الْهَجَاءُ ؛ لِأَنَّهُ لَا بَدَأَ لَكَ مِنْ أَنْ تَهْجُوَ غَيْرَهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ ، فَتَظْلَمَ مَنْ لَمْ يَظْلَمْكَ ، وَتَشْتِمَ مَنْ لَمْ يَشْتِمَكَ ، وَتَبْغِي عَلَى مَنْ لَمْ يَبْغِ عَلَيْكَ ، وَالْبَغْيُ مَرْتَةٌ وَخِيمٌ ، وَفِي الْعَفْوِ مَقَادٌ عَلِمْتَ مِنَ الْفَضْلِ ؛ قال : صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ .

فَلَمْ يَنْشَبْ أَنْ أَقْبَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ سَيْحَانَ الْمُحَارِبِيُّ حَلِيفُ قُرَيْشٍ ، فَلَمَّا رَأَى الْأَعْرَابِيَّ أَجَلَّهُ وَأَعْظَمَهُ وَالْطَفَ فِي مَسْأَلَتِهِ ، وَقَالَ : قَرَّبَ اللَّهُ دَارَكَ يَا أَبَا مُلَيْكَةَ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَجْرَوْلُ ؟ قَالَ : جَرَوْلُ ! فَإِذَا هُوَ الْحَطِيئَةُ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : اللَّهُ أَنْتَ ! أَيُّ مِرْدَى ^(٤) قِذَافٍ ، وَذَائِدٍ عَنْ عَشِيرَةٍ ، وَمُثْنٍ بِعَارِفَةٍ تُوْثِنَاهَا

* الأَعَابِي : ٢-١٩٢

(١) مجلس رسول الله . أى المكان الذى كان يجلس فيه (٢) هو جرول بن أوس من بني عيس ؛ كان من غول الشعراء ومتقدمهم ، ولكنه كان ذا شروسة شديدة الهجاء يخاف العرب لسانه ويسترضونه بالمال خوفاً من شره ومات سنة ٥٩ هـ (٣) المطرف : رداء من خبز (٤) المردى : فى الأصل حجر يرمى ، ويطلق على الرجل الشجاع فيقال : مردى حروب .

أنت يا أبا مليكة ! والله لو كنت عرست^(١) بجنبك بعض ما كرهت من أمر الزبرقان كان خيراً لك ، ولقد ظلمت من قومه من لم يظلمك ، وشتت من لم يشتتكم ، قال : إني والله بهم يا أبا العباس^(٢) لعالم ؛ قال : ما أنت بأعلم بهم من غيرك ، قال : بلى والله ! يرحمك الله ! ثم أنشأ يقول :

أنا ابنُ بحدتهم^(٣) علماً وتجربةً فسلْ بسعدٍ تجدني أعلم الناس
سعدُ بن زبيرٍ كثيرٌ إن عدتهمُ ورأسُ سعد بن زيد آل شيماس
والزبرقان ذئابهم^(٤) وشرهمُ ليس الذنابي أبا العباس كالرأس
فقال ابن عباس : أقسمت عليك ألا تقول إلا خيراً ، قال : أفعل .

ثم قال ابن عباس : يا أبا مليكة ؛ من أشعرُ الناس ؟ قال : أمن الماضين أم من الباقين ؟ قال : من الماضين ، قال : الذي يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عِرْضِهِ يَفِرَّهُ ، وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشرَّ يُشْمِرْ
وما بدونه الذي يقول :

ولست بمستيقٍ أخاً لا تَلْشُهُ على شمشٍ ، أى الرجال المهذب !
ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جرّولا - يعنى نفسه - والله يابن عم رسول الله لولا الطمع والجشع لكنت أشعر الماضين ، فأما الباقون فلا تشك أنى أشعرهم وأضردهم^(٥) سها إذا رميت !

(١) عرك بجنبه ما كان من صاحبه : احتمله
(٢) كنية عبد الله بن العباس (٣) البجدة :
(٤) ذئابهم : ذنبهم (٥) أضردهم :
دخله الأمر وباطنه ، والمراد : أنا العالم بالحق

٨٢ - طريد لسانه *

لما وثى سعيد بن عثمان بن عفان خراسان أراد أن يستصحب يزيد^(١) بن ربيعة بن مفرغ ، فأبى عليه ، وصحب عبادة بن زياد ، فقال لسعيد : أما إذا أيت أن تصحبني وآثرت عبادة فاحفظ ما أوصيك به : إن عبادة رجل لثيم ، فأياك والدالة عليه ، وإن دعاك إليها من نفسه ، فإنها خدعة منه لك عن نفسك ، وأقلل زيارته ، فإنه طرف^(٢) ملول ، ولا تفاخره وإن فاخره ، فإنه لا يحصل لك ما كنت أحتمله .

ثم دعا سعيد بمال فدفعه إلى ابن مفرغ وقال : استعين به على سفرك ؛ فإن صح لك مكانك من عبادة ، وإلا فمكانك عندي مُمهد فأتني .

ثم سار سعيد إلى خراسان وتخلف ابن مفرغ عنه ، وخرج مع عبادة ابن زياد .

قال الراوى : فلما بلغ عبيد الله^(٣) بن زياد محبة ابن مفرغ أخاه عبادة شق عليه ، ولما عزم عبادة على السير إلى سجستان ، جاء عبد الله يودعه ، فدعا ابن مفرغ وقال له : إنك سألت عبادة أن تصحبه وأجابك إلى ذلك وقد شق على .

فقال له ابن مفرغ : ولم أصلحك الله ؟ فقال : لأن الشاعر لا يُقنعه من

* تاريخ الطبرى : ٦ - ١٧٧ ، الأغانى : ١٧ - ٥٥ (طبعة الساسى) .

(١) يزيد بن ربيعة بن مفرغ : شاعر محسن غزل من شعراء الحماسة ، توفى سنة ٦٩ هـ .

(٢) الطرف : من لا يثبت على صاحب (٣) كان عبيد الله والى البصرة على عهد معاوية .

الناس ما يُقْنِعُ بعضهم من بعض ؛ لأنه يظنُّ فيجعل الظنَّ يقيناً ، ولا يعذر في موضع ؛ وإن عبّاداً يقدم على أرض حرب فيشتغلُ بحروبه وخراجه عنك ، فلا تعذّره أنت وتكسبنا شرّاً وعاراً .

فقال له : لستُ كما ظنَّ الأمير ، وإن لمعروفه عندي لشكراً كثيراً ، وإن له عندي - إن أغفلَ أمرى - عذراً مُمهّداً .

قال عبيد الله : لا ، ولكن تضمّن لي إن أبطأ عنك ما تحبّه ألا تعجلَ عليه حتى تكتبَ إليّ ! قال : نعم ، قال : امض على الطائر الميمون .

قال الراوى : فلما قدم عبّادٌ سَجِسْتَاكَ ، واشتغلَ بحربه مع التّركِ وخراجه استبطّاه ابن مفرّغ ، ولم يكتبَ إلى عبيد الله بن زياد يشكوه كما ضمن له ، ولكن بسّطَ لسانه ، فذمّه وهجاه ؛ وكان عبّادٌ عظيمُ اللّحية كأنها جُوالق^(١) ، فدخلت الريح فنفتشها ، فضحك ابن مفرّغ وقال لرجل كان إلى جنبه :

ألا ليت اللّحي كانت حشيشاً ففعلفها خيولُ المسلمين !^(٢)

فسعى به الرجل إلى عبّاد ، فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال : لا يحملُ بي عقوبته في هذه السرعة مع الصّحبة لي ، وما أؤخّرُها إلّا لأشفيَ نفسى منه .

وبلغ الخبرُ ابنَ مفرّغ فقال : إني لأجدُ ريحَ الموت من عبّاد ؛ ثم دخل عليه فقال : أيها الأمير ؛ إني كنت مع سعيد بن عثمان ، وقد بلغك رأيُه فيّ ، وجعلُ أثره عليّ ، وإني اخترتُك عليه فلم أظفرَ منك بباطل ؛ وأريد أن تأذنَ لي في الرجوع ؛ فلا حاجةَ لي في صحبتك .

(١) الجوالق : الوطاء . (٢) كان قد أصاب الجند مع عبّاد ضيق في أعلاف دوابهم . (١٤ - قصص العرب ٢)

قال له : أما اختيارك إياي فإني اخترتك كما اخترتني ، واستصحبتك حين سألتني ، وقد أعجلتني عن بلوغ تحبتي فيك ؛ وطلبت الآن أن ترجع إلى قومك فتفضحن فيهم ، وأنت على الإذن قادرٌ بعد أن أفضى حَقَّك . فسكت ابنُ مفرغ .

ثم أجرى عباد الخيلَ يوماً ، فجاء سابقاً ، فقال ابن مفرغ يهزأ به : سبق عباد وصلت^(١) لحيته . فبلغ ذلك عبّاداً ، وبلته أنه لا يزال يسبه ويدكره ، فطلب عليه العِلل ، ودسّ إلى قوم كان لم عليه دين ، فأمرهم أن يقدموه إليه ، ففعلوا فحبسه وأضرّ به .

ثم بحث إليه : أن يعنى الأراكة^(٢) ويرُدّا ، فبعث إليه ابن مفرغ مع الرسول : أبيعُ الرء نفسه أو ولده ! ثم شرّ به عبّاد حتى باعهما لرجل من أهل خراسان ، فقال ابن مفرغ :

شريت برداً ولو ملكت صفقته	لما تطلبت في بيع له رَشداً
لولا الدّعي ولولا ما تعرض لي	من الحوادث ما فارقته أبداً
أما الأراك فكانت من تحارينا	عيشاً لذيذاً وكانت جنة رغداً
كانت لنا جنة كنا نعيش بها	نقنى بها إن خشينا الأزل والنكد ^(٣)
يا ليتني قبل ما ناب الزمان به	أهلى لقيت على عدوانه الأسد
قد خائفنا عيش من لم نخش عثرته	من يأمن اليوم أمن ذا بعيش غداً
لامتنى النفس في برّ قتل لها :	لا تهلكي إثر برّ هكذا كمداً

(١) المصل في الخيل : هو الذى يتلو السابق . (٢) كانت الأراكة قينة لابن مفرغ ، ويرد غلامه ، رباهما ، وكان شديد الضن بهما . (٣) الأزل : الضيق والشدة .

كم من نعيم أصبنا من لذاته قلنا له إذ تولّى : ليته خلداً^(١) !

ثم قال عباد لحاجبه : ما أرى هذا يبالي بالمقام في الحبس ، فبيع فرسه وسلاحه وأثاثه ، واقسم ثمنها بين غرّمائه . ففعل ذلك وقسم الثمن بينهم ، وبقيت عليه بقية حبسه بها .

وعلم ابن مفرغ أنه إن أقام على ذمّ عباد وهجائه ، وهو في محبسه ، زاد نفسه شراً ، فكان يقول للناس - إذا سألوه عن حبسه ما سببه - رجل أذبه أميره ليُقوم من أودّه ، أو يكفّ من غرّبه ، وهذا المعزى خيرٌ من جرّ الأمير ذيله على مدهنة صاحبه .

فلما بلغ ذلك عباداً من قوله رقى له ، وأخرجّه من السجن ، فهرب حتى أتى البصرة ، ثم خرج منها إلى الشام ، وجعل ينتقل في مدنها هارباً ، ويهجو زياداً وولده ، وأشعاره فيهم ترد البصرة وتنتشر وتبلغهم ، ثم تعدّى ذلك إلى أبي سفيان فقفذه وسبّ ولده .

ولما تمادى في ذلك جاء عباد إلى أخيه عبيد الله بالبصرة ، فوجده وافداً على معاوية ، فكتب إليه ببعض ما هجا به آل زياد وأبا سفيان .

(١) ذكروا أن الأراكه وبرداً حينما دخلا منزل الحراساني قال له برد - وكان داهية أرباً - : أتدري ما اشتريت ؟ قال : نعم ، اشتريت هذه الجارية ، فقال : لا والله ما اشتريت إلا العار والعار والفضيحة أبداً ما حيت ! فجزع الرجل ، وقال له : كيف ذلك ؟ وبالك ! قال : نحن ليزيد بن مفرغ ، وافة ما أصاره إلى هذه الحال إلا لسانه وشعره ، أفتراه يهجو ابن زياد وهو أمير خراسان وأخوه أمير المراقين وعمه الخليفة في أن استبطأه ، ويمسك عنك وقد اجتعت وابتعت هذه الجارية ، وهي نفس التي بين جنبيه ! والله ما أرى أحداً أدخل بيته أشأم على نفسه وأهله مما أدخلته على منزلك ! فقال : فاشهد أنك وإياها له ؟ فإن شئنا أن نمضي إليه فامضيا ، وإن شئنا أن نكون عندنا فافضلا ! قال : فاكتب إليه بذلك ، فكتب الرجل إلى ابن مفرغ في الحبس بما فعله ، فكتب إليه يشكر فعله وسأله أن يكونا عنده حتى يفرج الله عنه .

فلما قرأ عبيد الله الشعر دخل على معاوية ، ثم استأذنه في قتل ابن مفرغ ، فأبى عليه أن يقتله وقال : أدِّبه ولا تبلغ به القتل .

ثم جعل ابن مفرغ ينتقل من بلد إلى بلد ، فإذا شاع خبره انتقل حتى لفظته الشام ؛ فأتى البصرة ، ونزل على الأحنف بن قيس فالتجأ واستجار به ، فقال له الأحنف : إني لا أجبر على ابن مُمَيَّة ^(١) ، إنما يجبر الرجل على عشيرته ، فأما على سلطانه فلا .

ثم أتى خالد بن عبد الله فاستجار به ، فأبى أن يجبره ، فأتى عمر بن عبيد الله فوعده ، وأتى طلحة الطلحات فوعده ، ثم أتى المنذر العبدى فأجاره ، وكان عبيد الله بن زياد زوجاً لبنته ، وكان من أكرم الناس عليه ، فاغتر بذلك ، وأدّل بموضعه منه وطلبه عبيدُ الله فقيل له : قد أجاره المنذر .

فبعث عبيدُ الله إلى المنذر فأتاه ، فلما دخل عليه بعث بالشرط ، فكبسوا دار المنذر وأتوه بآبن مفرغ ، فلم يشعر المنذر إلا بآبن مفرغ قد أقيم على رأسه . فقام إلى عبيد الله فكلّمه فيه وقال : أذكرك الله أيها الأمير ، لا تخفّر جوارى فإني قد أجرتنه .

فقال عبيد الله : يا منذر ، ليمدحن أباك وليمدحنك ، ولقد هجاني وهجا أبى ثم تجبره على ! والله لا يكون ذلك أبداً ، ولا أغفرها له . فغضب المنذر ، فقال له عبيد الله : لعلك تدلّ بكريمتك عندي ، إن شئت والله لأينفها بتطبيق البتّة ^(٢) .

فخرج المنذر من عنده ، وأقبل عبيدُ الله على ابن مفرغ ، وقال له : بئسما

(١) سمية : أم زياد (٢) منصوب على المصدر ، يقال : لأفعله البتّة . لكل أمر لا رجعة فيه .

صَحِبَتْ بِهِ عَبَادًا ! فَقَالَ : بَشِئْنَا صَحْبِي بِهِ عَبَاد ! اخْتَرْتَهُ عَلَى سَعِيدِ بْنِ عُثْمَانَ ،
وَأَنْفَقْتُ عَلَى صَحْبَتِهِ كُلِّ مَا أَفْدَتْهُ وَكُلَّ مَا أَمْلَكَهُ ، ثُمَّ عَامَلْنِي بِكُلِّ قَبِيحٍ ،
وَتَنَاوَلْنِي بِكُلِّ مَكْرُوهٍ ، مِنْ حَبْسٍ وَغُرْمٍ ، وَشَتْمٍ وَضَرْبٍ ، فَكُنْتُ كَمَنْ شَامَ بَرْقًا
خَلْبًا فِي سَحَابِ جَهَامٍ ، فَأَرَأَى مَا هَ طَمَعًا فِيهِ فَمَاتَ عَطْشًا ، وَمَا هَرَبْتُ مِنْ أَخِيكَ
إِلَّا لَمَّا خِفْتُ أَنْ يُجَرِّيَ فِيَّ مَا يَنْدُمُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ صُرْتُ الْآنَ فِي يَدِكَ ، فَشَأْنُكَ
فَاعْصِمْ بِي مَا أَحْبَبْتَ .

فَأَخَذَ عَمِيدُ اللَّهِ فِي تَعْذِيبِهِ ، وَأَمَرَ أَنْ يُطَافَ بِهِ ، بِحَالَةِ سَيْئَةٍ ، وَقُرْنِ بَهْرَةٍ
وَحَنْزِيرَةٍ ، وَالصَّبِيَّانِ حَوْلَهُ يَصِيحُونَ بِهِ وَيَلْحَنُونَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ رُدَّ إِلَى السِّجْنِ ، وَسُقِيَ
فِيهِ مِنْ أَلْوَانِ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ . فَقَالَ يَذْكُرُ مَا فَعَلَ بِهِ وَإِهْمَالَ قَرِيشِ إِيَّاهُ :

دَارَ سَلَمَى بِالْخُبْتِ ذِي الْأَطْلَالِ	كَيْفَ نَوْمُ الْأَسِيرِ فِي الْأَغْلَالِ !
أَيْنَ مَنَى السَّلَامُ مِنْ بَعْدِ نَائِي	فَارْجَمِي لِي تَحِيَّتِي وَسُؤْلِي !
أَيْنَ مَنَى نَجَائِي وَجِيَادِي	وَعَزَّالِي ، سَقَى الْإِلَهَ غَزَالِي !
أَيْنَ ، لَا أَيْنَ جُنَّتِي وَسِلَاحِي	وَمَطَايَا سَبْرَتِهَا لَا زَنْحَالِي !
هَدَمَ الدَّهْرُ عَرْشَنَا فَتَدَاعَى	قَبْلِينَا إِذْ كُلُّ عَيْشٍ بِالِ
إِذْ دَعَانَا زَوَالُهُ فَاجْتَنَا	كُلُّ دُنْيَا وَنَعْمَةٍ زَوَالِ
أَمْ قَضِينَا حَاجَاتِنَا إِلَى الْمَوِ	تِ مَصِيرُ الْمُلُوكِ وَالْأَقْيَالِ
لَا وَصُومِي لِرَبِّنَا وَزَكَاتِي	وَصَلَاقِي أَدْعُو بِهَا وَابْتِهَالِي
مَا أَتَيْتُ الْعُدَاءَ أَمْرًا دَنِيًّا	وَلَدَى اللَّهِ كَابِرُ الْأَعْمَالِ
أَيْهَا الْمَالِكِ الْمَرْهَبِ بِالْقَتَّةِ	لِ بَلَفَتِ النِّكَالَ كُلَّ النِّكَالِ
فَاخْشَ نَارَ أَتَقْذِفُ الْوُجُوهَ وَيَوْمًا	يَقْذِفُ النَّاسَ بِالذَّوَاهِي النَّثَالِ

قد تعدّيت في القصاص وأدرك	تَ دُحُولاً ^(١) لمعشر أفتال
وكسرت السنّ الصحيحة مِنِّي	لا تُذِلِّي قُمْسُكُراً إِذْ لَالِي
وقوّتُمُ مع الخنازير هراً	وَيَمِينِي مَفْلُولَةً وَشَمَالِي
وأطلمت مع العقوبة سِجْنًا	فكم السجن؟ أو متى إرسالي
يفسلُ الماءُ ماصنعتَ ، وقولي	راسخ منك في العظام البوالي
لو قبلتَ الفِداءَ أو رُمْتُ مَالِي	قلت : خذهُ ، فداءَ نَفْسِي مَالِي
لو بغيري من معشرٍ لَعِبَ الدِّه	رُ لِمَا ذُمَّ نصرتي واحتيال
كم بكائي من صاحب و خليل	حافظ الغيبِ حامدٍ للخصال



ليت أني كنت الحليف للخم	وجُذامٍ أو طيءٍ الأُجبالِ
بدلاً من عصاةٍ من قريش	أسلموني للخصم عند النضالِ
خذلوني وهم لذلك دعوني	ليس حامى الذمار بالخذالِ
لا تدعني ، فذاك أهلى ومالى	إنَّ حَبْلِيكَ من متين الحبالِ
حسرتا إذ أطلتُ أمرُ غَوَاتِي	وعصيت النّصيح ، ضَلَّ ضَلَالِي !

ولكن عبيد الله أرسله إلى أخيه عباد بسجستان ، فكلمت اليمانية فيه بالشام معاوية ؛ فأرسل رسولاً إلى عباد أن يحمل إليه ابن مفرغ ، فحمل من عنده ، وقال في طريقه :

عَدَمَنْ مَا لَعَبَادٍ عَلَيْكَ إِمَارَةٌ نَجُوتِ، وَهَذَا تَحْمِيلِينَ طَلِيقٌ^(١)
 لِعَمْرٍى لَقَدْ نَجَّيْتُكَ مِنْ هُوَةِ الرَّدَى إِمَامٌ وَحَبْلٌ لِلْأَنَامِ وَثِيقٌ
 سَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ نِعْمَةٍ وَمِثْلِي بِشُكْرِ الْمُتَعَمِّينَ حَقِيقٌ
 فلما دخل على معاوية بكى وقال : رَكِبَ مِنِّي مَا لَمْ يَرْكَبْ مِنْ مُسْلِمٍ ، عَلَى غَيْرِ
 حَدَثٍ وَلَا جَرِيرَةٍ أَقَالَ أَوْلَسْتَ الْقَاتِلَ :
 أَلَا أَبْلُغُ مُعَاوِيَةَ بْنَ حَرْبٍ
 أَفَلَمْ تَقُلْ :
 فَاشْهَدُ
 فِي أَشْعَارِ كَثِيرَةٍ هَجَوْتَ بِهَا زِيَادًا ! أَذْهَبَ فَقَدْ عَفَوْنَا عَنْ جُرْمِكَ ، أَمْ أَلَوْ إِيَابُنَا
 تَعَامَلْ لَمْ يَكُنْ مِمَّا كَانَ شَيْءٌ ؛ انْطَلِقْ ، وَفِي أَى أَرْضٍ شِئْتَ فَانْزِلْ . فَتَزَلِ الْمَوْصِلَ .

(١) عدس : اسم زجر البغال .

٨٣ — عبد الله بن الزبير ومقتل أخيه مصعب *

قال شيخ من أهل مكة :

لما أتى عبد الله ^(١) بن الزبير قتلُ مصعب ^(٢) أخيه أضرب عن ذِكْرِهِ أياماً حتى تحدّثت به إمام مكة في الطرق ، ثم صعد المنبر ، فجلس عليه ملياً لا يتكلم ، فنظرتُ إليه والكآبة على وجهه ، وجبينه يرشحُ عرقاً ، فقلت لآخر إلى جنبي : ماله لا يتكلم ؟ أترأى يهاب المنطق ! فوالله إنه لخطيب ، فما تراه يهاب ! قال : أراه يذكّر قتل مصعب سيّد العرب ، وهو بقطيع تذكّره غيرُ ملوم . فقال : « الحمد لله الذي له الخلقُ والأمرُ وملْكُ الدنيا والآخرة ، يُعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء ؛ ألا إنه لم يذلّ - والله - من كان الحقُّ معه وإن كان مُفرداً ضعيفاً ، ولم يعزّ من كان الباطل معه ، وإن كان في العُدّة والعُدَدِ والكثرة » .

ثم قال : « إنه قد أتانا خبرٌ من العراق ، ببلدِ الغديرِ والشقاق ، فساءنا وسرّنا ؛ أتانا أن مصعباً قُتل - رحمة الله عليه ومغفرته ! فأما الذي أحزننا من ذلك فإنّ لفرّاقِ الحميمِ لدعةً يمجّدها حميمه عند المصيبة ، ثم يرعوى من بعدُ ذو الرأى والدين إلى جميل الصبر ، وأما الذي سرّنا منه ، فإننا قد علمنا أن قتله شهادةٌ له ، وأنه

* الأغاني : ١٧ - ١٦٦

(١) انظر صفحة ١٢٦ (٢) كان من أجواد العرب ، وولاه أخوه عبد الله بن الزبير المراقين فسار إليه عبد الملك بن مروان بجيش ووجه أخاه محمد بن مروان على مقدمته فلقبه مصعب فقاتله ، فقتل مصعب . ودخل عبد الملك الكوفة ، وبايع له أهلها .

عز وجل جاعل ذلك لنا خيرةً إن شاء الله تعالى .

إنَّ أهل العراق أسلموه وباعوه بأقل ثمن ، لقد قُتِل أبوه وعمه وأخوه وكانوا خيارَ الصالحين ؛ إنا والله مائتوتُ حتف أنوفنا ؛ مائتوتُ إلا قتلا قَعَصًا^(١) بالرماح ، ونحتَ ظلال السيوف ، وليس كما يموت بنو مرّوان ؛ والله ما قُتِل منهم رجلٌ في جاهليّة ولا إسلام قط ؛ وإنا الدنيا عارية من الملك القهار ، الذي لا يزول سلطانه ، ولا يبيد ملكه ، فإن تقبل الدنيا على لا آخذها أخذ الأثير البطر ، وإن تُدبر عني لا أبكي بكاءً للمهتر^(٢) . ثم نزل :

(١) قعصه : قتله مكانه (٢) المهتر : الذي فقد عقله من الكبر أو المرض أو الحزن .

٨٤ — عمر بن أبي ربيعة وجيل *

اجتمع عمر بن أبي ربيعة ، وجيل ^(١) بن عبد الله المذري ، فأنشد جميل قصيدته التي يقول فيها :

لقد فرح الواشون أن صرمت ^(٢) حبل
يقولون : مهلاً با جميل ، وإني
خليلى فيما عشتما هل رأيتما
أيت مع الهلاك ^(٣) ضيقاً لأهلها
أقن آيتا القلب اللجوج عن الجمل
فلو تركت عقلى معى ما طلبتها
حتى أتى على آخرها . ثم قال لعمر : يا أبا الخطاب ، هل قلت فى هذا الروى شيئاً ؟ قال : نعم ، قال : فأنشده ، فأنشده :

جرى ناصح بالود بيني وبينها
فلما تواقفنا عرفت الذى بها
فقلن لها : هذا عشاها وأهلنا
قالت : فاشتتن ؟ قلن لها : انزلى
فقربنى يوم الحصاب إلى قتلى
فقربنى يوم الحصاب ^(٤) إلى قتلى
قريب ألتا تسامى مركب البغل !
فلأرض خير من وقوف على رخل

* الأغاني : ١ - ١١٥ (طبعة دار الكتب) ، زهر الآداب : ٢ - ٢٤٠

- (١) بعد جميل بن ممر مثال النزل البدوى العفيف ، نشأ فى البادية ، وأحب ابنة عمه بئنة وعرف بها ، وقال فيها شعراً كثيراً وقد لقي فى سبيل حبه العنت والعذاب ، مات سنة ٢٨ هـ .
(٢) صرمت حبل : قطعت الصلة بين (٣) الهلاك : الصعاليك الذين ينتابون الناس ابتغاء معروفهم .
(٤) جل : علم على امرأة ، وهو يقصد بها بئنة . (٥) طليها : طلى لهاها .
(٦) الحصاب كالخصب : موضع رى الجمار .

نُجُومٌ درارى تَكْتَفِنُ صورة من البدر، وافت غير هوج^(١) ولا عجل
 فسلمت واستأنست خيفة أن يرى عدو مقامي أو يرى كاشح فيلي
 فقالت - وأرخت جانب الشتر : إنما معي - فكلم غير ذي رقة - أهلى
 فقلت لها : ما بي لم من ترقب ولكن سرى ليس يحمله منلى
 فلما اقتصرنا دونهن حديثنا ومن طيبات بحاجة ذى الشكل^(٢)
 عرفن الذى تهوى قلن انذنى لى نطف ساعة في برد ليل وفي سهل
 فقالت : فلا تلبن قلن : محمدنى أتيناك ، وانسن انسياب مها الرمل
 فقمن وقد أفهمن ذا اللب أنما أتيت الذى يأتين من ذاك من أجل
 فقال جميل : هيهات يا أبا الخطاب لا أقول والله مثل هذا سحيس الليالى^(٣) ،
 والله ما يخاطب النساء مخاطبتك أحد ، وقام مشمراً .

(١) هوج : جمع هوجاء ، وهى المتجلة فى السير كأن بها هوجاً وحفاً (٢) الشكل : دل المرأة وغزلها (٣) أى لا أقول مثل هذا أبداً ، وهى كلمة تستعمل للتأيد .

٨٥ — لشعر عمر بن أبي ريعة نَوَطة بالقلب *

ذُكِرَ شعرُ الحارث^(١) بن خالد وشعرُ عمرَ بن^(٢) أبي ريعة عند أبي عتيق في مجلس رجلٍ من ولد خالد بن العاص بن هشام ، فقال : صاحبنا - يعني الحارث ابن خالد - أشعرهما .

فقال له ابن أبي عتيق . بَعْضَ قولك يابن أخى ! لشعر عمرَ بن أبي ريعة نَوَطة^(٣) في القلب ، وعلوقٌ بالنفس ، ودَرْكٌ للحاجة ليست لشعر الحارث ، وما عُصِيَ الله عزَّ وجل بشعرٍ أَكْثَرُما عُصِيَ بشعر عمر بن أبي ريعة ، فخذ عني ما أصف لك : أشعرُ قَرِيشٍ مَنْ دَقَّ مِئْناه ، وَلَطَفَ مَدْخَلُهُ ، وَسَهَّلَ مَخْرَجُهُ ، وَمَتْنُ حَشْوِهِ ، وَتَمَطَّقَتْ حَوَاشِيهِ ، وَأَنَارَتْ مَعَانِيهِ ، وَأَعْرَبَ عَنْ حَاجَتِهِ !

فقال المفضل للحارث : أليس صاحبنا الذى يقول :

إِنِّى وَمَا نَحَرَوَا غَدَاةَ مِئْىَ عند الجمار يَثُودُهَا الْعَقْلُ^(٤)
لَوْ بُدِّلَتْ أَهْلَى مَسَاكِينِهَا سَفَلًا ، وَأَصْبَحَ سَفَلُهَا يَنْفَلُو
فِيكَادُ يَعْرِفُهَا الْخَيْرُ بِهَا فِيرُدُّهُ الْإِقْوَاءُ وَالْمَحَلُ^(٥)
لَعَرَفْتُ مَفْنَاهَا بِمَا احْتَمَلَتْ مَنِ الضَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

* الأغاني : ١ - ١٠٨ (طبعة دار الكتب) ، الأمالي : ٢ - ١٧

(١) انظر ص ١٥٣ .

(٢) هو عمر بن عبد الله بن أبي ريعة القرشي ، اختص شعره بوصف النساء ، وعد أنسب الشعراء وأوصفهم لربات الحجال ، وكان يقيم بمكة ويترى للحجاج ، وله في ذلك أخبار كثيرة توفي سنة ٨٩٣ هـ
(٣) النواة : التلق (٤) يثودها : يتقلها ، والعقل ، الحبس (٥) أقوت الدار : أقرت وخلت من أهلها ، والمحل : الجذب .

فقال له ابنُ أبي عتيق : يا ابنَ أخي ؛ استرْ على نفسك ، واكتمْ على صاحبك ،
ولا تشاهدِ المحافلَ بمثلِ هذا ؛ أما تطيرُ الحارثُ عليها حينَ قلبَ ربمها ، فجعلَ عاليه
سافله ، مابقى إلا أن يسألَ اللهَ تبارك وتعالى لها حجارةً من سجيل^(١) ؛ ابنُ أبي
ربيعة كان أحسنَ صُحبةً للرَّبيع من صاحبك ، وأجملَ مخاطبةً حيث يقول :

سائلاً الرَّبيعَ بالْبلي^(٢) وقولاً هجتَ شوقاً إلى الغداة طويلاً
أينَ حى حُلوكُ إذ أنتَ محفو ف بهم آهلٌ أراكَ جميلاً
قال : ساروا فأمعنوا واستقلوا^(٣) وبرغى لو استطعتُ سبيلاً
سَيَمُونَا وما سَمُنَا مُقاماً وأحبُّوا دَمَانَةً وسُهُولاً
فانصرفَ الرجلُ خَجلاً مُذْغِناً .

(١) السجيل : الطين المتحجر

(٢) البلي : تل قصير

(٣) استقلوا : واصلوا السير

وجدوا في الارتمال .

٨٦- ابن المسيب يفخر بصاحبه*

قال بعض الرواة :

دخلتُ مسجدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مع نُوْفَل بن مُسَاحِق ؛ وإِنه
لمُعْتَمِد على يَدَيَّ إِذَا مَرَرْنَا بِسَعِيد بنِ الْمُسَيْبِ ^(١) في مجلسه ، فسَلَمْنَا عليه ، فردَّ
سلامنا ثم قال لنوفل : يَا أَبَا سَعِيد ؛ مَنْ أَشْر ؟ أَصَاحِبُنَا أَمْ صَاحِبُكُمْ ؟ يَعْنِي عبيد الله
ابنَ قَيْس الرِّقِيَّاتِ أَوْ عُمَر بنَ أَبِي رِيْعَة - فقال نوفل : حين يقولان ماذا ؟ فقال :
حين يقول صاحبا :

خَلِيْلٌ مَا بَالُ الْمَطِيِّ كَأَنَّمَا نَرَاهَا عَلَى الْأَدْبَارِ بِالْقَوْمِ تَنْكُصُ ^(٢)
وَقَدْ أَبْتَدَ الْخَادِي سُرَّاهُنَّ وَاتَّحَى بِهِنَّ فَسَا يَأْلُو عَجُولُ مَقْلَصُ ^(٣)
وَقَدْ قَطِيعَتُ أَعْنَاقُهُنَّ صَبَابَةً فَأَقْسُنَا مِمَّا تَكَلَّفُ شَخْصُ
يَزِدُّنَا بِنَا قُرْبًا فَيَزِدَادُ شَوْقُنَا إِذَا زَادَ طَوْلُ الْعَهْدِ ، وَالْبَعْدُ يُنْقُصُ
وَيَقُولُ صَاحِبُكُمْ مَا شِئْتُ ! فَقَالَ لَهُ نُوْفَل : صَاحِبُكُمْ أَشْهَرُ بِالْقَوْلِ فِي النَّزْلِ -
أَمْتَعَ اللَّهُ بِكَ - وَصَاحِبُنَا أَكْثَرُ أَفَانِينَ شَعْر .

قال : صدقت ؛ فلما انقضى ما بينهما من ذِكْرِ الشَّعْرِ ، جَمَلَ سَعِيدُ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ
وَيَعْقِدُ يَمِينَهُ ، وَيُعِدُّهُ بِالْخَمْسِ كُلِّهَا ، حَتَّى وَفَى مِائَةً .

* الْأَغَانِي : ٥ - ٩٢ (طَبْعَةُ دَارِ الْكُتُبِ)

(١) كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ سَيِّدَ التَّابِعِينَ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ ، جَمَعَ بَيْنَ الْحَدِيثِ وَالْفَقْهِ وَالزُّهْدِ
وَالْوَرَعِ وَالْعِبَادَةِ ، وَلَهُ فِي كُلِّ ذَلِكَ أَخْبَارٌ مَأْنُورَةٌ ، تُوْفِيَ سَنَةَ ١٠١ هـ (٢) الْمَطِيُّ : جَمْعُ مَطِيَّةٍ
(٣) تَنْكُصُ : تَرْجِعُ وَتَوَلَّى وَتَجَمُّعٌ (٤) مَقْلَصٌ : مَشْرِعٌ جَادٍ فِي السَّيْرِ .

قال الراوى : فلما فارقناه قلت لنوفل : أترأى استغفر الله من إنشاده الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كلا ! هو كثير الإنشاد والاستشهاد للشعر ، ولكنى أحسبه للفخر بصاحبه !

٨٧ — أعشى همدان يهجو ويمدح *

كان أعشى ^(١) همدان شاعر أهل اليمن بالكوفة وفارسهم ، وكان مع خالد ابن عتاب بن وزقاء الرياحى بالرعى ، فلما قدم خالد من مغزاه خرج جواريه يتلقينه ، وفيهن أم ولد له كانت رفيعة القدر عنده ؛ فجعل الناس يمرّون عليها إلى أن جاز بها الأعشى ، وهو على فرسه يميل يمينا ويسارا من الثماس ، فقالت أم ولد خالد لجواريا : إن امرأة خالد لتفأخرنى بأبيها وعمها وأخيها ، وهل يزيدون على أن يكونوا مثل هذا الشيخ المزعج ^(٢) !

وسمى الأعشى فقال : من هذه ؟ فقال له بعض الناس : هذه جارية خالد ، فضحك وقال لها : إليك عني بالكساء ^(٣) ؛ ثم أنشأ يقول :

وما يُدريك ما فرس جرور ^(٤) وما يُدريك ما تحل السلاح !
وما يدريك ما شيخ كبير عداه الدهر عن سنن المراح ^(٥)
فأقسم لو ركب الورد ^(٦) يوما وليلتنه إلى وضح الصباح

* الأغانى : ٦ - ٤٢

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله ، ويكنى أبا المصبح ، شاعر فصيح كوفى من شعراء الدولة الأموية ، وكان أحد الفقهاء القراء ، ثم ترك ذلك وقال الشعر . وولد له جواد بن خروجه عليه مع ابن الأشعث سنة ٨٣ هـ . (٢) تريد الأعشى . (٣) الكساء : الثياب . (٤) جرور : لا ينقاد ولا يكاد يتبع صاحبه . (٥) المراح : الاخيال والتبجح . (٦) الورد : ما بين الكيت والأشقر .

إذن لنظرت
فأصبحت الجارية ، فدخلت إلى خالد فشكت إليه الأعشى ، وقالت : والله
ما تُكْرَم ، ولقد اجتري عليك أقال لها : وما ذاك ؟ فأخبرته أنها مرت برجل
في وجه الصبح ، ووصفته له وأنه سبها ، فقال : ذلك أعشى همدان ، فأى شيء
قال لك ؟ فأنشدته الأبيات ، فبعث إلى الأعشى ، فلما دخل عليه قال له : ما تقول
هذه ؟ زعمت أنك هجوتها ، فقال : أسأت سمماً ؛ إنما قلت :

مهرت بنسوةٍ مُتَعَطَّراتٍ كضوءِ الصُّبْحِ أَوْ بَيْضِ الْأَدَاحِ (١)
صَلَّى شَقْرَ الْبَغَالِ فَصَدَّنَ قَلْبِي بِحَسَنِ الدَّلِّ وَالْحَدَقِ لِلْمَلَّاحِ
فَقُلْتُ : مَنْ الظُّبَاءُ ؟ فُقُلْنِ : سِرْبٌ بَدَا لَكَ مِنْ ظُبَاءِ بَنِي رِيَّاحِ
فَقَالَتْ : لا ، والله ، ما هكذا قال . . . وأعادت الأبيات .

فقال له خالد : أما لولا أنها قد ولدت منى لوهبتها لك ، ولكى أفتدى
جنايتها بمثل ثمنها ، فدفعه إليه وقال له : أقسمت عليك يا أبا الصبح أن لا تعيد في
هذا المعنى شيئاً بعد ما قرط منك .

(١) الأداحي : جمع أحذية وهي مبيض النعام في الرمل .

٨٨ — أشجع الناس شعراً*

سأل يوماً عبدُ الملك ^(١) بن مروان : مَنْ أشجعُ الناس شعراً ؟ فقيل عمرو بن معد يكرب . فقال : كيف وهو الذى يقول :

جَاشَتْ إِلَى النَّفْسِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَرُدَّتْ عَلَى مَكْرُوهِهَا فَاسْتَقَرَّتْ ^(٢)

قالوا : فعمر بن الإطنابة . فقال : كيف وهو الذى يقول :

وَقَوْلِي كَلِمًا جَشَأْتُ وَجَاشْتُ مَكَانَكَ تُحْمَدِي أَوْ تَسْتَرِيحِي ^(٣)

قالوا : فعامر بن الطفيل . قال : كيف وهو الذى يقول :

أَقُولُ لِنَفْسِي لَا يُجَادُ بِمِثْلِهَا : أَقَلُّ مِرَاحًا إِنِّي غَيْرُ مَدِيرٍ

قالوا : فمن أشجعهم عند أمير المؤمنين ؟ قال : أربعة ، عباس بن مرداس

«السَّعِيّ» ، وقيس بن الخطيم الأوسى ، وعنترة بن شداد العبسى ، ورجل من بنى مزيّنة .

أما عباس فلقوله :

أَشَدُّ عَلَى الْكِتَابَةِ لَا أَبَالِي أَفِيهَا كَانَ حَتْفِي أَمْ سِوَاهَا

* بجمع الأمثال : ٢ - ٢٢ .

(١) كان عبد الملك بن مروان ليلاً عاقلاً جباراً ، قوى الهبة ، شديد السياسة حسن التدبير تولى الخلافة سنة ٦٥ ، فوطد أركانها ، وقتل ابن الزبير وأخاه مصعباً ، وكافح حتى استقرت له الأمور ، ومات سنة ٨٦ هـ . (٢) جاشت النفس ؛ اضطربت من الفزع ، وأصل جاشت : غثت . (٣) جشأت : ارتفعت من حزن أو فزع .

وأما قيس بن الخطيم فلقوله :

وإني لَدَى الحربِ العَوَانِ موَكَّلٌ بتقديمِ نفسٍ لا أريدُ بقاءَها

وأما عنتر بن شداد فلقوله :

إذ تَتَقَوَّنُ بِي الأَسِنَّةَ لم أَخِمُ^(١) عنها ولكن قد تضايقُ مقدَمِي^(٢)

وأما المزني فلقوله :

دَعَوْتُ بَنِي قُحَافَةٍ فَاسْتَجَابُوا قُلتُ : رِدُّوا قَد طَابَ الوُرُودُ

(١) أخم : أجب . (٢) تضايق مقدى : تضايق الموضع الذى هو قنابى من أن يدنوه أحد .

٨٩ — الحجاج على قبر ابنه *

لما هلك أبان بن الحجاج ، وأمه أم أبان بنت النعمان بن بشير ، ودفنه الحجاج^(١)
قام على قبره ؛ فتمثل بقول زياد الأعجم :

الآن لما كنت أكل من مَشْنَى وافتَرَّ نابُك عن شَبَاةِ القَارِحِ
وتكاملت فيك للروءى كُلُّهَا وأعنتَ ذلك بالفعالِ الصالحِ !
فلما انصرف إلى منزله قال : أرسلوا خلف ثابت بن قيس الأنصارى ؛ فأتاه
فقال : أنشدنى مرثيتك فى ابنك الحسن ، فأنشده :

قد اكذب الله من نعى حسنًا ليس لكذيبٍ موته ثمنُ
أجولُ فى الدار لا أراك وفى الدار أناسٌ جوارهم غبنُ^(٢)
بذلَّهم منك ليت أنهم أضحووا ويبنى وبينهم عدنُ !
فقال له الحجاج : ارثِ ابني أبان . فقال له : لا أجد به ما كنتُ أجدُ بحسن ،
قال : وما كنت تجده ؟ قال : ما رأيته قطُ فشِبت من رؤيته ، ولا غاب عني قطُ
إلا اشتقتُ إليه .

فقال الحجاج : كذلك كنتُ أجدُ أبان !

* ذيل الأمالى : ٧

(١) انظر صفحة ٣٧ (٢) ضف .

٩٠ — إن صدقناك أغضبناك *

شكا الحجاج يوماً سوء طاعة أهل العراق وسقم مذهبهم ، وسخط طريقتهم فقال له جامع المحاربى - وكان شيخاً صالحاً خطيباً لسنًا : أما إنهم لو أجوبك لأطاعوك ، على أنهم ما شنوك^(١) لنسبك ، ولا لبلدك ، ولا لذات نفسك ، ولكنهم تقموا أفعالك ؛ فدع ما يُبغضهم عنك إلى ما يُدنيه منك ، واتمس العافية ممن دونك تُعطها ممن فوقك ، وليكن إيقاعك ، بعد وعيدك ، ووعدك^(٢) بعد وعدك .

فقال له الحجاج : والله ما أرى أن أردّ بنى الكيعة إلى طاعتي إلا بالسيف ! فقال جامع : أيها الأمير ، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار ! فقال الحجاج : الخيار يومئذ لله ! قال جامع : أجل ، ولكن لا تدري لمن يجعله الله !

فغضب الحجاج وقال : يا هناه^(٣) ، إنك من محارب !

فقال جامع :

وللحرب سميناً وكان محارباً إذا ما ألقنا أمسى من الطغن أحمرًا فقال له الحجاج : والله لقد هممت أن أخلع لسانك ، وأضرب به وجهك .

* زمر الآداب : ٤ - ٤٨ ، البيان والتبيين : ٢ - ٦٨ ، المقد الفريد : ٢ - ١٥١ ، عيون الأخبار : ٢ - ٢١٢

(١) شنوك : أبغضوك (٢) الوعد في الضر ، والوعد في الخير (٣) ياهناه : يافلان .

قَالَ جَامِعٌ : إِنْ صَدَقْنَاكَ أَغْضَبْنَاكَ ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ أَغْضَبَنَا اللَّهُ ، وَغَضَبُ
الْأَمِيرِ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ .

قَالَ الْحِجَاجُ : أَجَلٌ ! وَسَكَنَ وَاشْتَغَلَ بِبَعْضِ الْأَمْرِ ، فَخَرَجَ جَامِعٌ ، وَانْسَلَّ
مِنْ صُفُوفِ النَّاسِ .

٩١ - الْحِجَاجُ يَخْطُبُ*

دَخَلَ الْحِجَاجُ الْكَوْفَةَ ؛ فَصَعِدَ الْمَنْبَرَ ، فَانْكَسَرَ تَحْتَ قَدَمِهِ لَوْحٌ ، فَعَلِمَ أَنَّهُمْ
قَدْ تَطَيَّرُوا لَهُ بِذَلِكَ ؛ فَالْتَفَتَ إِلَى النَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ تَعَالَى ، وَقَالَ :

شَهِدْتُ الْوُجُوهَ^(١) ، وَتَبَّتْ^(٢) الْأَيْدِي ، وَبُوتِمَ بِغَضَبِ اللَّهِ ! إِذَا انْكَسَرَ
عَوْدُ جِذْعٍ ضَعِيفٍ تَحْتَ قَدَمِ أَسَدٍ شَدِيدٍ تَفَاءَلْتُمْ بِالشُّومِ ! إِنِّي عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى
لَأَنْكَدُ مِنَ الْغَرَابِ الْأَبْقَعِ^(٣) ، وَأَشَامُ مِنْ يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ، وَإِنِّي لِأَعْجَبُ مِنْ
لُوطٍ وَقَوْلِهِ : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ ؛ فَأَيُّ رَكْنٍ
أَشَدُّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى !

أَوْ مَا عَلِمْتُ مَا أَنَا عَلَيْهِ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَدْ وَلَّيْتُ عَلَيْكُمْ أَخِي
مُحَمَّدَ بْنَ يُوسُفَ ، وَأَمْرُهُ بِخِلَافِ مَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ مُعَاذًا فِي أَهْلِ الْيَمَنِ ! فَإِنَّهُ

* الْمُسْتَطَرَفُ : ٢ - ٨٥

(١) شَهِدْتُ الْوُجُوهَ : قَبِضْتُ (٢) تَبَّتْ يَدَاهُ : خَسِرْتَا (٣) الْأَبْقَعُ : الَّذِي فِيهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ .

أمره أن يُحسنَ إلى مُحْسِنِهِمْ ، ويتجاوزَ عن مُسِيئِهِمْ ؛ وقد أمرته أن يسيءَ إلى
عُصْنِكُمْ ، وألّا يتجاوزَ عن مُسِيئِكُمْ .

وأنا أعلم أنكم تقولون بمدى : لا أحسنَ الله له الصحابة ! وأنا معجل
لكم الجواب ؛ لا أحسنَ الله عليكم الخلافة ! أقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم
لى ولكم .

٩٢ — جيل أشعر الناس*

حدث أحد الرواة فقال :

دخل علينا كثير^(١) يوماً وقد أخذ بطرف رِيطَتِهِ^(٢) ، وألقى طرفها الآخر وهو يقول : هو والله أشعرُ الناس حيث يقول :

وخَيْرُ ثَمَانِي أَنْ تَيْمَأَ^(٣) مَنْزِلٌ لَّيْلٍ إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى الرَّمِيماً
لهَذَا شَهْرُ الصَّيْفِ عَنِّي قَدْ انْقَضَتْ فَالْثَّوِي تَرْمِي بِلَيْلِي الرَّمِيماً !
ويجرُّ رِيطَتَهُ حَتَّى يَبْلُغَ إِلَيْنَا ، ثُمَّ يُوَلِّي عَنَّا وَيَجْرُهَا وَيَقُولُ : هو والله أشعرُ
الناس حيث يقول :

وَأَنْتَ الَّذِي إِنْ شُئْتُ كَدَّرْتَ عَيْشَتِي وَإِنْ شُئْتُ بَعْدَ اللَّهِ أَنْعَمْتَ بَالِيَا
وَأَنْتَ الَّذِي مَإْيْنُ صَدِيقِي وَلَا عِدَا يَرَى نَفْضُو مَا أَجَبْتِ إِلَّا رَثِي لِيَا
ثم يرجع إلينا ويقول : هو والله أشعر الناس ؛ قلنا : مَنْ تعني يا أبا صخر ؟
فقال : وَمَنْ أَغْنَى سِوَى جَيْلٍ ! هو والله أشعر حيث يقول هذا .

* الأغانى : ٨ - ١٢٥ (طبعة دار الكتب) .

(١) كثير بن عبد الرحمن : شاعر من أهل الحجاز ، أخباره معمرة كثيرة ، توفي سنة ١٠٥ .

(٢) الرِيطَة : كل ملاءة غير ذات لفقين ؛ كلها نسج واحد وقطعة واحدة (٣) نِباء : منزل

لبو عنزة .

٩٣ — مَنْ أَشْعَرَ النَّاسَ؟*

قال عبد الملك بن مسلم : كتب عبدُ الملك بن مروان إلى الحجاج : إنه لم يبق شيء من لَذَّة الدنيا إلا وقد أصبتُ منه ، ولم يَبْقَ لى إلا مُنَاقَلَةُ^(١) الإخوان الأحاديث ؛ وَقَبْلَكَ عَامِرُ الشَّعْبِيِّ^(٢) ، فابعث به إلى يحدِّثنى .

فدعا الحجاج بالشعبيّ وجَهَّزَه ، وبعث به إليه ، وأطْرَاهُ فى كتابه .

فخرج الشعبيّ ، حتى إذا كان يباب عبد الملك قال للحاجب : استأذن لى ، فقال : ومن أنت ؟ قال : عامر الشعبيّ ، قال : حيّاك الله ! ثم نهض ، وأجلسه على كرسيه ، فلم يلبث أن خرج إليه فقال : ادخل .

قال الشعبيّ : فدخلت فإذا عبد الملك جالس على كرسيّ ، وبين يديه رجل أبيضُ الرأس واللحية على كرسيّ ، فسَلَّمْتُ فردَّ السلام ، ثم أَوْثَمَا إلىّ ، فقعدتُ عن يساره ، ثم أقبل على الذى بين يديه فقال : ويحك ! من أشعر الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين ! فأظلم علىّ ماينى وبين عبد الملك ، ولم أصير أن قلت : وَمَنْ هذا يا أمير المؤمنين الذى يزعم أنه أشعر الناس ؟ فَعَجِبَ عبدُ الملك من عَجَلَتى قبل أن يسألنى عن حالى ، ثم قال : هذا الأخطل ! فقلت : يا أخطل ، أشعرُ منك الذى يقول^(٣) :

* أمالى المرتضى : ٣ - ١٠١ ، خزافة الأدب : ٢ - ١١٨ (الطبعة السلفية) ، الأغاني : ٩ : ١٦٢ (طبعة الساسى) .

(١) المناقلة فى المنطق : أن تحدّثه ويحدّثك (٢) هو عامر بن شراحيل . كوفى المنشأ ، تابعى جليل القدر وافر العلم ، يقال إنه أدرك خمسمائة من الصحابة . توفى سنة ١٠٣ هـ .

(٣) قال النابغة هذا الشعر حين فطر لى النعمان بن الحارث أخى عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر بن أبى شمر (مهذب الأغاني : ٢ - ٢٣٥) .

هـَذَا غُلَامٌ حَسَنٌ وَجْهَهُ مُقْتَبِلُ الْخَيْرِ مَرِيحُ الْقَتَامِ
لِلْحَارِثِ الْأَكْبَرِ وَالْحَارِثِ الْأَصَمِ خَيْرٌ وَالْأَعْرَجُ خَيْرُ الْأَنَامِ
ثُمَّ لَنَنْدِي وَلَنَنْدِي، فَقَدْ يَنْجَعُ فِي الرِّوَضَاتِ مَاءُ الْغَمَامِ
خَمْسَةَ آبَاءٍ هُمْ مَاهُمْ هُمْ خَيْرٌ مَنْ يَشْرَبُ صَوْبَ الْمَدَامِ

فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : رَدُّدَهَا عَلَى ، فَرَدَّدْتُهَا حَتَّى حَفَظَهَا ؛ فَقَالَ الْأَخْطَلُ : مَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ : هَذَا الشَّعْبِيُّ ، قَالَ : صَدَقَ وَاللَّهِ ، النَّابِغَةُ أَشْعَرُ مِنِّي !
قَالَ الشَّعْبِيُّ : ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَقَالَ : كَيْفَ أَنْتَ يَا شُعْبِي ؟ قُلْتَ : بِخَيْرٍ -
قَالَ : لَا زِلْتُ بِهِ - ثُمَّ ذَهَبْتُ لِأَصْنَعُ مَعَاذِيرِي لِمَا كَانَ مِنْ خِلَافِي عَلَى الْحِجَابِ مَعَ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَشْعَثِ .

فَقَالَ : مَهْ ! فَإِنَا لَا نَحْتَاجُ إِلَى هَذَا الْمَنْطِقِ ، وَلَا تَرَاهُ مِنَّا فِي قَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ حَتَّى
تُفَارِقَنَا ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى فَقَالَ : مَا تَقُولُ فِي النَّابِغَةِ ؟ قُلْتَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ فَضَّلَهُ
عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ عَلَى جَمِيعِ الشُّعْرَاءِ ، وَذَاكَ أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا وَيَبَابُهُ وَفَدَّ
غُطْفَانًا ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ غُطْفَانٍ ، أَيُّ شُعْرَائِكُمُ الَّذِي يَقُولُ :

حَلَقْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رَيْبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةً تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ
كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوْكَبُ
لَنْ كُنْتَ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لِمَلِيفِكَ الْوَاشِي أَغْشَى وَأَكْذَبُ
وَلَسْتَ بِمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلُهُ عَلَى شَعْبٍ ؛ أَيُّ الرِّجَالِ الْمَهْذَبُ !

قَالُوا : النَّابِغَةُ ؛ قَالَ فَأَيُّكُمْ الَّذِي يَقُولُ :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المتأني عنك واسع
خطاطيف^(١) حُجْنٌ في حبال متينة تُمَدُّ بها أيدٍ إليك نوازِعُ

قالوا : النابغة : قال أَيْكُم الذي يقول :

إلى ابن مُحَرَّرٍ أَعْمَلْتُ نَفْسِي وراحلتى وقد هدتِ العُيُونُ
أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِي الظُّنُونُ
فَأَلْفَيْتِ الْأَمَانَةَ لَمْ تَخُنْهَا كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ

قالوا : النابغة ، قال : هذا أشعر شعرائكم . ثم أقبل عبدُ الملك على الأخطل
فقال : أُنحِبُ أَنْ لَكَ قِيَاضًا^(٢) بشعرك شعر أحد من العرب ، أو نَحِبُ أَنْك قَلْتَهُ ،
فقال : لا والله ، إلا أنى وددت أنى كنت قلت أحيانًا قالها رجل منا ؛ كان والله
مُغْدِفٌ^(٣) القناع ، قليل السماع ، قصير الذراع ، قال : وما قال ؟ فأنشده :

إِنَّا مَحْيُوكَ فَاسَلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتِ^(٤) بَكَ الطُّولُ
لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبَقَّى بَشَائِئُهُ إِلَّا قَلِيلًا وَلَا ذُو خَلَةٍ يَصُلُ
وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنٌ ، وَلَا حَالٌ إِلَّا سَوْفَ تَنْتَقِلُ
وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَاتِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهَى ؛ وَلَأَمَّ الْخَطِيءُ الْهَبْلُ
قَدْ يَدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضُ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

قال الشعبي : فقلت : قد قال القطاميُّ أفضل من هذا ، قال : وما قال ؟

قلت : قال :

طَرَقَتْ جَنْوَبُ رَحَالَنَا مِنْ مَطْرِقٍ مَا كُنْتُ أَحْسِبُهُ قَرِيبَ اللَّفْقِ

(١) الخطاف : حديدة جناء تعلق بها البكرة ، والحجن : الاعوجاج .

(٢) القياضة : المبادلة والمماوضة (٣) أغدق قناعه : أرسله على وجهه (٤) يقال : طال طولك أى عمرك .

حتى أتيتُ على آخرها ، فقال عبد الملك : شكَّاتِ القطاميُّ أمُّه ! هذا والله الشعر ، ثم قال : يا شعبي ، أي شعراء الجاهلية كان أشعر من النساء ؟ قلت : اتلنساء قال : ولم فضلتها على غيرها ؟ قلت : لتقولها :

وقالنه والتمشُ قد فاتَ خطوها لتدرگه : بالهفَ نفسى على صخرها
الأشكىلتُ أمَّ الترن غَدَوا به إلى القبر ، ماذا يحملون إلى القبر !
فقال عبد الملك : أشعر والله منها ليلي الأخيلية حيث تقول :

مَهْنَهفُ الكشحِ والسُّرَّهالِ مُنْغَرِقُ عنه التميميُّ لسُرِّ اللَّيْلِ مُحْتَفِرُ
لا يَأْمَنُ النَّاسُ مُنْساءَ وَمُصْبَحَهُ في كلِّ حَيٍّ ، وإنَّ يَنْزُوهَ يُنْتَظَرُ

ثم قال : يا شعبي ، لعله شقَّ عليك ما سمعته ! فقلت : إى والله يا أمير المؤمنين أشدَّ المشقة ، إني قد حدثتُك فلم أفِدْكَ إلا أبيات النابغة في الغلام .

ثم قال عبد الملك : يا شعبي ، إنما أعلنك هذا ، لأنه بلغنى أن أهل العراق يتطاولون على أهل الشام ويقولون : إن كانوا غلبونا على الدولة ، فلن يغلِبونا على السلم والرواية ، وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق . ثم ردَّدَ على أبيات ليلي حتى حفظتها ، وأذن لى فأنصرفت ، فكنْتُ أوَّلَ داخلٍ وآخر خارج .

٩٤ — الشعبيّ عند عبد الملك بن مروان *

قال الشعبيّ : دخلت على عبد الملك بن مروان في عِلَّتِهِ التي مات فيها ، فقلت :
كيف تجدك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : يا شعبيّ ؛ أصبحت كما قال عمرو بن قبيصة ^(١) :
كأني وقد جاوزتُ سبعين حِجَّةً خلعتُ بها عني عِنان ^(٢) الجاهلي
رمتني بنات الدهر من حيثُ لأرى فكيف بمن يُرْمى وليس بِرّام !
فلو أنني أرمي بنبيلٍ رميّتها ولكنني أُرْمى بغيرِ سيّهام
وأهلكني تأميلُ يومٍ وليلةٍ وتأميلُ عامٍ بعد ذاك وعامٍ
على الرّاحتين تارة وعلى المصا أنوّه ثلاثاً بعدَهنّ قيامي
فقلت : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال كييد ، وقد بلغ

سبعين حجة :

كأني وقد جاوزتُ سبعين حجةً خلعتُ بها عن منكبَيّ ردائياً
فلما بلغ سبعا وسبعين سنة قال :
باتت تشكّي إلى النفسُ مُجْهِشَةً ^(٣) وقد حملتك سبعا بعد سبعينا
فإن تُزادى ثلاثاً تَبْلُغِي أملاً وفي الثلاثِ وفاءٌ للثمانين
فلما بلغ مائة سنة قال :

* الأغاني : ١٦ - ١٥٩ (طبعة الساسي) ، مذهب الأغاني : ٢ - ٦٢

(١) هو عمرو بن قبيصة : شاعر جاهليّ مقدم ؛ أقام في الحيرة مدة ، وخرج مع امرئ القيس في توجهه إلى قيصر ، فات في الطريق (٢) عنان اللجام : السر الذي يشد به (٣) الجهش والإجهاش أن يفزع الإنسان إلى غيره ، وهو مع ذلك كأنه يريد البكاء .

ولقد سئمتُ من الحياةِ وطولها وسؤالِ هذا الخلقِ كيف ليبدأ
فلما بلغ مائةَ سنةٍ وعشراً قال :

أليس ورأى إن تراختَ مِنِّي لزومِ العصا تُحَنِّي عليها الأصابع
أخبر أخبارَ القرون التي خَلَّتْ أدبَ كَأَنِّي كَلَّمَا قَتَ رَاكِع
فلما بلغ ثلاثين ومائة سنة ، وقد حَضَرَتْهُ الوفاةُ قال :

تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَن يَعْشَا أَبُوهَا وهل أنا إلا من ربيعةٍ أو مُضَرَ !
فَإِنْ حَانَ يَوْمًا أَنْ يَمُوتَ أَبُوكَما فلا تَخْشَا وَجْهًا ولا تَحْلِفَا الشَّعْرَ
وقولا : هو المرء الذي لا صَدِيقَه أضاع ، ولا خَانَ الخليلَ ولا غَدَرَ
إلى الحوَلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكَا ومن يَبْكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرَ^(١)

قال الشعبي : فتبسمَ عبد الملك وقال : لقد قويت من نفسى بقولك يا عامر ، وإني
لأجد خِفًا ومأبى من بأس ، وأمرلى بصلّة . وقال لى : اجلس يا شعبي ؛ فحدثنى ما بينك
وبين الليل . فجلست فحدثته حتى أُمِيتُ وخرجت من عنده ، فما أصبحت
حتى سمعت الواعية فى داره^(٢) .

(١) اعتذر : أتى بهذر (٢) الواعية : الصراخ والصوت .

٩٥ — تَلَطَّفَ عبد الله بن الحجاج *

كان عبد الله بن الحجاج شجاعاً فاتكاً صُعلوكاً من صماليك العرب ، وكان متسرّعا إلى الفتن ، فكانَ ممن خرج مع عمرو بن سميد على عبد الملك ابن مروان .

فلما ظفر به عبد الملك هرب إلى ابن الزبير ، فكان معه حتى قُتِل ، ثم جاء إلى عبد الملك متنكراً ، واختال حتى دخل عليه ، وهو يطعم الناس ، وجلس حَجْرَةً^(١) ، فقال له : مالك يا هذا لا تأكل ! قال : لأستحلُّ أن آكل حتى تأذن لي . قال : إنى قد أذنت للناس جميعاً ، قال : لم أعلم ، أفأكل بأمرك ؟ قال : كل . فأكل وعبد الملك ينظر إليه ويمتجب من فعله .

فلما أكل الناس جلس عبد الملك في مجلسه ، وجلس خواصه بين يديه ، وتفرق الناس ، فجاء عبدالله ووقف بين يديه ، واستأذنه في الإنشاد فأذن له ، فأنشد :

أبلغ أمير المؤمنين فإننى مما لقيت من الحوادث مَوْجَع
مُنِعُ القرار فجئت نحوك هارباً جيش يجرُّ ، ومَقْنَبٌ يتلمع^(٢)

فقال عبد الملك : وما خوفك لا أم لك ! فقال عبد الله :

إن البلادَ على وهى عريضةٌ وعِرتُ مذاهبها ، وسُدَّ اللطلم

فقال عبد الملك : ذلك بما كسبت يداك ، وما اللهُ بظلام للعبيد ، فقال

عبد الله :

* الأغاني : ١٢ - ٢٥ (طبعة الساسي)

(١) حجرة : منفرداً في ناحية (٢) المقنب : جماعة الخيل تجتمع للنارة ، وتلمع : يضيء .

إِنَّ الَّذِي يَعْصِيكَ مِنَّا بَعْدَهَا مِنْ دِينِهِ وَحَيَاتِهِ مَتَوَدَعٌ
 آتَى رِضَاكَ وَلَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا وَأَطِيعَ أَمْرَكَ مَا أَمَرْتَ وَأَسْمَعُ
 قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : هَذَا لَا يَقْبَلُهُ مِنْكَ إِلَّا بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ بِكَ وَبَذَنْبِكَ ، فَإِذَا عَرَفْتُ
 الْحَوْبَةَ ^(١) قَبِلْتُ التَّوْبَةَ ؛ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

وَلَقَدْ وَطَّئْتُ بَنِي سَعِيدٍ وَطَاةً وَابْنَ الزَّيْرِ فَعَرَّشُهُ مَتَضَعُ
 قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : اللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى ذَلِكَ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

مَا زِلْتُ تَضْرِبُ مِنْكَ بَأْسًا عَنْكَ تَعْلُو وَيَسْقُلُ غَيْرُكُمْ مَا يُرْفَعُ
 لَا يَسْتَوِي خَاوِي نَجْمٍ أَفْلٌ وَالْفَجَرُ مُنْبَلِجًا إِذَا مَا يُطْلَعُ
 وَضِعَتْ أُمِّيَّةٌ وَاسْطِينُ لِقَوْمِهِمْ وَوُضِعَتْ وَسَطُهُمْ فَنِمَ الْمَوْضِعُ
 يَتُّ أَبُو الْعَاصِي بِنَاءَ بَرْبُورٍ عَلَى الْمَشَارِفِ عَزَهُ مَا يُدْفَعُ

قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : إِنْ تَوَرَّيْتُكَ عَنْ نَفْسِكَ لَتَرِيَنِي ، فَأَيُّ الْفَسَقَةِ أَنْتَ ؟
 وَمَاذَا تُرِيدُ ؟ قَالَ :

حَرَبْتُ ^(٢) أَصْبِيَّتِي يَدُ أَرْسَلْتَهَا وَإِلَيْكَ بِمَدِّ مَعَادَهَا مَا تَرَجِعُ
 وَأَرَى الَّذِي يَرْجُو ثَرَاثَ مُحَمَّدٍ أَفَلَتْ نَجْمُومُهُمْ وَنَجْمُكَ يَسْطَعُ
 قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

فَارْحَمْ أَصْبِيَّتِي الَّذِينَ كَانَهُمْ حَجَلِي تَدْرَجُ بِالشَّرْبَةِ وَقَعُ ^(٣)
 قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : لَا أَنْشَهُمُ اللَّهَ ، وَأَجَاعُ أَكْبَادَهُمْ ، وَلَا أَبْقِي وَلِيدًا مِنْ نَسْلِهِمْ ،
 فَإِنَّهُمْ نَسْلُ كَافِرٍ قَاجِرٍ لَا يَبَالِي مَا صَنَعَ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

(١) الحوبة : الإثم (٢) حربته : سلب ماله ، وأصبية : تصغير صبية (٣) الحجل : حيوان ،
 والعربة : موضع ينجس .

مال لهم مما بُضِنَ جمعته يوم القليبِ فحيزَ عنهم أَجْمَعُ
فقال له عبد الملك : لعلك أخذته من غير حلٍّ وأفقته في غير حقٍّ ، وأرصدت
به لمشاقة أولياء الله ، وأعددت له معاونة أعدائه ، فنزعه منك إذا استظهرت به على
معصية الله : فقال عبد الله :

أَذْنُو لترحمني وتَجَبَّرُ فاقتي فأراك تَدْفَعُنِي ، فأينَ المَدْفَعُ !
فتبسّم عبد الملك وقال له : إلى النار ! فمن أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن الحجاج ؛
وقد وطنت دارك ، وأكلت طعامك ، وأنشدتُك ، فإن قتلتنى بعد ذلك فأنت
وما تراه ، وأنت بما عليك في هذا عارف ! ثم عاد إلى إنشاده فقال :

ضاقَت ثياب الملبسين وفضلهم عَنِّي ، فالبسني فتوبك أوسعُ
فنبذ عبد الملك إليه رداءً كان على كتفه ، وقال : البسه لا نبست ! فالتحف به ،
ثم قال له عبد الملك : أولى لك ! والله لقد طاولتك طمعاً في أن يقوم بمض
هؤلاء فيقتلك . فأبى الله ذلك ، فلا تجاوزني في بلد ، وانصرف آمناً ، وأقم
حيث شئت !

٩٦ — نُصَيْبُ عِنْدَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ *

قَالَ نُصَيْبُ ^(١) : قُلْتُ الشَّعْرَ وَأَنَا شَابٌّ فَأَعْجِبْنِي قَوْلِي ؛ فَجَعَلَتْ آتِي مَشِيخَةً مِنْ بَنِي ضَمْرَةَ ، وَمَشِيخَةً ^(٢) مِنْ خُرَاعَةَ ، فَأَنْشِدُ الْقَصِيدَةَ مِنْ شَعْرِي ، أَنْسُبُهَا إِلَى بَعْضِ شُعْرَائِهِمَ الْمَاضِينَ فَيَقُولُونَ : أَحْسَنَ وَاللَّهِ ! هَكَذَا يَكُونُ الْكَلَامُ ! وَهَكَذَا يَكُونُ الشَّعْرُ .

فَلَمَّا سَمِعْتُ ذَلِكَ مِنْهُمْ عَلِمْتُ أَنِّي مُحْسِنٌ ؛ فَازْمَعُوا وَأَزْمَعْتُ الْخُرُوجَ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ بِمِصْرَ ؛ فَقُلْتُ لِأَخْتِي أُمَامَةَ - وَكَانَتْ عَاقِلَةً جَلَدَةً : أَيْ أَخِيَّةُ ؛ إِنِّي قَدْ قُلْتُ شَعْرًا ، وَأَنَا أُرِيدُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَأَرْجُو أَنْ يُعْتَقَكَ اللَّهُ بِهِ وَأُمِّكَ وَمَنْ كَانَ مَرْقُوقًا ^(٣) مِنْ أَهْلِ قَرَأَتِي .

قَالَتْ : إِنْ أَلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ! يَا بِنْتُ أُمِّ ، أَتَجْتَمِعُ عَلَيْكَ الْخَصْلَتَانِ : السَّوَادُ ، وَأَنْ تَكُونَ ضُحْكَةً ^(٤) لِلنَّاسِ ! قُلْتُ : فَاسْمَعِي . فَأَنْشَدْتُهَا فَسَمِعَتْ ، فَقَالَتْ : يَا بِنْتُ ! أَنْتِ ! أَحْسَنْتِ وَاللَّهِ ! فِي هَذَا رَجَاءٌ عَظِيمٌ ، فَاخْرُجِي عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ .

فَرَجَعْتُ عَلَى قَعُودِي حَتَّى قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَوَجَدْتُ بِهَا الْفَرَزْدَقَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ : أَنْشِدُهُ وَأَسْتَنْشِدُهُ ، وَأَعْرِضْ عَلَيَّ شَعْرِي . فَأَنْشَدْتُهُ ، فَقَالَ لِي : وَيْلَكَ ! أَهَذَا شَعْرُكَ الَّذِي تَطْلُبُ بِهِ الْمُلُوكَ أَقْلَتْ :

* الْأَغَانِي : ١ - ٣٢٥ (طبعة دار الكتب) .

(١) هُوَ نُصَيْبُ بْنُ رِيَّاحٍ : كَانَ رَقِيقًا لِبَعْضِ الْعَرَبِ ، ثُمَّ اشْتَرَاهُ عَبْدِ الْعَزِيزُ ، وَكَانَ شَاعِرًا غَلَا مُقَدِّمًا فِي النَّسَبِ وَالْمَدْحِ ، وَكَانَ عَفِيفًا كَبِيرَ النَّفْسِ يَحْبِبُ مَدَامِحَ الْمُلُوكِ وَمِرَائِيهِمْ : تُوُفِيَ سَنَةَ ١٠٠ هـ .
(٢) لِلْمَشِيخَةِ : الشَّيْخُوخِ (٣) مَرْقُوقًا : صَارَ فِي رِقٍّ (٤) الضُّحْكَةُ بِسُكُونِ الْهَاءِ : مَنْ يَضْحَكُ النَّاسَ مِنْهُ (١٦ - قِصَصُ الْعَرَبِ ٢)

نعم . قال : فليست في شيء . إن استطعت أن تكتم هذا على نفسك فافعل !
فانقضخت^(١) عرقاً !

فصحبني رجل من قريش كان قريباً من الفرزدق ، وقد سمع إنشادي ، وسمع
ما قال لي الفرزدق ؛ فأومأ إلي ؛ فقممت إليه ، فقال : ويحك ! أهذا شعرك الذي
أنشدته الفرزدق ؟ قلت : نعم . فقال : قد والله أصبت ، ولئن كان هذا الفرزدق
شاعراً لقد حسدك ، فإننا لنعرف محاسن الشعر ؛ فامض لوجهك ، ولا يكسر نك .

فسرّني قوله ، وعلمت أنه قد صدقني فيما قال ، فاعتزمتُ على المضي ، فمضيت !
فقدمت مصرَ وبها عبد العزيز بن مروان ، فحضرتُ بابه مع الناس ، فنُحِيتُ
عن مجلس الوجوه ، فكنتُ وراءهم ، ورأيتُ رجلاً جاء على بَغلة ، حسنَ الشّارة ،
سهل المدخل ، يؤذّن له إذا جاء . فلما انصرف إلى منزله انصرفت معه أماشي بقلته ،
فلما رآني قال : ألك حاجة ؟ قلت نعم ! أنا رجلٌ من أهل الحجاز ، شاعرٌ ، وقد
مدحتُ الأمير ، وخرجتُ إليه راجياً معروفاً ، وقد ازدريت فطردت من الباب ،
ونُحِيتُ عن الوجوه . قال : فأُنشِدني : فأنشدته ، فأعجبه شعري ، فقال : ويحك !
أهذا شعرك ؟ فإياك أن تنحل ! فإن الأمير راويةٌ عالم بالشعر ، وعنده رُواةٌ ، فلا
تفَضِّحني ونفْسَك ، فقلت : والله ما هو إلا شعري . فقال : ويحك ! فقل أبياتاً
تذكر فيها خوف^(٢) مصر وفضلها على غيرها ، وألقني بها غداً .

فعدوت عليه من غد فأنشدته قولي :

سَرَى الهمُّ تَنَبُّيَ لِيكَ طَلَائِعُهُ بِمِصْرَ وَبِالْحَوْفِ اعْتَرَتْنِي رَوَائِعُهُ

(١) انقضخت عرقاً : تدفقت عرقاً (٢) الحوف : بمصر حوفان ؛ الشرق والغرب وهما متصلان .

وبات وسادى ساعدٌ قلّ لـه عن العظم حتى كاد تَبْدُو أشاجِهُ^(١)

قال : وذكرتُ فيها الغيث فقلت :

وكم دون ذاك العارض البارق الذى له اشتقتُ من وجهٍ أسيلٍ مدامعه

تمشى به أفناه^(٢) بكر ومذحج وأفناء عمرو ، وهو خصبٌ مرابه

فكلٌ مسيلٍ من تهامة طيب دميثُ الرُّبا تَسْقَى البحارَ دَوافِعُه^(٣)

أعنى على برق أريك وميضه نضى دُجْنَاك الظلام لوامِعه

إذا اكتحلت عينا محبةً بضوئه تجافت به حتى الصباح مضاجعه

فقال : أنت والله شاعر ! احضُرْ بالباب حتى أذكرك للأمير .

قال : جلستُ على الباب ودخل ، فما ظننتُ أنه أمكنه أن يذكرنى حتى دعا

بى ، فدخلت على عبد العزيز ، فسَلَّمت ، فصعدتُ بصره وصوبتُ ، ثم قال : أنت

شاعر ، ويلك ! قلت : نعم أيها الأمير ! قال : فأنشدنى فأنشدته فأعجبه شعرى .

وجاء الحاجب فقال : أيها الأمير ، هذا أيمن بن خُرَيم الأسدى بالباب . قال :

اأذنْ له ، فدخل فاطمان ، فقال له الأمير : يا أيمن ، كم ترى ثمن هذا العبد ؟ فنظر إلى

فقال : والله لنعم القادى فى أثرِ الخاض^(٤) ، هذا أيها الأمير ؟ أرى ثمنه مائة دينار .

فقال : فإن له شعراً وفصاحة ! فقال لى أيمن : أتقول الشعر ؟ قلت : نعم . قال :

فيه ثلاثون ديناراً . قال : يا أيمن ، أرغمه وتحفضه أنت ؟ قال : لكونه أحقُّ أيها

الأمير ، ما لهذا وللشعر ؟ مثل هذا يقول الشعر أو يحسن شعراً ؟ فقال : أنشده يا نصيب ،

فأنشدته .

(١) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بمصب ظاهر الكف (٢) أفناء بكر ومذحج : أخلاط الناس (٣) الدوافع : مسایل الماء (٤) الخاض : الحوامل من النوق ، وهو يريد : لنعم هذا العبد يرعى الإبل .

فقال له عبد العزيز : كيف تسمع يا أيمن ؟ قال : هو أشعر أهل جلدته . قال : هو والله أشعر منك . قال : أمي أيها الأمير ! قال : إني والله منك . قال : والله أيها الأمير إنك كملولٌ طَرفٌ^(١) . قال : كذبت ، والله ما أنا كذلك ، ولو كنت كذلك ما صبرت عليك ، تنازعني التحية ، وتواكلني الطعام ، وتتسكى على وسائدي وفروشي ، وبك ما بك ! وكان بأيمن بياض .

قال : انظرن لي أن أخرج إلى بشر بالعراق^(٢) ، واحلني على البريد . قال : قد أذنت لك ، وأمر به فحمل على البريد إلى بشر . فقال فيه بمدحه ويعرض بأخيه عبد العزيز :

ركبتُ من المقطم في جمادى	إلى بشر بن مروان البريداً
ولو أعطاك بشرٌ ألف ألف	رأى حقاً عليه أن يزيداً
أمير المؤمنين أقم ببشرٍ	عمود الحق إن له عموداً
ودع بشرأ يقومهم ويحدث	لأهل الزبغ إسلاماً جديداً
كان التاج تاج بني هرقل	جلوه لأعظم الأيام عيدا
على ديباج خدي وجه بشرٍ	إذا الألوان خالفت الحدودا ^(٣)
قال . فأعطاه بشر مائة ألف درهم .	

(١) يقال رجل طرف : إذا كان لا يثبت على عهد (٢) بشر بن مروان : أخو عبد العزيز

ابن مروان (٣) في قوله هذا يعرض بكلف كان بوجه عبد العزيز بن مروان .

٩٧ - سليمان بن عبد الملك وسميّه *

أَقْبَلَ عَلَى سُلَيْمَانَ ^(١) بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ فَتَى مِنْ بَنِي عَبَسَ ، وَسَمِيَّ : فَأَعْجَبَهُ ، فَقَالَ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : سُلَيْمَانُ ، قَالَ : ابْنُ مَنْ ؟ قَالَ : ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ! فَأَعْرَضَ عَنْهُ ؛ وَجَعَلَ يُفَرِّضُ ^(٢) لِمَنْ دُونَهُ ، فَلَمَّ الْفَتَى أَنَّهُ كَرِهَ مُوَافَقَةَ اسْمِهِ وَاسْمَ أَبِيهِ .
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا عَدَمْتَ اسْمَكَ ، وَلَا شَقَى اسْمٌ يُوَافِقُ اسْمَكَ ، فَارْضَ ؛ فَإِنَّمَا أَنَا سَيْفٌ بِيَدِكَ ، إِنْ ضَرَبْتَ بِهِ قَطَعْتَ ، وَإِنْ أَمَرْتُنِي أُطَعْتُ ؛ وَهُمْ فِي كِفَايَتِكَ أَشَدُّ إِنْ أُرْسِلْتُ ، وَأَنْقُذُ حَيْثُ وَجَّهْتُ .

فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ وَهُوَ يَخْتَبِرُهُ : مَا قَوْلُكَ يَا فَتَى لَوْ لَقِيتَ عَدُوًّا ؟ قَالَ : أَقُولُ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ! قَالَ سُلَيْمَانُ : أَكُنْتَ مَكْتَفِيًّا بِهَذَا لَوْ لَقِيتَ عَدُوَّكَ دُونَ ضَرْبٍ شَدِيدٍ ؟

قَالَ الْفَتَى : إِنَّمَا سَأَلْتَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : مَا أَنْتَ قَائِلٌ ؟ فَأَخْبَرْتُكَ ، وَلَوْ سَأَلْتَنِي : مَا أَنْتَ فَاعِلٌ ؛ لَأَنْبَأْتُكَ ، إِنَّهُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَضَرَبْتُُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَتَحَقَّقَ ^(٣) ، وَلَطَعْتُ بِالرَّحِجِ حَتَّى يَتَحَقَّفَ !

فَأَعْجَبَ بِهِ سُلَيْمَانُ وَأَلْحَقَهُ فِي الْعَطَاءِ بِالْأَشْرَافِ ، وَتَمَثَّلَ :
إِذَا مَا اتَّقَى اللَّهُ الْفَتَى ثُمَّ لَمْ يَكُنْ عَلَى قَوْمِهِ كَلًّا فَقَدْ كَمَلَ الْفَتَى

* ابن أبي الحديد : ١ - ٣٧٧

(١) كَانَ سُلَيْمَانُ مَلِكًا غَيُورًا ، نَهَى بِحُبِّ الطَّعَامِ ، كَمَا كَانَ فَصِيحًا لَسْنَا ، تَوَفَّى سَنَةَ ٩٩ هـ .
(٢) يُقَالُ أَفَرَضَ لَهُ : إِذَا جَعَلَ لَهُ فَرِيضَةً ، وَالْفَرِيضَةُ ، الْبَعِيرُ الْمَأْخُوذُ فِي الزَّكَاةِ ، ثُمَّ اسْمُ فِيهِ حَتَّى سَمِيَ الْبَعِيرُ فَرِيضَةً مِنْ غَيْرِ الزَّكَاةِ (٣) التَّحْقِيفُ : التَّعْوِيجُ .

٩٨ — عقيد الندى *

قال الحارث بن سليمان : شهدت مجلس أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ، وأثناء سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أتيتك مُسْتَعْدِيًّا . قال : وَمَنْ بك ؟ قال : موسى شَهَوَات ^(١) . قال : وماله ؟ قال : سَمِعَ ^(٢) بى ، واستطال فى عِرْضى .

فقال : يا غلام ؛ هل بموسى ، فَأَتِنِ به ، فَأَتِنِ به ، فقال : وملك ! أَسَمَّتَ به واستَطَلَّتْ فى عِرْضِهِ ؟ قال : ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ، ولكنى مدحتُ ابنَ عمه فضب هو .

قال : وكيف ذلك ؟ قال : أردتُ شراءَ جاريةٍ لم يبلغ ثمنها جِدَّتِي ^(٣) ، فَأَتَيْتُهُ وهو صديق ، فشكوتُ إليه ذلك ، فلم أصب عنده شيئاً ، فَأَتَيْتُ ابنَ عمه سعيدَ ابنَ خالد ، فشكوتُ إليه ما شكوتُهُ إلى هذا . فقال : تَعُودُ إلى ؟ ففكرته ثلاثاً ثم أَتَيْتُهُ ، فَسَهَّلَ مِنِّ إِذْنِي ، فلما استقررتُ المجلس قال : يا غلام ؛ قل لَقِيْمِي : هاتِ وديعتي .

فَفَتَحَ أَبَا بَيْنَ بَيْتَيْنِ ، وإذ بجارية ، فقال لى : أهذه بُعَيْتُكَ ؟ قلت : نعم ، فِدَاكَ

* الأغانى ٣ : ٣٥٣ (طبعة دار الكتب) .

(١) هو موسى بن يسار مولى قریش ، ويكنى أبا محمد ، وشهوات لقب غلب عليه ، كان سؤولاً ملحماً ، فكان كلما رأى مع أحد شيئاً يعجبه من مال أو متاع أو ثوب أو فرس تباكى ، فإذا قيل له : مالك ؟ قال : أشتى هذا ، فلقب بموسى شهوات (٢) سمع به فى الناس : شهره وقضه الحدة : النقى ، ويريد هنا ما عنده من مال .

أبي وأُمي ! قال : اجلس . ثم قال : يا غلام ؟ قل لقيمتي : هاتِي ظَبِيَّةً ^(١) نَفَقَتِي ،
فَأَتَى بِظَبِيَّةٍ ، فَنُتِرَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَإِذَا مِائَةُ دِينَارٍ ، فَرُدَّتْ فِي الظَّبِيَّةِ . ثم قال :
هَتِيدَةً طَبِي ^(٢) ، فَأَتَى بِهَا ؛ ثم قال : مِلْحَفَةً ^(٣) فَرَأَى ، فَأَتَى بِهَا ؛ فَصَيَّرَ مَا فِي الظَّبِيَّةِ
وَمَا فِي الْعَتِيدَةِ فِي حَوَاشِي الْمِلْحَفَةِ ، ثم قال : شَأْنُكَ بِالْجَارِيَةِ وَاسْتَعْنِ بِهَذَا .

فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ : فَذَلِكَ حِينَ تَقُولُ مَاذَا ؟ قَالَ : قُلْتُ :

أَبَا خَالِدٍ - أَغْنِي سَعِيدُ بْنُ خَالِدٍ أَخَا الْعُرْفِ ، لَا أَغْنِي ابْنُ بَنْتِ سَعِيدٍ
وَلَكِنِّي أَغْنِي ابْنَ عَائِشَةَ الَّذِي أَبُو أَبِيهِ خَالِدُ بْنُ أَبِي سَعِيدٍ
عَقِيدٌ ^(٤) النَّدَى مَا عَاشَ يَرْضَى بِهِ النَّدَى فَإِنْ مَاتَ لَمْ يَرْضَ النَّدَى بِعَقِيدٍ
دَعَا دَعْوَهُ إِنَّكُمْ قَدْ رَقَدْتُمْ وَمَا هُوَ عَنْ أَحْسَابِكُمْ بِرَقُودٍ
فَعَلْتُ أَنَا هَكَذَا فِي جُلُودِهِمْ مِنَ النِّيْظِ لَمْ تَقْتُلَهُمْ بِحَدِيدٍ

فَقَالَ سُلَيْمَانُ : عَلِيٌّ يَا غَلَامُ بِسَعِيدِ بْنِ خَالِدٍ ، فَأَتَى بِهِ ، فَقَالَ : أَحَقُّ مَا وَصَفَكَ
بِهِ مُوسَى ؟ قَالَ : وَمَا ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَأَعَادَ عَلَيْهِ . فَقَالَ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَمَا طَوَّلَ قَتْلَكَ هَذِهِ الْأَفْعَالُ ؟ قَالَ : دَيْنٌ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ .
فَقَالَ لَهُ : قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِمِثْلِهَا وَبِمِثْلِهَا وَبِمِثْلِهَا ، فَعَمِلْتُ إِلَيْهِ مِائَةَ أَلْفٍ
دِينَارٍ .

قَالَ الْحَارِثُ : فَلَقِيتُ سَعِيدَ بْنَ خَالِدٍ بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ لَهُ : مَا فَعَلَ الْمَالُ الَّذِي
وَصَلَّكَ بِهِ سُلَيْمَانُ ؟ قَالَ : مَا أَصْبَحْتُ وَاللَّهِ أُمْلِكُ مِنْهُ إِلَّا خَمْسِينَ دِينَارًا . قُلْتُ :
مَا اغْتَالَهُ ؟ قَالَ : خَلَّةٌ ^(٥) مِنْ صَدِيقٍ ، أَوْفَاقَةٌ مِنْ ذِي رَحِمٍ .

(١) الظبية هنا : جراب صغير من جلد ظبي (٢) العتيدة : الحقة يكون فيها طيب الرجل
أو العروس (٣) الملحفة : اللامة . (٤) عقيد الندى : حليف الكرم (٥) الحلة :
الحاجة والفقر .

٩٩ — خليفة يمطى الفقراء ويمنع الشعراء *

لما استخلف عمر^(١) بن عبد العزيز وفدت إليه الشعراء كما كانت تفد على الخلفاء من قبله ، فأقاموا ببابه أياماً لا يأذن لهم بالدخول حتى قدم عدى بن أرطاة على عمر - وكانت له منه مكانة - فقال جرير :

يأتيها الرجل المزجي مطيَّته هذا زمانك إني قد مضي زمني
أبلغ خليفة إن كنت لاقية أنى لدى الباب كالمصفود^(٢) فى قرن
وخش المكانة من أهلى ومن ولدى نأى الحلة عن دارى وعن وطنى
قال : نعم أبا حرزة ونعمى عين ! فلما دخل على عمر قال : يا أمير المؤمنين ؛
إن الشعراء ببابك ، وأقوالهم باقية ، وسهامهم مسنونة .
قال : يا عدى ، مالى وللشعراء !

قال : يا أمير المؤمنين ، إن رسول الله قد مدح وأعطى ؛ وفيه أسوة لكل مسلم . قال : من مدحه ؟ قال : عباس بن مرداس ؛ فكساه حلة قطع بها لسانه .

* المقد الفريد : ١ - ١٠٨ ، ثمرات الأوراق : ١ - ٧١ .

(١) ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك سنة ٥٩٩ هـ ، وكان من خيار الخلفاء علماً ، زاهداً ، عابداً ، تقياً ، سار سيرة مرضية ، وسلك النبل الأعلى فى الحكم . توفى سنة ١٠١ هـ (٢) صنده : أوقفه .

قال : صدقت ، فمن بالباب منهم ؟ قال : ابنُ عمك عمرُ بنُ أبي ربيعة القرشي .

قال : لا قرَّب اللهُ قرابته ، ولا حيًّا وجهه ؛ أليس هو القاتل :

ألا ليتَ أنِّي يومَ تَدنو مِنِّي شَمِعتَ الذي ما بينَ عِينِكَ والعمـ^١
وليتَ طَهوري كانَ ريقَكَ كلَّه وليتَ حَنوطي من مُشَانِكَ^(٢) والدمـ^٣
ويا ليتَ سَلَمي في القبورِ ضجِعتي هنالك أو في جَنَّةٍ أو جَهَنـ^٤
فليتَه تَمَنَّى لقاءها في الدنيا ، ثم يَصِلُ عملاً صالحاً ، والله لا يدخلُ على أبداً .
فمن بالباب غيره ممن ذكرت ؟ قال : جميل بن مَعمرَ الصدري .

قال : أليس هو القاتل :

ألا ليتنا نَحْيَا جميعاً وإن نَمُتْ يُوفى لدى الموتى ضريمي ضريمُها
فأنا في طولِ الحياةِ براغبٍ إذا قيلَ قد سَوَى عليها صفيحُها^(٥)
أظِلَّ نهارى لا أراها وتلتقى مع الليلِ رُوحى في المنامِ ودُحُها
والله لا يدخلُ على أبداً . فمن بالباب غيره ممن ذكرت ؟ قال : كثير عزة ،
قال : أليس هو القاتل :

رُهْبَانُ مَدِينٍ والذين عهدتهم يَبْكون من حَذَرِ الفراقِ قُعودا
لو يسمعونَ كما سمعتُ حَديثَها خَرُّوا لِعِزَّةِ رَكْعًا وسجودا
أبعدَه الله ! فوالله لا يدخلُ على أبداً ، فمن بالباب غيره ممن ذكرت ؟ قال :
الأحوص الأنصاري . قال : لا دَخَلَ على أبداً ، أليس هو القاتل — وقد أفسد
على رجلٍ من أهل المدينة جاريته حتى هربَ بها منه :

الله يَبْنِي وبينَ سَيِّدِها يَفِرُّ عَنِّي بها وأَتْبَعُ

(١) اللشاش : رهوس العظام ؛ مثل الركبتين والرفقين والنكبين . (٢) الصفايح : الحجارة
المریفة ؛ واحدها صفيح وصفيحة .

فمن بالباب وغيره من ذكرت؟ قال : هام بن غالب الفرزدق ! قال : أليس هو القائل :

هما دلتان من ثمانين قامّةً كما انقضّ باز أقتم الریشِ كاسِرُهُ
فلما استوت رجلاي بن قالتا : أحى يَرَجى أم قتيل نحاذِرُهُ ؟
فقلت : ارفعا الأسباب لايشعروا بنا ووليت في أعقاب تيسل أبادِرُهُ
والله لا دخل على أبدأ ، فمن بالباب غيره من ذكرت؟ قال : الأخطل التفلّج
قال : أليس القائل :

ولستُ بصائم رَمَضانَ عمرى ولستُ بآكلٍ لحْمِ الأضاحي^(١)
ولستُ بزاجر عَنَساً^(٢) بكوراً إلى بطحاء مكة للنجاح
ولستُ بquam كالسیر يدعو قبيل الصبح حى على الفلاح
ولكنى سائرِها شمولاً^(٣) وأسجد عند مُنبِج الصباح^(٤)
أبعده - أبعده الله - عني ! فوالله لا دخل على أبدأ ، ولا وطى لى بساطاً ،
فمن بالباب غيره من الشعراء من ذكرت؟ قال : جرير ، قال أليس هو القائل :
دُمَّ المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجى بسلام
فإن كان ولا بد فهذا ، فأذن له .

قال عدى بن زُرطاة : فخرجتُ إليه ، فقلت : ادخل يا جرير ، فدخل وهو يقول :

إن الذى بعث النبى محمداً جمل الخلافة فى إمامٍ عادِلٍ

(١) الأضاحى : جمع أضحية وهى شاة يضحي بها . (٢) العنس : البازل الصلبة من الإبل .
(٣) الشمول : البارد من الحمر . (٤) انبج الصبح : أضاء وأشرف .

وسع الخلائق عدله ووفاه حتى ارعوا وأقام ميل المائل
والله أنزل في الكتاب فريضة لابن السبيل وللفقير العائل
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفس مولعة بحب العاجل
فلما مثل بين يديه قال : يا جرير ، اتق الله ، ولا تقل إلا حقاً ،
فأنشأ يقول :

كم باليامة من شعناء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر !
من بمدك تكفي فقد والده كالفرخ في العش لم يدُرْج^(١) ولم يطر
أذكر الجهد والبلوى التي نزلت أم قد كفاني ما بلغت من خبري
إننا للرجو - إذا ما الفيت أخلفنا - من الخليفة ما نرجو من المطر
نال الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربه موسى على قدر
هذي الأرامل قد قضيت حاجتها فمن حاجة هذا الأرملة الذكرا
الخير ما دمت حياً لا يفارقنا بوركت يا عمر الخيرات من عمر !
فقال : يا جرير ، ما أرى لك فيما هاهنا حقاً ! قال : يا أمير المؤمنين ، إني ابن
سبيل ومنقطع به ! فقال له : ويحك يا جرير ! قد ولينا هذا الأمر ، ولا نملك إلا
ثلثمائة درهم فائة أخذها عبد الله ، ومائة أخذتها أم عبد الله ، يا غلام ، أعطه
المائة الباقية .

فأخذها جرير ، وقال : والله يا أمير المؤمنين لمي أحب مال اكتسبته ، ثم
خرج ، فقال له الشعراء : ما وراءك ؟ قال : ما يسوءكم ! خرجت من عند خليفة يعطى
الفقراء ، ويمنع الشعراء ، وإني عنه لراض ، وأنشد :

رأيت رقي الشيطان لا تستغره وقد كان شيطاني من الجن راقيا

١٠٠ — الشعراء عند عمر بن عبد العزيز *

قال حماد الراوية :

دخلتُ المدينةَ التمس العلم ، فكان أولُ مَنْ لقيتُ كثيرٌ ^(١) عزّة . فقلت :
يا أبا صخر ؛ ما عندك من بضاعتي ؟ قال : عندي ما عند الأحوص ^(٢) ونصيب .
قلت : وما هو ؟ قال : هما أحقّ بإخبارك . فقلت له : إنا لم نَعُثْ المَطَى نحسوك
شهرًا نطلب ما عندكم إلا ليبقى لكم ذكرٌ ، وقلّ مَنْ يفعل ذلك ، فأخبرني عما
سألتك ليكون ما تخبرني به حديثًا آخذُ عنك .

قال : إنه لما كان من أمر عمر بن عبد العزيز ما كان ، قدِمْتُ أنا ونصيب
والأحوص ، وكلّ واحدٍ منا يدلُّ بسابقتها عند عبد العزيز وإخوانه لعمري . فكان
أولُ من لقينَا مسلّةَ بن عبد الملك ، وهو يومئذ فتى العرب ، وكلُّ واحدٍ منا ينظر
في عِظْفَيْهِ لا يشكّ أنه شريك الخليفة في الخلافة ، فأحسن ضيافتنا وأكرم مَثوانا ،
ثم قال : أما علمتم أن إمامكم لا يُعطى الشعراء شيئًا ، قلنا : قد جئنا الآن ، فوجه
لنا في هذا الأمر وجهًا . فقال : إن كان ذو دين من آل مروان قد ولى الخلافة فقد
بقي من ذوى دنياهم من يقضى حوائجكم ، ويفعلُ بكم ما أنتم له أهل .

فأقننا على بابه أربعة أشهر لا نصلُ إليه ، وجعل مسلّة يستأذن لنا فلا
يؤذّن . فقلت : لو أتيتُ المسجدَ يوم الجمعة فتحفظتُ من كلام عمر شيئًا ! فأنيبَ

* الأغاني : ٩ - ٢٥٦ (طبعة دار الكتب) ، المقدم الفريد : ١ - ٢١٣ .

(١) انظر صفحة ٢٢٥ (٢) انظر صفحة ١٤٨ .

المسجد فأننا أول مَنْ حَفِظَ كَلَامَهُ ، سمعته يقول في خطبة له : « لِكُلِّ سَفَرَزَادٍ لَا مَحَالَةَ ، فَزَوِّدُوا لِسَفَرِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ بِالتَّقْوَى ، وَكُونُوا كَمَنْ عَايَنَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ مِنْ ثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ ، فَعَمِلَ طَلِبًا لِهَذَا وَخَوْفًا مِنْ هَذَا . وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ فَتَقْسُوا قُلُوبَكُمْ ، وَتَنَقَّدُوا لَعْدُوَكُمْ » .

« وَاَعْلَمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا يَطْمِئِنُّ بِالدُّنْيَا مَنْ وَثِقَ بِالنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ . فَأَمَّا مَنْ لَا يُدَاوِي جُرْحًا إِلَّا أَصَابَهُ جُرْحٌ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى فَكَيْفَ يَطْمِئِنُّ بِالدُّنْيَا ! أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَمُرَّكُمْ بِمَا أَنْهَى نَفْسِي عَنْهُ فَتُخْشَرَ صَفَقَتِي ، وَتَبْدُو عَيْلَتِي ، وَتُظْهِرَ مَسْكَنَتِي يَوْمَ لَا يَنْفَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ وَالصَّدَقُ » .

فَارْتَبَعَ الْمَسْجِدُ بِالْبُكَاءِ ، وَبَكَى عَمْرٌ حَتَّى بُلَّ ثَوْبُهُ ، وَظَنَنَّا أَنَّهُ قَاضٍ كَمَبِهِ . فَبَلَغْتُ إِلَى صَاحِبِي فَقُلْتُ : جَدَّدَا لِعَمْرٍ مِنَ الشَّعْرِ غَيْرَ مَا أَعْدَدْنَاهُ ، فَلَيْسَ الرَّجُلُ بِدُنْيَوِي .

ثُمَّ إِنْ مَسَلَمَةَ اسْتَأْذَنَ لَنَا يَوْمَ جُمُعَةٍ بَعْدَ مَا أُذِنَ لِلْعَامَّةِ . فَدَخَلْنَا فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ فَرَدَّ عَلَيْنَا ؛ فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ طَالَ الثَّوَاءُ ^(١) ، وَقُلْتُ الْقَائِدَةَ ، وَتَحَدَّثْتُ بِجَفَائِكَ إِيَّانَا وَفُودُ الْعَرَبِ .

فَقَالَ : يَا كَثِيرٌ ؛ أَمَا سَمِعْتَ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ، أَمِنْ هَؤُلَاءِ أَنْتَ ؟ قُلْتُ لَهُ - وَأَنَا ضَاحِكٌ : أَنَا ابْنُ سَبِيلٍ وَمُنْقَطَعٌ بِهِ ! قَالَ : أَوْلَسْتَ ضَيْفَ أَبِي سَعِيدٍ ! قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ . مَا أَحْسَبَ مَنْ كَانَ ضَيْفَهُ ابْنَ سَبِيلٍ ، وَلَا مُنْقَطَعًا بِهِ .

(١) الثَّوَاءُ : الْمَسْكُوتُ وَالْإِهَامَةُ .

نم استاذنته في الإنشاد ، فقال : قل ، ولا تقل إلا حقاً . فإن الله سائلك :
فقلت :

وَلَيْتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلَيَّا وَلَمْ تُخَفْ بَرِيًّا وَلَمْ تَتَّبِعْ مَقَالَةَ مُجْرِمِ
وَقُلْتَ فَصَدَقْتَ الَّذِي قُلْتَ بِالَّذِي فَعَلْتَ ، فَأُضْحَى رَاضِيًا كُلُّ مُسْلِمِ
لَقَدْ لَبَسْتَ لُبْسَ الْهَلُوكِ ^(١) ثِيَابَهَا وَأَبَدْتَ لَكَ الدُّنْيَا بِكَفٍّ وَمَقْصَمِ
وَتَوَمَّضُ أَحْيَانًا بَعِينَ مَرِيضَةٍ وَتَبْذِيبِ عَنِ مِثْلِ الْجَمَانِ الْمُنْظَمِ
أَعْرَضْتَ عَنْهَا مَشْمُزًا كَأَنَّمَا سَقَتَكَ مَدُوفًا ^(٢) مِنْ سِمَامِ وَعَلَقَمِ
وَقَدْ كُنْتَ مِنْ أَجْبَالِهَا فِي مُنَمَّعٍ وَمِنْ بَحْرِهَا فِي مُزِيدِ الْمَوْجِ مُقَمِّمِ
وَمَا زِلْتُ سَبَاقًا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ صَعِدْتَ بِهَا أَعْلَى الْبِنَاءِ الْمَقْدَمِ
فَلَمَّا أَتَاكَ الْمَلَكُ عَفْوًا وَلَمْ يَكُنْ لَطَالِبَ دُنْيَا بَعْدَهُ مِنْ تَكَلُّمِ
تَرَكْتَ الَّذِي يَفْنَى وَإِنْ كَانَ مُوَقِّعًا وَآثَرَتْ مَا يَبْقَى بِرَأْيِ مَصْمَمِ
فَأَضْرَرْتَ بِالْفَسَادِ وَتَشْمَرْتَ لِلَّذِي أَمَامَكَ فِي يَوْمِ مِنَ الْهَوْلِ مُظْلَمِ
وَمَا لَكَ أَنْ كُنْتَ الْخَلِيفَةَ مَانِعٌ سَوَى اللَّهِ مِنْ مَالٍ رَعِيَتْ وَدِرْزَمِ
سَمَّاكَ ^(٣) هَمْزٌ فِي الْفَوَازِ مُؤَرِّقٌ صَعِدْتَ بِهِ أَعْلَى الْمَعَالِي بِسُلْمِ
فَمَا بَيْنَ شَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ كُلِّهَا مُنَادٍ يُنَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ
يَقُولُ : أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَلَمْتَنِي بِأَخْذٍ لَدِينَارٍ وَلَا أَخْذٍ دِرْزَمِ
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ الْمُسْلِمُونَ لِقَسَمُوا لَكَ الشُّطْرَ مِنْ أَعَارِمِ غَيْرِ نُدَمِ
قَعِشْتَ بِهِ مَا حَجَّ اللَّهُ رَاكِبٌ مُغْدًى مُطِيفٌ بِالْمَقَامِ وَزَمْزَمِ

(١) الهلوك من النساء : الفاجرة المتساقطة على الرجال (٢) مدوفا : مخلوطاً ، والسمام : السم
(٣) سمالك : ارتفع .

فَارْبِحْ بِهَا مِنْ صَفَقَةِ الْمَبَايِعِ وَأَعْظِمْ بِهَا أَعْظِمَ بِهَا ثُمَّ أَعْظِمِ !
فَقَالَ لِي يَا كَثِيرٌ ؛ إِنْ اللَّهَ سَأَلْتُكَ عَنْ كُلِّ مَا قُلْتَ . ثُمَّ تَقْدِمُ إِلَيْهِ الْأَحْوَصَ
فَأَسْتَأْذِنُهُ فَقَالَ : قُلْ ، وَلَا تَقُلْ إِلَّا حَقًّا ، فَإِنَّ اللَّهَ سَأَلْتُكَ . فَأَنْشُدْهُ :

وما الشعرُ إِلَّا خُطْبَةٌ مِنْ مَوَافٍ	بِمَنْطِقِ حَقٍّ أَوْ بِمَنْطِقِ بَاطِلٍ
فَلَا تَقْبَلَنَّ إِلَّا الَّذِي وَافَقَ الرِّضَا	وَلَا تَرْجِعَنَّ كَالنِّسَاءِ الْأَرَامِلِ
رَأَيْتُكَ لَمْ تَعْدِلْ عَنِ الْحَقِّ يَمْنَةً	وَلَا بَسْرَةً فَعَلَ الظَّلُومِ الْمَجَادِلِ
وَلَكِنْ أَخَذْتَ الْقَصْدَ جُهْدَكَ كُلَّهُ	وَتَقَفُوا مِثَالِ الصَّالِحِينَ الْأَوَائِلِ
فَقُلْنَا وَلَمْ نَكْذِبْ بِمَا قَدْ بَدَأَ لَنَا	وَمَنْ ذَا يَرُدُّ الْحَقَّ مِنْ قَوْلٍ عَاذِلِ !
وَمَنْ ذَا يَرُدُّ السَّهْمَ بَعْدَ مُرُوقِهِ	عَلَى فُوقِهِ إِنْ عَارَ ^(١) مِنْ نَزْعِ نَابِلِ
وَلَوْلَا الَّذِي قَدْ عَوَّدْتَنَا خِلَافَهُ	غَطَارِيفُ كَانَتْ كَالْيُوثِ الْبُؤَاسِ
لَمَّا وَخَدْتَ شَهْرًا بِرَحْلِي جَسْرَةً ^(٢)	تَفْلُؤُ مُتُونِ الْبَيْدِ بَيْنَ الرَّأْوَحِلِ
وَلَكِنْ رَجَوْنَا مِنْكَ مِثْلَ الَّذِي بِهِ	صُرِفْنَا قَدِيمًا مِنْ ذَوِيكَ الْأَفَاضِلِ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلشَّعْرِ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ	وَإِنْ كَانَ مِثْلَ الدُّرِّ مِنْ قَوْلِ قَاتِلِ
وَكَانَ مُصِيبًا صَادِقًا لَا يَغِيبُهُ	سِوَى أَنَّهُ يَنْبَنِي بِنَاءَ الْمَنَازِلِ
فَإِنَّ لَنَا قُرْبَى وَنَحْضَ مَوَدَّةٍ	وَمِيرَاثَ آبَاءٍ مَشَوْا بِالْمَنَاصِلِ ^(٣)
فَذَاذُوا عِدْوِ السَّلَامِ عَنْ عُقْرِ دَارِهِمْ	وَأَرْسَوْا عُمُودَ الدِّينِ بَعْدَ تَمَائِلِ
فَقَبْلَكَ مَا أَعْطَى الْهَنِيدَةَ جِلَّةً	عَلَى الشَّعْرِ كَعْبًا مِنْ سَدِيدِ بَازِلِ ^(٤)

(١) السهم العائر : الذي لا يدري من أين أتى (٢) الجسرة : النافذة العظيمة (٣) المناصل :
في منصل وهو السيف القاطع (٤) هنيدة : اسم للعائنة من الإبل خاصة ، ويريد بكعب
كعب بن زهير ، والسديس : من الإبل ما دخل في الثامنة ، والبازل : ما بلغ التاسعة .

رسولُ الإله المصطفى بنبوّة عليه سلامٌ بالضمّ والأصائل
فكلُّ الذي عدّدتُ يكفيك بعضُهُ ونيلُك خيرٌ من بحور السوائل
فقال له عمر : يا أحوص ؛ إن الله سألُك عن كل ما قلت . ثم تقدم إليه
نصيب فأستاذن في الإنشاد ، فأبى أن يأذن له ، وغضب غضبا شديداً ، وأمره بالحقاق
بدايق ^(١) ؛ وقال لنا : ما عندي ما أعطيكم ، فانتظروا حتى يخرج عطائي فأواسيكم
منه . فانتظرناه حتى خرج ، فأمر لي وللأحوص بثلاثمائة درهم ، وأمر لنصيب بمائة
وخمسين درهماً . فإرأيت أعظم بركة من الثلاث المائة التي أعطاني ، ابتعتُ بها
وصيفةً فعلتُها بألف دينار .

(١) دابق : قرية قرب حلب .

١٠١ — إيجاز في المقال وبلاغة في البيان *

قال سُفيان القرشي :

كنا عند هشام^(١) بن عبد الملك ، وقد وفد عليه وفدُ أهل الحجاز - وكان شباب الكتاب إذا قدم الوفد حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم - فحضرتُ كلامهم .
وكان محمد بن أبي الجهم أعظمَ القوم قدراً ، وأكبرهم سناً ، وأفضلهم رأياً وحلماً ؛ فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ! إن خطباء قريش قد قالت فيك ما قالت ، وأكثرت وأطبت ، والله ما بلغ قائلهم قدرك ، ولا أحصى خطيبهم فضلك ، وإن أذنت في القول قلت . قال : تسكّم ، قال : أفأوجز أم أطنب ؟ قال : بل أوجز .

قال : تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى ، وزينك بالتقوى ، وجمّع لك خير الآخرة والأولى ، إن لي حوائج أفأذكرها ؟ قال : هاتِها ، قال : كبرتُ سنّي ، ونال الدهرُ منّي ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبرُ كسري ، وينقّي فقري فعل !
قال : وما الذي ينقّي فقرك ، ويجبرُ كسرك ! قال : ألف دينار ، وألف دينار ، وألف دينار !

فأطرق هشام طويلاً ، ثم قال : هيات يا بن أبي الجهم ! بيت المال لا يَحتمِلُ ما ذكرت ، فقال : إن الله آتاك لجلسك ، فإن تعطينا حقاً أدّيت ، وإن تمنعنا

* المقد الفريد : ٣ - ١٨٦ ، الأمل : ١ - ١٤٧ ، صبح الأعشى : ١ - ٢٦٤
(١) تولى الخلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ ، وكان غزير العقل ، حلماً عفيفاً ، امتدت أيامه ، وجرى فيها كثير من الوقائع . توفى سنة ١٢٥ هـ .

فَسَأَلَ الَّذِي بِيَدِهِ مَاحَوِيَّةُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . إِنَّ اللَّهَ جَمَلَ الْعَطَاءِ مَحَبَّةً ، وَالنَّعْمَ مَبْفَظَةً ؛ وَاللَّهُ لَأَنَّ أَحَبَّكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُبْفِظَكَ !

قال : فألف دينار لماذا ؟ قال : أفضى بها ديناً فَدَحَنِي ^(١) قضاؤه ، وقد عَنَّا نِي حَمْلَهُ ، وَأَضَرَّ بِي أَهْلَهُ . قال : فلا بأس ؛ تُنَفِّسُ كُرْبَتَهُ ، وَتَوْدِي أَمَانَتَهُ . وألف دينار لماذا ؟ قال : أزوَّجَ بها مَنْ أَدْرَكَ مِنْ وَلَدِي . قال : نِعَمَ الْمَسْلُوكُ سَلَكْتَ ، أَغْضَضْتَ بَصْرًا ، وَأَعْقَفْتَ وَلَدًا ، وَرَفَعْتَ نَسْلًا . وألف دينار لماذا ؟ قال : أَشْتَرَى بِهَا أَرْضًا يَعِيشُ بِهَا وَلَدِي ، وَأَسْتَعِينُ بِفَضْلِهَا عَلَى نَوَائِبِ دَهْرِي ، وَتَكُونُ ذُخْرًا لِمَنْ بَقِيَ بَعْدِي .

قال : فَإِنَّا قَدْ أَسْرَنَّا لَكَ بِمَا سَأَلْتَ . قال : فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ ، وَجَزَاكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّحِمَ خَيْرًا ! ثُمَّ خَرَجَ .

فَاتَّبَعَهُ هِشَامُ بَصْرَةَ ، وَقَالَ : تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَلْطَفَ فِي سَوْالٍ ، وَلَا أَرْفَقَ فِي مَقَالٍ مِنْ هَذَا ، هَكَذَا فَلْيَكُنِ الْقُرْشِيُّ . أَمَا وَاللَّهِ إِنَّا لَنَعْرِفُ الْحَقَّ إِذَا نَزَلَ ، وَنَكْرَهُ الْإِسْرَافَ وَالْبَخْلَ ، وَمَا نَعْطِي تَبْذِيرًا ، وَلَا نَمْنَعُ تَقْتِيرًا ، وَمَا نَحْنُ إِلَّا خُزَّانُ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ ، وَأَمْنَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ ، فَإِذَا أُذِنَ أَعْطَيْنَا ، وَإِذَا مَنَعَ أَبَيْتْنَا ، وَلَوْ كَانَ كُلُّ قَائِلٍ يَصْدُقُ ، وَكُلُّ سَائِلٍ يَسْتَحِقُّ ، مَا جِئْهِنَّ ^(٢) قَائِلًا ، وَلَا رَدَدْنَا سَائِلًا ، وَنَسْأَلُ الَّذِي بِيَدِهِ مَا اسْتَحْفَظْنَا أَنْ يُجَرِّبَهُ عَلَى أَيْدِينَا ، فَإِنَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ^(٣) ؛ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ! فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ لَقَدْ تَكَلَّمْتَ فَأَبْلَغْتَ ، وَمَا بَلَغَ فِي كَلَامِهِ مَا قَصَصْتَ ؛ قَالَ : إِنَّهُ مَبْتَلَى ، وَلا يَسْ مَبْتَلَى كَالْمَعْتَلَى !

(١) فدحني : أقتلني (٢) جئهن : لقيه بما يكره (٣) يقدر : يقسم .

١٠٢ — سميت فأكديتُ، ورجعت فرزقت *

وفد عروة^(١) بن أذينة الشاعر على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء ،
فلما دخلوا عليه عرف عروة ، فقال له : ألسنت القائل :

لقد علمتُ وما الإشراف^(٢) من خلقي أن الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى له فيعينينى تطلبه ولو قدمتُ أتانى لا يعنينى

وأراك قد جئت من الحجاز إلى الشام فى طلب الرزق ! فقال له : يا أمير المؤمنين ؛
زادك الله بشطة فى العلم والجسم ، ولا ردّ وافدك خائباً . والله لقد بالقت فى الوعد ،
وأذكرتني ما أنسانيه الدهر !

وخرج من فوره إلى رحلته ؛ فركبها وترجته راجعاً إلى الحجاز ، فلما كان الليل
ذكره هشام ، وهو فى فراشه ، فقال : رجل من قريش قال حكمة ، ووفد إلى
خبيته وردّته عن حاجته ، وهو مع ذلك شاعر لا آمن ما يقول .
فلما أصبح سأل عنه ، فأخبر بانصرافه ، فقال : لا جرم ، ليعلم أن الرزق سيأتيه .

* الشعر والشعراء : ٢٢٥ ، المستطرف : ١ - ٧ ، ابن خلكان : ١ - ٢١٢
(١) عروة بن أذينة : كان من أعيان العلماء وكبار الصالحين ، وله شعر فى الغزل غفيف واثق ؛
وقفت عليه سكينه بنت مرة فقالت له : أنت القائل :

إذا وجدت أوار الحب فى كبدي ذهبت نحو سقاء القوم أبترد
هبنى بردت يبرد الماء ظاهره فمن نار على الأحشاء تنفد !
فقال لها : نعم . فقالت : وأنت القائل :
قالت : وأنتها سرى وبحت به قد كنت عندى تحب السر فاستتر
ألسنت تبصر من حولي ؟ فقلت لها : غطى هواك وما ألقى على بصرى !
قال : نعم ، فالتفت إلى جواربها وقالت : هن الحرائر إن كان خرج هذا من قلب سليم .
(٢) الإشراف : التطلع للأمر .

ثم دعا مولى له ، وأعطاه ألفى دينار ، وقال : الحق بهذه ابن أذينة ، وأعطيه إياها ؛
فأذركه وقد دخل بيته ، فقرع الباب عليه ، فخرج إليه ، فأعطاه المال .
فقال : أبلغ أمير المؤمنين قولى : سمعت فأكدت ، ورجعت إلى بيتى
فأتانى رزق .

١٠٣ — هذا الذى تعرف البطحاء وطأته *

حجّ هشام بن عبد الملك فى خلافة الوليد أخيه ، ومعه رؤساء أهل الشام ،
فجهد أن يستلم الحجر ، فلم يقدر من ازدحام الناس ، فنصب له منبر فجلس عليه
ينظر إلى الناس ، وأقبل على بن الحسين - وهو أحسن الناس وجهاً ، وأنظفهم ثوباً ،
وأطيبهم رائحة - فطاف بالبيت ، فلما بلغ الحجر الأسود تنحى الناس كلهم ، وأخلوا
له الحجر ليستلمه هيبّة وإجلالاً .

فناظ ذلك هشاماً ، وبلغ منه ، فقال رجل لهشام : من هذا أصلح الله الأمير !
قال : لا أعرفه - وكان به عارفاً - ولكنه خاف أن يرغب فيه أهل الشام ،
ويسمعوا منه ، فقال الفرزدق - وكان لذلك كله حاضراً : أنا أعرفه ، فسكنى ياشمى .
قال : ومن هو ؟ قال :

هذا الذى تعرف البطحاء ^(١) وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا النقي النقي الطاهر العلم

* الأغانى : ١٤ - ٧٥ (طبع الساسى) ، المحاسن والمساوى : ٢٣١ (طبع ليزج) .
(١) البطحاء : مسيل واسع فيه دقاق الحصى .

إذا رأيته قريشاً قال قائلهم : إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكادُ يُنسكه عِرْفَانٌ ^(١) راحته رُكْنُ الحطيم ^(٢) إذا ما جاء يستلم
فليس قولك : من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والمعجم
فجسه هشام فقال في حبسه :

أتحبسنى بين المدينة والنقى إليها قلوب الناس يهوى منيها !
يقلبُ رأساً لم يكن رأس سيّدٍ وعينا له حواء بادٍ عيوبها
فبعث إليه هشام فأخرجه ، ووجه إليه على بن الحسين عشرة آلاف درهم ،
وقال : اعذر يا أبا فراس ، فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثر من هذا لوصلناك به ،
فردّها ، وقال : ما قلتُ ما كان إلا لله ، وما كنت لأزراً ^(٣) عليه شيئاً ، فقال له
على : نحن أهل بيت إذا أنفدنا شيئاً ما نرجع فيه .

(١) عرفان : منصوب على أنه مفعول له (٢) الحطيم : حجر الكعبة أو جدارها ، أو ما بين
الركن وزمزم واللقام (٣) رزأه ماله : أصاب من ماله شيئاً .

١٠٤ — واعظ الملوك *

قال خالد بن صفوان بن الأهمم^(١) :

أوفدني يوسف بن عمر النخعي إلى هشام بن عبد الملك في وفد أهل العراق
فقدِمْتُ عليه ، وقد خرج بقرابته وحشمه وغازيته^(٢) وجلسائه ، فنزل في أرض
قاع صَخَصَح^(٣) ، تنائف أفيح^(٤) ، في عام قد بكر وسميّه ، وتتابع وليّه^(٥) ، وأخذت
الأرض فيه زيتنها على اختلاف ألوان نبتِها ؛ من نور ربيع موق^(٦) ، فهو في
أحسن منظر ونَجَر ، وأحسن مُستَطر ، بصميد^(٧) كأن ترابه قطع الكافور .
وقد ضرب له سُرَادِق من جبر^(٨) ، كان يوسف بن عمر صنعه له باليمن ، فيه فسْطَاطٌ
فيه أربعة أفرشة من خَزْ أحر ، مثلها مرافقها ، وعليه دُرَاعَة^(٩) من خَزْ أحر
مثلها عمامها ، وقد أخذ الناس مجالسهم .

فأخرجت رأسي من ناحية السَماط^(١٠) ، ففطر إلى شِبْهِ المُسْتَنطِق لي !
فقلت : أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمه ، وجعل ما قلّدتك من هذا الأمر رُشداً ،
وعاقبة ما يثول إليه حمداً ؛ وأخلصه لك بالثقي ؛ وكثره لك بالناء ، ولا كدّر عليك .

* الأغاني : ٢ - ١٥٣ (طبعة دار الكتب) . معجم الأدباء : ١١ - ٢٧ .

- (١) كان خالد خطيباً بليغاً ولسناً مبيهاً ، حسن السمر جيد النادرة ، مات سنة ١٣٣ هـ .
- (٢) غاشية الرجل : من يتنابه من زواره وأصدقائه (٣) القاع الصخصخ : الأرض الجرداء المستوية ، والتنائف : جم تنوفة ، وهي أرض لا أنيس بها ولا ماء (٤) الأفيح : الواسع (٥) الوسمي : مطر الربيع الأول ، والولي : المطر الذي يلي الوسمي (٦) موق : معجب (٧) الصميد : التراب أو وجه الأرض (٨) الجبر : جمع الجبرة ، وهي نوع منسوج من البين فيه نقط (٩) الدراعة : الثوب المشقوق من الأمام (١٠) السماط : جمع سمط ، وهو الصف من الناس وغيرهم .

منه ماصفاً ، ولا خالطَ سروره بالرّدى . فقد أصبحت للمسلمين ثقة ، إليك يقصدون في أمورهم ، ويفزعون في مظالمهم ، وما أجدُ شيئاً - يا أمير المؤمنين - هو أبلغُ في قضاء حقك وتوقير مجلسك ، وما من الله على به من مجالستك ، من أن أذكركَ نعمَ الله عليك ، وأنبهك لشكرها ؛ وما أجد في ذلك شيئاً هو أبلغُ من حديث من سلف قبلك من الملوك ؛ فإن أذن أمير المؤمنين أخبرته به .

فاستوى هشامٌ جالساً - وكان متسكناً - ثم قال : هات يا ابن الأهم ! فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن ملكاً من الملوك قبلك خرج في عامٍ مثل عامك هذا إلى الخوزنق والسدير^(١) في عامٍ قد بكر وسميه ، وتتابع وليه ، فهو في أحسن منظر ، وأحسن مُستمطر ، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور ، وكان قد أُعطى فناء^(٢) السن ، مع الكثرة والغلبة والقهر ؛ فنظرَ فأبمدَ النظر ؛ ثم قال جلسائه : لمن هذا ؟ هل رأيتم مثل ما أنا فيه ؟ وهل أحدٌ أُعطى مثل ما أُعطيت ؟

وكان عنده رجل من بقايا حَمَلَةِ الْحِجَّةِ^(٣) ، والمضى على أدب الحق ومناهجه - ولم تخلُ الأرض من قائمٍ لله بالحجة في عباده - فقال : أيها الملك ؛ إنك سألت عن أمرٍ ، أفتأذن لي في الجواب عنه ؟ قال : نعم ، قال : رأيت^(٤) هذا الذي أنت فيه ، أم شيء لم تزل فيه ، أم شيء صار إليك ميراثاً وهو زائلٌ عنك وصائرٌ إلى غيرك ، كما صار إليك من لدُن غيرك ؟ قال : كذلك هو ! قال : فما أراك إلا أعجبت بشيء يسيرٍ تكون فيه قليلاً ، ويغيبُ عنك طويلاً ، وتكون غداً بحسابه مُرتَهناً . قال : ويحك ! فإين المهربُ ؟ وأين المطلبُ ؟ فقال : إنا أن تقيم

(١) الخوزنق والسدير : قصران بالحيرة (٢) الفناء : الشباب (٣) الحجة : البرهان . (٤) رأيت : أخبرني .

فِي مُلْكِكَ فَتَعْمَلْ بَطَاعَةَ اللَّهِ رَبِّكَ عَلَى مَسَاءِكَ وَسِرِّكَ، وَأَمْضُكَ^(١) وَأَرْمَضُكَ^(٢)،
وَأَمَّا أَنْ تَضَعَ تَاجَكَ، وَتَخْلَعْ أَطْمَارَكَ^(٣)، وَتَلْبَسَ أَمْسَاحَكَ^(٤)، وَتَعْبُدَ رَبَّكَ، حَتَّى
يَأْتِيَكَ أَجْلُكَ !

قال الملك : فإذا كان السَّحَرُ فاقْرَعِ عَلَى بَابِي ؛ فَإِنِّي مُخْتَارُ أَحَدِ الرَّائِينَ ، فَإِن
اخْتَرْتُ مَا أَنَا فِيهِ كُنْتُ وَزِيْرًا لَا يُعْصَى ، وَإِنِ اخْتَرْتُ فَلَوَاتِ الْأَرْضِ وَقَفَرُ
الْبِلَادِ كُنْتُ رَفِيْقًا لَا يُخَالَفُ .

فلما كان السحر قرع عليه بابه ، فإذا هو قد وضع تاجه ، وخلع أطماره ، ولبس
أمساحه ، وتهباً للسياحة ، فلزما والله الجبل ، حتى أتاهما أمجلمها ، فذلك حيث يقول
عدى بن زيد ، أخو بني تميم :

أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمَعِيرُ بِالْذَهَبِ أَنْتَ الْوَفُورُ !
أَمْ لَدَيْكَ الْعَهْدُ الْوَثِيقُ مِنَ الْأَيَّامِ بَلْ أَنْتَ جَاهِلٌ مَغْرُورُ !
مَنْ رَأَيْتَ الْمُنُونَ خَلَدْنَ أَمْنٌ ذَا عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفِيرُ !
أَيْنَ كَسْرَى ، كَسْرَى لِلْمُلُوكِ أَنْوَشِرُ وَانْ ، أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ !
وَبَنُو الْأَصْفَرِ الْكَرَامُ مُلُوكُ الرِّمِّ وَمِ ، لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ مَذْكُورُ
وَأَخُو الْحَضَرِ^(٥) إِذَا بَنَاهُ وَإِذَا دَجَلَهُ تُجَجِّي إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ^(٦)
شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كَلَامًا^(٧) فَلَلطَيْرِ فِي ذَرَاهِ وَكُورُ
لَمْ يَهْبَهُ رَيْبُ الْمُنُونِ فَبَادَ الْمُلُوكُ عَنْهُ ، فَبَابَهُ مَهْجُورُ

(١) يقال أمضى : أحرقتى وشق على (٢) أرمضك : أوجعك (٣) الطمر : الثوب الخلق
(٤) السح : الكساء من الشعر الغليظ ويجمع على أمساح على قلة (٥) الحضرة : قصر بجبال
تكريت بين دجلة والفرات بناء الضيزن بن معاوية ، ملك الجزيرة (٦) الخابور : نهر بالجزيرة
(٧) الكلس : ما يدهن به الثزل وغيرها .

وتذكر رب الخورتن إذ أشرف يوماً وللهدي^(١) تفكير
سرّه مألّه وكثرة ما يملك والبحر مفرّضاً^(٢) والسدير
فارعوى قلبه فقال : وما غبطة حتى إلى المات بصير !
ثم بعد الفلاح والملك والإمة^(٣) ورآتهم هنالك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق جفّ فالوت^(٤) به الصبا والدبور
فبكي هشام حتى اخضلت^(٥) لحيته ، وبلت عمامته ، وأمر بنزع أبيته ، ونقل
قرايته وحشيه وغاشيته وجلسائه ، ولزم قصره .
فأقبلت الموالى والحشم على فقالوا : ما أردت بأمر المؤمنين ! أفسدت عليه
لذّته ، ونقصت عليه مأدّته . فقلت : إليكم عني ، فإني عاهدت الله عز وجل ألا
أخلو بملك إلا ذكرته الله عز وجل !

(١) يريد بهذه الجملة : أن التفكير طريق الهدى (٢) معرضاً : متسماً (٣) الإمة : العمة
(٤) ألوت : ذهب (٥) اخضلت : اجلت .

١٠٥ — إن خالداً أدل فأمل*

قال خالد بن صفوان : دخلتُ على هشام بن عبد الملك ، وذلك بعد عزله
خالد بن عبد الله القسري ، فالتفتُهُ جالساً على كرسي في بركة ، ماؤها إلى
الكعبين ، فدعا لي بكرسي فجلستُ عليه ، فقال : يا خالد ؛ ربَّ خالدٍ جلسَ
مجلسك ، كان الوط يلقبى ، وأحبَّ إلى !

فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن حِلْمك لا يضيقُ عنه ، فلو صفحتَ عن جرْمه !
فقال : إن خالداً أدل فأمل ، وأوجف فأجحف ، ولم يدعَ لراجع مَرَجاً ، ولا
لمودةٍ موضعاً ، ثم قال : ألا أخبرُك عنه يا بنَ صفوان ؟ قلت : نعم ، قال : إنه
مابدأني بسؤال حاجةٍ قطُّ مذ قدِمَ العراق حتى أكون أنا الذي أبدؤه بها . فقلت :
فذاك أخري أن ترجعَ إليه ، فقال متمثلاً :

إذا انصرفتَ نفسى عن الشئ لم تنكدُ إليه بوجهٍ آخرَ الدهرِ تقبلُ
قال خالد : ثم قال لى هشام : حاجتك ، فقلت : تزيدنى فى عطائى عشرة
دنانير . فأطرق ثم قال : ولم ؟ وفيم ؟ العبادة أحدثتها فنعينك عليها ، أم لبلاء
حسن أبليتَه عند أمير المؤمنين ، أم لماذا يا بنَ صفوان ! إذن يكتر السؤال ولا يحتملُ
ذلك بيتُ المال ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، وفقك الله وسددك ، أنت والله كما
قال أخو خزاعة :

إذا المال لم يوجبْ عليك عطاءهُ قرابةُ قُرْبى أو صديقٌ توافقه

مَنَعْتَ وَبِمَعْزُ الْمَنَعِ حَزَمٌ وَقُوَّةٌ وَلَمْ يَفْتَلِتْكَ ^(١) الْمَالُ إِلَّا حَقَاقَتَهُ
فَلَمَّا قَدِمَ خَالِدُ الْبَصْرَةِ ، قِيلَ لَهُ : مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى تَزْيِينِ الْإِمْسَاكِلِ ؟ فَقَالَ :
أَحْبَبْتُ أَنْ يَمْنَعَ غَيْرِي فَيَكْثُرَ مَنْ يَلُومُهُ !

١٠٦ — أَبُو النَجْمِ عِنْدَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ *

وَرَدَّ أَبُو النَجْمِ ^(٢) عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي الشُّعْرَاءِ ، فَقَالَ لَهُمْ هِشَامُ : صَفُّوا
لِي إِبِلًا فَقَطَّرُوهَا ^(٣) وَأَوْرِدُوهَا وَأَصْدِرُوهَا ؛ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهَا ؛ فَأَنْشُدُوهُ ، وَأَنْشُدْهُ
أَبُو النَجْمِ :

* الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهَّابِ الْمَجْزِلِ *

حَتَّى بَلَغَ إِلَى ذِكْرِ الشَّمْسِ فَقَالَ : « وَهِيَ عَلَى الْأَفْقِ كَعَيْنٍ » وَأَرَادَ أَنْ
يَقُولَ « الْأَحُولُ » ، ثُمَّ ذَكَرَ حَوَالَةَ هِشَامِ ؛ فَلَمْ يَتِمَّ الْبَيْتَ وَأَرْتَجَعَ عَلَيْهِ .

فَقَالَ هِشَامُ : أَجِزْ الْبَيْتَ ؛ فَقَالَ : « كَعَيْنِ الْأَحُولُ » وَأَتَمَّ الْقَصِيدَةَ ، فَأَمَرَ
هِشَامُ قَوَّجِيَّ ^(٤) عَنقَهُ ، وَأَخْرَجَ مِنَ الرُّصَافَةِ ؛ وَقَالَ لِمُصَاحِبِ شَرْطَتِهِ : يَا رُبِيعَ ؛
إِنِّي أَرَى أَنَّ هَذَا ! فَكَلَّمَ وَجْهَ النَّاسِ صَاحِبَ الشَّرْطَةِ أَنْ يَقْرَأَهُ فَعَفَلَ .
قَالَ أَبُو النَجْمِ : وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بِالرُّصَافَةِ يُضَيِّفُ إِلَّا سَلِيمُ بْنُ كَيْسَانَ الْكَلْبِيِّ

(١) اخْتَلَتِ الشَّيْءُ : أَخَذَتْهُ فِي سُرْعَةٍ ، وَتَعَدَّى إِلَى مَفْعُولَيْنِ .

* الْأَغَانِي : ١٠ - ١٥٥ (طَبْعَةُ دَارِ الْكِتَابِ) ، رَغْبَةُ الْأَمَلِ : ٦ - ٢٣٩ .

(٢) اسْمُهُ الْفَضْلُ بْنُ قُدَامَةَ أَحَدُ رِجَالِ الْإِسْلَامِ الْفُعُولُ الْقَدَمِيْنَ ، وَفِي الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنْهُمْ .

(٣) قَطَّرَ الْإِبِلَ : قَرَّبَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ عَلَى نَسْقٍ .

(٤) وَجِيءَ : وَجَّاهُ بِالْيَدِ وَبِالسَّكِينِ إِذَا ضَرَبَهُ .

وَعَمْرُو بْنُ بَشَّامٍ التَّغْلِبِيُّ ، فَكَنتُ آتِي سُلَيْمًا فَأَتَفَدَيْ عِنْدَهُ ، وَآتَى عَمْرًا فَأَتَمَشَى عِنْدَهُ ، وَآتَى الْمَسْجِدَ فَأَيَّنَتْ فِيهِ .

قال : فاهتم هشام ليلة ، وأمسى لقيس النفس ، وأراد محدثًا محدثه ؛ فقال لخادم له : ابني محدثًا أعرابيًا شاعرًا يروى الشعر .

فخرج الخادم إلى المسجد فإذا هو بأبي النجم ، فضر به برجله ، وقال له : قم أجب أمير المؤمنين . قال : إني رجل أعرابي غريب . قال : إنيك أبنى ، فهل تروى الشعر ؟ قال : نعم ، وأقوله .

فأقبل به حتى أدخله القصر ، وأغلق الباب ، فأيقن بالشر ، ثم مضى به ، فأدخله على هشام في بيت صغير ، والشمع بين يديه يزهر^(١) .

فلما دخل قال له هشام : أبو النجم ؛ قال : نعم يا أمير المؤمنين طريديك ! قال : اجلس ، فسأله وقال له : أين كنت تأوى ؟ ومن كان يُنزلك ؟ فأخبره الخبر . قال : وكيف اجتماعك ؟ قال : كنت أتفدى عند هذا ، وأتمشى عند هذا . قال : وأين كنت تبيت ؟ قال : في المسجد حيث وجدني رسولك . قال : ومالك من الولد والمال ؟ قال : أما المال فلا مال لي ، وأما الولد فلي ثلاث بنات وبُنتي يقال له شيبان .

فقال : هل زوجت من بناتك أحدا ؟ قال : نعم ؛ زوجت اثنتين ، وبقيت واحدة تجيز^(٢) في أيماننا كأنها نعامه .

قال : وما وصيت به الأولى ؟ فقال :

(١) يزهر : يتلألأ (٢) تجيز : تعدو وتسرع .

أَوْصَيْتُ مِنْ بَرَّةَ^(١) قَلْبًا حُرًّا بِالْكَلْبِ خَيْرًا وَالْحَمَاقِ شَرًّا
لَا تَنْأَمِي ضَرْبًا لَهَا وَجَرًّا حَتَّى تَرَى حُلُوقَ الْحَيَاةِ مُرًّا
وَإِنْ كَسْتِكَ ذَهَبًا وَدُرًّا وَالْحَيِّ عُمَيْهِمْ بَشَرًا طُرًّا

فضحك هشام ، وقال : فما قلت للأخرى ؟ قال : قلت :

سُبِّ الْحَمَاءَ وَابْهَتِي^(٢) عَلَيْهَا وَإِنْ دَنَتْ فَازْدَلْفِي إِلَيْهَا
وَأَوْجِعِي بِالْفَهْرِ^(٣) رَكْبَتَيْهَا وَمِرْقَتَيْهَا وَاضْرِبِي جَنْبَيْهَا
وِظَاهِرِي النَّذْرَ لَهَا عَلَيْهَا لَا تَخْبِرِي الدَّهْرَ بِهَابَتَيْهَا

قال : فضحك هشام حتى بدت نواجذهُ ، وسقط على قَفَاءَ . فقال : ويحك !
ما هذه وصية يعقوب ولده ! فقال : وما أنا كيعقوب يأمر المؤمنين . قال : فما قلت
لثالثة ؟ قال : قلت :

أَوْصِيكَ يَا بِنْتِي فَإِنِّي ذَاهِبٌ أَوْصِيكَ أَنْ تَحْتَمِدَكَ الْقَرَابُ
وَالْجَارُ وَالضَّيْفُ الْكَرِيمُ السَّاعِبُ لَا يَرْجِعُ الْمُسْكِينُ وَهُوَ خَائِبُ
وَلَا تَنِي أَظْفَارُكَ السَّلَاحُ^(٤) مِنْهُمْ فِي وَجْهِ الْحَمَاءِ كَاتِبُ

وَالزَّوْجَ إِنْ الزَّوْجَ بئسَ الصَّاحِبُ

قال : فكيف قلت لها هذا ولم تتزوج ؟ وأى شيء قلت في تأخير تزويجها !

قال : قلت فيها :

(١) كان اسمها برة (٢) بهته : قذفه بالباطل ، وقال عليه مالم يفعل (٣) الفهر : الحجر
يملاً الكف (٤) السلاهب : الطويلة .

كَانَ ظَلَامَةٌ أُخْتُ شَيْبَانَ يَتِيمَةٌ وَوَالِدَاهَا حَيَّانُ
الرَّأْسُ قُلُّ كُلِّهِ وَصَيْبَانُ^(١) وَلَيْسَ فِي الرَّجُلَيْنِ إِلَّا خَيْطَانُ
فَهِيَ الَّتِي يُذَعَرُ مِنْهَا الشَّيْطَانُ

فَقَالَ هِشَامُ لِأَخِيهِ : مَا فَعَلْتَ الدَّنَانِيرُ الْمُخْتَوِمَةُ الَّتِي أَسْرَتُكَ بِقَبْضِهَا ! قَالَ :
هِيَ عِنْدِي ، وَوَزَنَهَا خَمْسَمِائَةَ ! قَالَ : قَادِفْعَهَا إِلَى أَبِي النِّجْمِ ؛ لِيَجْعَلَهَا فِي رَجُلَيْنِ
ظَلَامَةً مَكَانَ الْخَيْطَيْنِ !

(١) الصَّيْبَانُ : جَمْعُ الصَّوْبَةِ وَهِيَ : بَيْسَةُ الْقَمَلِ ؛ جَمْعُهُ صَيْبَانُ .

١٠٧ — لا يعرف الكلام إلا بنشره *

قحطت البادية في أيام هشام بن عبد الملك ، قدمت العرب من أحياء القبائل ،
فجلس هشام لرؤسائهم فدخلوا عليه ، وفيهم درؤاس بن حبيب وله أربع عشرة
سنة ، عليه شملتان وله ذؤابة . فأحجم القوم وهابوا هشاماً ، ووقعت عين
هشام على درؤاس فاستصغره ، فقال لحاجبه : ما يشاء أحد أن يصل إلى إلا وصل
حتى الصبيان !

فلم درؤاس أنه يريد ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن دخولي لم يُخل بك
شيئاً ، ولقد شرقتي ، وإن هؤلاء القوم قدموا لأمر أحجموا دونه ، وإن الكلام
نشر ، والسكوت طي ، ولا يعرف الكلام إلا بنشره . فقال هشام : فانشر لا أن
لك !! وأعجبه كلامه .

قال : أصابتنا ثلاث سنين ، فسنة أذابت الشحم . وسنة أكلت اللحم ،
وسنة نقت^(١) العظم ، وفي أيديكم فضول أموال ؛ إن كانت لله ففروها على
عبادة المستحقين لها ، وإن كانت لم فعلام تحبسونها عنهم ؟ وإن كانت لكم ،
فتصدقوا بها عليهم ، فإن الله يجرى المتصدقين ، ولا يُضيع أجر الحسنين .
واعلم يا أمير المؤمنين أن الوالي من الرعية كالروح من الجسد ، لا حياة له
إلا به .

قال هشام : ما ترك الغلام في واحدة من الثلاث عذراً . وأمر أن يقسم في

* لباب الآداب : ٣٥٣ .

(١) النقي : مخ العظام وشحمها ، ونقي العظم : استخرج تقيّه .

باديته مائة ألف درهم ، وأمر لدرواس بمائة ألف درهم . فقال : يا أمير المؤمنين ؛
اردها إلى أعطية أهل باديتي فإنني أكره أن يعجز ما أمر لهم به أمير المؤمنين عن
كفائتهم . قال : فما لك من حاجة تذكرها لنفسك ؟ قال : مالي من حاجة دون
عامة المسلمين !!

ولما عاد درواس إلى منزله بعث إليه هشام بمائة ألف درهم ، ففرقها في تسعة
أبطن من العرب ، لكل بطن عشرة آلاف ، وأخذ هو عشرة آلاف ، فقال
هشام : إن الصنيعة عند درواس لتضعف على سائر الصنائع ^(١) .

(١) جمع صنيعة ، وهي المعروف والإحسان .

١٠٨ - أنجحت وفادتك ، ووجبت ضيافتك *

وفد سعد بن مرة بن جبيرة - وكان شاعراً - على الوليد^(١) بن يزيد ، فعرض له في يوم من أيام الربيع ، وقد خرج إلى منزله ، فصاح به : يا أمير المؤمنين ؛ وإفدك وزارك ومؤمك ! فتبادر إليه الحرس ليصدوه عنه ، فقال : دعوه ، اذن إلى . فدنا إليه ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا رجل من أهل الحجاز ، شاعر ، قال : تريد ماذا ؟ قال : تسمع مني أربع أبيات ، قال : هات ؛ فقال :

شمن^(٢) المخاليل نحوأرضك بالحيا^(٣) ولقين ركباناً بعرفك قفلاً
قال : ثم مه ؟ قال :

فعمدن نحوك لم ينخن لحاجة إلا وقوع الطير حتى ترحلا
قال : إن هذا السير حثيث ، ثم ماذا ؟ قال :

يمعدن نحو موطن حجراته كرمًا ، ولم تعدل بذلك معدلاً
قال : قد وصلت إليه فه ؟ قال :

لاحت لها نيران حي قسطل^(٤) فاخترن نارك في المنازل منزلاً
قال : فهل غير هذا ؟ قال : لا ، قال : أنجحت وفادتك ، ووجبت ضيافتك ، أعطوه أربعة آلاف دينار ، فقبضها ورحل !

* الأغاني : ٧ - ٢٤ (طبعة دار الكتب) .

(١) كان الوليد قبل أن يلى الخلافة من فتيان بني أمية وظرافهم وشعراتهم ، ولما ولي الخلافة انهمك في اللهو والشراب وسماع الفناء ، مات مقتولاً سنة ١٢٦ هـ (٢) شمت مخايل الشيء : إذا تطلعت نحوه ببصرك منتظراً له (٣) الحيا : الحصب والمطر (٤) قسطل : اسم لموضعين أحدهما قرب البلقاء من أرض دمشق ، والثاني بين حمص ودمشق .

١٠٩ — شاعر بني هاشم *

لما قال الكُميت ^(١) بن زيد الأسدي الهاشمي قدم البصرة ، فأتى الفرزدق ، فقال : يا أبا فراس ؛ إنك شيخ مضر وشاعرها ، وأنا ابن أخيك ! قال : ومن أنت ؟ فانتسب له . فقال : صدقت ، فما حاجتك ؟ قال : نِفثَ عَلَى لِسَانِي ، فقلتُ شعرا ، وأحببتُ أن أعرضَ عليك ما قلت ، فإن كان حسنا أمرتني بإذاعته ، وإن كان غير ذلك أمرتني بستره ، وسترته على . فقال : يا ابن أخي ؛ أحسب شعرك على قدر عقلك ، فهاتِ ما قلتِ راشداً ، فأنشده :

طربتُ وما شوقاً إلى البيض ^(٢) أطربُ وما لعباً متى ، وذو الشيب يلعبُ !
قال : بلى ؛ فإنك في أوان اللعب فالعب . فقال :

ولم يُلهني دار ولا رسم ^(٣) منزل ولم يتطرَّبني بنـانٌ مُحَضَّبُ
قال : فما يطر بك يا ابن أخي ؟ فقال :

وما أنا ممن يزجرُ الطيرَ همهُ أصاحَ غرابٍ أم تعرض ثعلب ^(٤)
قال : فما أنت ؟ ويحك ! وإلى من تسمو ؟ فقال :

* خزانة الأدب : ٤ - ٢٣٧ (الطبعة الأميرية) ، السعدي : ٢ - ١٩٠
(١) نشأ الكُميت في الكوفة وتأدب على علمائها ، وأخذ عن الأعراب ، وعالج الشعر حتى نبه شأنه . واتصل بالولاة والهاشميين يدعهم وينال جوائزهم ، وقد لقي في سبيل مذهبه الشيعي بلاء كثيراً ، وقد أثار الفتنة بين عدنان وقحطان ، وفتح للشيعية طريق مناظرة خصومهم بالشعر ، وتوفي سنة ١٣٦ (٢) البيض : جمع بيضاء ، يريد النساء (٣) رسم : أثر ، ويتطربني : يحملني على الطرب (٤) الزجر للطيور : هو التيهن والنشأوم بها ، والغراب أعظم ما كانت العرب تتطير به . وهو نوع من العيافة .

ولا السانحات^(١) البارحات عشية أمر سليم القرن أمر أعضب
قال : أما هذا فقد أحسنت فيه ، فقال :

ولكن إلى أهل الفضائل والنهي وخير بني حواء والخير يطلب
قال : من هم ! ونحك ! قال :

إلى النفر البيض^(٢) الذين مجبهم إلى الله فيما نابى أتقرب
قال : أرخني ، ويحك ! من هؤلاء ؟ قال :

بنى هاشم رَهط^(٣) النبي فإنتى بهم ولم أرضى مراراً وأغضب
قال : لله در بني أيك ! أصبت وأحسنت ؛ إذ عدلت عن الزعانف والأوباش ؛
إذن لا يضرّد^(٤) سهمك ، ولا يكذب قولك .

ثم مرّ فيها ، فقال له : أظهر ثم أظهر ؛ فأنت والله أشعر من مضى ، وأشعر
من بقى .

فقدم المدينة فأتى أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين ، فأذن له ليلاً ، وأنشده ،
فلما بلغ من الميمية قوله :

وقتل بالطف^(٥) غودر منهم بين غوغاء أمة وطفام
بكي أبو جعفر ، ثم قال : يا كميّ ! لو كان عفدنا مالاً لأعطيناك ، ولكن
لك ما قال رسول الله لحسان بن ثابت : لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذببت عنا
أهل البيت !

(١) السانح : ماولاك ميامنه ، والبارح : ماولاك مياسره ، وكان أهل نجد يقيمون بالأول
ويتشاءمون بالثاني ، وأهل العالية على العكس . والأعضب . الثور المكسور القرن ، وكانوا
يتشاءمون به (٢) البيض هنا : المشهورين من الأشراف (٣) الرهط : القوم والقبيلة (٤) صرد
السهم : أخطأ (٥) الطف : موضع قرب الكوفة ، وقيل الطف هو الحسين عليه السلام .

فخرج من عنده فأتى عبد الله بن الحسن بن علي فأنشده فقال له . إن لى ضيعةً
أعطيت فيها أربعة آلاف دينار ، وهذا كتابها ، وقد أشهدت لك بذلك شهودا ،
وناوله إياها !

فقال : بأبى أنت وأمى ! إننى كنت أقولُ الشعر فى غيركم أريد بذلك الدنيا
والمال ، ولكنى - والله - ما قلته فيكم إلا لله ، وما كنت لأخذ على شىء جعلته لله
مالاً ولا ثمناً ؛ فألح عبد الله عليه ، وأبى من إعفائه .

فأخذ الكمية الكتاب ومضى ، فكش أياها ، ثم جاء إلى عبد الله فقال :
بأبى أنت وأمى ؛ يا بن رسول الله ! إن لى حاجة ؟ قال : وماهى ، وكل حاجة لك
مقضية ؟ قال : كائنة ما كانت ؟ قال : نعم ! قال : هذا الكتاب تقبله ، وترجع
الضيعة . ووضع الكتاب بين يديه ، فقبله عبد الله .

ونهى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، فأخذ ثوباً ، فدفعه إلى
أربعة من غلمانه ، ثم جعل يدخل دور بنى هاشم ويقول : يا بنى هاشم ، هذا
الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم ، وعرض دمه لبنى أمية ،
فأثيبوه بما قدرتم ! فيطرح الرجل فى الثوب ما قدر عليه من دراهم ودنانير ؛ وأعلم
النساء بذلك ؛ فكانت المرأة تبعث ما أمكنها ، حتى إنها لتخلع الحلى عن
جسدها . فاجتمع من الدنانير والدراهم ما قيمته مائة ألف درهم .

فجاء بها إلى الكمية فقال له : أتيناك بجهد المقل ، ونحن فى دولة عدونا ، وقد
جمعنا هذا المال ، وفيه حل النساء كما ترى ، فاستعين به على دهرى . فقال . بأبى أنت
وأمى ! قد أكثرتم وأطيتتم ، وما أردت بمدحى إياكم إلا الله ورسوله ، ولم أك
لأخذ لذلك ثمناً من الدنيا ، فأرُدده إلى أهله ، فجهد به عبد الله أن يقبله بكل حيلة

فأبى ، فقال : إن أبيتَ أن تقبل فأبى رأيتَ أن تقول شيئاً يغضب منه بعض الناس ؛
لعل فتنة تحدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما يجب .

فابتدأ الكميت ، وقال قصيدته ^(١) التي يذكر فيها قومه مناقب من مضر ،
وربيعة ^(٢) وإياد وأنمار ، ويكثر فيها من تفضيلهم ، ويطلب في وصفهم ، وأنهم أفضل
من قحطان .

فثارت العصبية في البدو والحضر ، وانحرف أهل اليمن إلى الدعوة العباسية ،
وأعقب ذلك انتقال الدولة عن بني أمية إلى بني هاشم .

(١) من هذه القصيدة :

وجدت الله إذ سمى تزارا وأسكنهم بمكة قاطنينا
لنا جعل المكارم خالصات وللناس القفا ولنا الجينا
وقد قضى دعبل هذه القصيدة على الكميت ، وذكر مناقب اليمن وفضائلها من ملوكها كما فعل
الكميت ، وذلك في قصيدته التي منها :

أفنى من ملائك ياطعننا كفاك اللوم من الأربعينا
ألم تحزنك أحداث الليالي يشين اقنواب والقرونا
(٢) كان الكميت من شعراء مضر وأاستنها بالتعصين على القحطانية المقارعين بالثالب .

١١٠ - إِنَّ يَمْنِي يَغْلِبُ شَوْمَكَ *

لما توفى السفاح دخل أبو دلامة ^(١) على المنصور ، والناسُ عنده يعزُّونه فقال :

أَمَسَتْ بِالْأَنْبَارِ يَابْنَ مُحَمَّدٍ لَمْ تَسْتَطِعْ عَنْ عُقْرِهَا ^(٢) تَحْوِيلاً
وَبَلَى عَلَيْكَ وَوَيْلَ أَهْلِ كَلِّهِمْ وَبَيْلاً وَعَوَلاً فِي الْحَيَاةِ طَوِيلاً
فَلَتَبْكِينَ لَكَ السَّمَاءَ بَعِيرَةً وَلَيَبْكِينَ لَكَ الرَّجَالَ عَوِيلاً
مَاتَ النَّدَى إِذْ مِتَّ يَابْنَ مُحَمَّدٍ فَعَمَلَتْهُ لَكَ فِي التَّرَابِ عَدِيلاً
إِنِّي سَأَلْتُ النَّاسَ بِعَدِّكَ كَلِّهِمْ فَوَجَدْتُ أَسْمَحَ مِنْ سَأَلْتُ بِخِيلاً
أَلْشَقُونِي أُخْرْتُ بِعَدِّكَ لِلَّتِي تَدَعِ الْعَزِيزَ مِنَ الرِّجَالِ ذَلِيلاً ؟
فَلَا حُلْفَنَ يَمِينٍ حَقِ بَرَّةٌ تَاللَّهِ مَا أُعْطِيتُ بِعَدِّكَ سُولاً ^(٣)

فأبكى الناسَ قوله ؛ ففضب المنصور غضباً شديداً ، وقال : لئن سمعتك تنشُد هذه القصيدة ، لأقطعنَّ لسانك ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن أبا العباس أمير المؤمنين كان لي مُكرِماً ، وهو الذي جاء بي من البدو ، كما جاء اللهُ ياخوة يوسف إليه ، قل كما قال يوسف لإخوته : ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَفْعِرُ اللَّهُ لَكُمْ ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

* الأغاني ١٠ - ٢٤٠ (طبعة دار الكتب) ، معاهد التنصيص : ٢ - ٢١٠

(١) أبو دلامة : اسمه زند بن الجون ، كوفي المنشأ ، كان أبوه عبداً لرجل من بني أسد ثم أعتقه ، نبغ في الشعر ، واقطع إلى السفاح والمنصور والهدى ، وكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيون عاشرته ونوادره توفي سنة ١٦٢ هـ (٢) عقر الدار : أصلها ووسطها (٣) السؤل : يهز ولا يهز : مأسأته .

فَسُرِّيَ عَنِ الْمَنْصُورِ ، وَقَالَ : قَدْ أَقْلَنَّاكَ يَا أَبَا دُلَامَةَ ، فَسَلِّ حَاجَتَكَ ! قَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَدْ كَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَمَرَ لِي بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ وَخَمْسِينَ ثَوْبًا ، وَهُوَ
مَرِيضٌ ، وَلَمْ أَقْبِضْهَا ؛ فَقَالَ الْمَنْصُورُ : وَمَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : هَؤُلَاءِ - وَأَشَارَ إِلَى
جَمَاعَةٍ مِّنْ حَضَرٍ .

فَوَثَبَ سُلَيْمَانُ بْنُ مُجَالِدٍ ، وَأَبُو الْجَنِّهِمْ ؛ فَقَالَا : صَدَقَ أَبُو دُلَامَةَ ، نَحْنُ نَعْلَمُ ذَلِكَ .
قَالَ الْمَنْصُورُ لِأَبِي أَيُّوبَ الْخَازَنِ - وَهُوَ مَغِيْظٌ : يَا سُلَيْمَانُ ، ادْفَعْهَا إِلَيْهِ ، وَسَيَّرَهُ إِلَى هَذَا
الطَّاعِغَةِ - يَعْنِي : عَبْدَ اللَّهِ ^(١) بْنَ عَلِيٍّ ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ بِالشَّامِ ، وَأُظْهِرَ الْخِلَافَ -
فَوَثَبَ أَبُو دُلَامَةَ ، وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أُعِيدُكَ بِاللَّهِ أَنْ أُخْرِجَ مَعَهُمْ ، وَاللَّهِ
إِنِّي مَشْتُومٌ !

قَالَ الْمَنْصُورُ : امْضِ ، فَإِنْ يُمْنَى يَغْلِبُ شَوْمُكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَاللَّهِ
مَا أَحْبَبُّ أَنْ يُجَرَّبَ ذَلِكَ مِنِّي عَلَى مِثْلِ هَذَا الْعَسْكَرِ ؛ فَإِنِّي لَا أَدْرِي أَيُّهُمَا يَغْلِبُ :
يُمْنُكَ أَمْ شَوْمِي ؟ إِلَّا أَنِّي بِنَفْسِي أَوْثَقُ وَأَعْرِفُ وَأَطُولُ تَجْرِبَةً .
فَقَالَ : دَعْنِي وَهَذَا ؛ فَمَالِكَ مِنَ الْخُرُوجِ بَدًّا . قَالَ : فَإِنِّي أَصْدُوكَ الْآنَ ، شَهِدْتُ
وَاللَّهِ تِسْعَةَ عَشَرَ عَسْكَرًا ، كُلُّهَا هَزِمْتُ ، وَكُنْتُ سَبِيحًا ، فَإِنْ شِئْتَ الْآنَ - عَلَى
بَصِيرَةٍ - أَنْ يَكُونَ عَسْكَرُكَ تَمَامَ الْعَشْرِينَ فَاغْلِبْ .
فَضَحِكَ الْمَنْصُورُ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَخَلَّفَ مَعَ عِيسَى بْنِ مُوسَى بِالْكُوفَةِ .

(١) هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلِيٍّ ، عَمُّ الْخَلِيفَةِ الْمَنْصُورِ ، خَرَجَ عَلَيْهِ وَدَعَا لِفَسْخِهِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْمَنْصُورُ
أَبَا مُسْلِمٍ .

١١١ — قَتَلَهُمُ الشَّعْرُ*

كان أبو العباس جالساً في مجلسه على سريره ، وبنو هاشم دونه على الكراسي ، وبنو أمية على الوسائد ، قد ثُنِيَتْ لهم — وكانوا في أيام دَوْلَتِهِمْ يجلسون هم والخلفاء منهم على السرير ، ويجلس بنو هاشم على الكراسي — فدخل الحاجب فقال : يا أمير المؤمنين ؛ بالباب رجلٌ حجازيٌّ أسود راكبٌ على نجيب ، مُعَلِّمٌ^(١) ، يستأذن ولا يُخْبِرُ باسمه ، ويحلف ألاّ يخسر اللثام عن وجهه حتى يراك ؛ قال : هذا مولاي سُدَيْف ، يدخل ؛ فدخل ، فلما نظر إلى أبي العباس وبنو أمية حوله ، حَذَرَ^(٢) اللثام عن وجهه ثم سلم ، ودنا وقبل يده ، ثم انصرف إلى خلفه ، فقام مقام مثله ، وأنشأ يقول :

أصبح الملكُ ثابتَ الأساسِ بالبهاليلِ^(٣) من بني العباسِ
بالصدورِ المُقدِّمينِ قديماً والرؤوسِ القمامِ^(٤) الرُّؤُوسِ^(٥)
يا أميرَ المطهرينِ من الذِّمِّ ويا رأسَ مُنتَهَى كلِّ راسٍ
أنت مهدئُ هاشمٍ وهذاهما كم أناسٍ رَجَوْكَ بعدَ إياسٍ
لا تُقِيلَنَّ عبدَ شمسٍ عِثَاراً واقطعنَ كلَّ رَقْلَةٍ^(٦) وغراسٍ
أنزِلوها بحيث أنزلها اللهُ بدارِ الموانِ والإِنعاسِ

* الأغاني ٤ — : ٣٤٥ (طبعة دار الكتب) ، المحاسن والساوي* : ٤١٠ ، (ليزج)
(١) تلم الرجل : وضع اللثام ؛ وهو رد العمامة على الوجه (٢) حذر اللثام : حطه من علو إلى سفلى (٣) البهاليل : جمع بهلول وهو العزيز الجامع لكل خير (٤) القمام : السيد الكثير الخير ، الواسع الفضل (٥) الرؤوس : الولاة والحكام (٦) الرقلة : النخلة الطويلة التي تقف اليد .

خوفهم أظهر التودد منهم وبهم منكم كحز المواسي
أقصيهم أيها الخليفة وأخميم عنك بالسيف شأفة^(١) الأرجاس
واذكرن مصرع الحسين وزيد^(٢) وقبيل^(٣) بجانب المهراس
والإمام^(٤) الذي بجران أمسي رهن قير في غربة وتناسي
فلقد ساءني وساء سوائي قربهم من نمارق وكراسي

فتغير لون أبي العباس ، وأخذه زمع^(٥) ورعدة ؛ فالتفت بعض ولد سليمان
ابن عبد الملك إلى رجل منهم ، وكان إلى جنبه ، فقال : قتلنا والله العبد ، ثم أقبل
أبو العباس عليهم ، فقال : أرى قتلاكم من أهلى قد سلفوا وأتم أحياء تتلذذون
في الدنيا ، خذوهم ؛ فأخذتهم الخراسانية وضربوهم فأهيدوا ؛ إلا ما كان من
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فإنه استجار بدادود بن علي ، وقال له : إن أبي لم
يكن كآبائهم ، وقد علمت صنيعة إليكم ؛ فأجاره واستوهبه من السفاح ، وقال
له : قد علمت يا أمير المؤمنين صنيع أبيه إلينا . فوهبه له ، وقال له : لا تريني وجهه ،
وليكن بحيث تأمنه ، وكتب إلى عماله في النواحي بقتل بني أمية .

(١) الأرجاس : جمع رجس ؛ وهو القذر (٢) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قتل في أيام هشام بن عبد الملك (٣) المهراس : ماء بأحد ، ويعني بالقتيل حمزة بن عبد المطلب ، قتله يوم أحد غلام لجبر بن مطعم ؛ اسمه وحشى (٤) الإمام الذي بجران : هو إبراهيم الإمام ، رأس الدولة العباسية ؛ قتله مروان بن محمد صبراً وحبسا (٥) الزمع : شبه الرعدة تأخذ الإنسان .

١١٢ - المنصور أحق بشعر طريف *

قال أبو بكر الهذلي : سرتُ مع أمير المؤمنين المنصور ^(١) إلى مكة وسأيرته يوماً ، فعرضَ لنا رجل على ناقةٍ حمراء تذهبُ في الأرض ، وعليه جُبَّةٌ خَزَّ وِعِمامَةٌ عَدَنِيَّة ، وفي يده سوط يكادُ يمسُّ الأرض ، سرى الهيئة .

فلما رآه أمرني أن أدعوه ، فدعوته فجاء ، فسأله عن نسبه وبلاده وبادية قومه وعن ولادة الصدقة ، فأحسنَ الجواب ؛ فأعجبه ما رأى منه ، فقال : أنشدني . فأنشده شعراً لأوس بن حَجَر وغيره من الشعراء ، وحدّثه حتى أتى على شعر لطريف ابن تميم العنبري ؛ وهو قوله :

إِنْ قَتَانِي لَنَبْعٌ ^(٢) لَا يُؤَيِّسُهَا ^(٣) عَمَزُ الثَّقَافِ ^(٤) وَلَا دُهْنٌ وَلَا نَارٌ
مَتَى أَجِرْ خَائِفًا تَأْمَنُ مَسَارِحُهُ ^(٥) وَإِنْ أُخِفَ آمَنًا تَقْلُقُ بِهِ الدَّارُ
إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا أوردتها صَدَرَتْ إِنَّ الْأُمُورَ لَهَا وَرْدٌ وَإِصْدَارُ

فقال : ويحك ! ما كان طريف فيكم حيث قال هذا الشعر ؟ قال : كان أثقلَ العرب على عدوه وطاعةً ، وأدرَكهم بثأر ، وأيمنهم نقييةً ^(٦) ، وأصلبهم قنأةً لمن رام

* الطبري : ٩ - ٢٩٨

(١) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ، ثاني خلفاء بني العباس وأعظمهم شدة وبأساً وبقظة وثباتاً . توفي سنة ١٥٨ هـ . (٢) النبع : شجر من أشجار الجبال ؛ تتخذ منه القسي . (٣) التأيس : التذليل والتأثير ؛ أي لا يؤثر فيها شيء . (٤) الثقاف : ما تقوم به الرياح . (٥) المسارح جمع مسرح : وهو الموضع الذي تشرح إليه الماشية بالفداء للرعى . (٦) النقيية : النفس ؛ ويمون النقيية : مبارك النفس .

هَضَمَهُ ، وأقراهم لضيغه وأحوطهم من وراء جاره ؛ اجتمعت العربُ بعكاظ فكلَّهم
أقرَّ له بهذه الخِلال ، غير أنَّ امرأً أراد أن يقصِّر به فقال : والله ما أنت ببعيد
النَّجْمَةِ^(١) ولا قاصد الرَّمِيَةِ^(٢) ؛ فدعاه ذلك إلى أن جعل على نفسه ألاَّ يأكل إلا
لحم قَنْصٍ يَقْتَنِصُهُ ، ولا ينزع كلَّ عامٍ عن غزوةٍ يبعد فيها أثره .
قال : يا أخا نعيم ، لقد أَحْسَنْتَ إذ وصفت صاحبك ، ولكني أحقُّ ببيتيه منه ،
أنا الذي وَصَفَ ، لا هو !

(١) النجمة : اللذنب في طلب الكلا . (٢) قصد الرمية : أصابها .

١١٣ — المحبة مفتاح كل خير *

دعا المنصور بالربيع^(١) فقال : سَلْنِي مَا تَرِيدُ ! فقد سَكَتَ حَتَّى نَفَقَتْ ، وَخَفَّتْ حَتَّى ثَقَلَتْ ، وَأَقَلَّتْ حَتَّى أَكْثَرَتْ !

فقال : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ مَا أَرْهَبُ بِخُلُوكَ ، وَلَا أَسْتَصْفِرُ فَضْلَكَ ، وَلَا أَعْتَمُ مَالِكَ ، وَإِنْ يَوْمِي بِفَضْلِكَ عَلَى أَحْسَنُ مِنْ أَمْسِي ، وَغَدُوكَ فِي تَأْمِيلِي أَحْسَنُ مِنْ يَوْمِي ! وَلَوْ جَازَ أَنْ يَشْكُرَكَ مِثْلِي بِغَيْرِ الْخِدْمَةِ وَالْمُنَاصَحَةِ لَمَا سَبَقَنِي لَذَلِكَ أَحَدٌ .

قال : صَدَقْتَ ، عَلَى بَهَذَا مِنْكَ أَهْلُكَ هَذَا الْهَلْ ، فَسَلْنِي مَا شِئْتَ !

قال : أَسْأَلُكَ أَنْ تَقْرُبَ عَبْدَكَ الْفَضْلَ^(٢) ، وَتَوْثِرَهُ وَتُحِبَّهُ ! قال : يَا رُبِيعُ ؛ إِنَّ الْحَبَّ لَيْسَ بِمَالِ يَوْهَبَ ، وَلَا رُبَّةٌ تُبَدَّلُ ، وَإِنَّمَا تُؤَكِّدُهُ الْأَسْبَابُ ! قال : فَاجْعَلْ لَهُ طَرِيقًا إِلَيْهِ بِالتَّفَضُّلِ عَلَيْهِ !

قال : صَدَقْتَ ، وَقَدْ وَصَلْتُهُ بِالْفِ دَرَمٍ ! وَلَمْ أَصِلْ بِهَا أَحَدًا غَيْرَ عُمُومَتِي ؛ لَتَعْلَمَ مَالَهُ عِنْدِي ؛ فَيَكُونُ مِنْهُ مَا يَسْتَدْعِي بِهِ مَحَبَّتِي .

ثم قال : فَكَيْفَ سَأَلْتَ لَهُ الْحَبَّةَ يَا رُبِيعُ ؟ قال : لِأَنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَمِفْلَاقُ كُلِّ شَرٍّ ؛ تُسَوِّرُ بِهَا عِنْدَكَ عِيُوبُهُ ، وَتُصِيرُ حَسَنَاتِ ذُنُوبُهُ !

قال : صَدَقْتَ .

* زهر الآداب : ٢ - ٢٩٩ .

(١) هو الربيع بن يونس ، خدَمَ الْمَنْصُورَ ، ثُمَّ تَدَرَّجَ فِي الْمُنَاصِبِ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ اسْتَوْرَزَهُ ، وَكَانَ جَلِيلًا نَبِيلًا عَازِمًا بِخِدْمَةِ الْخُلَفَاءِ ، مَاتَ سَنَةَ ١٧٠ هـ (٢) هُوَ ابْنُ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ ، وَقَدْ وَزَرَ لِلرَّشِيدِ بَعْدَ الْبَرَامِكَةِ ؛ وَابْنُهُ الْأَمِينُ .

١١٤ — المنصور والشعراء*

قال الربيع بن يونس يوماً لأبي جعفر المنصور : يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ الشعراء
يبابك ، وهم كثير ، وقد طالت أيامهم ، ونفدت نفقاتهم ، فقال : اخرج إليهم ، وسلم
عابهم ، وقل لهم : مَنْ مَدَحَنَّا مِنْكُمْ ؛ فلا يصف الأسد ؛ فإنما هو كلبٌ من الكلاب ،
ولا الحية ؛ فإنما هي دُوَيْبَّةٌ مُنْدَنَةٌ تأكل التراب ؛ ولا الجبل ؛ فإنه حجر أصم ،
ولا البحر ؛ فإنه عَطِنٌ لِحَبٍّ^(١) ؛ فمن ليس في شعره شيء من هذا فليدخل ،
ومن كان في شعره شيء منه فلينصرف . فأبلغهم ؛ فأنصرفوا كلهم إلا إبراهيم^(٢) بن
هرمة ، فقال : أنا له ياربيع ، فأدخلني عليه .

فأدخله ، فلما مثل بين يديه ، قال له : ياربيع ؛ قد علمتُ أنه لا يحبيك غيره ،
فأنشدَه قصيدته التي منها :

له لَحَظَاتٌ عَنْ حِفَافٍ^(٣) سَرِيرِهِ إِذَا كَرَّهَا^(٤) فِيهَا عُقَابٌ وَنَائِلُ
فَأَمْ الَّذِي أَمَنْتَ أَمْنَهُ الرَّدَى وَأَمْ الَّذِي خَوَّفَتْ بِالشُّكْلِ ثَا كُلُّ

* نهاية الأرب : ٣ - ٣٠٦ ، العقد الفريد : ١ - ١٦٥ ، ذيل زهر الآداب : ٨٤ ،
الفرر : ١٨٥ ، الأغاني : ٦ - ١٠٩ (طبعة دار الكتب) .

(١) لب : ذو لب ، وبحر ذو لب : إذا سمع اضطراب أمواجه (٢) هو إبراهيم بن علي
ابن هرمة المنتسب إلى قریش ؛ نشأ بالمدينة ، وأخذ عن الرواة والتقدمين والمتأديين كثيراً ، وقال
الشعر وأجاده . وتوفي سنة ١٥٠ هـ (٣) الحفافان : الجانبان (٤) كرها : أرجعها ،
والنائل : العطاء .

فقال له المنصور : أما لقد رأيتك في هذه الدار قائماً بين يدي عبد الواحد بن سليمان تُنشد قَوْلَكَ فيه :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمةً الجناح
فقطِّعْ بابنِ هَرَمَة حتى ما قدر على الاعتذار ، فقال له المنصور : أنت رجل
شاعر طالب خير ، وكلّ ذلك يقول الشاعر ، وقد أمر لك أمير المؤمنين بثلاثمائة
دينار .

فقام إليه الحسن بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن ابن هَرَمَة رجلٌ منفاقٌ
متلّاف لا يبقى شيئاً ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر له بها ، يُجرى عليه منها
ما يكفيه ، ويكفي عياله ، ويكتب بذلك فعل .
فقال : افعلوا ذلك به .

١١٥ - المؤمل يمدح المهدي*

وفد المؤمل^(١) بن أميل على المهدي^(٢) بالركبي فامتدحه ، فأمر له بعشرين ألف درهم ، فأتصل الخبر بالمنصور ، فكتب إليه أن يعذله ويقول: إنما كان سبيلك أن تأمرَ للشاعر بعد أن يقوم ببابك سنة بأربعة آلاف درهم ! وكتب إلى كاتب المهدي بإفاد الشاعر إليه . فسأل عنه . فقيل له : قد شَخَّصَ إلى مدينة السلام .

فكتب إلى المنصور بِخَبَرِهِ ، فَأَنفذَ المنصور قائداً من قواده إلى النهرِ وَأَن يَتَصَفَّحَ وجوه الناس رجلاً رجلاً مَن يَمُرُّ به حتى يظفر بالمؤمل .

وسار القائد حتى انتهى إلى القافلة التي فيها المؤمل ، فسأله من أنت ؟ قال : أنا المؤمل بن أميل الحاربي الشاعر ، أحدُ زوَّارِ الأمير المهدي ، فقال : إِيَّاكَ طلبتُ .

قال المؤمل : فكأد قلبي يَنْصَدِعُ خوفاً من أبي جعفر ، وقبض على ؛ ثم أتى بي وأسلفني إلى الربيع ، فأدخلني إلى أبي جعفر ، فسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ مُرَوَّعٍ ، فردَّ السلام ،

* نهاية الأرب : ٣ - ٣٠٧ ، مذهب الأعاني : ٤ - ١٣٥ ، أمالي الزجاجي : ٢٦ ، ذيل زهر الآداب : ٨٤ ، الفرر : ١٨٥ ، المحاسن والمساوي : ٢٧٠ ، معجم الأدباء : ٩ - ٢٠٣ .
(١) شاعر كوفي من مخضرمي الدولتين : الأموية والعباسية ، وانقطع إلى المهدي في حياة أبيه وبعدة ، وكان في شعره لين ، وله طبع صالح . (٢) المهدي هو ابن أبي جعفر المنصور والخليفة بعده ، كان فطناً كريماً شديداً على أهل الإلحاد ، كثير الجلوس بنفسه للعظام . توفي سنة ١٦٩ هـ .

وقال : أتيتَ غلاماً غِراً كريماً فخدعته ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنما أتيتُ ملكاً
جواداً كريماً فدحته فخلته أريحته على أن وصلني وبرّني ؛ فكان ذلك أجمه ،
فقال له : أنشدني ما قلتَ فيه ، فأنشده .

هو المهدى إلا أن فيه	مُشابه ^(١) صورة القمر المنير
تشابه ذا وذا فهما إذا ما	أثارا يشكّلان على البصير
فهذا في الضياء سراجٌ عدل	وهذا في الظلام سراجٌ نور
ولكن فضل الرحمن هذا	على ذا بالمنابر والسرير
وبالملك العزيز فذا أمير	وماذا بالأمير ولا الوزير
ونقص الشهر يُخدّ ذا ، وهذا	مُنيرٌ عند نقصان الشهر
فيا بن خليفة الله المصطفى	به تعلو مفاخرة الفخور
لئن فتّ الملوك وقد توافوا	إليك من الشهولة والوعور
لقد سبق الملوك أبوك حتى	ترأهم بين كآبٍ أو حسير
وجئت وراءه تجرى حثيثاً	وما بك حين تجزى من فتور
فقال الناس : ما هذان إلا	بمنزلة الخلق من الجدير
فإن سبق الكبير فأهل سبق	له فضل الكبير على الصغير
وإن بلغ الصغير مدى كبير	فقد خلق الصغير مع الكبير

فقال : أحسنت ! ولكن هذا لا يساوي عشرين ألف درهم ، ثم قال له :

(١) مشابه : جمع شبه على غير قياس .

أين المال؟ قال : هاهو ذا ! قال : ياربيعُ ؛ أعطِه منه أربعة آلاف درهم ،
وخذ الباقي .

قال المؤمن : فأخذ مني ستة عشر ألفاً ، فأليت على نفسي ألا أدخل العراق
وللمنصور بها ولاية .

فلما صارت الخلافةُ إلى المهدي رفعتُ إليه رقعة ذكرت فيها قصتي ، فلما قرأها
ضحك حتى استلقى ، وقال : هذه مظلمة أنا بها عارف ؛ ردُّوا عليه ماله ، وزيدوا
له عشرين ألفاً ، فأخذتها وانصرفت .

١١٦ — مدائح وعطايا*

أُهديت جارية يمانية إلى أبي جعفر المنصور ، فأنشدته شعرا المروان بن أبي حفصة^(١) يمدح به السري بن عبد الله ، ويذكر فيه وراثة العباس ، فسألها : لمن هذا الشعر ؟ فأخبرته ، فأمر بإحضار مروان ، فوافاه بالرَبْذَةِ^(٢) حاجاً ، فلقى الربيع بن يونس والمنصورُ عليل ؛ العلة التي مات فيها . فقال : كُنْ قريباً حتى ندعو بك ، فلم تزل العلة تشتد به حتى مات قبل أن يصل إليه مروان ، فقال له الربيع : الحق بالمهدى^(٣) ولا تتخلف عنه ؛ وانصرفَ مروانُ إلى اليمامة ، فجعلها طريقاً ، وعليها بشرُ بن المنذر واليا ، فأوفده بشرفين أوفده ، وأعطى كلَّ رجل ألفَ درهم ، فقدم مروان على المهدي ؛ وقد مدحه بأربع قصائد . فأعطاه المهدي ثلاثين ألفَ درهم ، فانصرف إلى اليمامة .

ثم عاد بعد ذلك ، فطلب الوصول بيعقوب بن داود^(٤) ، فأقام نحواً من سنة ، وغضب المهدي على يعقوب بن داود .

قال مروان : بينا أنا واقف على باب المهدي إذ خرج خالد بن يزيد بن منصور فقال : يا بن أبي حفصة ؛ ذكرك أمير المؤمنين آنفاً ؛ وهو يراك أشعر الناس ، غير أنه يقول : لا حاجة لنا فيما قبلك ؛ فانصرف عن بابنا .

* المحاسن والمساوي* : ٢٤٠ (طبع ليزج) ، الفرج بعد الشدة : ١ - ٧٣

(١) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة . نشأ في أواخر الدولة الأموية ؛ ولم يشتهر إلا في دولة بني العباس ، مدح المهدي ومعن بن زائدة والرشيدي ، وبعد من فحول الشعراء ، مات سنة ١٨١ هـ . (٢) الربذة : من قرى المدينة (٣) انظر صفحة ٢٨١ (٤) كان يعقوب وزير المهدي ، وكان عالم المنزلة عنده ، موضع ثقة منه ، ثم تغير عليه وحبسه ، وما زال في حبسه حتى تولى الرشيد . وأخرجه منه .

فانصرفت مغموماً؛ ثم تذكرت رجلاً أحدث عنده، وآنسُ لديه؛ فأتيت يزيدَ بنَ مزَيدَ، فشكوت إليه ما قال لي خالد بن يزيد. فقال: أدلك على رجل صدوقٍ، له رِقَّةٌ، لعله ينفَعُك! قلت: ومن هو؟ قال: الحسن الحاجب، فمَدَدْتُ إلى الحسن، فشكوت إليه ما حكاه خالد من رأَى أمير المؤمنين؛ فقال: بل ذلك من يعقوب بن داود. فقلت: بأبي أنت وأمي! أنت ترجو أن يكون ذلك مفتاحاً لما أنا فيه! قال: ذاك كما أقول لك، فانصرفت؛ وقلت:

أَتَانِي مِنَ الْمَهْدِيِّ قَوْلٌ كَأَنَّمَا	بِهِ احْتَرَزْتُ أَنْفِي مُدَّ مِنْ الضَّغْنِ جَادِعُ
وَقُلْتُ - وَقَدْ خِفْتُ الَّتِي لَاشَوَى لَهَا ^(١)	بِلَا حَدَثٍ: إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعُ
وَمَا لِي إِلَى الْمَهْدِيِّ لَوْ كُنْتُ مُذْنِباً	سِوَى حِلْمِهِ الصَّافِي مِنَ النَّاسِ شَافِعُ
وَلَا هُوَ - عِنْدَ السُّخْطِ مِنْهُ وَلَا الرِّضَا -	بَغَيْرِ الَّذِي يَرْضَى بِهِ اللَّهُ صَانِعُ
عَلَيْهِ مِنَ التَّقْوَى رَدَالٌ يَكْنُهُ	وَالْحَقُّ نَوْرٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ سَاطِعُ
يُنْفِضُ لَهُ طَرْفُ الْعَيُونِ وَطَرَفُهُ	عَلَى غَيْرِهِ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ خَاشِعُ
هَلِ الْبَابُ مُنْفِضٌ بِي إِلَيْكَ ابْنَ هَاشِمٍ	فَعَذْرِي إِنْ أَفْضَى بِي الْبَابُ نَاصِعُ
أَتَيْتُ أَمْرًا أَطْلَقْتَهُ مِنْ وَثَاقِهِ	وَقَدْ أَنْشَبْتُ فِي أَخْذَعِيمِهِ الْجَوَامِعُ ^(٢)
وَجَلَّى ضَبَابَ الْعُدْمِ عَنْهُ وَرَاشُهُ	وَأَنْهَضَهُ مَعْرُوفُكَ الْمَتَابِعُ
فَقُلْتُ: وَزِيرٌ نَاصِحٌ قَدْ تَتَابَعْتُ	عَلَيْهِ بِإِنْعَامِ الْإِمَامِ الصَّنَاعُ
وَمَا كَانَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَرِيعَةٌ	وَمَا مَلَكَ إِلَّا إِلَيْهِ الدَّرَائِعُ
وَلِنْ كَانَ مَطْوِيًّا عَلَى الْعَذْرِ كَشْحُهُ	فَلَمْ أَذْرِ مِنْهُ مَا تُجْنِ الْأَضَالِعُ

(١) لاشوَى لها: لا يبرء لها

(٢) الجوامع: جمع الجامعة: القل.

وقلت فى قصيدة أخرى :

سَيُحْشَرُ بِعُقُوبِ بْنِ دَاوُدَ خَائِبًا يَلُوحُ كِتَابٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرُ
بَدَأَ مِنْكَ لِلْمَهْدِيِّ كَالصَّبْحِ سَاطِعًا مِنَ الْغَيْشِ مَا كَانَتْ تُجْنُ الضَّمِيرُ
وَهَلْ لِبَيَاضِ الصَّبْحِ إِنْ لَاحَ ضَوْؤُهُ غِيَابَ الدُّجَا مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ سَاوِرُ
أَمْنَزَلَةٌ فَوْقَ التِّي كُنْتَ نَلْتَهَا تَمَاطَيْتَ إِلَّا أَفْلَحْتَ مِمَّا تُحَاذِرُ
ثم أتيت الحسنَ بعد يومين ، فقال : ما صنعت ؟ فأنشدتهما إِيَّاهُ ، فقال :
اكتبهما لى . فقلت : قد فعلت . فقال : هاتهما ، فتناولهما ، وقال : لست واضعهما
من يدى حتى أضُمَّهما فى يد المهدى ، ثم مضى .

وأتيته من الغدِ ، فقال : ما وضعتُهما من يدى حتى وضعتُهما فى يد المهدى !
فقرأهما فرقاً لك وأمر بإدخالك عليه ؛ فاحضر يوم الاثنين .

فحضرت ، فخرج علىّ ؛ فقال : قد علم أمير المؤمنين بمكانك ، وقد أحبّ أن
يجعلَ لك يوماً يشرفُك فيه ويبلغ بك ، قلت : فنى ؟ بأبى أنت وأمى ! قال :
يوم الخميس .

فعدتُ إليه يوم الخميس ، فإذا وجوهُ بنى العباس يدخلون على المهدى ، فلما
تَنَامَ المجلس دعانى فدخلتُ فسلمتُ فردّ السلام ، وقال : إنما حبسك عن الدخول
انقطاعك إلى يعقوب بن داود ، فافتتحت النشيد بما قلت فى يعقوب ، فأنشدته ،
ثم أنشدته :

طَرَقَتْكَ^(١) زَائِرَةٌ فَنَحَى خَيَالَهَا بِيضَاءُ تَخِلِظُ بِالْجَمَالِ دَلَالَهَا

(١) طرق القوم : أتاهم ليلاً .

قَادَتْ قُوَادَكَ فَاسْتَقَادَ وَمِثْلَهَا قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا^(١) فَأَمَّا لَهَا
فَأَنْصَتِ النَّاسَ حَتَّى بَلَغَتْ إِلَى قَوْلِي :

هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نُجُومَهَا بِأَكْفَكُمْ أَوْ تَسْتُرُونَ هَالَهَا !
أَوْ تَجْحَدُونَ مَقَالََةَ عَنْ رَبِّكُمْ جَبْرِيلُ بَلَّغَهَا النَّبَى فَقَالَهَا
شَهِدَتْ مِنَ الْأَنْفَالِ آخِرَ آيَةٍ بِتُرَايِهِمْ^(٢) فَأَرَدْتُمْ إِبْطَالَهَا
فَأَعْجَبَ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ! فَقُلْتُ : اشْهَدُوا ، هَذَا وَاللَّهِ الشَّرَفُ ،
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْزِنُنِي خَيْرًا ، ثُمَّ أُنْشَدْتُهُ :

* أَعَادَكَ مِنْ ذِكْرِ الْأَحِبَّةِ عَائِدُ *

حَتَّى صَرْتُ إِلَى قَوْلِي :

أَيَادِي بَنِي الْعَبَّاسِ بِيضٌ سَوَابِغُ عَلَى كُلِّ قَوْمٍ بَادِيَاتٌ عَوَائِدُ
فَهُمْ يَمْدِلُونَ السَّمَكُ مِنْ قُبَّةِ الْهَدَى كَمَا يَمْدِلُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ الْقَوَاعِدُ
سَوَاعِدُ عِزِّ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا يَنْوُو بِصَوَلَاتِ الْأَكْفِ السَّوَاعِدُ
يَزِينُ بَنِي سَاقِ الْحَجِيجِ^(٣) خَلِيقَةُ عَلَى وَجْهِهِ نُورٌ مِنَ الْحَقِّ شَاهِدُ
يَكُونُ غِرَارًا نَوْمُهُ مِنْ حِذَارِهِ عَلَى قُبَّةِ الْإِسْلَامِ وَالْخَلْقُ رَاقِدُ
كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُحَمَّدًا لَرَأَيْتُهُ بِالنَّاسِ لِلنَّاسِ وَالِدُ
عَلَى أَنَّهُ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ مِنْهُمْ سَمَّتهُ يَدُ الْمَوْتِ الْجَنُوفُ الرَّوَاصِدُ

(١) استقاد : اتقاد ، والصابا : الشوق (٢) التراث : ما يتركه الميت لورثته ، ويعني بآخر آية من سورة الأنفال قوله تعالى : « وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ » (٣) يشير إلى سقاية الحاج ، وهي ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء ، وكان يليها العباس ابن عبد المطلب ، جد الخلفاء العباسيين .

فأشار إلىّ ، فأمسكتُ . فقال : يا بني العباس ، هذا شاعركم المنقطعُ إليكم ،
المعادى فيكم ، فأعطوه مايسرُّه . فقلت : ينبغي إذ سمعوا كلام أمير المؤمنين ،
وعرفوا رأيه أن يصلوني من أموالهم ، فقال : أنا فارضٌ عليهم لك مالا ، ففرضَ
على موسى ابنه خمسة آلاف درهم ، وعلى هارون خمسة آلاف ، ثم فرض على
القوم على قدرِ حالاتهم ، حتى فرض عليهم سبعة وثلاثين ألف درهم ، والريبعُ
يكتبُ كلَّ ما فرض على كل رجل منهم .

فقال واحد من حضر : يا أمير المؤمنين ؛ إنما نحن من أهلك ، فأدخلنا فما
أدخلتهم فيه ؛ فجعل عليه ألفاً ، وعلى الريبع ألفين ؛ فتمت أربعين ألفاً .

فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ مَنْ لي بهذا المال ؟ قال : هذا - وأشار إلى الريبع .
ثم قال : إن أمير المؤمنين يعطيك من صلب ماله . فأمر لي بثلاثين ألف درهم
في ثلاثِ بَدَرٍ^(١) ، فجئني بهنّ ؛ فطرحن قريبا ، فدعوتُ وشكرتُ ، فقال : يا بن
أبي حفصة ؛ ستجئني صلاتي وبرّئي ، ويأتيك مني ما يؤدّيك إلى النفي .

قلت : يا أمير المؤمنين ؛ قد رأيتُ من قبُولك وبشرِك وسرورك بما سمعت مني
ما سآزداؤبه شعراً ، وستسمعُ ويبلغك ، وقلت : يا أمير المؤمنين ؛ لا يبلغ ما أعطيتني
لشاعري بعدى ، قال : أجل ! قلت : وآذني في زيارتك ؛ قال : نعم .

قلت : يا أمير المؤمنين ، لي عدوٌّ فيك ، وفي أهل بيتك ، فإن رأى أمير المؤمنين
الآيَجَمَلَ لأحدٍ على سلطانِ دونه ! قال : لا سلطان عليك دون أمير المؤمنين ،
فقلت : اكتبْ إليّ بذلك كتاباً ، فأمر بالكتاب بذلك ! فانصرفت .

فلما صرتُ خَلَفَ السُّتْرَ خرج إلى خادمٍ بمندبل فيه أربعة أثواب وشئ وثوب

(١) البصرة : كيس فيه عشرة آلاف .

خَزَّ^(١) وَجَبَّةً وَقَمِيصًا. فَقَالَ : أَلْبَسُوهُ وَأَعِيدُوهُ إِلَيَّ ؛ فَلَبِستُ الْخَزَّ وَالْوَشِيَّ عَلَى الثِّيَابِ الَّتِي كَانَتْ عَلَىَّ ، وَأَلْقَيْتُ الْقَمِيصَ عَلَى أَحَدِ مَنْكِحِيَّ وَالْجَبَّةَ عَلَى الْمَنْكِبِ الْآخَرِ . فَقَالَ لِي : يَا بْنَ أَبِي حَفْصَةَ ؛ أَتَدْخُلُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَكَذَا ، وَقَدْ مَثَّلْتَ بِنَفْسِكَ ! فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ كِرَامَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَحَدًا مَا خَلَعْتُ مِنْهَا شَيْئًا أَطِيقُ حَمْلَهُ .

ثُمَّ دَخَلْتُ فَلَمَّا رَأَى تَبَشُّمِي ، ثُمَّ قَالَ : مُطَرِّفُ^(٢) ، فَأَبْطَلُوا بِهِ ، فَقَالَ : الْمُطَرِّفُ - وَأَنَا قَائِمٌ - ، ثُمَّ قَالَ الثَّالِثَةُ : الْمُطَرِّفُ . فَلَمَّا أَبْطَلُوا انصرفت ، وَقَعَدْتُ خَلْفَ السِّتْرِ ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ رُفِعَ السِّتْرُ ، وَخَرَجَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى دَابَّةٍ فَقَمْتُ إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَى قَالَ : الْمُطَرِّفُ ، فَمَا بَرَحَ حَتَّى أَتَى بِهِ ؛ فَتَنَشَّرَ عَلَى بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَأَمَرَ لِي بِعَشْرَةِ مَنَ خَدَمِ الرُّومِ ، وَجَائِزَةِ سَنِيَّةٍ ، وَبِرِذْوَنٍ^(٣) بِسَرِّجِهِ وَجَلَامِهِ .

(١) الخَزَّ : الحرير (٢) المطرف : ثوب في طرفيه علان (٣) البرذون : الدابة .

١١٧ — فصاحة نصيب *

وجّه المهدي نصيباً^(١) الشاعر مولاه إلى اليمن في شراء إبل مَهْرِيَّة^(٢) ، ووجه معه رجلان من الشيعة ، وكتب معه إلى عامل اليمن بعشرين ألف دينار ، فذَّ يده في الدنانير ينفقها في الأكل والشرب ، وشراء الجوارى والتزويج ، فكتب الشيعة بخبره إلى المهدي ، فكتب في حمله موثقاً في الحديد ، فلما دخل على المهدي أنشده شعراً ، قال :

تَأْتُونِي ثِقَلٌ مِنْ الْمَمِّ مُوجِعٌ	فَارَّقَ عَيْنِي ؛ وَاتَّخِلِيُون هُجْعُ
مُوم تَوَالَتْ لَوْ أَطَافَ بِسِيرُهَا	بَسَلَتْ لَظَلَّتْ صُمُّهُ تَتَصَدَّعُ ^(٣)
وَعَادَتْ بِلَادُ اللَّهِ ظِلْمَاءَ حِنْدِسَا	فَخِلْتُ دُجَا ظِلْمَائِهَا لَا تَقْشَعُ
إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ أَجِدْ	سِوَاكَ مُجِيراً مِنْكَ يُدْنِي وَيَمْنَعُ
تَلَسَّتْ : هَلْ مِنْ شَافِعٍ لِي ؟ فَلَمْ أَجِدْ	سِوَى رَحْمَةٍ أَعْطَاكَهَا اللَّهُ تَشْفَعُ
لَنْ جَلَّتِ الْأَجْرَامُ ^(٤) مِنِّي وَأَقْطَعْتُ	لَمَفْوُكَ عَنْ جَرَى أَجَلٍ وَأَوْسَعُ
لَنْ لَمْ تَسْعِنِي يَا بَنَ عَمِّ عَمْدٍ	فَا عَجَزْتُ عَنْ وَسَائِلِ أَرْبَعُ
طُبِعَتْ عَلَيْهَا صِبْغَةٌ ثُمَّ لَمْ تَزَلْ	عَلَى صَالِحِ الْأَخْلَاقِ وَالِدِينَ تُطْبَعُ

* الأغانى : ٢٠ - ٢٦ (طبعة الساسى) .

- (١) هو عبد نشأ باليمامة ، واشترى للمهدي في حياة المنصور ، فلما سمع شعره قال : والله ما هو بدون نصيب مولى بنى مروان ، فأعتقه وزوجه ، وأقطعته ضيعة بالسوداء ، توفي سنة ١٧٥ هـ .
 (٢) مهرة بن حيدان : أبو حى في اليمن ، والإبل المهرية منسوبة إليه (٣) سلى هنا : جبل
 (٤) الأجرام : الذنوب .

تَغَابِيكَ عَنْ ذِي الذَّنْبِ تَرْجُو صِلَا حَهَ وَأَنْتَ تَرَى مَا كَانَ يَأْتِي وَبَصَنَعُ
وَعَفْوُكَ عَمَّنْ لَوْ تَكُونُ جَزِيَّتَهُ لَطَارَتْ بِهِ فِي الْجَوِّ نَكْبَاهُ زَعَزَعُ
وَأَنْتَ لَا تَنْفَكُ تَنْعَشُ عَائِراً وَلَمْ تَعْتَرِضْهُ حِينَ يَكْبُو وَيَجْمَعُ^(١)
وَحَدَّثَكَ عَنْ ذِي الْجَهْلِ مَنْ بَعْدَ مَا جَرَى بِهِ عَنَقُ^(٢) مِنْ طَائِشِ الْجَهْلِ أَشْنَعُ
وَأِنِّي لَوَلَاكَ الَّذِي إِنْ جَفَوْتَهُ أَنِّي مُسْتَكِينًا رَاهِبًا يَتَضَرَّعُ
وَأِنِّي لَمَوْلَاكَ الضَّعِيفِ فَأَعْنِي فَإِنِّي لَعَفْوٍ مِنْكَ أَهْلٌ وَمَوْضِعُ
ثُمَّ تَشْفَعُ لَهُ الْمَادِي وَأَعْتَقَهُ ، وَأَمْضَى الْمَهْدَى ذَلِكَ لَهُ ، وَأَمْرٌ بِحَدِيدِهِ فَقُلْتُ عَنْهُ ،
وَوَخَّلَ عَلَيْهِ عِدَّةً مِنْ الْخَلِيعِ ، وَوَصَلَهُ بِالْأُتَى دِينَارٌ ، وَأَمْرٌ لَهُ بِجَارِيَةٍ يُقَالُ لَهَا جَعْفَرَةٌ ،
جَمِيلَةٌ فَائِقَةٌ ، فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ قِيمَ الرَّقِيقِ : لَا أَدْفَعُهَا إِلَيْكَ أَوْ تَعْطِينِي أَلْفَ دَرَاهِمَ ، فَمَادَ
إِلَى الْمَهْدَى وَأَنْشَدَهُ :

مَازَلْتُ تَبْذُلُ لِي الْأَمْوَالَ مَجْتَهِدًا حَتَّى لَا أَصْبَحْتُ ذَا أَهْلٍ وَذَا مَالٍ
زَوَّجْتَنِي بِأَيِّنْ خَيْرِ النَّاسِ جَارِيَةٍ مَا كَانَ أَمْثَالُهَا يُهْدَى لِأَمْثَالِي
زَوَّجْتَنِي بَضَّةً بَيِضَاءَ نَاعِمَةٍ كَأَنَّهَا دُرَّةٌ فِي كَفِّ لَالٍ^(٣)
حَتَّى تَوَهَّمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَجَّلَهَا يَا بَنَ الْخِلَافِ - لِي مِنْ خَيْرِ أَعْمَالِي
فَسَأَلَنِي^(٤) سَالِمٌ أَلْفًا فَقُلْتُ لَهُ : أَنَّى لِي الْأَلْفُ ؛ يَا قُبْحَتَ مَنْ سَأَلَ !
هِيَ بَاتِ أَلْفُكَ إِلَّا أَنَّ أَجْبَى بِهَا مِنْ فَضْلِ مَوْلَى لَطِيفِ الْمَنِّ مِفْضَالٍ
فَأَمْرٌ لَهُ الْمَهْدَى بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَلِسَالِمٍ بِأَلْفِ دَرَاهِمَ .

(١) التَّحْمُ : الظَّالِمُ (٢) العَنَقُ فِي الْأَصْلِ : نَوْعٌ مِنَ السَّجَرِ (٣) اللَّالُكُ : بِالْمِ الْوَلُولُ .
(٤) سَأَلَنِي : سَأَلَنِي .

١١٨ — أئته الخلافة منقاداً*

جلس المهدي للشعراء يوماً فأذن لهم ، وفيهم بشار^(١) وأشجع^(٢) ؛ وكان أشجعُ
ياخذُ عن بشارٍ ويُعظِّمه ، وكان في القوم غيرَ هذين أبو العتاهية^(٣) ، قال أشجعُ :
فلما سمع بشارٌ كلامَ أبي العتاهية قال : يا أخا سليم ! أهذا ذلك الكوفي الملقب ؟
قلت : نعم ! قال : لا جزي الله خيراً مَنْ جَمَعَنَا معه . ثم قال له المهدي : أنشد ،
فقال : ويحك ! أَوْ يُسْتَنْشَدُ أيضاً قَبْلَنَا ! فقلتُ : قد ترى ، فأنشد :

أَلَا مَا لِسَيِّدِي مَالَهَا أَدْلًا فَاحِشًا إِذْ لَالَهَا
وَالْإِقِيمِ تَجَنَّبْتُ وَمَا جَنَيْتُ سَقَى اللَّهِ أَطْلَالَهَا
أَلَا إِنِّ جَارِيَةً لِلْإِمَامِ مَ قَدْ أَسْكَنَ الْحَسَنُ سِرْبَهَا
مَشَتْ بَيْنَ حُورٍ قِصَارِ الْخَطَا تُجَادِبُ فِي الْمَشَى أَكْفَالَهَا
وَقَدْ أَنْقَبَ اللَّهُ نَفْسِي بِهَا وَأَنْقَبَ بِاللَّوْمِ عَذَّالَهَا

قال أشجعُ : فقال لي بشارُ : ويحك يا أخا سليم ! ما أذرى مِنْ أَى أَمْرَيْنِ
أَعْجَبُ : أَمِنْ ضَعْفِ شِعْرِهِ ، أَمْ مِنْ تَشْبِيهِهِ بِجَارِيَةِ الْخَلِيفَةِ ، وَهُوَ يَسْمَعُ ذَلِكَ بِأُذُنِهِ !
حتى أتى على قوله :

* الأغاني : ٤ - ٣٣ (طبعة دار الكتب) .

(١) هو فارسي الأصل ، أخذ أبوه في سبي للمهلب بن أبي صفرة ، ثم ولد بشاراً ، وأعقب .
ولد أعمى قبيح المنظر ، وتبع في الشعر ، فكان رئيس شعراء العصر العباسي غير مدافع ، وتوفي
سنة ١٦٧ هـ (٢) أبو العتاهية : اسمه إسماعيل بن القاسم ، نشأ بالكوفة ، وعالج الشعر صبيّاً
خليطاً ، ثم ألت بمذاهب النكلمين والفلاسفة ، وظهر ذلك في شعره . مات سنة ٢١١ هـ .

أنته الخلافة منقادة إليه تجرُّرُ أذيالها
فلم تك تصلحُ إلا له ولم يك يصلحُ إلا لها
ولوراثتها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها
ولم تُطعمه بنات^(١) القلوب لها قيل الله أعمالها
وإن الخليفة من بئس ولا إليه كينفص من قالها

قال أشجع : فقال لي بشار ، وقد اهتز طرباً : ويمك يا أخا سليم ! أترى
الخليفة لم يطير عن فراشه طرباً لما يأتي به هذا الكوفي .

١١٩ — صريع الغواني *

خرج مُسْلِمٌ^(١) بن الوليد ذات يوم ، فلقى يزيد بن منصور الحميريّ بباب الرشيد ، فسلم فردّ عليه السلام ، ورَحَّبَ به ، وسأله عن شأنه فخبّره ، وسأله أن يقربّه من الخليفة ، وأن يحتال حتى يُعَدَّ في مُكَارَحيه ، ومن يجرى عليه أرزاقه ! فقال له الحميريّ : سأأتى لوصولك إلى أمير المؤمنين .

فدخل الحميريّ ، فأصاب أمير المؤمنين لِقْسَ^(٢) النفس ، قد اشتمل عليه الفكرُ في سرعة تقصّي أمور الدنيا ، وأنه لا يُتَشَبَّثُ منها بشيء إلا كان كالظُلّ الزائل ، والسراب الخادع ! فقال له جعفر بن يحيى : يا أمير المؤمنين ؛ أفتظنّ أن هذا الفكر يحبسُ عليك الأيام ، ويمنعك مما لا يستمتع به ؛ إنما هذا الذي أنت فيه عارض عرض لك ، وقد كان ملك من الملوك حكيمًا يقول : ألمٌ مفسدة للنفس ، ومضلة للفهم ، ومشدّة للقلب ، ومن أعظم الخطأ التشاغلُ بما لا يمكن دفعه .

وقال له سليمان بن أبي جعفر : يا أمير المؤمنين ؛ قد قال لقمان الحكيم : من يملك يستأثر ، ومن لا يستشيرُ يندم ، والممّ نصف الهرم ، والفقر الموت الأكبر .

* المحاسن والمساوي : ٢٥٣ (طبع ليزج) .

(١) مسلم بن الوليد : من أبناء الأنصار ، كان مداحاً حسنًا ، لطيف المعنى رقيق القول ، مدح يزيد ابن مزيد والبرامكة والرشيد ، وولاه المأمون بريد جرجان ، ولم يزل بها إلى أن مات سنة ٢٠٨ هـ .

(٢) يقال : لقست نفسه من الشيء : انصرفت .

فكان الرشيد نشيط ، واندفع عنه ما اعتراه من ذلك الفكر ، فتقدم إليه الحميري ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ خلقتُ بالباب آنفاً رجلاً من أخوالك الأنصار ، متقدماً في شعره وأدبه وظرفه ؛ أنشدني قصيدة يذكر فيها أنسه ولهوه ولعبه ومحدثه إخوانه ، ويذكر مجالس اتصلت له بأبلغ قولٍ وأحسن وصفٍ وأقرب رصفٍ ، يبعثُ والله على الصبابة والفرح ، ويباعد عن الهم والتّرح ، وكأنه قد وفق - يمين أمير المؤمنين ، وسعادة جدّه - لأن يكون مُبرّئاً من هذه الشكوى ، زائداً في سرور أمير المؤمنين ، مستدعيّاً له صلة رَحِمه ، والتشرُّف بمخدمته .

فاستقرّ السرور والقلق إلى دخوله ، واستماع قصيدته ، وجعل يتابع الرسل بعضهم في أثر بعض ، حتى دخل ، وكان حلو الشائل ، فوصل إليه في وقتٍ قد كان خرج فيه من رسم الشباب وشرّته ، ولم يكن في عداد من اضطرب سنّاً ، وكان - ناهيك من رجل ! معه فهمٌ وتجربة وتمييز ومعرفة ، فأنهل حتى سكن ، ثم أذن له في الجلوس ، فأنبرى مسلم ينشد قصيدته التي يقول فيها :

أدير أعلَى الكأس لا تشرباً قبلي ولا تطلباً من عند قاتلي دَحلي^(١)
فما جزعى أُنّى أموتُ صباةً ولكن على من لا يحِلُّ لها قتلي
أحبُّ التي صدّتْ وقالت لِترهبها : دَعيه ؛ الثريّا منه أقربُ من وصلي
بلى ربّما وكَلْتُ عيني بنظرةٍ إليها تزيدُ القلبَ خَبلاً على خَبلي
كتمتُ تباريحَ الصباةِ عاذلي فلم يدرِ ما بي ، واسترحتُ من العذلي

إلى أن قال :

إذا ما عَلَتْ مِنَّا ذُؤَابَةٌ وَاحِدٍ تَمَشَّتْ بِهِ مَشْيَ الْمُقَيَّدِ فِي الْوَحْلِ
فلا نَحْنُ مِتْنَا مَوْتَهُ الدَّهْرِ بَفْتَةٍ وَلَا هِيَ عَادَتْ بَعْدَ عِلٍّ وَلَا نَهْلٍ
سَأَقَادُ لِلذَّاتِ مُتَبِعَ الْهَوَى لِأَمْضَى هَمًّا أَوْ أُصِيبَ فَتَى مِثْلِي
هَلِ الْعِيشُ إِلَّا أَنْ تَرْوَحَ مَعَ الصَّبَا وَتَقْدُوصَ رِيحِ الْكَأْسِ وَالْأَعْيُنِ النَّجْلِ!

فجعل الرشيد يتناول لها ، ويستحسن ما حكاه من وصف شرابٍ ولهو
وَعَزَلَ وسهولة ألقاظ ؛ فأمر له بئال ، وأمر أن يتخذ له مجلس يتحول إليه ، وجعل
الرشيد وأحبابه يتناشدون قصيدته ، فسماه يومئذ - بآخر بيت من شعره : صريع
الفوائى !

١٢٠ — الرشيد وابن مناذر *

قال ابن مناذر ^(١) : حج الرشيد بعد إيقاعه بالبرامكة ، وحج معه الفضل بن الربيع ، فبيأت فيه قولاً أجذت تفيقه ، وتنوقت ^(٢) فيه ، فدخلت إليه في يوم التروية ^(٣) ، وإذا هو يسأل عني ويطلبني ؛ فبدرنى الفضل بن الربيع قبل أن أتكلم فقال : يا أمير المؤمنين ؛ هذا شاعر البرامكة ومادحهم — وكان البشر ظهر لي في وجهه لما دخلت — فتفكر وعبس في وجهي ، فقال الفضل : مره يا أمير المؤمنين أن ينشدك قوله فيهم :

* أنا بنو الأملاك من آل برمك *

فقال : أنشدني ، فأبيت ، فتوعدني وأكرهني فأنشدته :

أنا بنو الأملاك ^(٤) من آل برمك	فيا طيب أخبار ويا حسن منظر !
إذا وردوا بطحاء مكة أشرقت	يبحي وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتظلم بغداد ويجلولنا الدجى	بمكة — ما حجوا — ثلاثة أقمري
فاصلحت إلا لجلود أكفهم	وأرجلهم إلا لأعواد منبر
إذا راض يحيى الأمر ذلت ^(٥) صعابه	وحسبك من راع له ومدبر

* الأغاني : ١٧ — ٢٥ (طبعة السامى)

(١) هو محمد بن مناذر ، شاعر فصيح مقدم في العلم بالافة ، كان في أول أمره ناسكاً متألهاً ، ثم عدل عن ذلك فهجا الناس ، وتهتك وخلع وقذف أعراض أهل البصرة ، ومدح المهدي ، ومات في أيام المأمون (٢) تنوقت فيه : بالفت في تحويده (٣) التروية : يوم قبل يوم عرفة ، وهو الثامن من ذى الحجة (٤) الأملاك : الملوك (٥) سهلت .

ترى الناس إجلالا له وكأنهم غرائيق^(١) ماء تحت بازٍ مصرصر^(٢)
ثم أتبعْتُ ذلك بأن قلت : كانوا أولياءك يا أمير المؤمنين أيام مدحتهم ، وكانوا
في طاعتك ، لم يلحقهم سَخَطُكَ ، ولم تحُلْ بهم نِقْمَتُكَ ، ولم أكن في ذلك مبتدِعًا ،
ولا خلا أحدٌ من نظرائي من مدحهم ، وكانوا قوماً قد أظَلَّتْني فضلهم ، وأغناي
رِفْدُهم ، فأثْنيت بما أولَوْا .

فقال : يا غلام ؛ العظم وَجْههُ ، فَلَطِمْتُ والله حتى سَدِرْتُ^(٣) وأظلم ما كان بيني
وبين أهل المجلس . ثم قال : اسحبوه على وجهه ، والله لأحرمنك ، ولا تركتُ
أحدًا يعطيك شيئًا في هذا العام ! فسُحِبْتُ حتى أُخرجت .

وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالًا في نفسى وحالى ، وما جرى على ؛ لا والله
ما عندى ما يَكْنِي عِيَالِي لعيدهم ، فإذا بشاب قد وقف على ؛ ثم قال : أعزِّزْ علىَّ والله
يا كبيرنا بما جرى عليك ، ودفع إلى صُرَّةٍ ، وقال : تَبْلُغْ بما في هذه ! فظننتها
دراهم ، فإذا هي ثلثمائة دينار ؛ فقلت : من أنت ؟ جعلني الله فداك ! قال : أنا أخوك
أبو نواس ، فاستعنْ بهذه الدنانير واعذِرْني ، فقبلتها وقلت : وَصَلَك اللهُ يا أخى ،
وأحسن جزاءك !

(١) الغرائيق : جمع غرنوق ؛ وهو طائر أبيض من سيور الماء (٢) المصرصر : من يرجع
الصوت (٣) سدر بصره : أظلم ولم يبصر .

١٢١ — ربيعة الرقي يمدح فلا يثاب *

امتدح ربيعة الرقي^(١) العباس بن محمد بن علي ؛ بقصيدة لم يُسبق إليها ،
يقول فيها :

لو قيل للعباس : يابن محمد ؛ قل : « لا » وأنت مُخلدٌ ما قلما
ما إن أعد من الكارم خصلةً إلا وجدتكَ عَمَّها أو خالها
وإذا الملوكُ تسيرت في بلدةٍ كانوا كواكبها وكنْتَ هلالها
إن الكارم لم تزل مَعقولةً^(٢) حتى حَلَّتْ براحتيك عِفالها

فبعث إليه العباس بدينارين ، وكان يقدّر فيه ألفين ، فلما نظر إلى الدينارين
كاد أن يُجنَّ غضباً ، وقال للرسول : خذ الدينارين فهما لك على أن تردّ إلى الرقة
من حيث لا يدري العباس ، ففعل الرسول ذلك ، فأخذها ربيعة وأسر من كتب
في ظهرها .

مدحتك مدحة السيف المحلّي لتجرى في الكرام كما جريتُ
فهنأ مدحة ذهبت ضياعاً كذبتُ عليك فيها واقتريتُ

* الأغاني : ١٥ - ٣٨ (طبعة الساسي) ، نهاية الأرب : ٣ - ٢١٥ ، معجم الأدباء : ١١ - ١٣٤
(١) اسمه ربيعة بن ثابت ، وكان ينزل الرقة ، وبها مولده ومنشؤه . وكان من الشعراء الكثيرين
المجيدين ، ولكن خل ذكره عن طبقته لبعده عن العراق وتركه خدمة الخلفاء ومخالطة الشعراء ،
ومع ذلك فما عدم مفضلاً مقدماً له . ومات سنة ١٩٨ هـ (٢) عقل البعير : شد وظيفه إلى
فراعه ، وهو استعارة من هذا .

ثم دفعها إلى الرسول ، وقال : ضَعُها في الموضع الذي أخذتها منه ، ففعل .
فلما كان من الغد أخذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الآيات ، غَضِبَ ، وقام
من قَوْرِهِ ، فركب إلى الرشيد - وكان أثيراً^(١) عنده يبجله ويقدمه ، وكان قد همَّ
أن يخطبَ إليه ابنته - فرأى الرشيد الكراهةَ في وجهه ، فقال : ماشأنك ؟ قال :
هجانى ربيعةُ الرقي .

فأحضره الرشيد ، وقال له : أتَهجو عي وآثرَ خلقِ الله عندي ! لقد هممتُ أن
أضربَ عنقك ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ والله لقد امتدحتَه بقصيدةٍ ماقال أحدٌ مثلاً
من الشعراء في أحدٍ من الخلفاء ، ولقد بالغتُ في الثناء ، وأكثرتُ من الوصف ؛
فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمرَ بإحضارها فعل .

فلما سمع الرشيد ذلك سَكَنَ غضبه ، وأحبَّ أن ينظر في القصيدة ، فأمر العباس
بإحضارها ، فتلکأ عليه ، فقال له الرشيد : سألتُك بحق أمير المؤمنين إلا أمرتَ
بإحضارها . فأحضرت ، فإذا فيها القصيدةُ بعينها ؛ فاستحسنها واستجادها ، وأعجب
بها ، وقال : والله ما قال أحدٌ من الشعراء في أحدٍ من الخلفاء مثلاً ، ولقد صدق
ربيعةُ فبر .

ثم قال للعباس : كم أثبتتُ عليها ؟ فسكتَ العباس ، وتغيَّر لونه ، وغَضِبَ بريقه ،
فقال ربيعةُ : أثناني عليها بدینارين يا أمير المؤمنين ! فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من
اللوَجْدَةِ^(٢) عليه ، فقال : بحياتي يارقي كم أثنابك ؟ فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين
ما أثناني إلا بدینارين .

فغضب الرشيد غضباً شديداً ، ونظر في وَجْه العباس ، وقال : سوءة لك ! آية

حال قدمت بك عن إثماته ؟ أقله مال ؟ فوالله لقد مؤثنتك جهدي^(١) ، أم انقطاع
المادة عنك ؟ فوالله ما انقطعت ، أم أصلك ؟ فهو الأصل الذي لا يُدانيه شيء ، أم
نفسك ؟ لا ذنب لي ! بل نفسك والله فعلت بك ذلك حتى فضحت أجدادك
وفضحتني وفضحت نفسك ، فنكس العباس رأسه ، ولم ينطق .

فقال الرشيد : يا غلام ؛ أعطِ ريعة ثلاثين ألف درهم وخِلعةً ، واحمله
على بغلة .

ثم قال له : بحياتي لا تذكره في شيء من شعرك تعريضاً ولا نصريحاً ، وقتَر
الرشيد عما كان قدم به من أن يتزوج إليه ، وأظهر له بعد ذلك جفاء واطراحاً .

(١) موله : أعطاه مالا كثيراً ، والجهد : الطاقة .

١٢٢ — شاعر بين يَدَيِ الرشيد *

قال أحمد بن سعيد الباهلي : كنتُ عند الرشيد ، فدخل عليه أشجع ^(١) السلي
وَمَنْصُور التَّمْرِي ^(٢) ، فَأَنشده أشجع :

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ	أَلَقْتُ عَلَيْهِ جَمَالَهَا أَيَّامٌ
قَصْرٌ سَقُوفُ الْمَزْنِ دُونَ سَقُوفِهِ	فِيهِ لِأَعْلَامِ الْهَدْيِ أَعْلَامٌ
فِيهِ اجْتَلَى الدُّنْيَا الْخَلِيفَةُ وَالتَّقَاتُ	لِلْمَلِكِ فِيهِ سَلَامَةٌ وَسَلَامٌ
نَشَرَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضُ كُسُوتَهَا الَّتِي	نَسَجَ الرَّبِيعُ وَزَخَرَفَ الْإِرْهَامُ ^(٣)
أَذْنَتِكَ مِنْ ظِلِّ النَّبِيِّ وَصِيَّةٌ	وَقَرَابَةٌ وَشَجَتْ ^(٤) بِهَا الْأَرْحَامُ
بَرَقَتْ سَمَاوُكَ فِي الْعَدُوِّ وَأَمْطَرَتْ	هَامًا لَهَا ظِلُّ السُّيُوفِ غَمَامٌ
وَإِذَا سِيُوفُكَ صَافَحَتْ هَامَ الْعَدَا	طَارَتْ لَهْنٌ عَنِ الرُّيُوسِ الْهَامُ
تَنَثَّى عَلَى أَيَّامِكَ الْأَيَّامُ	وَالشَّاهِدَاتُ : الْخُلُوفُ وَالْإِحْرَامُ

ولما بلغ قوله :

وعلى عدوك يا بن عم محمدٍ رَصَدَانِ ضَوْؤُهُ الصُّبْحُ وَالْإِظْلَامُ

* أمالي المرتضى : ٤ - ١٧٨ ، الأغاني : ١٢ - ١٩ ، ١٧ - ٣٢ (طبعة الساسي) .

(١) هو أشجع بن عمرو السلي ، نشأ بالبصرة وقال الشعر وأجاده ، وعد من الفحول ، ثم اتصل بالبرامكة ، واختص بـيحيى فأنجب به وأوصله إلى الرشيد (٢) منصور التمرى : نشأ في الجزيرة بين التهرين ، أخذ عن كلثوم العتابي ، ثم قصد إلى البرامكة ، ومدحهم ، ثم قال الشعر السياسي ووصل به إلى الرشيد (٣) الرهمة : الطر الضيف الدائم ، والجمع رهم (كغلب) ، وأرهمت السماء : أتت بالرم (٤) وشجت : علفت .

فإذا تنبّه رُغْتَه وإذا غَفَا سَلَتْ عليه سيوفك الأحلامُ
 فاستحسن ذلك الرشيد ؛ وأوماتُ إلى أشجع أن يَقْطَعَ الشعر ؛ إذ علمتُ أنه
 لا يأتي بمثلها فلم يفعل . ولما أنشده ما بعدها فتر الرشيد وضرب بِمُخَصَّرَةٍ (١)
 كانت بيده الأرض ، واستنشد منصوراً النمرى ، فمرّ والله في قصيدة قلما تقولُ
 العربُ مثلاً ، ومطلّعها :

ما تنقضى حَسْرَةٌ منى ولا جَزَعُ إذا ذكرتُ شباباً ليس يُرْتَجَعُ
 بَانَ الشبابُ وفاتننى بلذته صروفُ دهرٍ وأيام لها خُدَعُ
 ولما بلغ إلى قوله :

ما كنتُ أوفى شبابي كُفَّةً غرّته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع
 قال الرشيد : أحسن والله ! لا يتهنى أحدٌ يعيش حتى يخطر في رداء الشباب .
 ولما بلغ إلى قوله :

أى امرئى بات من هارون في سخط فليس بالصلوات الخمس ينتفع
 إن المكارم والمعروف أوديةٌ أحلكَ الله منها حيث تُنْتَجَعُ
 إذا رفعتَ امرأً فالله رافِعُهُ وَمَنْ وَضَعَتْ مِنَ الْأَقْوَامِ مَتَّعُ
 نفسى فداؤك والأبطالُ معلّمةٌ يوم الوغى والمنايا بينهم قُرُعُ

رمى الرشيد بالخِوان بين يديه ، وصاح وقال : هذا والله أطيبُ من كل طعام ؛
 وأعطاه سبعة آلاف دينار .

(١) المخمصة : ما يتوكأ عليه : كالمصا ونحوها ، وما يأخذه الملك بشير به إذا خاطب والمخطب
 إذا خطب .

قال أحمد بن سعيد : فلما خرجنا قلت لأشجع : غزيتك أن تقطع فلم تفعل ،
ويلك ! ولم تأت بشيء ، فهلا مت بعد البيتين أو خربت ، فكنت تكون
أشعر الناس !

١٢٣ — يبابك أنزلت حاجتي *

قصه أعرابي مالك بن طوق التغلبي^(١) صاحب الرحبة^(٢) ، وكان رث الهيئة ،
زرى الحال ، فمنع من الدخول عليه مدة ، إلى أن خرج مالك ذات يوم يريد الزهة
حول مدينته ؛ فاعترض له الأعرابي ، فردّه رجاله ازدراء به ، فلم يثن ؛ بل اقترب
منه حتى أخذ بعنان فرسه ، ثم قال : أيها الأمير ؛ أنا عائد بك^(٣) من شر حرّسك !
فَنَنْهَمُ^(٤) عنه ، وقال له : ما حاجتك ؟ قال : أن تُصْنِيَّ إلى كلامي بسمعك ،
وتنظر إلى بطرفك ، وتُقِيلَ على بوجهك ، ثم أنشد :

يبابك دون الناس أنزلت حاجتي	وأقبلتُ أَسْتَعِي نَحْوَهُ وَأَطُوفُ
وَيَمْنَعُنِي الْحِجَابُ وَاللَّيْلُ مُسِيلُ	وَأَنْتَ بَعِيدٌ وَالرِّجَالُ صَفُوفُ
يَطُوفُونَ حَوْلِي عَابِسِينَ كَأَنَّهُمْ	ذُنَابُ جِيَاعٍ يَنْهَنُ خُرُوفُ
فَكَيْفَ وَقَدْ أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ مَقْبِلًا	تَرُدُّ أَمْرًا وَافَاكَ وَهُوَ لَهِيْفُ
وَمَالِي فِي الدُّنْيَا سَوَاكَ وَمَالِي	تَرَكْتُ وَرَائِي مَرَبَعٌ ^(٥) وَمُصَيِّفُ

* غرر الحاصلات : ١٦٨

(١) مالك بن طوق : أحد تدماء الرشيد ، أقطعه أرضاً بناها ونسبت إليه ثم خرج على الرشيد
فأخذ إليه الجيوش حتى ظفروا به ، وحبس ، ثم عفا عنه (٢) مدينة جميلة بين بغداد والرقّة ،
بناها مالك على القرات ، وساعده الرشيد على بنائها بالأموال والرجال (٣) عاذ به : لجأ إليه
(٤) ننهمهم : زجرهم وكفهم (٥) المربع : منزل القوم في الربيع خاصة .

فَجَنَّتْكَ أَبْنَى الْخَيْرِ مِنْكَ فِرَاعْنَى يَبَابِكَ مِنْ ضَرْبِ الْعَبِيدِ صُنُوفُ
فَلَا تَجْعَلَنِي لِي نَحْوَ يَابِكَ عُدَّةً قَلْبِي مِنْ صُنْعِ الْقِسَاءِ خَوْفُ
فَضَحَكَ مَالِكٌ ، ثُمَّ قَالَ لِحِرَاسِهِ : مَنْ يَعْطِيهِ دَرَاهِمًا بِدَرَاهِمِينَ ؟ فَمَا أَتَمَّ كَلِمَتَهُ حَتَّى
نُثِرَتِ الدَّرَاهِمُ عَلَى الْأَعْرَابِيِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى تَحَيَّرَ ، وَاخْتَلَطَ لَدَيْهِ الْحَابِلُ بِالْغَابِلِ ؛
لِكَثْرَةِ مَا أُعْطِيَ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ التَّفَتَّ إِلَى مَالِكٍ ، وَقَالَ لَهُ : هَلْ بَقِيَتْ لَكَ حَاجَةٌ يَا أَخَا الْعَرَبِ ؟
قَالَ : أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا . فَقَالَ : وَإِلَى مَنْ ؟ قَالَ . إِلَى اللَّهِ أَنْ يَبْقِيَكَ لِلْعَرَبِ ؛ فَإِنَّهُمْ
لَنْ يَزَالُوا يَخِيرُ مَا بَقِيَْتَ لَهُمْ !

١٢٤ — النكث في البيع خير من خيانة الشريك *

جلس مالك بن طوق في قصره ، في شُبَّاكٍ مطل على رَحْبَتِهِ ، ومعه جاساؤه ؛
فأقبل أعرابي تَخْبُ^(١) به ناقته . فقال : إِيَّايَ أَرَادَ ، ونَحْوِي قَصْدَ ، ولعل منه أدبا
يُنْتَفَعُ بِهِ . ثم أَمَرَ بِإِذْخَالِهِ .

فلما مَثَلَ بين يديه قال : ما أَقْدَمَكَ يَا أعرابي ؟ قال : سَبَبُ^(٢) الأَمِيرِ ، ورجاء
نائله ؛ قال : هل قَدِمْتَ أَمَامَ رَغْبَتِكَ وَسِيلَةً ؟ قال : نعم ! أربعة آيات قُلْتُهَا بظَهْرِ
البرية ، فلما رَأَيْتُ ما يَبِيبُ الأَمِيرُ مِنَ الْهَيْبَةِ وَالْجَلَالِ اسْتَحْقَرْتُهَا وَاسْتَصَفَرْتُهَا .
قال : فهل لك أَنْ تُنْشِدَنا آيَاتَكَ عَلَى أَنْ نَجْيزَكَ عَلَيْهَا أَلْفَ دَرْهَمٍ ؛ فَإِنْ كُنْتَ مِنْ
أَحْسَنِ رَجَحْنَا ، وَإِلَّا قَدْ نِلْتَ مُرَادَكَ ، وَرَبِحْتَ ! قال : رَضِيتُ ، وَأَنْشَدَهُ :

وما زلتُ أَخْشَى الدَّهْرَ حَتَّى تَلَمَّعَتْ يَدَايَ بَيْنَ لَا يَتَّقِي الدَّهْرَ صَاحِبُهُ
فلما رَأَيْتُ الدَّهْرَ تَحْتَ جَنَاحِهِ رَأَيْتُ مَرْتَقِي صَعْبًا مَنِيْعًا مَطَالِبُهُ
رَأَيْتُ بِحِمِثِ النِّجْمِ فِي رَأْسِ بَاذِخٍ^(٣) تَظِلُّ الْوَرَى أَكْنَافُهُ وَجِوَانِبُهُ
فَتَى كَسَمَاءِ الْفَيْثِ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ إِذَا قُحِطُوا^(٤) جَادَتْ عَلَيْهِمْ سَعَائِبُهُ

فقال : وَاللَّهِ ظَفَرْنَا يَا أعرابي ، وَرُزِقْنَا الْفَلَجَ^(٥) عَلَيْكَ ، وَاللَّهِ مَا قِيمَتُهَا إِلَّا
عَشْرَةُ آلَافِ دَرْهَمٍ . قال : فَإِنْ لِي صَاحِبًا شَارَكْتُهُ فِيهَا ، وَمَا أَرَاهُ يَرْضَى بَيْنِي . قال :

* ذيل زهر الآداب : ٢٨٢ .

(١) الحبب : نوع من السير (٢) السبب : العطاء والمعروف (٣) باذخ : عال (٤) قحطوا :
أصابهم القحط ، وهو الجذب (٥) الفلاج : الفوز والظفر .

أترك حدثتك نفسك بالنكث^(١)؟ قال : نعم ! وجدت النكث في البيع خيراً
من خيانة الشريك ، فأمر له بمشرة آلاف دينار .

١٢٥ — باتت تميرني الإقتار والعدما *

قال الأضمرى : لقيت أعرابياً بالبادية فاسترشدته إلى مكان ، فأرشدني
وأُشدني :

ليس العمى طول السؤال وإتما تمام العمى طول السكوت على الجمل
فكن سائلاً عما عناك فإتما خلقت أخوا عقل لتسال بالعقل
ثم رجعت إلى البصرة فكشت بها حيناً ؛ ثم قدمت البادية ، فإذا بالأعرابي
جالس بين ظهري قوم ، وهو يقضى بينهم ، فارأيت قضية أخطأت قضية الصالحين
من أقضيته ، ثم جلست إليه وقلت : يرحمك الله ، أما من رشوة ! أما من هدية !
أما من صلة ! فقال : إذا جاء هذا ذهب التوفيق . فشكوت إليه ما ألقى من
عذل حليّة لي إياي في طلب المعيشة ، فقال : لست فيها بأوحد ، وإني لشريكك ،
ولقد قلت في ذلك شعراً ، قلت : أنشدني ، فأنشدني :

باتت تميرني الإقتار والعدما لما رأت لأخيها المال واتخذما
عنف رأيك ما الأرزاق من جلد ولا من العجز بل مقسومة قسماً
يأتمه الله إني لم أدع طلباً للرزق قد تعلين - الشرق والشأماً

لو كان من جلد ذالمال أو أدب
أرضي من العيش ما لم تحوجي معه
واستعمرى الصبر على الله خالقنا
لا تحوجيني إلى مالو بذلت له
بالله سرك أب الله خولتي
ماسرني أنني خولت ذاك ولا
وأنتي لم أفد عقلاً ولا أدباً
ففسرة المرء أخرى في معاشك من
قال : فوالله ما أنشدتها زوجي حتى حلفت ألا تعذلي أبداً .

لكنت أكثر من تمل القرى نعا
أن تفتحي لسؤال الأغنياء فعا
يوماً سيكشف عنا الضر والعدا
نفسى لأغفبك التهام والندا
ما كان خو له الأعراب والعجا
ألا أقول لباغى حاجة نعا
ولا إرث والدى تجداً ولا كرمأ
أمر يجر عليك المم والألما

١٢٦ — سَكَنْتُ عَنِ وَاللّٰهِ الْحَمَى *

قال الأصمعي : نزلت ليلةً في وادي بني العنبر؛ وهو إذ ذاك غانٍ ^(١) بأهله ،
فإذا فتية يريدون البصرة ، فأحببت مُحَبَّتَهُمْ ، وأقمتُ ليلتي تلك ، وإني لَوَصِيبٌ ^(٢)
محمومٌ ، أخافُ ألاَّ أَسْتَمْسِكَ على راحِلتي ، فلما أقاموا ليرحلوا أيقظوني ، فلما رأوا
حالي حملوني ، وركبَ أحدهم ورائي يُمَسِّكُنِي ، فلما أمعنوا السير تَنَادَوْا : ألا فتي
يَحْدُونَا أو يَنْشُدُنَا ؟ فإذا منشدٌ في سواد اللَّيْلِ يُنْشِدُ بِصَوْتٍ نَدِي حزين :

لَعَمْرِكَ إِنِّي يَوْمَ بَانُوا فَلَمْ أُمْتَ	خُفَاتًا ^(٣) عَلَى آثَارِهِمْ لَصَبُورٌ
غَدَاةَ الْمُنْقَى ^(٤) إِذْ رَمِيتُ بِنَظَرَةٍ	وَنَحْنُ عَلَى مَتْنِ الطَّرِيقِ نَسِيرُ
فَقَلْتُ لِقَلْبِي حِينَ خَفَ بِهِ الْهَوَى	وَكَادَ مِنَ الْوَجْدِ الْمُبْرِّ ^(٥) يَطِيرُ :
فَهَذَا وَلَمَّا تَمَضَ لِلْبَيْنِ لَيْلَةٌ	فَكَيْفَ إِذَا مَرَّتْ عَلَيْكَ شُهُورُ !
وَأَصْبَحَ أَعْلَامُ الْأَحْبَةِ دُونَهَا	مِنَ الْأَرْضِ غَوْلٌ ^(٦) نَازِحٌ وَمَسِيرُ
وَأَصْبَحَتْ نَجْدَى الْهَوَى مَتْنَهُمُ الثَّوَى	أَزِيدُ اشْتِيَاقًا أَنْ يَحِينَ بَعِيرُ
عَسَى اللَّهُ بَعْدَ النَّأْيِ أَنْ يُسَمِّفَ الثَّوَى	وَيُجْمَعَ شَمْلٌ بَعْدَهَا وَسُرُورُ

قال : فسكنتُ وَاللّٰهِ عَنِ الْحَمَى مَا أَحْسَنَ بِهَا ؛ وقلتُ لرفيقي : انزل يرحمك الله
إلى راحِلَتِكَ فَإِنِّي مُتَمَّسِكٌ ، وجزاك الله عن الصحبة خَيْرًا !

* أمالي المرتضى ٢ - ١٤٢

(١) غان : آمل (٢) الوصب : المرض (٣) يقال : مات خفَاتًا ؛ أي فجأة (٤) المنقى : طريق
للمرب إلى الشام ؛ كان في الجاهلية يسكنه أهل تهامة (٥) المبر : الشديد (٦) الغول : بعد الشقة .

١٢٧ — عجوز تُنشد الأُصمى شعرا*

قال الأُصمى : إني لفي سوق ، وقد نزلتُ على رجلٍ من بني كلاب ، كان متزوَّجاً بالبصرة ؛ إذ أقبلت عجوز على ناقَةٍ لها ، حسنةُ البِزَّةِ ، فيها باقٍ جمال ، فأناختُ وعَقَلْتُ ناقَتها ، وأقبلتُ تنوَّكاً على عِجَاجٍ^(١) لها ، فجلستُ قريباً منها ، وقالت : هل من مُنشد ؟ فقلت للكلابي : أيحضرك شيء ؟ قال : لا ، فأنشدتها شعرا لبشر بن عبد الرحمن الأنصاوي :

وقصيرة الأيام^(٢) ودَّ جليسها لو باع^(٣) مجلسها بفقد حميم
من تحذيات^(٤) أخى الهوى غصص الجوى بدلال غانية ومثلة ريم
صفراء من بقر الجواء^(٥) كأنما خفر الحياء بها رداع^(٦) سقيم
قال : فجئتُ على ركبتيها ، وأقبلتُ تحرش^(٧) الأرض بمحجنها
وأنشأت تقول :

قفي يا أُميم القلبِ نقرأ نحيّةً ونشكُ الهوى ثم افعلى ما بدا لكِ
فلو قلتِ : طأ في النار أعلمُ أنه هوى لك أو مُدني لنا من نوالِكِ
لقد متُّ رحلى محوها فوطئتها هدى منك لي أو ضلة من ضلالِكِ
سلى البانة العلياء بالأجرع الذي به البانُ هل حيئتُ أطلالَ دارِكِ ؟

* أمالي المرتضى ٢ : ١٣٨

(١) المحجن : العصا الموجهة (٢) يريد : أن أيام جليسها تقصر ، إذ أن أيام السرور موصوفة بالقصر (٣) باع : اشترى ، وهو من الأضداد (٤) يقال : أحذيت الرجل ؛ أعطيته (٥) الجواء : موضع (٦) الرداع : الوجع في الجسد ، وكأنه أراد أنها متقبضة منكسرة من الحياء كما يتغير لون السقيم (٧) تحرش الأرض : تحذشها .

وهل قتُ في أطلالهن عشيّةً مقام أخى البأساء واخترتُ ذلك ؟
 لهنك إمساكى بكفى على الحشى ورقراق عيني خشيةً من زياك^(١)
 قال الأصمى : فأظلمت علىّ والله الدنيا بحلاوة منطقها ، وفصاحة لهجتها ،
 فدنوتُ منها وقلت : أنشدتك الله لما زدتنى من هذا ! فرأيت الضحك في عينها
 وأنشدت :

ومستخفياتٍ ليس يُخفين زُرْنَنَا يسحبن أذيال الصباية والشكل^(٢)
 جمعن الهوى حتى إذا ما ملكنه نزغن وقد أكثرن فينا من القتل
 مريضات رجع الطرف خرس عن الحنا بختل ذوى الألباب بالجدّ والهزل
 يعنّفن العذال فيهن ، والهوى يحذرني من أن أطيع ذوى العذل

(١) الزيال : المفارقة (٢) الشكل (بالفتح والكسر) : دل المرأة وغزلها .

١٢٨ — الأَصْمَى وبعض الأعراب *

قال بعض الرواة : كنا مع أبي نصر راوية الأَصْمَى ، في رياض من المذاكرة ،
نَجْتَنِي ثَمَارَهَا ، وَنَجْتَلِي أنوارها ، إلى أن أفضنا في ذكر أبي سعيد عبد الملك بن
قريب الأَصْمَى ، فقال : رحم الله الأَصْمَى ! إنه لمعدنُ حِكْمٍ ، ومجرُ علمٍ ، غير أنه
لم ترَ قط مثل أعرابي وقف بنا فسلم ، فقال : أيكم الأَصْمَى ؟ فقال : أنا ذاك ! فقال :
أتأذنون بالجلوس ؟ فأذنا له ، وعجبنا من حُسْن أدبه ، مع جفاء أدب الأعراب !
قال : يا أَصْمَى ؛ أنت الذي يزعم هؤلاء النفر أنك أقبههم معرفة بالشعر
والعريسة ، وحكايات الأعراب ! قال الأَصْمَى : منهم مَنْ هو أعلم مني ، ومن
هو دوني !

قال : أفلا تنشدني من بعض شعر أهل الحضر حتى أقيسه على شعر أصحابنا !
فأنشده شعراً لرجل امتدح به مسلمة بن عبد الملك :

أَمْسَلَمَ أَنْتَ الْبَحْرَ إِنْ جَاءَ وَارِدٌ	وَلَيْثٌ إِذَا مَا الْحَرْبُ طَارَ عُقَابُهَا ^(١)
وَأَنْتَ كَسِيفُ الْهِنْدَوَانِي ^(٢) إِنْ غَدَتْ	حَوَادِثٌ مِنْ حَرْبٍ يَعْبُ عُقَابُهَا
وَمَا خُلِقْتَ أَكْرُومَةً ^(٣) فِي أَمْرِي لَهُ	وَلَا غَايَةَ إِلَّا إِلَيْكَ مَا بَهَا
كَأَنَّكَ دِيَّانٌ عَلَيْهَا مُوَكَّلٌ	بِهَا ، وَعَلَى كَفِّكَ يَجْرِي حِسَابُهَا
إِلَيْكَ رَحَلْنَا الْعَيْسَ ^(٤) إِذْ لَمْ نَجِدْ لَهَا	أَخَاثِقَةً يُرْجَى لَدَيْهِ ثَوَابُهَا

* زهر الآداب : ٢ - ١٠٠

(١) طار عقابها : كناية عن اشتداد الحرب (٢) الهندواني : منسوب إلى رجال الهند
(٣) الأكرومة : فعل الكرم (٤) العيس : الإبل يخاطب يابها شقرة .

فقبس الأعرابي ، وهز رأسه ؛ فظننا أن ذلك لاستحسانه الشعر ، ثم قال :
يا أصمى ! هذا شعرٌ مهلهلٌ ، خلق النسيج ، خطؤه أكثر من صوابه ، يفتلى
عيوه حسن الروى ورواية المنشد ! يشبهون الملك إذا امتدح بالأسد ، والأسد
أنخر شتم^(١) للنظر ، وربما طرده شير ذمة من إماننا ، وتلاعب به صبياننا ويشبهونه
بالبحر ، والبحر صعب على من ركبهُ ، مُرٌّ على من شربه ! وبالسيف ، وربما خان
في الحقيقة ، ونبا عن الضريبة ! ألا أنشدنى كما قال صبيٌّ من حيننا !

قال الأصمى : وماذا قال صاحبكم ؟ فأنشده :

الموت يكره أن يلقى ميته في كره عند لف الخليل بالخليل
وراح الشمس أبقي الشمس كاسفة أوزاحم العم الجأها إلى الليل
أمضى من النجم إن نابتة نابتة وعند أعدائه أجرى من الليل
لا يستريح إلى الدنيا وزينتها ولا تراه إليها صاحب القليل
يقصر الجد عنه في مكارمه كما يقصر عن أماله قولى !

قال أبو نصر : فأبهتنا والله ما سمعنا من قوله .

ثم قال الأعرابي : ألا تنشدنى شعراً ترتاح إليه النفس ، ويسكن إليه القلب ؟
فأنشده لابن الرقاق العاملى :

وناعمة نجوم لو بعد أراك مؤشرة^(٢) ينسب المعانق طيها
أراك إلى نجد تحن وإعما متى كل نفس حيث كان حبيبها

فقبس الأعرابي ، وقال : يا أصمى ؛ ما هذا بدون الأول ، ولا فوقه ؛

(١) شتم : كربه . (٢) تأشير الأستان : تحزيمها .

ألا أنشدتنى كما قلتُ ؟ قال الأصمى : وما قلتُ جُمِلْتُ فذاك ! فأنشده :
تعلّقها بِكَرٍّ وعُلّقَتْ جِهاً قفلى عن كل الورى فارغٌ بِكَرٍّ
إذا احتجبت لم يكفك البدر ضوءها وتسكفك ضوء البدر إن حُجِبَ البدر
وما الصبر عنها - إن صبرت - جدته جميلاً ، وهل فى مثلها يَحْسُنُ الصبرُ !
ولو أن جلد الذر^(١) لامسَ جلدها لكان لِمَسِّ الذرِّ فى جلدها أثرُ
فقال لنا الأصمى : اكتبوا ما سمعتم ، ولو بأطراف المدى فى رفاق الأكباد .
وأقام عندنا شهراً ؛ فجمع له الأصمى خمسمائة دينار ! وكان يتعاهدنا فى الحين
بعد الحين ، حتى مات الأصمى وتفرق أصحابنا !

(١) القدر : صغار النمل .

١٢٩ - شعرٌ مُرَّ بجل*

جلس جعفر^(١) بن يحيى بالصَّالِحِيَّة^(٢) ، يشرب على مُسْتَشْرِفٍ له فجاءه
أعرابي من بني هلال ، فاشتكى واستباح^(٣) بكلام فصيح ، ولفظٍ مثله يعطف
المستول .

فقال له جعفر: أتقول الشعر يا هلالى ؟ فقال : كنت أقوله وأناحدثُ أُمَّلَحُ به ،
ثم تركته لما صرتُ شيخاً ، قال : فأنشدنا لشاعرٍ كُم حُميد بن ثور ، فأنشده قوله :
لَمَنَ الدِّيارِ بِجَانِبِ الْخُمْسِ كَمَحَطَ ذِي الْحَاجَاتِ وَالنَّفْسِ
حتى أتى على آخرها - وكان أشجعُ السُّلَمَى حاضراً المجلس - فاندفع يُنشد
مديحاً في جعفر ، قاله لوقته على الوزن والقافية :

ذَهَبَتْ مَكَارِمُ جَعْفَرٍ وَفَعَالُهُ فِي النَّاسِ مِثْلَ مَذَاهِبِ الشَّمْسِ
مَلِكٌ تَسْوَسُ لَهُ لِلْعَالَى نَفْسُهُ وَالْعَقْلُ خَيْرُ سِيَاسَةِ النَّفْسِ
فَإِذَا تَرَاءَتْهُ الْمُلُوكُ تَرَا جُمُوعًا جَهْرَ الْكَلَامِ بِمَنْطِقِ هَمْسِ
سَادَ الْبِرَامِكُ جَعْفَرٌ وَهُمْ الْآلَى بَعْدَ الْخِلَافِ سَادَةُ الْإِنْسِ

فقال له جعفر : صِفْ موضعنا ، فقال :

* الأغانى ١٧ - ٣٢ (طبعة الساسى)

(١) جعفر بن يحيى : كان عالٍ القدر بميدِ المهمة عظيم الكرم ، ذا منزلة قريبة عند الرشيد ،
كما كان سمح الأخلاق ، طلق الوجه ، ظاهر البشر ، فصيحاً لساناً ، قتله الرشيد سنة ١٨٧ هـ
(٢) الصالحية : محلة ببغداد (٣) استباح : طلب العطاء .

قُصُور الصَّالِحِيَّةِ كَالْعِذَارِيَّاتِ لِبِسْنَ ثِيَابَهُنَّ لِيَوْمِ عُرْسِ
مُطَلَّاتٌ عَلَى بَطْنِ كِسْفِهِ أَيَادِي الْمَاءِ وَشِيَا نَسِجِ عُرْسِ
إِذَا مَا الطَّلُّ أَثَرَهُ فِي ثَرَاهُ تَنَفَّسَ نَوْرُهُ مِنْ غَيْرِ نَفْسِ
فَتُفْبِقُهُ^(١) السَّمَاءُ بِصُبْغِ وَرْسِ وَتَصْبَحُهُ بِأَكْوَامِ عَيْنِ شَمْسِ

فَقَالَ جَعْفَرٌ لِلْأَعْرَابِيِّ: كَيْفَ تَرَى صَاحِبَنَا يَا هَلَالِي؟ فَقَالَ: أَرَى خَاطِرَهُ طَوَّعَ
لِسَانَهُ، وَبَيَانَ النَّاسَ تَحْتَ بَيَانِهِ، وَقَدْ جَعَلْتُ لَهُ مَا تَصِلُنِي بِهِ؛ فَقَالَ: بَلْ نَصَلُكَ
يَا أَعْرَابِي وَنَرْضِيهِ، وَأَمْرٌ لِلْأَعْرَابِيِّ بِمِائَةِ دِينَارٍ؛ وَلَا شَجْعَ بِمِائَتَيْنِ.

(١) الْفُبُوقُ: شَرَابُ الْعَثَى، وَالصُّبُوحُ: شَرَابُ الصَّبَاحِ.

١٣٠ — هَوَّنتَ عَلَى الْعَزْلِ*

وَلَى الرَّشِيدِ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى خُرَّاسَانَ^(١) ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ النَّاسُ يُهْنِثُونَهُ ،
ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ الشُّعْرَاءُ ، فَقَامَ أَشْجَعُ السُّلَمَى آخِرَهُمْ ، وَاسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْشَادِ ، فَأُذِنَ
لَهُ فَأَنشَدَ :

أَنْصَبُ لِلْبَيْنِ أَمْ تَجْزَعُ فَإِنَّ الدِّيَارَ غَدًا بَلَقَعُ
غَدًا يَتَفَرَّقُ أَهْلُ الْهَوَى وَيَكْثُرُ بِالْكَرِّ وَمُسْتَرْجِعُ
وَتَفْنَى الطُّلُوبُ وَيَبْقَى الْهَوَى وَيَصْنَعُ ذُو الشَّوْقِ مَا يَصْنَعُ

حَتَّى أَتَى إِلَى قَوْلِهِ :

وَدَوْبَةٌ^(٢) بَيْنَ أَفْطَارِهَا مَقَاطِيعُ أَرْضِينَ لَا تَقْطَعُ
تَجَاوَزَتْهَا فَوْقَ رِبْعَانَةٍ^(٣) مِنْ الرِّيحِ فِي سَبِيلِهَا أَسْرَعُ
إِلَى جَعْفَرٍ نَزَعَتْ رَغْبَةً وَأَيُّ فِتْنَى نَحْوَهُ تَنْزَعُ !
فَمَا دُونَهُ لَا مَرِيءَ مَطْمَعُ وَلَا لَامَرِيءَ غَيْرِهِ مَقْنَعُ
وَلَا يَرْفَعُ النَّاسُ مِنْ حَطِّهِ وَلَا يَضَعُونَ الَّذِي يَرْفَعُ
يُرِيدُ الْمُلُوكُ مَدَى جَعْفَرٍ وَلَا يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ
تَلَوُّدُ الْمُلُوكِ بِأَبْوَابِهِ إِذَا نَالَهَا الْخِلْدْتُ الْأَفْطَعُ
بِدَيْهَتِهِ مِثْلُ تَدْيِيرِهِ مَتَى رُمِّتَهُ فَهُوَ مُسْتَجْعُ

* الْأَغَانِي : ١٧ - ٧ (طَبْعَةُ السَّاسِي) .

(١) خُرَّاسَانَ : بِلَادٌ وَاسِعَةٌ كَانَتْ حُدُودَهَا أَوَّلَ مَا يَلِي الْمِرَاقِ

(٢) الدَّوْبَةُ : النَّاقَةُ الْكَثِيرَةُ اللَّبَنِ .

(٣) الرِّبْعَانَةُ : النَّاقَةُ الْكَثِيرَةُ اللَّبَنِ .

وكم قاتل إذ رأى ثروتي ، وما في فضول الغنى أضغ
غدا في ظلال ندى جعفر يجر ثياب الغنى أشجع
قل لخراسان : تحيا فقد أناها ابن يحيى النقي الأروع^(١)

فأقبل عليه جعفر ضاحكاً ، واستحسن شعره ، وجعل يخاطبه مخاطبة الأخ
أخاه ، ثم أمر له بألف دينار .

قال الراوى : ثم بدا للرّشيد فى ذلك التدبير ، فعزل جعفرأ عن خراسان بعد
أن أعطاه العهد والكتاب . وعقد له العقد ، وأمر ونهى ، فوجم لذلك جعفر ،
فدخل عليه أشجع وقال :

أمنت خراسان تُمزى بما أخطأها من جعفر المرتبى
كان الرشيد المعتلى أمره ولى عليه المشرق الأبلجا
نم أراه رأيه أنه أمتى إليه منهم أحوجا
فكم به الرحمن من كربة فى مدة تقصر قد فرجا

فضحك جعفر وقال : لقد هونت على العزل ، وقت لأمير المؤمنين بالعدر ؛
فسلنى ماشئت ، فقال : قد كفانى جودك ذلة السؤال ، فأمر له بألف
دينار أخرى .

(١) الأروع : من يجبك بحسنه وجهارة نظره أو بشجاعته .

١٣١ — أرى الأيام لا تُدْفِنِي الذي أرتجى *

قال محمد بن أمية^(١) : كنت جالساً بين يدي إبراهيم بن المهدي ، فدخل إليه أبو العتاهية ، وقد تَنَسَّكَ وَلَبِسَ الصوف ، وترك قولَ الشعر إلا في الزهد . فرفعه إبراهيم ، وسرَّ به ، وأقبل عليه بوجهه .

قَالَ لَهُ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؛ بَلَّغْنِي خَبْرُ قَتَى فِي نَاحِيَتِكَ وَمِنْ مَوَالِكَ يُعْرِفُ بَابَنَ أُمِيَّةَ ، يَقُولُ الشَّعْرَ ، وَأَنْشَدْتُ لَهُ شِعْراً فَأَعْجِبْنِي ، فَمَا قِيلَ ! فَضَحَكَ إِبْرَاهِيمُ ، ثُمَّ قَالَ : لَعَلَّهُ أَقْرَبُ الْحَاضِرِينَ مَجْلِساً مِنْكَ .

فَالْتَفَتَ إِلَى قَالٍ : أَنْتَ هُوَ قَدَيْتُكَ ؟ قُلْتَ لَهُ : أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أُمِيَّةَ جُمِلْتُ فِدَاكَ ! وَأَمَّا الشَّعْرُ فَإِنَّمَا أَنَا شَابٌ أَعْبَثُ بِالْبَيْتِ وَالْبَيْتَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ كَمَا يَبْعَثُ الشَّابُّ . قَالَ لِي : قَدَيْتُكَ ؛ ذَاكَ وَاللَّهِ زَمَانُ الشَّعْرِ وَإِبَانُهُ ، وَمَا قِيلَ فِيهِ فَهُوَ غُرْرُهُ وَعَيْوَنُهُ ، وَمَا زَالَ يُنْشَطِقُ وَيُؤْنِسُنِي حَتَّى رَأَيْتُ أَنِّي قَدْ أَنْسَيْتُ بِهِ .

ثم قال لإبراهيم بن المهدي : إِنَّ رَأْيَ الْأَمِيرِ - أَكْرَمَهُ اللَّهُ - أَنْ يَأْمُرَهُ بِإِنْشَادِي مَا حَضَرَ مِنَ الشَّعْرِ ! فَقَالَ لِي إِبْرَاهِيمُ : بِحَيَاتِي يَا مُحَمَّدُ أَنْشُدْهُ ، فَأَنْشَدْتُهُ :

رُبَّ وَغْدٍ مِنْكَ لَا أَنْسَاهُ لِي أَوْجِبَ الشُّكْرَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلِ

* الْأَغَانِي : ١١ - ٣٠ (طبعة الساسي)

(١) محمد بن أمية كاتب شاعر ظريف ، كان نديماً لإبراهيم بن المهدي .

أَقْطَعُ الدَّهْرَ بظَنِّ حَسَنٍ وَأَجَلِي غَمْرَةٌ مَا تُنْجِلِي
كَلِمًا أَمَلْتُ يَوْمًا صَالِحًا عَرَضَ الْكَرْهُ لِي فِي أَمَلِي
وَأَرَى الْأَيَّامَ لَا تُدْنِي الْقَدَى أُرْتَجِي مِنْكَ وَتَدْنِي أَجَلِي
فَبَكَى أَبُو الْعَتَاهِيَةِ حَتَّى جَرَتْ دُمُوعُهُ عَلَى لَحْيَتِهِ ، وَجَمَلُ يَرْدُّدٍ الْبَيْتِ
الْأَخِيرَ مِنْهَا وَيَنْتَعِبُ ، وَقَامَ فَخَرَجَ وَهُوَ يَرْدُّدُهُ وَيَبْكِي ، حَتَّى خَرَجَ إِلَى
الْبَابِ !

١٣٢ — حديث عن دُعبل *

قال عمرو بن مَسْعَدَة : حضرتُ أبا دُفْل عند المأمون - وقد قال له : أى شيء تزوي لأخى خُزاعة ؟ فقال : وأى خُزاعة يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن تعرف فيهم شاعراً ؟ فقال : أما من أنفسهم ؛ فأبو الشَّيْص ودُعبل^(١) وابن أبي الشَّيْص ، وداود ابن أبي رَزِين ؛ وأما من مواليتهم فظاهر وابنه عبد الله .

فقال : ومن عسى في هؤلاء أن يُسأل عن شعره سوى دُعبل ! هات ؛ أى شيء عندك فيه ؟ فقال : وأى شيء أقول في رجل لم يترك أهل بيته حتى هُجِم ، فقرن إحسانهم بالإساءة ، وبذلهم بالمنع ، وجودهم بالبخل ، حتى جعل كل حسنة منهم يازاء سيئة ! قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول في المطلب بن عبد الله ابن مالك - وهو أصدق الناس له ، وأقربهم منه : وقد وفد إليه في مصر ، فأعطاه الجزيل ، وولاه ؛ ولم يمنعه ذلك أن قال فيه :
أضرب ندى طلحة^(٢) الطلحات متبئداً بلوهم مُطْلِبٍ فينا وكن حَكماً

* الأغاني : ١٨ - ٤٤ (طبعة الساسي)

(١) هو دُعبل بن علي بن رزين ، من خُزاعة . شاعر مطبوع هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا وزراءهم ولا أولادهم ، ولا ذى نِجاة ؛ أحسن إليه أو لم يحسن ، وتوفى سنة ٢٤٦ هـ . (٢) طلحة الطلحات : قيل اسمه طلحة بن عبد الله ، وإنه إنما سمي طلحة الطلحات بسبب أمه ، وهي صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة ، وإن أخاها طلحة بن الحارث ، فقد تكلفه هؤلاء الطلحات كما ترى ، وقد مدحه سحبان بن وائل الباهلي ، فقال :

ياطلح أكرم من معنى حسباً وأعظام لئالـ
منك العطاء فأعطني وعلى مدحك في المشاهد

فقال له طلحة : احتكم ، فقال : برذونك الورد ، وغلارك الحجاز ، وقصرك الذي يمكن كذا ، وعشرة آلاف درهم . فقال طلحة : أف لك ! سألتني على قدرك ولم تسألني على قدرى ! لو سألتني كل عبد وكل دابة وكل قصر لي لأعطيتك !

تَخْرُجُ خُرَاعَةً مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ فَلَا تَحْسِنَ لَهَا لَوْ مَا وَلَا كَرَمًا
 قَالَ الْمَأْمُونُ : قَاتِلْهُ اللَّهُ ! مَا أَغْوَصَهُ وَالْطُفْهَ وَأَذْهَاهُ ! وَجَعَلَ يَضْحَكُ .
 ثُمَّ دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ ، فَقَالَ لَهُ : أَيْ شَيْءٍ تَحْفَظُ بِإِعْدَادِ اللَّهِ لِذِعْبِلِ ؟
 قَالَ : أَحْفَظُ آيَاتًا لَهُ فِي أَهْلِ بَيْتِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : هَاتِهَا ، وَيْحَكَ ! فَأَنْشُدْهُ
 عَبْدُ اللَّهِ قَوْلَهُ :

سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِأَيَّامِ الصَّبَابَاتِ أَيَّامَ أَزْفَلُ فِي أَنْوَابِ لَذَائِي
 أَيَّامَ غُصْنِي رَطِيبٌ مِنْ لَيَّانَتِهِ أَصْبُو إِلَى غَيْرِ جَارَاتٍ وَكُنَّائِي ^(١)
 دَعَّ عَنْكَ ذِكْرَ زَمَانٍ فَاتَ مَطْلَبُهُ وَاقْذِفْ بِرَحْلِكَ عَنْ مَتْنِ الْجَهْلَالَاتِ
 وَاقْصِدْ بِكُلِّ مَدِيحٍ أَنْتَ قَاتِلُهُ نَحْوِ الْمُدَادَةِ بَنَى بَيْتَ الْكِرَامَاتِ
 قَالَ الْمَأْمُونُ : إِنَّهُ قَدْ وَجَدَ وَاللَّهِ مَقَالًا فَقَالَ ، وَنَالَ بِبَعِيدِ ذِكْرِهِ مَا لَا يَنَالُهُ
 فِي وَصْفٍ غَيْرِهِ .

ثُمَّ قَالَ : لَقَدْ أَحْسَنَ فِي وَصْفِ سَفَرٍ سَافَرَهُ ، فَطَالَ ذَلِكَ السَّفَرُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ فِيهِ :
 أَلَمْ يَأْنِ ^(٢) لِلسَّفَرِ الَّذِينَ تَحْمَلُوا إِلَى وَطَنِ قَبْلَ الْمَاتِ رَجُوعُ ؟
 فَقُلْتُ - وَلَمْ أَمْلِكْ سَوَابِقَ عُبْرَةٍ : نَطْلُقَنَّ بِمَا ضُمْتُ عَلَيْهِ ضُلُوعُ ^(٣)
 تَبَيَّنَ أَفْكَمُ دَارِ تَفَرَّقَ شَمْلُهَا وَشَمْلُ ^(٤) شَتِيَّتِ عَادَ وَهُوَ جَمِيعُ
 كَذَلِكَ اللَّيَالِي صَرَفُوهِنَّ ^(٥) كَمَا تَرَى لِكُلِّ إِنَاسٍ جَذْبَةٌ وَرَبِيعُ ^(٦)

ثُمَّ قَالَ : مَا سَافَرْتُ قَطُّ إِلَّا كَانَتْ هَذِهِ الْآيَاتُ نَصَبَ عَيْنِي فِي سَفَرِي وَهَجِيرَايَ
 وَمَسْلُوقِي حَتَّى أَعُودَ !

(١) الكنة : امرأة الابن أو الأخ (٢) بَأْن : يقرب ويحضر . والسفر : المسافرين
 (٣) العبرة : الدفعة ، وما ضمت عليه الضلوع : الحزن والشوق إلى الوطن والأهل (٤) الفصل :
 الاجتماع من أمر أو ما تفرق منه ، والشتييت : التفرق ، والجميع : المجتمع (٥) صرف الليالي :
 أحداثها . (٦) جذبة وربيع : حالتا خير وشر .

١٣٣ — دُعْبِلُ عِنْدَ وَالِي مِصْرَ *

قال دُعْبِلُ بْنُ عَلِيٍّ : حَجَجْتُ أَنَا وَأَخِي رَزِينُ ، وَأَخَذْنَا كِتَابًا إِلَى الْمَطْلَبِ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَالِكٍ ، وَهُوَ بِمِصْرَ يَتَوَلَّاهَا .

فَصِرْنَا مِنْ مَكَّةَ إِلَى مِصْرَ ، فَصَحَبْنَا رَجُلًا يَعْرِفُ بِأَحْمَدَ بْنِ السَّرَّاحِ ، فَذَا زَالَ
يَحْدُثُنَا وَيُؤَنِّسُنَا طَوْلَ طَرِيقِنَا ، وَيَتَوَلَّى خِدْمَتَنَا ، كَمَا يَتَوَلَّاهَا الرِّفْقَاءُ وَالْأَتْبَاعُ ،
وَرَأَيْنَاهُ حَسَنَ الْأَدَبِ — وَكَانَ شَاعِرًا وَلَمْ نَعْلَمْ — وَكَتَمْنَا نَفْسَهُ ، وَفَدَّ عِلْمَ مَا قَصَدْنَا لَهُ ؛
فَعَرَضْنَا عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ فِي الْمَطْلَبِ قَصِيدَةً نَنَحِّلُهَا بِهَا ، فَقَالَ : إِنْ شِئْتُمْ ، وَأَرَانَا
بِذَلِكَ سُرُورًا وَتَقَبُّلًا لَهُ ، فَعَمَلْنَا قَصِيدَةً ، وَقَلْنَا لَهُ تَنَشِّدُهَا الْمَطْلَبُ ، وَإِنَّكَ تَنْتَفِعُ بِهَا ،
قَالَ : نَعَمْ .

وَوَرَدْنَا مِصْرَ بِهِ ، فَدَخَلْنَا إِلَى الْمَطْلَبِ ، وَأَوْصَلْنَا إِلَيْهِ كِتَابًا كَانَتْ مَعْنَاهُ ،
وَأَنشَدْنَاهُ ، فَفُسِّرَ بِمَوْضِعِنَا وَوَصَفْنَا لَهُ أَحْمَدَ بْنَ السَّرَّاحِ هَذَا ، وَذَكَرْنَا لَهُ أَمْرَهُ ،
فَأَذِنَ لَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ ، وَنَحْنُ نَنْظُرُ أَنَّهُ سَيُنَشِّدُهُ الْقَصِيدَةَ الَّتِي نَحْمَلْنَاهُ بِهَا ، فَلَمَّا مَثَلَ
بَيْنَ يَدَيْهِ عَدَلَ عَنْهَا وَأَنشَدَهُ :

لَمْ آتْ مُطْلِبًا إِلَّا بِمَطْلَبٍ	وَهَمَّةٌ بَلَفَتْ بِي غَايَةَ الرَّتَبِ
أَفْرَدْتُهُ بِرَجَاءٍ أَنْ تَشَارَكَ	فِي الْوَسَائِلِ أَوْ الْقَاهِ فِي الْكُتُبِ ^(١)
رَحَلْتُ عَيْسَى إِلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ عَلَى	مَا كَانَ مِنْ وَصَبٍ فِيهَا وَمِنْ نَصَبٍ

* الْأَغَانِي : ١٨ — ٤٧ (طَبْعَةُ السَّاسِي) .
(١) قَالَ دُعْبِلُ : أَشَارَ بِهَذَا إِلَى الْكُتُبِ الَّتِي أَوْصَلْتُهَا إِلَيْهِ وَهِيَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَشَدَّ
عَلَى مَنْ كُلِّ شَيْءٍ مَرَبِّي .

ألقى بها وبوجهي كل هاجرة^(١) تكاد تتدح بين الجلد والعصب
حتى إذا ما قضت نسكي ثنيت لها عطف^(٢) الزمام فأمت سيد العرب
فأتممتك^(٣) وقد ذابت مفاصلها من طول مانع لاقت ومن نقب^(٤)

فصاح مُطلب : لبيك لبيك ! ثم قام إليه ، فأخذه بيده وأجلسه معه ، وقال :
يا غلام ؛ البدر^(٥) فأحضرت ، ثم قال : الخلع ، فنشرت ، ثم قال : الدواب ،
فقيدت ، فأمر له من ذلك بما ملأ عينه وأعيننا وصدورنا ، وحسدناه عليه ؛ وكان
حسدنا له بما اتفق له من القبول وجودة الشعر ، وغيطنا بكتمه إيانا نفسه واحتياله
علينا أكثر وأعظم ، فخرج بما أمر له ، وخرجنا صفرأ .

قال الراوى : ومكث دعبل أياماً ، ثم ولّاه للمطلب أسوان ، ولكن دعبلا
كان قد هجاه غيطاً منه فقال :

أمطلب أنت مستعذب حياً^(٦) الأفاعى ومستقتل
ستأتيك إما وردت العراق صحائف يأتريها دعبل
منقّة بين أنثاهم مخازي مخطّ فلا ترحل
وضعت رجالاً فاضرمهم وشرقت قوماً فلم ينبلوا^(٧)
إذا الحرب كنت أميراً لها فظهم منك أن يقتلوا
شعارك في الحرب يوم الوغى إذا انهزموا : عجّلوا عجّلوا !

(١) الهاجرة : إنما تكون في القبط نصف النهار
أمه وأمه بمعنى قصده (٤) قب البعير ؛ إذا حنى
عشرة آلاف (٦) الحيا من كل شيء : شدته
وعاديت قوماً فاضرمهم
(٢) عطف الشيء : جانبه (٣) يقال :
(٥) البدر : جمع بدره (فتح الباء) وهي
(٧) روى هذا البيت :
وقسمت قوماً فلم ينبلوا

هَذَا مِمَّا كُنْتُ أَعْلَمُ الْفُرَّاءَ مَشْهُورَةً يَقْرَءُ^(١) فِيهِمْ مَنْ يَنْضِلُ
فَأَنْتَ إِذَا مَا اتَّقَوْا آخِرُهُ وَأَنْتَ إِذَا انْهَزَمُوا أَوَّلُهُ^(٢)

وبلغ المطلبَ هجاؤه إياه بعد أن ولّاه ؛ فمزله عن أسوان ، وأنفذ إليه كتاب
العزل مع مولى له ، وقال : انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة ، فإذا علاه فأوصل
الكتابَ إليه ، وامنعه من الخطبة وأنزله عن المنبر ، واصعد مكانه ؛ فلما أن علا
المنبر وتنهض ليخطب ناو له الكتاب ، فقال له دِعِيلُ : دعني أخطب فإذا نزلتُ
قرأته ، قال : لا ، قد أمرني أن أمتنعك الخطبة حتى تقرأه . فقرأه ، وأنزله عن المنبر
معزولا .

(١) قرطس : أصاب القرطاس ، أي القرص (٢) قال دعبيل : قال لي المطلب : ما تفكرت في
قولك قط :

إِنْ كَانُوا جُنَا بِأَسْرَتِهِ أَوْ وَاحِدُونَ جُنَا بِمَطْلَبِ
إِلَّا كُنْتُ أَحَبُّ لِي ، وَلَا تَفَكَّرْتُ وَاقِعًا فِي قَوْلِكَ لِي :
وَعَادَيْتُ قَوْمًا فَاسْخَرْتُمُ وَقَدِمْتُ قَوْمًا فَلَمْ يَنْبُلُوا
إِلَّا كُنْتُ أَبْغَضُ النَّاسِ لِي .

١٣٤ — دُعْبِلْ وَعَلَى الرضا*

قال دُعْبِلْ بن علي : دخلتُ على علي بن موسى الرضا - عليه السلام فقال لي :
أُنشِدْنِي شَيْئًا مِمَّا أَحْدَثَ ، فَأَنْشَدْتُهُ ^(١) :

مدارسُ آياتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ ومنزلٌ وَخِي مُقْفِرُ العَرَصَاتِ ^(٢)
لآلِ رسولِ الله بِالْخَلِيفِ مِنْ مَنَى وبالرُّكْنِ والتَّغْرِيفِ ، والجَمَرَاتِ
ديارُ عليٍّ والحسينِ وجعفرِ وحمزة والسَّجَّادِ ذِي الثَّنَاتِ ^(٣)

حتى انتهيتُ إلى قولي :

بنفسِي أَنْتُمْ مِنْ كَهُولٍ وَفَتِيَةٍ لَفَكٌ عُنَاةٍ ^(٤) أَوْ لَحْمِلِ دِيَاتِ
أَحَبِّ قَصَى الرَّخْمِ مِنْ أَجْلِ حُبِّكُمْ وأهجرُ فيكم أُسْرَتِي وَبَنَاتِي
وَأَكْتُمُ حُبِّيَكُمْ غَخَافَةً كَاشِحَةٍ عنيدٍ لأهلِ الحقِّ غَيْرِ مُؤَاتِ
لَقَدْ حَفَّتِ الْآيَاتُ حَوْلِي بِشَرِّهَا وإني لأرجو الأَمْنَ بَعْدَ وَقَاتِي
أَلَمْ تَرَ أَنِّي مِنْ ثَلَاثِينَ حِجَّةً أروحُ وَأَغْدُو دَائِمَ الحَسَرَاتِ
أَرَى فِيهِمْ فِي غَيْرِمِ مَقْسَمًا وأيديهمُ مِنْ قِيَّتِهِمْ صَفِرَاتِ

* الأغاني : ١٨ - ٤٢ (طبعة الساسي) ، معجم الأدباء ١١ ، ١٠٨

(١) تعد هذه القصيدة من أحسن الشعر وفاخر المدائح (٢) العرصات : جمع عرصة : وسط الدار ، والمعنى أنه لا أنيس بها (٣) يمدد أسماء آل البيت ، وذو الثنات علي بن الحسين بن علي ، وسُمي بذلك ، لأن طول السجود أثر في ثناته ، والفتنة من الإنسان : الركبة (٤) العناة : جمع عانة ، وهو الأسير .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ نَحَفُ جَسُومَهُمْ وَأَلْ زِيَادُ حُفْلُ الْقَصَرَاتِ^(١)
إِذَا وَرَّوَا^(٢) مَدُّوا إِلَى أَهْلِ وَتَرِهِمْ أَكْفًا عَنِ الْأَوْتَارِ مِنْقِبُضَاتٍ
فَبِكِي حَتَّى أَغْمَى عَلَيْهِ ، وَأَوْمَأَ إِلَى خَادِمٍ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ : أَنْ اسْكُتْ ، فَسَكَتَ
سَاعَةً . ثُمَّ قَالَ لِي : أَعِذْ ، فَأَعِدْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى آخِرِهَا ، فَقَالَ لِي : أَحْسَنْتَ ،
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ أَمَرَ لِي بِبُشْرَةَ آلَافِ دَرَاهِمٍ مِمَّا ضُرِبَ بِاسْمِهِ ، وَلَمْ تَكُنْ وَقْتُ
لِأَحَدٍ بَعْدَ ، وَأَمَرَ لِي مَنْ فِي مَنْزِلِهِ بِحُلِيِّ كَثِيرٍ أَخْرَجَهُ الْخَادِمُ إِلَيَّ .
فَقَدِمْتُ الْعِرَاقَ ، فَبَعْتُ كُلَّ دَرَاهِمٍ مِنْهَا بِبُشْرَةَ دَرَاهِمٍ ، اشْتَرَاها مَنَى الشَّيْعَةِ ،
فَحَصَلَ لِي مِائَةُ أَلْفِ دَرَاهِمٍ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَالٍ اعْتَقَدْتُهُ^(٣) .
قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ غَمْدٍ : ثُمَّ اسْتَوْهَبَ دِغْبِلَ مِنَ الرِّضَا ثَوْبًا قَدْ لَبَسَهُ لِيَجْعَلَهُ فِي
أَكْفَانِهِ ، فَخَلَعَ جُبَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا ، وَبَلَغَ أَهْلَ قَوْمِ خَبْرُهَا ، فَسَأَلُوهُ
أَنْ يَبِيْعَهُمْ إِيَّاهَا بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ لَمْ يَفْعَلْ ، فَخَرَجُوا عَلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ ، فَأَخَذُوهَا
مِنْهُ غَضَبًا ، وَقَالُوا لَهُ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْخُذَ الْمَالَ فَافْعَلْ ، وَإِلَّا فَأَنْتَ أَعْلَمُ ، فَقَالَ لَهُمْ :
إِنِّي وَاللَّهِ لَا أُعْطِيكُمْ إِيَّاهَا طَوْعًا ، وَلَا تَنْفَعُكُمْ غَضَبًا ، وَأَشْكُوكُمْ إِلَى الرِّضَا ؛ فَصَالَحُوهُ
عَلَى أَنْ أَعْطَوْهُ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دَرَاهِمٍ ، وَفَرَّدَ كَمًّا مِنْ بَطَاتِنِهَا ، فَرَضَى بِذَلِكَ !

(١) القصرات : جمع قصرة (بالتحريك) وهي أصل المنق ، وحفل : ممتلئة ، والمعنى أن أعناقهم
مملوءة غفظة من طول النعيم (٢) الوتر : الثأر ، أو الظلم فيه ، والقصود : أنهم إذا اعتدى
عليهم لا يستطيعون رد الاعتداء (٣) اعتقدته : اقتنيتة .

١٣٥ - سَجَدُوا لِشِعْرِهِ !*

حدث دِغْبِلُ الشاعر : أنه اجتمع هو ومُسْلِمُ وأبو الشَّيْصِ^(١) وأبو نُوَاسِ في مجلس ، فقال لم أبو نُوَاسِ : إن مجلسنا هذا قد شهر باجتماعنا فيه ، ولهذا اليوم مابعده ، فليأت كل واحد منكم بأحسن ما قال فليُنشده ، فأنشد أبو الشَّيْصِ :
وَقَفَ المَوِيُّ بِي حَيْثُ أَنْتَ فليس لي متأخراً عنه ولا متقدماً
أجد المَلَامَةَ في هَوَاكِ لذيدة حباً لذكرك فليُلمني اللوم
وأهنتني فأهنت نفسي صاغراً ما من يهون عليك من يُكرِّمُ
أشبهت أعدائي فصرتُ أحبهم إذا كان حظي منك حظي منهم
فجمل أبو نُوَاسِ بموجب من حسن الشعر حتى ما كاد ينتفضي عجبهُ ، ثم أنشد مسلم أبياتاً من شعره الذي يقول فيه :

فأقسمتُ أنسى الداعيات إلى الصبا وقد فاجأتها العينُ والستر واقع
فغطتُ بأيديها ثمارَ نخورها كأيدي الأسارى أقتلتها الجوامع^(٢)
قال دِغْبِلُ : فقال لي أبو نُوَاسِ : هات أبا علي ، وكأني بك قد جئتنا بأم
القلادة فأنشدته :

أين الشبابُ ؟ وأية^(٣) سلكا ؟ أم أين يطلب ؟ ضلَّ بلْ هلكا

* المقد الفريد : ٤ - ٢ ، مذهب الأغاني : ٧ - ٢٢٤ ، ديوان مسلم : ٢٠٩ (طبعة أوروبا) .
(١) هو محمد بن رزين عم دعبل ، كان من شعراء عصره ، متوسط أهل فيهم غير نبيه الذكر
لوقوعه بين شعراء كانوا أكثر منه شهرة . توفى سنة ١٩٦ هـ (٢) جمع جامعة : وهي النل ؛
لأنها تجمع الدين إلى الفنى (٣) أى أية سبيل .

لا تَعَجَّبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الشَّيْبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
يَا لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ صَبَرْتُكَ يَا صَاحِبِي إِذَا دَمِي سَفِكَ
لا تَطْلُبَا بظُلَامَتِي ^(١) أَحَدًا قَلْبِي وَطَرَفِي فِي دَمِي اشْرَكَ
نَمْ سَأَلْنَا أَبَا نَوَاسٍ أَنْ يُنْشِدَ ، فَأَنْشَدَ :

لَا تَبْكْ هِنْدًا وَلَا تَطْرُبْ إِلَى دَعْدٍ وَاشْرَبْ عَلَى الْوَرْدِ ^(٢) مِنْ حَمْرَاءِ كَالْوَرْدِ
كَأَسَا إِذَا انْحَدَرْتُ فِي كَفِّ شَارِبِهَا أَخَذْتُ بِحِمْرَتِهَا فِي الْعَيْنِ وَالْخَدِّ
فَاظْهَرِ يَا قُوْتَةُ ، وَالْكَأْسُ لَوْلُوَّةٌ فِي كَفِّ جَارِيَةٍ مَمْشُوقَةِ الْقَدِّ
تَسْقِيكَ مِنْ عَيْنِهَا خَمْرًا وَمِنْ يَدِهَا خَمْرًا ، فَمَا لَكَ مِنْ سُكْرَيْنِ مِنْ بُدِّ
لِي نَشُوتَانِ وَلِلنَّدَمَانِ وَاحِدَةٌ شَيْءٌ خَصَصْتَ بِهِ مِنْ يَدِهِمْ وَخَدِي
فَقَامُوا كُلُّهُمْ ، فَسَجَدُوا ! فَقَالَ : أَفَعَلَيْتُمُوهَا أُعْجَبِيَّةٌ ؟ لَا كَلَّتْكُمْ ثَلَاثًا .

(١) الظلامه : ما احتمله من الظلم ، والمراد هنا موته عشقاً من أثر النظر بعينه والحب بقلبه
(٢) الورد : الماء الذى يورد .

١٣٦ — إنما الدنيا أبو دلف !*

قال المأمون يوماً لبعض جلسائه : أقسم على من حَضَرَ مِنِّي يحفظُ قصيدةَ عليّ ابنِ جبلة^(١) الأعمى في القاسم^(٢) بن عيسى إلّا أنشدَها ؛ فقال بعضُ الجلساء : قد أقسم أميرُ المؤمنين ، ولا بدَّ من إبرارِ قَسَمِهِ ، وما أحفظُها ، ولكنها مكتوبةٌ عندي . قال : قم فاجتني بها . فمضى وأتاه بها ، وأنشده :

ذادَ ورَدَ النُّيَّ عن صَدْرِهِ وازعَوَى واللَّهْوُ من وطَرِهِ
وأَبَتْ إلّا البــكاءَ له ضحكاتُ الشَّيبِ في شِعْرِهِ
نَدِمَ أن الشَّبابَ مَضَى لم أَبْلُغْهُ مَدَى أَشْرِهِ^(٣)
حَسَرْتُ^(٤) عَنِّي بِشاشَتِهِ وذَوَى الحُمُودِ من ثَمَرِهِ
ودِمَّ أَهْدَرْتُ من رَشَاءٍ^(٥) لم يُرِدْ عَقْلًا^(٦) على هَدَرِهِ

دَعَّ جَدًّا قحطانَ أو مُضِرَّ في يَمَانِيهِ ، وفي مُضِرِّهِ
وامتدَحَ من وائِلِ رجلاً عَصُرَ الآفاقِ من عَصْرِهِ

* الأغاني : ٨ - ٢٥٩ (مطبعة دار الكتب) .

- (١) عليّ بن جبلة ، ويلقب بالعمكوك : شاعر مطبوع عذب اللفظ ، لطيف المعاني ، مداح حسن التصرف ، استفاد شعره في مدح أبي دلف العجل وأبي عام الطوسي ، وزاد في تفضيل أبي دلف ؛ حتى فضله على أهل مصر كلهم . أسخط المأمون وكان سبباً في تعذيبه . توفى سنة ٢١٣ هـ .
(٢) كنيته أبو دلف ، وكان عمله في الشجاعة وعلوُّه المُلِّ عند الخلفاء وعظمُ الفناء في المشاهد وحنُّ الأدب وجودة الشعر محلاً لم يكن لأحد من نظرائه . (٣) أشر (كفرح) : مرج
(٤) حسرت : انكفشت . (٥) الرشاء : (في الأصل) ولد الظبي . (٦) العقل : الدية .

الْمَنَابِيَا فِي مَقَانِهِ ^(١) وَالْمَطَايَا فِي ذَرَا حُجْرِهِ
 مَلِكٌ تَنْدَى أَنَامِلُهُ كَانِبِلَاحِ النَّوْءِ عَنْ مَطَرِهِ
 مُسْتَهْلٌ عَنْ مَوَاهِبِهِ كَابْتِسَامِ الرُّؤُوسِ عَنْ زَهْرِهِ
 جَبَلٌ عَزَّتْ مَنَاكِبُهُ أُمِنَتْ عَدَنَانُ فِي نَفَرِهِ
 إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ ^(٢) بَيْنَ مَبْدَاهُ وَمَحْتَضَرِهِ
 فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ
 كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ بَيْنَ بَادِيهِ إِلَى حَضَرِهِ
 مُسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرَمَةٌ يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَخَرِهِ

فغضب المأمون، واغتاظ، وقال: لست لأبى إن لم أقطع لسانه أو أسفك دمه.
 ثم قال: اطلبوه حيث كان؛ فطلب فلم يقدر عليه. ولما اتصل به الخبر هرب إلى
 الجزيرة، فكتب إلى الآفاق في طلبه، فهرب من الجزيرة إلى الشام، وظفروا به
 هناك، وأخذ وحل إلى المأمون.

ولما وصل إليه سبه، وقال له: أنت القائل للقاسم بن عيسى:

كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ بَيْنَ بَادِيهِ إِلَى حَضَرِهِ
 مُسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرَمَةٌ يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَخَرِهِ

جملتنا عن يستعير المكارم منه! فقال له: يا أمير المؤمنين؛ أأنتم أهل بيت

(١) المقاب: جمع مقب؛ وهو جماعة الخيل تنير (٢) قيل: إنه بينا أبو دلف يسير مع
 مقل مرا بقصر، فأشرفت منه جارتان، فقالت إحداهما للأخرى: هذا أبو دلف الذى يقول فيه
 الشاعر: «إنما الدنيا أبو دلف»، فقالت الأخرى: أو هذا؟ قد والله كنت أحب أن أراه منذ
 سمعت ما قيل فيه، فالتفت أبو دلف إلى مقل، فقال: ما أنصفنا على بن جبلة ولا وفتناه حقه، وإن
 ذلك لمن كبير همى، وكان قد أعطاه ألف درهم.

لا يُقَاسُ بِكُمْ أَحَدٌ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ فَضَّلَكُمْ عَلَى خَلْقِهِ ، وَاخْتَارَكُمْ لِنَفْسِهِ ، وَإِنَّمَا عَنَيْتَ بِقَوْلِي فِي الْقَاسِمِ أَشْكَالَ الْقَاسِمِ وَأَقْرَانَهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا اسْتَشْنَيْتَ أَحَدًا ، وَلَسْتُ اسْتَحْلَ دَمَكَ لَذَاكَ ، وَلَكِنِّي اسْتَحْلَهُ بِقَوْلِكَ وَكَفْرِكَ فِي شَعْرِكَ ، حَيْثُ تَقُولُ الْقَوْلَ الَّذِي أَشْرَكَتَ فِيهِ :

أَنْتَ الَّذِي تُنْزِلُ الْأَيَّامَ مَنَازِلَهَا وَتَنْقُلُ الدَّهْرَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
وَمَا مَدَدْتَ مَدَى طَرَفٍ إِلَى أَحَدٍ إِلَّا قَضَيْتَ بِأَرْزَاقٍ وَأَجَالٍ
كَذَبْتَ . . . مَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، الْمَلِكُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ،
ثُمَّ أَمْرٌ بِعِقَابِهِ !

١٣٧- مِدْحَة شاعر وعَظِيَة أمير*

قال علي بن جبلة : زرتُ أبا دُلْفٍ بالجبل^(١) ، فكان يُظهر من إكرامِي
وبرِي والتحنِّي^(٢) بي أمراً مفرطاً ، حتى تأخرت عنه حيناً حياءً ؛ فبعث إلى مَعْقِلَ
ابن عيسى ، فقال : يقول لك الأمير : قد انقطعت عني ، وأحسبك استقلتَ برِي
بك ، فلا يفضبتك ذلك فسأزيد فيه حتى ترضى . فقلت : والله ما قطعني إلا
إفراطه في البر ، وكتبتُ إليه :

هجرتك لم أهجرك من كفرِ نعمةٍ وهل يُرتجى نيلُ الزيادةِ بالكفرِ !
ولكنني لما أتيتك زائراً فأفرطت في برِّي هجرتُ عن الشكرِ
فإِلان^(٣) لا آتيك إلا مسلماً أزورك في الشهرين يوماً أو الشهرِ
فإن زدتنى برّاً تزايدتُ جفوةً ولم تلقني طولَ الحياةِ إلى الحشرِ !
فلما قرأها مَعْقِل استحسنها ، وقال : أحسنتَ والله ! أما إن الأمير لتمجبه
هذه المعاني .

فلما أوصلها إلى أبي دُلْفٍ قال : قاتله الله ! ما أشعره وأدقَ معانيه ! وأعجبه
وأجابني لوقته - وكان حسن البديهة حاضر الجواب :
ألا ربَّ ضيفٍ طارقٍ قد بسَّطته وآنسته قبل الضيافةِ بالبشرِ

* الأغاني : ٧ - ٢٥٦ (طبعة دار الكتب)

(١) بلاد الجبل : مدن بين أذربيجان والعراق

(٢) تحنى به : بالغ في إكرامه

(٣) يريد فن الآن .

أتاني يرجيني فما حال دونه ودون القرى والمرف من نائي سترى
وجدت له فضلاً على بقصده إلى ، وبراً زاد فيه على برى
فزودته مالا يقل بقاؤه دزودني مدحاً يدوم على الدهر
وبعث إلى بالآيات مع وصيف له ، وبعث إلى بألف دينار ؛ فقلت حينئذ :
إنما الدنيا أبو دلف بين مبداه ومحتضره

١٣٨ - بين أبي تمام وعبد الله بن طاهر*

لما شَخَّصَ أبو تمام ^(١) إلى عبد الله بن طاهر ^(٢) وهو بخُرَّاسان ، أقبل الشتاء وهو هناك : فاستنقل البلد ، وكان عبد الله وجد ^(٣) عليه ، وأبطأ بجائزته ؛ لأنه نثر عليه ألف دينار ، فلم يمسسها بيده ترفعاً عنها ، فقال : يحقر فعلى ، ويرفع على ! فكان يبعث إليه بالشيء بعد الشيء كالتقوت . فقال أبو تمام :

لم يبقَ للصَّيفِ رَمَمٌ ولا طَلَلٌ ولا قَشِيبٌ فَيَسْتَكْسَى ولا سَمَلٌ ^(٤)
عدلٌ من الدمع أن يَبْكِيَ المصيفَ كما يُبْكِي الشَّبابُ وَيُبْكِي اللّهُوُ والغزلُ
يَمْنَى الزَّمانِ انْقَضَى معروفُها وَغَدَتْ يُسْراهُ وَهَى لنا من بعدها بَدَلُ

فبلغت الأبيات أبا العيثل شاعر آل طاهر ، فأتى أبا تمام واعتذر إليه لعبد الله ابن طاهر .

ثم دخل إلى عبد الله فقال : أيها الأمير ؛ أتهاون بمثل أبي تمام ، وتحفوه ! فوالله لو لم يكن له ماله من النباهة في قدره ، والإحسان في شعره ، والشائع من ذكره ، لكان الخوف من شره ، والتوقى لدمه يُوجبُ على مثلك رعايته ومراقبته ،

* الأغانى : ١٥ - ١٠٢ (طبعة الساسى)

- (١) هو حبيب بن أوس ، ولد بالشام ثم انتحدر إلى مصر ، فروى الأدب وأقن الشعر ، ثم سار إلى بغداد فمدح الخليفة وغيره ، وارتفع ذكره وتقدم على شعراء عصره ومات سنة ٢٣١ هـ .
(٢) عبد الله بن طاهر : ولد سنة ٢٨١ هـ في خلافة الرشيد ونشأ نشأة مجيدة ، ثم نشأ في كنف للأمون حيث كان أبوه من أكبر قواده . ثم حل عند المأمون بعد وفاة أبيه عمله ، وكان كثير الاعتماد عليه حسن الالتفات إليه . وكان عبد الله أيضاً ظريفاً شاعراً مترسلاً جيد الفناء . توفي سنة ٢٣٨ هـ .
(٣) وجد عليه : غنصب (٤) السمل : الثوب الخلق .

فكيف وله بنزوعه إليك من الوطن ، وفراقه السكن شفيح ! وقد قصدك عاقداً بك أمله ، مُعَمِّلاً إليك ركا به ، متعباً فيك فكره وجسمه ، وفي ذلك مايلزمك قضاء حقه حتى ينصرف راضياً ، ولو لم يأت بفائدة ولا سُمِعَ فيك منه ماسُمِعَ إلا قوله .

يَقُولُ فِي قُومِسٍ ^(١) صَحْبِي وَقَدْ أَخَذْتُ مِنْهَا الشَّرَى وَخُطّاً لِلْمَهْرِيَّةِ ^(٢) الْقُودِ ^(٣)
أَمَطَعَ الشَّمْسَ تَبَغَى أَنْ تَوْثَمَ بِنَا ؟ فَقُلْتُ : كَلَّا ! وَلَكِنْ مَطْلَعُ الْجُودِ
لِكُنْفَى ! فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ لَقَدْ تَبَّهَتْ فَأَحْسَنْتَ ، وَعَاتَبْتَ فَأَوْجَعْتَ ، وَلَكِ
وَلَأَبِي تَمَامِ الْعُتْبَى ^(٤) . ادْعُهُ يَا غِلَامَ فَدَعْلُهُ . فَنَادَمَهُ يَوْمَهُ ، وَأَمَرَ لَهُ بِدِنَارٍ وَمَا يَحْمِلُهُ
مِنَ الظَّهْرِ ، وَخَالَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً تَامَةً مِنْ ثِيَابِهِ ، وَأَمَرَ بِبَذْرِ رَقَّتِهِ ^(٥) إِلَى آخِرِ عَمَلِهِ .

(١) قومس : إقليم في طبرستان (٢) الإبل المهرية : تنسب إلى مهرة : حمى في العرب .
(٣) القود : جمع أفود وهو الطويل النقي (٤) أعتبه : سره بعد ما ساءه ، والاسم العتبي
(٥) البذرقة : الحفارة .

١٣٩ — لا يعجبنا من بَصُونِ ثيابه خَوْفَ النِّبَارِ وعِرْضِهِ مَبْذُولٌ *

ارتاح محمد^(١) بن عبد الله بن طاهر يوماً للندامة ، وقد حضره ابنُ طالوت ، وكان وزيره وأخصَّ الناسِ به وأحضرهم لخلواته ، فأقبل عليه ، وقال : لا بد لنا اليومَ من ثالثٍ تَطِيبُ لنا به المعاشرة ، وتلذُّ بمُنَادِمته المُوَاساة ؛ فَمَنْ ترى أن يكون ؟ وأعفنا أن يكون شريرَ الأخلاق ، أو دَنَسَ الأعراق ، أو ظاهر الإملاق .

قال ابنُ طالوت : فأعملت الفِكر ، وقلت : أيها الأمير ؛ خطر بيالى رجلٌ ليس علينا من مجالسته مثونة ، وقد برئ من إبرام^(٢) المجالسين ، وخلا من قتل المُوَاسين ، خفيفُ الوطأة إذا أذنبته ، سريعُ الوُتْبة إذا أَمَرته .

قال : ومن ذلك ؟ قلت : ماني^(٣) المَوْسوس . قال : أحسنت والله ! فما كان بأسرع من أن اقتنصه صاحبُ الشرطة ؛ فصار به إلى الأمير ، فأخذ ونُظِفَ وأدخل الحمام ، وألبس ثياباً نظافاً ، وأدخل عليه ، فقال : السلام عليك أيها الأمير ، فقال محمد : وعليك السلام يا ماني . أما آن لك أن تزورنا على حين تَوَقَّانٍ منا إليك ، ومنازعة قلوب منا نحوك ؟ فقال : الشوق شديد ، والحب عتيد ، والمزار بعيد ، والحجاب صعب ، والبواب فظٌّ ؛ ولو سَهَّلْ لنا في الإذن لَسَهَّلْتُ علينا الزيارة !

* الأغانى : ٢٠ - ٨٥ (طبعة الساسى) السمودى : ٢ - ٢٤٥

(٢) توفى سنة ٢٥٣ هـ وذلك في خلافة المعتز . وكان من الجود والكرم وغزارة الأدب ما لم يكن عليه أحد من نظرائه (٢) أبرمه : أملة (٣) ماني المَوْسوس : اسمه محمد بن القاسم ، شاعر لين الشعر رقيقه ، لم يقل شيئاً إلا في الفزل ، وماني لقب غلب عليه .

فقال : أَلْطَفْتَ فِي الاسْتِئْذَانِ ، فَلْيَلْطَفْ لَكَ فِي الْإِذْنِ ؛ لَا يَمْنَعُ مَانِي أَى وَقْتٍ
وَرَدَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ .

ثُمَّ أَدْنَى لَهُ فِي الْجُلُوسِ فَجَلَسَ ، وَدَعَا بِالطَّعَامِ فَأَكَلَ ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ ، وَأَخَذَ
مَجْلِسَهُ . وَكَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ تَشَوَّقَ إِلَى السَّمَاعِ مِنْ مَوْئِئَةِ جَارِيَةِ بِنْتِ الْمُهْدَى فَأَحْضَرَتْ ،
فَكَانَ أَوَّلَ مَا غَنَتْ بِهِ :

وَلَسْتُ بِنَاسٍ - إِذْ غَدَاوَا فَتَحْمَلُوا - دَمْعِي عَلَى الْخَلْدَيْنِ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ
وَقَوْلِي وَقَدْ زَالَتْ بَلِيلُ حَوْمَلَمْ بَوَا كَرْتُحْدَى : لَا يَكُنْ آخِرَ الْعَهْدِ
فَقَالَ مَانِي : أَحْسَنْتِ ! وَبِحَقِّ الْأَمِيرِ إِلَّا مَا زِدْتِ فِيهِ :

وَقَدْ أَنَاجَى الْفِكْرَ وَالْدَمْعُ حَائِرٌ مَمْلَأَةٌ مَوْقُوفٌ عَلَى الضَّرِّ وَالْجَهْدِ^(١)
وَلَمْ يُعَذِّنِي هَذَا الْأَمِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى ظَالِمٍ قَدْ لَجَّ فِي الْهَجْرِ وَالصَّدِّ
فَانْدَفَعَتْ تَعْنِيهِ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : أَعَاشِقُ أَنْتِ ؟ فَاسْتَحْيَا ، وَغَمَزَهُ ابْنُ طَالُوتَ
أَلَّا يَبُوجَ لَهُ شَيْءٌ فَيَسْقُطَ مِنْ عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ : مَبْلَغُ طَرْبٍ وَشَوْقٍ كَانَ كَأَمْنًا فَظَهَرَ ؛
وَهَلْ بَعْدَ الشَّيْبِ صَبُوءَةٌ !

ثُمَّ اقْتَرَحَ مُحَمَّدٌ عَلَى مَوْئِئَةِ هَذَا الصَّوْتِ :
حَبِّبُوهَا عَنِ الرِّيَّاحِ لِأَنِّي قُلْتُ : يَارِيحُ بَلِّغِيهَا السَّلَامَا
لَوْ رَضُوا بِالْحِجَابِ هَانَ وَلَكِنْ مَنَعُوهَا عَنِ الرِّيَّاحِ الْكَلَامَا
فَفَتْنَتْهُ ؛ فَطَرَبَ مُحَمَّدٌ ، وَدَعَا بِرُطَلٍ فَشَرَبَ ، فَقَالَ مَانِي : مَا عَلَى قَاتِلِ هَذَا الشَّعْرِ
لَوْ زَادَ فِيهِ :

(١) الضَّرُّ : سُوءُ الْحَالِ ، وَالْجَهْدُ : الْمُشَقَّةُ .

فَتَنَفَّسْتُ ، ثُمَّ قُلْتُ لَطِيفِي : آهَ إِنْ زُرْتَ طَيْفَهَا إِيَّامَا
خُصَّهَ بِالسَّلَامِ مِنِّي فَأَخْشَى يَمْنَعُوهَا لِشِقْوَتِي أَنْ تَنَامَا
لَكَانَ أَثَقَبَ ^(١) لَزَنْدِ الصَّبَابَةِ بَيْنَ الْأَحْشَاءِ ، وَأَشَدَّ تَقَلُّعًا إِلَى الْعَكْبَدِ ^(٢)
الصادية من زلال الماء ، مع حسن تأليف نظمه ، والانتهاه بالمعنى إلى نهاية تمامه ؛
فقال محمد : أَحْسَنْتَ ! ثُمَّ أَمْرٌ مُؤَنِّسَةٌ يُلْحَاقُهُمَا بِالْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ ، وَالْفَنَاءُ بِهِمَا ،
فَفَعَلْتُ . ثُمَّ غَنَتْ بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ :

يَا خَلِيلِي سَاعَةً لَا تَرِيْمَا ^(٣) وَعَلَى ذِي صَبَابَةٍ فَأَقْبِمَا
مَا مَرَّرْنَا بَدَارَ زَيْنَبٍ إِلَّا هَتَّكَ الدَّمْعُ سَرَّانَا الْمَكْتُومَا
فَاسْتَحْسَنَهُ مُحَمَّدٌ ، فَقَالَ مَانِي : لَوْلَا رَهْبَةُ التَّعْدِي لِأَضْفَتِ إِلَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ
بَيْتَيْنِ لَا يَرِدَانِ عَلَى سَمْعِ ذِي لُبٍّ فَيَصْدُرَانِ إِلَّا عَنْ اسْتِحْسَانٍ لِهَمَا ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ :
يَا مَانِي ! الرِّغْبَةُ فِي حَسَنِ مَا تَأْتِي بِهِ حَائِلَةٌ دُونَ كُلِّ رَهْبَةٍ ، فَهَاتِ مَا عِنْدَكَ !
فَقَالَ :

ظَلِيَّةٌ كَالْمَلَالِ لَوْ تَلَحَّظَ الصَّنْخُ رَ بَطَرْفٍ لِفَادَرَتُهُ هَشِيْمَا
وَإِذَا مَا تَبَسَّمَتْ خِلْتُ إِيْمَا ضَ بُرُوقٍ أَوْ لَوْلُؤًا مَنْظُومَا
فَقَالَ : أَحْسَنْتَ يَا مَانِي ! فَأَجِزْ ^(٤) هَذَا الشَّعْرُ :

لَمْ تَطْلُبِ اللَّذَاتِ إِلَّا بِمَنْ طَابَتْ بِهَا اللَّذَاتُ مَانُوسَه
غَنَتْ بِصَوْتٍ أَطْلَقَتْ عَابِرَةً كَانَتْ بِسَجْنِ الصَّبْرِ مَحْبُوسَه
فَقَالَ مَانِي :

وَكَيْفَ صَبَرَ النَّفْسُ عَنْ غَادَةِ أَظْلَمِهَا إِنْ قُلْتُ : طَاوُسَه !

(١) ثَقَبَ النَّارَ : انْتَقَدَتْ . وَالزَنْدُ : الْمَوَدُّ الَّذِي يَقْدَحُ بِهِ الْبَارُّ وَهُوَ الْأَعْلَى (٢) الْعَكْبَدُ : مُؤَنِّسَةٌ
وَقَدْ تَذَكَّرَ (٣) لَا تَرِيْمَا : لَا تَبْرَحَا (٤) الْإِجَازَةُ فِي الشَّعْرِ : أَنْ تَمَّ شَعْرٌ غَيْرُكَ .

وَجُرْتُ إِنْ شَبَّهْتُهَا بَانَةً^(١) فِي جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ مَفْرُوسَةٍ
وغيرُ عدلٍ إِنْ عدَلْنَا بِهَا جَوْهَرَةً فِي الْبَحْرِ مَغْمُوسَةً
ثم سكت ، فقال محمد : ما عدا في وصفه لها ، فقال ماني :

جَلَّتْ عَنِ الْوَصْفِ فَمَا فِكْرَةٌ تُلْحِقُهَا بِالنِّعَةِ مُحْسُوسَةٌ

فقال محمد : أحسنت ! فقالت مؤنسة : وجب شكرُك يا ماني . نساعداك
الدهر ، وعطف عليك إلفك ، وقارنك سرورك ، وفارقك محذورك ، والله يُديم
لنا ذلك ببقاء من به اجتمع شملنا ، فقال لها ماني - عند قولها : « وعطف عليك
إلفك » - محيياً :

ليس لي إلفٌ فيعطفني فارقَتِ نفسِي الأباطيلُ
أنا موصول بنعمة من حَبَلُهُ بِالْمَجْدِ موصول
أنا مغبوط بنعمة من طَبْعُهُ بِالْمَجْدِ مأمول
فأوماً إليه ابن طالوت بالقيام فنهض ، وهو يقول :

ملك قلَّ النظر لِهْ زَانِهْ الْفَرْ الْبَهَائِلِ
طاهريُّ فِي مَوَاكِهْ عُرْفُهُ فِي النَّاسِ مَبْذُولِ

فقال محمد : وجب جزاؤك لشُكْرِكَ على غيرِ نعمةٍ سبقتُ ، ثم أقبل على ابن
طالوت ، فقال : ليست خسارة المرء ، ولا انضاع دهره ، ولا نبوءة العين عن الظاهر
بمذهبٍ ما ركب فيه من الأدب ، وما أخطأ صالح بن عبد القدوس حين يقول :

لا يعجبنيكَ من يَصُونُ ثِيَابَهُ خَوْفَ الْغَبَارِ وَعَرْضُهُ مَبْذُولِ
فلربما افتقر الفتى فرأيتَه دَنَسَ الثِّيَابِ وَعَرْضُهُ مَفْسُورِ

فلم يزل محمد يُجَرِّبُ عليه رزقه حتى توفى !

١٤٠ - سِمْيَاةُ*

سُمِّيَ بِأَبِي الْحَسَنِ ^(١) هَلِي بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَلَوِيَّ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ ، وَقِيلَ لَهُ : إِنْ فِي مَنْزِلِهِ
سِلَاحًا وَكُتُبًا وَغَيْرَهَا مِنْ شِيعَتِهِ ، فَوَجِّهْ إِلَيْهِ لَيْلًا مَنْ هَجَمَ عَلَيْهِ فِي مَنْزِلِهِ عَلَى غَفْلَةٍ
يَمْنَنُ فِي دَارِهِ ، فَوُجِدَ فِي بَيْتٍ وَحْدَهُ ، مَغْلُوقٍ عَلَيْهِ ، وَعَلَيْهِ مِذْرَعَةٌ ^(٢) مِنْ شَعْرِ ، وَلَا
بَسَاطَ فِي الْبَيْتِ إِلَّا الرَّمْلُ وَالْحَصَى ، وَعَلَى رَأْسِهِ مِخْلَفَةٌ ^(٣) مِنْ الصُّوفِ ، مُتَوَجِّهًا إِلَى
رَبِّهِ يَتَرْتَمُّ بِآيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ فِي الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ .

فَأَخِذَ هَلِي مَا وَجِدَ عَلَيْهِ ، وَحَمَلَ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ؛ فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ
وَالْمُتَوَكِّلُ يُشْرِبُ ، وَفِي يَدِهِ كَأْسٌ ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ أَغْطَمَهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي
مَنْزِلِهِ شَيْءٌ مِمَّا قِيلَ فِيهِ ، وَلَا حَالُهُ يُتَمَثَّلُ عَلَيْهِ بِهَا ؛ فَنَادَاهُ الْمُتَوَكِّلُ الْكَأْسَ الَّتِي فِي
يَدِهِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ مَا خَاصَرَ لَحْيِي وَدُمِي قَطْ ! فَأَعْفَنِي مِنْهُ ، فَأَعْفَاهُ ، وَقَالَ :
أَنْشِدْنِي شِعْرًا اسْتَحْسِنُهُ ، فَقَالَ : إِنِّي لَقَلِيلُ الرِّوَايَةِ لِلْأَشْعَارِ ؛ فَقَالَ : لَا بَدَأَنْ
تَنْشِدُنِي فَأَنْشُدْهُ :

بَاتُوا عَلَى قُلُلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ عُلْبُ ^(٥) الرِّجَالِ فَمَا أَغْنَتْهُمْ الْقُلُلُ
وَاسْتَنْزَلُوا بَعْدَ عَزٍّ مِنْ مَعَاظِلِهِمْ فَأَوْدَعُوا حُفْرًا ، يَا بَنِيَّ مَا نَزَلُوا !

* ابن خلكان : ١ - ٣٢٢

- (١) هو أحد الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ، كان مولده بالمدينة ، وأقام بها ، ولما كثرت
السماية به عند المتوكل قُتِلَ لِي سِرٍّ مِنْ رَأْيِ فَأَقَامَ بِهَا ٢٠ سنة . وتوفي سنة ٢٥٤ هـ .
(٢) المدرعة : نوع من الثياب (٣) الملحفة : اللباس فوق سائر اللباس يتقى به البرد كالصاف
(٤) القلب : جمع أغلب وهو الشجاع ، وأصل الأغلب : الأسد .

ناداهم صارخ من بعد ما قُبِرُوا : أين الأسرة والتيجان والحلل !
 أين الوجوه التي كانت منعمَةً من دونها تُضربُ الأستار والكِلَلُ !
 فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم : تلك الوجوه عليها الدود يقتتلُ
 قد طالما أكلوا دهرًا وما شَبِعُوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا
 وطالما عَمَرُوا دُورًا لتحصنهم ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا
 وطالما كنزوا الأموالَ وأدَّخروا فخلَّفوها على الأعداء وارتحلوا
 أضحت منازلهم قفرًا معطلةً وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا
 فأشفقَ مَنْ حضر على عليّ ، وظنُّوا أن بادرةً تبدر منه إليه ، ولكن المتوكل
 بكى بكاءً طويلاً ، حتى بليت دموعه لحيته وبكى مَنْ حَضَره ، ثم أمر برفع الشراب ،
 وقال : يا أبا الحسن ؛ أعليك دين ؟ قال : نعم أربعة آلاف دينار ! فأمر بدفعها إليه ،
 وردّه إلى منزله من ساعته مكرماً .

١٤١ — أشعر من بالشام ومن بالعراق *

دخل أبو نصر المنذرى على أبي العلاء^(١) المعرى فى جماعة من أهل الأدب ؛
فأنشد كل واحد من شعره ما يتيسر ، وأنشده أبو نصر :

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاء مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه^(٢) فحنّا علينا حنوّ الوالدات على القطيم
وأزشفنا على ظلم زلالا^(٣) ألدّ من المدامة^(٤) للنديم
يصدّ الشمس أنى واجهتنا فيحببها ويأذن للنسيم
يروع^(٥) حصاء حالية^(٦) المذارى فتلس جانب العقسد النظم
فقال أبو العلاء : أنت أشعر من بالشام .

ثم رحل أبو العلاء إلى بغداد ، فدخل المنذرى عليه فى جماعة من أهل الأدب
بيغداد ، وأبو العلاء لا يعرف منهم أحداً ، فأنشد كل واحد منهم ما حضره من شعره ،
حتى جاءت نوبة المنذرى فأنشده :

لقد عرض الحام لنا يسجع إذا أضنى له ركب تلاحي^(٧)

* المستطرف : ١ - ٤٦ .

(١) أبو العلاء المعرى : هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعرى الضرير الفيلسوف المؤلف
نشأ بالمعرة ، ودرس على أبيه وأهله صبيّاً ، ثم على علماء حلب وأعلى الشام حتى صار علماً بالاشتهار ،
ثم ذهب إلى بغداد ولاقى علماءها ورؤساءها ، ومكث فيها فلم يطب له العيش فرجع إلى منزله ولم
يخرج منه . وعمر حتى مات سنة ٤٤٩ هـ . (٢) الدوح : جم دوحه : الشجرة العظيمة من أى
شجر كان (٣) ماء زلال : عذب (٤) المدامة : الخمر (٥) يروع : يفزع (٦) حليت
للرأة : صارت ذات حلى ، فهي حلية وحالية (٧) تلاحي : تنازع .

شجى ^(١) قلب الخلى فقليل : غنى و برح ^(٢) بالشجى ^(٣) فقليل : نأحا
وكم للشوق فى أحشاء صبر إذا اندملت أجدا لها جراحا
ضعيف الصبر عنك وإن تقاوى وسكران الفؤاد وإن تصاحى
بذاك بنو الهوى سكرى صحاة كأحداق ألها مرضى صحاحا
فقال أبو العلاء : ومن بالعراق : (عطفنا على قوله : من بالشام ^(٤)) !

(١) شجاء : أطربه (٢) برح به الأمر : جهده (٣) الشجى : الحزين .
(٤) المعروف أن الأبيات الأولى لمحدونه الأندلسية .

١٤٢ — ابن جاح ينشد المعتضد بن عباد شعره *

ورد ابن جاح الشاعر على المعتضد بن عباد ، فدخل الدار المخصوصة بالشعراء فسألوه ، فقال : إني شاعر ! فقالوا : أنشدنا من شعرك ؛ فأنشدهم شعراً ضحكوا منه وازدروه .

فقال بعض عقلائهم : دعوه ، فإن هذا شاعر ، وما يبعد أن يدخل مع الشعراء ويندرج في سلكهم ؛ فلم يبالوا كلام الرجل .

فبقى معهم ، وكان لهم في تلك الدولة يومٌ مخصوص ، لا يدخل فيه على الملك غيرهم ، فقال بعض لبعض : هذه شُنة^(١) بنا أن يكون مثل هذا البادى يُقدَّم علينا ، ويحتري على الدخ .

فاتفقوا على أن يكون هو أول متكلم في اليوم المخصوص بهم عند جلوس السلطان ، وقدروا أن يقول مثل ذلك الشعر المضحك فيطرده عنهم ، ويكون ذلك حسماً لعله إقدام مثله عليهم .

فلما كان اليوم المذكور ، وقعد السلطان في مجلسه ، ونُصِبَ الكرسي لهم ، رغبوا منه أن يكون هذا القادم أول متكلم في ذلك اليوم ، فأمر بذلك فصعد الكرسي ، وانتظروا أن ينشد مثل ذلك الشعر المضحك ، فقال :

قَطَّمَتِ يَـأِ يَوْمَ النُّوَى أَكْبَادِي وَحَرَمَتْ عَن عَيْنِي لَذِيذَ رُقَادِي
وَتَرَكْتَنِي أَرعى النُّجُومَ مَسْهَدًا وَالنَّارُ تُضْرَمُ فِي صَمِيمِ فَوَادِي

* فقه الطيب : ٢ - ٤٦٨ .
(١) الشاعة : الفطاعة ، والأسم الشنة .

فَكَأَنَّمَا آلَى الظَّلَامُ أَلِيَّةٌ لَا يَنْجَلِي إِلَّا إِلَى مِيعَادٍ
وَلَرُبَّ خَرَقٍ^(١) قَدْ قَطَعْتَ نِيَابَهُ وَاللَّيْلُ يَرْفُلُ فِي ثِيَابِ حُدَادٍ
بِشِمْلَةٍ^(٢) حَرْفٍ^(٣) كَانَ ذَمِيلَهَا سَرَحٌ^(٤) الرِّيحِ ، وَكُلُّ بَرْقٍ غَادِي
وَالنَّجْمُ يَحْدُوهَا وَقَدْ نَادَيْتَهَا : يَا نَاقَتِي عُوجِي عَلَى عَبَّادٍ
مَلِكٌ إِذَا مَا أُضْرِمَتْ نَارُ الْوُغَى وَتَلَاقَتْ الْأَجْنَادَ بِالْأَجْنَادِ
فَتَرَى الْجُسُومَ بِلَا رَمُوسٍ تَنْثَنِي وَتَرَى الرَّمُوسَ لَقَى^(٥) بِلَا أَجْسَادِ
يَأْيُهَا الْمَلِكُ الْمُؤَمِّلُ وَالَّذِي قَدُمًا سَمَا شَرْفًا عَلَى الْأَنْدَادِ
إِنْ الْقَرِيضُ لَكَاسِدٌ فِي أَرْضِنَا وَلَهُ هُنَا سَوْقٌ بَغِيرُ كَسَادِ
فَجَلَبْتُ مِنْ شَعْرَى إِلَيْكَ قَوَافِيًّا يَفْنَى الزَّمَانَ وَذَكَرُهَا مَتَادِي
مِنْ شَاعِرٍ لَمْ يَضْطَلْعِ أَدْبَابًا وَلَا خَطَّتْ يَدَاهُ صَحِيفَةً بِمَدَادِ
فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَنْتَ ابْنُ جَانَحٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ! فَقَالَ : اجْلِسْ ، فَقَدْ وَلَيْتُكَ رِيَاةَ
الشُّعْرَاءِ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَأْذِنْ فِي الْكَلَامِ فِي ذَلِكَ لِأَحَدٍ بَعْدَهُ !

(١) الخرق : القفر والأرض الواسعة (٢) الشملة : البسريمة (٣) الحرف : الناقة الضامرة
(٤) سرح الرياح : لإرسالها (٥) اللقي : ما طرح .

البَابُ الرَّابِعُ

في القصص التي تسرد بارع ملّحهم ، ورائع طرفهم ،
في جواباتهم المسكتة ، وتصرفاتهم الحكيمة ، وتخلصاتهم
اللبقة ، مما يدل على حضور الذهن وسرعة البديهة ،
وشدة العارضة .

١٤٢ - حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَالنَّابِغَةُ *

قال حسان بن ثابت : قدمتُ على النعمانِ بنِ المنذر وقد امتدحتهُ ، فاتيتُ حاجبه عِصَّامَ بنَ شَهْبَرٍ فجلستُ إليه ، فقال : إني لأرى عرباً ، أفن الحجاز أنت ؟ قلت : نعم قال : فكن قحطانياً ، قلت : فأنا قحطاني ، قال : فكن يثريباً ، قلت : فأنا يثيربي ، قال : فكن خَزْرَجِيّاً ، قلت : فأنا خَزْرَجِي ، قال : فكن حسانَ ابنِ ثابت . قلت : فأنا هو !

قال : أَجِئْتَ بِمَدْحَةِ الْمَلِكِ ؟ قلت : نعم ، قال : فإني أُرشِدُكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ ، فإنه يسألك عن جَبَلَةِ بنِ الأيهم ويسئبه ، فإياك أن تساعدَه على ذلك ، ولكن أَمِرٌ ذِكْرَه إِسْرَاراً لَا تَوَافُقُ فِيهِ وَلَا تَخَالُفُ ، وقل : مادخولُ مثلي أيُّها الملك بينك وبين جَبَلَةٍ وهو منك وأنتَ منه ! وإن دعاك إلى الطعام فلا تؤاكله ، فإن أقسم عليك فأصِيبَ منه اليسيرُ إصَابَةً بَارَةً قَسَمَهُ ، متشرفٍ بمؤاكلته ، لا أكلِ جَانِعٍ سَغَبٍ ^(١) ، وَلَا تُظِلُّ مُحَادَثَتَهُ ، وَلَا تَبْدُوهُ بِإِخْبَارٍ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ السَّائِلُ لَكَ ، وَلَا تُظِلُّ الْإِقَامَةَ فِي مَجْلِسِهِ .

فقلت : احسن الله رِفْدَكَ ! قد أَوْصَيْتَ وَاعِياً . ودخل ، ثم خرجَ إلى فقال لي : ادْخُلْ ، فدخلتُ فَسَلَّمْتُ وَحَيَّيْتُ نَحْيَةَ الْمَلُوكِ .

ثم جرى بيني وبينه في شأن جَبَلَةَ ما قاله عِصَّامُ كأنه كان حاضراً ، وأجبتُ بما أمرني ، ثم استأذنيتهُ في الإنشاد فَأَذِنَ لي ؛ فَأَنشَدْتُهُ . ثم دعا بالطعام ، ففعلتُ ما أمرني عِصَّامُ به ، وبالشراب ففعلتُ مثل ذلك ، فأمر لي بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ وَخَرَجْتُ .

* الأغانى : ٩ - ١٦٤ (طبعة الساسي)

(١) السغب : الجوع ؛ وَلَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ تَعَبٍ .

فقال لى عصام : بَقِيتْ عَلَى وَاحِدَةٍ لَمْ أُوصِكَ بِهَا ، قَدْ بَلَغْنِي أَنَّ النَّابِغَةَ ^(١) الذِّبْيَانِي قَدِمَ عَلَيْهِ ، وَإِذَا قَدِمَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُ جَظٌّ سِوَاهُ ، فَاسْتَأْذَنَ حِينَئِذٍ وَانصَرَفَ مَكْرَمًا ؛ فَذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَنْصَرَفَ مَجْفُورًا .

فَأَقَمَتْ بِيَابَهُ شَهْرًا ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ فَزَارَ إِيَّاهُ كَانَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ النِّعْمَانِ دُخْلٌ ^(٢) ، وَكَانَ مَعَهُمَا النَّابِغَةُ قَدْ اسْتَجَارَ بِهِمَا ، وَسَأَلَهَا مَسْأَلَةَ النِّعْمَانِ أَنْ يَرْضَى عَنْهُ ، فَضَرَبَ عَلَيْهِمَا قَبَّةً مِنْ أَدَمَ ، وَلَمْ يَشْعُرْ أَنَّ النَّابِغَةَ مَعَهُمَا ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمَا بِطِيبٍ وَأَطَافٍ مَعَ قَيْنَةٍ مِنْ إِمَائِهِ ، فَكَانَا يَأْمُرَانِهَا أَنْ تَبْدَأَ بِالنَّابِغَةِ قَبْلَهُمَا ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِلنِّعْمَانِ ، فَعَلِمَ أَنَّ النَّابِغَةَ ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهَا شَعْرَهُ :

• يَادَارِمِيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ فَالْسِّنَدِ •

وَسَأَلَهَا أَنْ تُغْنِيَهُ بِهِ إِذَا أَخَذَتْ فِيهِ الْخَمْرَ ، فَفَعَلَتْ ، فَأَطْرَبَتْهُ ، فَقَالَ : هَذَا شَعْرُ النَّابِغَةِ .

ثُمَّ خَرَجَ فِي غَيْبٍ ^(٣) سَمَاءَ ، فَعَارَضَهُ الْفَزَارِيَانِ وَالنَّابِغَةُ بَيْنَهُمَا قَدْ خَضِبَ بِحَنَاءَ ، فَأَقْنَأَ ^(٤) خَضَابَهُ ، فَلَمَّا رَأَى النِّعْمَانُ قَالَ : هِيَ بِدَمٍ كَانَتْ أُخْرَى أَنْ تُخْضِبَ ! فَقَالَ الْفَزَارِيَانِ : أَيَّتَ الْهَمْنِ ! لَا تُثْرِبْ ! قَدْ أَجْرَنَاهُ وَالْعَفْوُ أَجْلٌ ، فَأَمَنَهُ وَاسْتَنْشَدَهُ أَشْعَارَهُ .

قَالَ حَسَانٌ : فَحَسَدْتُهُ عَلَى ثَلَاثٍ لَا أُدْرِي عَلَى أَيِّتَيْنِ كُنْتُ لَهُ أَشَدَّ حَسَدًا ؛ عَلَى إِدْنَاءِ النِّعْمَانِ لَهُ بَعْدَ الْمُبَاعَدَةِ ، وَمَسَامَرَتِهِ لَهُ وَإِصْفَائِهِ إِلَيْهِ ؟ أَمْ عَلَى جَوْدَةِ شَعْرِهِ ؟ أَمْ عَلَى مَائَةِ بَعِيرٍ مِنْ عَصَافِيرِهِ ^(٥) أَمْرٌ لَهُ بِهَا ؟

(١) هُوَ زِيَادُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، مِنْ ذِيَّانٍ مِنْ قَيْسٍ ، وَهُوَ مِنَ الْأَشْرَافِ الَّذِينَ غَضَّ الشَّعْرَ مِنْهُمْ كَمَا غَضَّ مِنْ أَمْرِ الْقَيْسِ ، مَدَحَ النِّعْمَانُ صَاحِبَ الْحَبِيرَةِ وَعَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ مَلِكَ الْفُصَّاسَةِ ، وَكَانَتْ لَهُ مَنَزَلَةٌ كَبِيرَى عِنْدَ شُعْرَاءِ عَصَرِهِ ، فَإِذَا جَاءَ عَكَازٌ ضَرَبُوا لَهُ قَبَّةً مِنْ جِلْدٍ وَجَاءَ انْشِعَاءُ يَنْشُدُونَهُ أَشْعَارَهُمْ (٢) دُخْلٌ : خَاصَّةٌ (٣) غَيْبٌ سَمَاءَ : أَيْ بَعْدَ أَنْ أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ (٤) أَقْنَأَ خَضَابَهُ : سَوَدَهُ (٥) الْعَصَافِيرُ : إِبِلٌ كَانَتْ لِلنَّعْنَعِ تَتَغَذَّى نَجَائِبَ الْمُلُوكِ .

١٤٤ — آية أخلاق كانت للعرب في الجاهلية ! *

رَافِقَ أَبُو بَكْرٍ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سِيرِهِ ؛
نَحْنُ انْتَهَوْا جَمِيعًا إِلَى مَجْلِسٍ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ ، وَإِذَا مَشَاخِمْ لَهُمْ أَقْدَارٌ وَهَيْثَاتُ .
فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ مُقَدِّمًا فِي كُلِّ خَيْرٍ - فَسَلَّمَ وَقَالَ : تَمَنَّيْتُ الْقَوْمَ ؟ قَالُوا : مِنْ
شُهَبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فَالْتَفَتَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ ، يَا بَنِي
أَنْتَ وَقَوْمِي ! لَيْسَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مِنْ عِزٍّ فِي قَوْمِهِمْ ، وَهَؤُلَاءِ غُرُرٌ فِيهِمْ ، وَكَانَ فِيهِمْ
مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرٍو ، وَهَانِيُّ بْنُ قَبِيصَةَ ، وَالْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ ، وَالنَّعْمَانُ بْنُ شَرِيكَ ؛ وَكَانَ
مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرٍو قَدْ غَلَبَهُمْ جَمَالًا وَلِسَانًا ، وَكَانَتْ لَهُ غَدِيرَتَانِ ^(١) تَسْقُطَانِ عَلَى صَدْرِهِ ،
فَكَانَ أَدْنَى الْقَوْمِ مَجْلِسًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : كَيْفَ الْعِدَّةُ فِيكُمْ ؟
فَقَالَ لَهُ : إِنَّا لَنَزِيدُ عَلَى أَلْفٍ ، وَلَنْ تُغْلِبَ أَلْفٌ مِنْ قَلَّةٍ ؛ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ الْمَنْفَعَةُ
فِيكُمْ ؟ فَقَالَ : عَلَيْنَا الْجَهْدُ وَلِكُلِّ قَوْمٍ جَدٌّ ^(٢) . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَكَيْفَ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ ؟ فَقَالَ : إِنَّا أَشَدُّ مَا نَكُونُ لِقَاءَ حِينَ نَفْضَبُ ، وَإِنَّا لَنَوْثِرُ الْجِيَادَ عَلَى
الْأَوْلَادِ ، وَالسَّلَاحَ عَلَى اللَّقَاحِ ^(٣) ، وَالنَّصْرَ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ يُدِيلُنَا مَرَّةً ، وَيُدِيلُ عَلَيْنَا ^(٤)
مَرَّةً ، لَعَلَّكَ أَخُو قُرَيْشٍ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنْ كَانَ بَلَاغُكُمْ أَنَّهُ رَسُولُ فَهَاهُو ذَا .
فَقَالَ مَفْرُوقُ : قَدْ بَلَّغْنَا أَنَّهُ يَذْكُرُ ذَلِكَ ؛ ثُمَّ التَفَتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَجَلَسَ ،

* ابن كثير : ٣ - ١٤٤ ، الروض الأتق : ١ - ٢٦٤

(١) الغديرة : الذؤابة (٢) الجد : الحظ (٣) اللقوح : الناقة الحلوب ، وجمعها لقاح .

(٤) يريد ، تغلب مرة ، ويغلبنا العدو مرة .

وقام أبو بكر يُظَلِّه بثوبه ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : « أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنى رسول الله ، وأن تؤوؤنى وتنصرونى ، حتى أؤدّى عن الله الذى أمرنى به ، فإن قریشاً قد تظاهرت على أمر الله ، وكذّبت رسوله ، واستغفنت بالباطل عن الحق ، والله هو الغنى الحميد » .

قال مفروق : وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (١) : « قُلْ تَعَالَوْا أَنزِلْ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِبَائَهُمْ ، وَلَا تَقْرَبُوا أَلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ ؛ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » .

فقال مفروق : وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (٢) : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » .

فقال مفروق : دعوت الله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أفك (٣) قومٌ كذبوك وظاهروا عليك - وكأنه أحب أن يشرّكه في الكلام هانى بن قبيصة - فقال : وهذا هانى بن قبيصة شيخنا .

(١) سورة الأنعام ١٥١ ، وما بعدها .

(٢) سورة النحل ٩٠ وما بعدها .

(٣) أفك : كذب .

فقال هانىءٌ : قد سمعتُ مقاتلتك يا أخا قريش ، وصدقتُ قولك ، وإنى أرى أن تزكنا ديننا ، واتباعنا دينك لمجلس جلسته إينا ليس له أولٌ ولا آخر - زلةٌ فى رأى ، وطيشةٌ فى العقل ، وقلةٌ نظري فى العاقبة ؛ وإنما تكون الزلةُ مع المجلة ، وإن من ورائنا قوماً نكرهه أن نَعْقِدَ عليهم عقداً ، ولكن ترجعُ وترجعُ ، وتنظرُ وتنظرُ - وكأنه أحبُّ أن يشركه فى الكلام المثنى بن حارثة - فقال : وهذا المثنى شيخنا وصاحبُ حربنا . .

فقال المثنى : قد سمعتُ مقاتلتك ، واستحسنْتُ قولك يا أخا قريش ، وأعجبني ما تكلمتَ به ؛ والجواب هو جواب هانىء بن قبيصة ، فإنما نزلنا الصريين^(١) : الإمامة والسَّمامة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما هذان الصريان ؟ فقال له : أما أحدهما فطفوف^(٢) البر وأرض العرب ، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى ، وإنما نزلنا على عهدٍ أخذهُ علينا كسرى ألا يُحدِث حدثاً ، ولا تؤوى محدثاً ، ولعلَّ هذا الأمر الذى تدعوننا إليه مما تكرهه الملوك ؛ فأما ما كان مما يلى بلاد العرب فذنبُ صاحبه مَغْفُورٌ ، وعذره مقبول ، وأما ما كان مما يلى بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور ، وعذره غير مقبول . فإن أردت أن ننصرَكَ ونمنعكَ مما يلى العرب فعلنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أسأئتم الرد إذ أفصَحْتُم بالصدق ؛ إنه لا يقومُ بدين الله إلا مَنْ حاظه من جميع جوانبه » .

(١) كل ماء مجتمع صرى ، وتثنيته صريان ، ويروى : « نزلنا بين صيرين فقال رسول الله : وما هذان الصيران ؟ قال : مياه العرب وأنهار كسرى » . والصير : الماء الذى يحضره الناس . لسان العرب - مادة صرى (٢) طفوف : جمع طف ؛ وهو ساحل البحر وجانب البر .

نم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرايتم إن لم تلبثوا إلا يسيراً حتى
يمنحكم الله ببلادهم وأموالهم أنسبحون الله وتقدسونه؟ » فقال له الغيمان بن شريك :
اللهم وإن ذلك لك يا أخا قريش ! فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى :
« إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً » .
ثم نهض قابضاً على يدي أبي بكر ، والتفت إلى علي وقال . يا علي ؛ أية أخلاق
للعرب كانت في الجاهلية ! ما أشرفها ! بها يتحاجزون في الحياة الدنيا .

١٤٥ - مسلم يَحْتَالُ عَلَى قُرَيْشٍ *

أسلم الحجاج ^(١) بن علاط السَّلمِي ، ولم تعلم قُرَيْشُ بِإِسْلَامِهِ ؛ فاستأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يومَ خَيْبَرَ أَنْ يَصِيرَ إِلَى مَكَّةَ ، فَيَأْخُذَ مَا كَانَ لَهُ مِنْ مَالٍ - وَكَانَتْ لَهُ أَمْوَالٌ مُتَفَرِّقَةٌ هُنَاكَ ، وَهُوَ رَجُلٌ غَرِيبٌ بَيْنَهُمْ - فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنِّي أَحْتَاجُ أَنْ أَقُولَ ^(٢) . قَالَ : فَقُلْ ؛ فَصَارَ إِلَى مَكَّةَ .

فَقَالَتْ قُرَيْشُ : هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ عِنْدَهُ الْخَبْرُ . قَالَ : فَقُولُوا . فَقَالُوا : بَلْفَنَّا أَنْ الْقَاطِعَ ^(٣) قَدْ خَرَجَ إِلَى أَهْلِ خَيْبَرَ . فَقَالَ الْحَجَّاجُ : نَعَمْ ! فَقَتَلُوا أَصْحَابَهُ قَتْلًا لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ ، وَأَخَذُوهُ أَسِيرًا ، وَقَالُوا : نَرَى أَنْ نُكَارِمَ ^(٤) بِهِ قُرَيْشًا ؛ فَتَدْفَعُهُ إِلَيْهِمْ ؛ فَلَا تَزَالُ لَنَا هَذِهِ الْيَدُ فِي رِقَابِهِمْ ، وَإِنَّمَا بَادَرْتُ لَجْعِ مَالِي ؛ لَعَلِّي أَصِيبُ بِهِ مِنْ قَلٍ ^(٥) مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَنِي إِلَيْهِ التَّجَارُ ، وَيَتَّصِلَ بَيْنَهُمُ الْحَدِيثُ .

فاجتهدوا في أن يجمعوا إليه ماله أسرعَ جمع ، وسُرُّوا أَكْثَرَ السُّرُورِ ، وَقَالُوا : بَلَا رُغْمَ ^(٦) !

وَأَتَاهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ كَالْمَرْأَةِ الْوَالِهَةِ ^(٧) ، فَقَالَ : وَنَحْنُ يَا حَجَّاجُ !

* الكامل للبُرد : ١ - ٢٠٧

(١) وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ، فأسلم (٢) يريد : أقول على جهة الاحتيال (٣) يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم البار الواصل رحمه ، وكانوا يرمونه - سفهاً - بالقاطع ، أي القاطع رحمه (٤) كارهه : غلبه في الكرم (٥) يريد من غنائم ذلك القل (٦) وقالوا بلا رُغم : يريد وفعلوا ذلك بلا كره ، العرب تجعل القول عبارة عن الفعل ، وتطلقه على غير الكلام (٧) الواله : ذهَابُ المقل والتعير من شدة الوجد ، ويقال امرأة والاه ورجل والاه .

ما تقول ؟ فقال : أكاثم على خبري ؟ فقال : إى والله . فقال : فالبث^(١) على شيئاً حتى يخف موضى .

ثم سار إليه ، فقال له : الخبر والله على خلاف ما قلت لم ؛ خلقت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد فتح خيبر ، وخلقته الله مفرساً بابنة ملكهم^(٢) ، وما جئتكم إلا مسلماً ؛ فاطرو الخبر ثلاثاً ، حتى أعجز^(٣) القوم ، ثم أشعته ، فإنه والله الحق .

فقال العباس : ويحك ! أحق ما تقول ؟ قال : إى والله . فلما كان بعد ثلاثة تخلق^(٤) العباس وأخذ عصاه ، وخرج يطوف بالبيت ؟ فقالت قريش : يا أبا الفضل ، هذا والله التجلد ، فقال : كلا ومن خلقت به ، لقد فتح رسول الله خيبر ، وأعرس بابنة ملكهم ! فقالوا : من أتاك بها الحديث ؟ فقال : الذى أناكم بخلافه ، ولقد جاءنا مسلماً .

ثم أنت الأخبار من النواحي بذلك ! فقالوا : أفلقنا الخبيث ، أولى له^(٥) !

(١) امكث ، وهو يريد اصبر (٢) يريد صفة بنت حني بن أخطب (٣) أعجز التوم : صيرهم عاجزين (٤) الملقوق : الغائب ، وتخلق : على ثوبه به (٥) أولى له : كلمة تهديد وتوعيد

١٤٦ - إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه *

جاء أعرابي * إلى علي رضي الله عنه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها حدثت والله وشكرتك. وإن أنت لم تقضها حدثت الله تعالى وعذرتك ؛ فقال له علي : خُطِّبْ في الأرض ؛ فإنني أرى الضر عليك . فكتب : إني فقير . فقال : يا قَنْبَر ^(١) اكسُه حُلَّتِي ! فلما أخذها مَثَلَ بين يديه فقال :

كسوتني حُلَّةً تَبَلَّى محاسنها	فسوف أكسوك من حُسْنِ الثَّنا حُلَلًا
إيه أبا حسنٍ قد نلت مَكْرُمَةً	ولست تَبْغِي بما قدَّمْتُه بَدَلًا !
إن الثناء لِيُخَيِّ ذَكَرَ صاحبه	كالنَّيْثِ يَحْيِي نَدَاهُ السَّهْلَ والجَبَلَا
لا تزهد الدهرَ في عُرْفٍ بدأت به	كلُّ امرئٍ سوف يُجْزَى بالذي فعلا

فقال علي : يا قَنْبَر ؛ زده مائة دينار ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لو فرقناها في المسلمين لأصلحت بها من شأنهم ! فقال علي : صَـةَ يا قَنْبَر ؛ فإنني سمعت النبي يقول : اشكروا لمن أنثى عليكم ، وإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه !

* أدب السياسة : ١٧٦ ، المستطرف : ٢ - ٢٤٤

(١) قَنْبَر : مولى علي رضي الله عنه .

١٤٧ — ما رأيته لآحى أحداً إلا غلبه *

قال عبد الله بن عمر : كنتُ عند أبي يومًا ، وعنده نفرٌ من الناس ، فجرى ذكر الشعر ، فقال : مَنْ أشعرُ العرب ؟ فقالوا : فلان وفلان . فطلع عبد الله بن عباس ، فسلم وجلس ، فقال عمر : قد جاءكم الخبير ؟ من أشعر الناس يا عبد الله ؟ قال : زهير بن أبي سلمى ، قال : فأُنشدني مما تستجيده له ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه مدح قوما من غطفان ، يقال لهم بنو سنان فقال :

لو كان يقعدُ فوق الشمس من كرم	قومٌ بأولهم أو تجديهم قعدوا
قومٌ ، سنانُ أبوهم حين تنسُبهم ^(١)	طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
إنسٌ إذا أمِنوا ، حين إذا فزعوا	مرزءون ^(٢) بهاليل ^(٣) إذا جهدوا ^(٤)
مُحسدون ^(٥) على ما كان من نعم	لا ينزعُ الله منهم ماله حسدوا

فقال عمر : والله لقد أحسن ! وما أرى هذا اللدح يصلحُ إلا لهذا البيت من هاشم ؛ لقربهم من رسول الله .

فقال ابنُ عباس : وقلك الله يا أمير المؤمنين ، فلم تزل مُوفقًا .

فقال عمر : أتدري يا ابنَ عباس ما منع الناس منكُم ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين !

* ابن أبي الحديد : ٣ - ١٠٧ ، تاريخ الطبرى : ٥ - ٣٠

(١) نسبه ينتسبه : ذكر نسبه ، وسأله أن ينتسب (٢) المرزءون : الكرماء

(٣) البهلول : السيد الجامع لكل خير (٤) جهد - كنم : جد واجتهد (٥) حسده : تمنى أن تتحول إليه نعمته .

قال : لَكِنِّي أَدْرِي ، قال : ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : كَرِهْتُ قُرَيْشٌ أَنْ يَجْتَمَعَ لَكُمْ النُّبُوَّةُ وَالْخِلَافَةُ فَتُجَحِّفُوا^(١) النَّاسَ جَحْفًا ؛ فَنَظَرْتُ قُرَيْشَ لَأَنْفُسِهَا فَاخْتَارْتُ ، وَوَقَّعْتُ فَأَصَابَتْ .

فقال ابن عباس : أَيْمِيطُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ غَضَبِهِ فَيَسْمَعُ ؟ قال : قل ما تشاء . قال : أَمَا قَوْلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : إِنْ قُرَيْشًا كَرِهَتْ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِقَوْمٍ : « ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ » . وما قولك : إنا كنا نجحف ، فلو جحَفْنَا بِالْخِلَافَةِ جَحْفًا بِالْقُرَابَةِ ، وَلَكِنَّا قَوْمٌ أَخْلَقْنَا مُشْتَقَّةً مِنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ، الَّذِي قَالَ اللَّهُ فِيهِ : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » . وقال له : « وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » .

وَأَمَّا قَوْلُكَ : فَإِنْ قُرَيْشًا اخْتَارَتْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ » .

وقد علمتَ يا أمير المؤمنين أن الله اختار من خلقه لذلك مَنْ اخْتَارَ ، فَلَوْ نَظَرْتُ قُرَيْشَ مِنْ حَيْثُ نَظَرَ اللَّهُ لَهَا لَوَقَّعْتُ وَأَصَابَتْ .

فقال عمر : عَلَى رِسْلِكَ^(٢) يَا بَنَ عَبَّاسُ ! أَبْتَ قُلُوبَكُمْ يَا بَنِي هَاشِمٍ إِلَّا غُشًّا فِي أَمْرِ قُرَيْشَ لَا يَزُولُ ، وَحَقْدًا عَلَيْهَا لَا يَحُولُ .

فقال ابن عباس : مَهْلًا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَنْسَبُ قُلُوبَ بَنِي هَاشِمٍ إِلَى الْفُسْ ؛ فَإِنَّ قُلُوبَهُمْ مِنْ قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِي طَهَّرَهُ اللَّهُ وَزَكَّاهُ ، وَهُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » .

وَأَمَّا الْحَقْدُ ؛ فَكَيْفَ لَا يَحْقِدُ مِنْ غُصْبِ شَيْئِهِ ، وَيَرَاهُ فِي يَدِ غَيْرِهِ ؟ فَقَالَ عُمَرُ :

(١) أَجَحَفَ بِهِ : ذَهَبَ (٢) عَلَى رِسْلِكَ : عَلَى مَهْلِكِ .

ما أنت يا ابن عباس ؟ فقد بلغني عنك كلامٌ أكره أن أخبرك به ، فنزول منزلتك عندي ! قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ أخبرني به فإن بك باطلاً فبئى أماط الباطل عن نفسه ، وإن بك حقاً فإن منزلتي عندك لا تنزل به ! قال : بلغني أنك لا تزال تقول : أخذَ هذا الأمرَ حسداً وظلماً .

قال : أما قولك يا أمير المؤمنين : « حسداً » : فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة ، فنحن بنو آدم المحسود ، وأما قولك : « ظلماً » فأمر المؤمنين يعلمُ صاحب الحق من هو !

ثم قال : يا أمير المؤمنين ، ألم تحتج العربُ على العجم بحق رسول الله ، واحتجت قريش على سائر العرب بحق رسول الله ، فنحن أحقُّ برسول الله من سائر قريش .

فقال له عمر : قم الآن فارْجِعْ إلى منزلك . فقام ، فلما ولى هتَفَ به ^(١) عمر : أيها المنصرف ! إني على ما كان منك لرايع حفاك . فالتفت ابن عباس فقال : إنلى عليك يا أمير المؤمنين وعلى كل المسلمين حقاً برسول الله . فمن حفظه فحق نفسه حفظ ، ومن أضاعه فحق نفسه أضاع ، ثم مضى .

فقال عمر لجلسائه : واهاً لابن عباس ! ما رأيته لآحى ^(٢) أحداً قط إلا خَصَمَهُ ^(٣) !

(١) هتف به : ناداه .

(٢) لاحاه : نازعه (٣) خاصمه فخصمه : غلبه .

١٤٨ — المغيرة بن شُعْبَةَ وَأَحَدُ الْأَعْرَابِ *

خرج المغيرة بن شُعْبَةَ ، وهو على الكوفة يومئذ ، ومعه الهيثم بن الأسود النخعي بعد مطر يسير بظهر الكوفة ؛ فلقى أعرابياً من بني تميم الله بن ثعلبة . وهو لا يعرف المغيرة ^(١) .

فقال له المغيرة : من أين أقبلت يا أعرابي ؟ قال : من السماوة ، قال : كيف تركت الأرض خلفك ؟ قال : عريضة ^(٢) أريضة ، قال : وكيف كان المطر ؟ قال : عفى الأثر ، وملاً الحفر .

قال : ممن أنت ؟ قال : من بكر بن وائل ، قال : كيف علمك بهم ؟ قال : إن جهلتهم لم أعرف غيرهم ، قال : فما تقول في بني شيبان ؟ قال : سادتنا وسادة غيرنا ، قال : فما تقول في بني ذهل ؟ قال : سادة نوكة ^(٣) ، قال : فقيس بن ثعلبة ؟ قال : إن جاوزتهم سرقوك ، وإن ائتمنتهم خانوك . قال : فبنو تميم الله بن ثعلبة ؟ قال : رعاء ^(٤) البقر ، وعراقيب الكلاب ، قال : فما تقول في بني بَشْكُر ؟ قال : صريح ^(٥) تحسبه مولى ، قال : فمِجَل ؟ قال : أحلاس الخيل ^(٦) ، قال : بخنيفة ؟ قال :

* الأغاني : ١٥ - ١٣٨ (طبعة الساسي) .

(١) المغيرة بن شعبة : صحابي جليل ، شهد في عهد رسول الله بعض المواقع ، وشهد كثيراً من الفتوح في عهد الخلفاء الراشدين . وتوفي سنة ٥١ هـ . (٢) يقال : أرض أريضة ؛ إذا كانت زكية معجبة (٣) نوكة : جمع أنوك وهو الأحمق (٤) رعاء : جمع راع (٥) الصريح : الخالص النسب (٦) الخيل (في الأصل) : كساء على ظهر البعير تحت البرذعة ، ويقال : هو جلس بيته ؛ إذا لم يبرح مكانه ، والمراد هنا أنهم يلازمون ركوب الخيل مغيرين أو محارين .

يطعمون الطعام ، ويضربون المام ، قال : ففترزة ؟ قال : لا تلتقى بهم الشفتان لؤماً !
قال : فأخبرني عن النساء ، قال : النساء أربع : ربيع مربع ، وجميع يجمع ،
وشيطان سممعة ، وغُلٌّ لا يخلع ، قال : ففسّر ، قال : أما الربيع فالتى إذا نظرت
إليها سررتك ، وإذا أقسمت عليها برتتك ؛ وأما التى هى جميع يجمع ، فالمرأة تزوجها
فتجميع تشبك إلى تشبها ؛ وأما الشيطان السممعة ؛ فالكالحقة فى وجهك إذا دخلت ،
والمولولة فى إثرك إذا خرجت ؛ وأما الغُلُّ الذى لا يخلع ، فبنت عمك السوداء ،
القصيرة الورهاء^(١) الذميمة التى قد نثرت لك بطنها ؛ إن طلقها ضاع ولدك ، وإن
أمسكتها فعلى جذع أنفك . ثم قال له : ما تقول فى أميرك المغيرة ؟ قال : أعور زنّاء ،
فقال المهيّم : فضّ الله فاك ! ويلك ! هذا الأمير المغيرة ، فقال : إنها كلمة والله تُقال ؛
فانطلق به المغيرة إلى منزله ، وعنده يومئذ أربع نسوة ، وستون أمة ، ثم قال له :
ويحك ! هل يقدم أحدٌ على هذه الكبيرة وعنده مثل هؤلاء ؟ ثم قال لمن للمغيرة :
ارمين إليه بحلّيككن ، فخرج الأعرابي بملء كسائه ذهباً وفضة !

(١) الورهاء : الحرقاء فى العمل أو الحفقاء .

١٤٩ — دَهَاءُ بَعْمُرٍ بْنِ الْعَاصِ*

لما نزل على بن أبي طالب الكوفة بعد فراغه من أمر البصرة كتب إلى معاوية كتاباً يدعو به إلى البيعة ، وأرسل جرير بن عبد الله البجلي ، قدم عليه به الشام ، فقرأه فاعتم بما فيه وذهبت أفكاره كل مذهب ؛ وطاول جريراً بالجواب عن الكتاب ، حتى كلم قوماً من أهل الشام في الطلب بدم عثمان بن عفان فأجابوه ووثقوا له .

وأحب الزيادة في الاستظهار ، فاستعان بأخيه عتبة بن أبي سفيان ؛ فقال : استعن بعمرو بن العاص ؛ فإنه من قد علمت في دهائه ورأيه ، وقد اعتزل عثمان ابن عفان في حياته ، وهو لأمرك أشد اعتزالاً ، إلا أن يُثمن له دينه ، فسيبمك ، فإنه صاحب دنيا .

فكتب إليه معاوية : أما بعد ، فإنه كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك ، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في نفر من أهل البصرة ، وقدِم علينا جرير بن عبد الله في بيعة علي ، وقد حبست نفسي عليك ، فأقبل إذا كرك أموراً لا تعدم مغبتها إن شاء الله .

فلما قدم الكتاب على عمرو استشار ابنه : عبد الله بن عمرو ، ومحمد بن عمرو ؛ فقال لهما : ما تريان ؟ فقال عبد الله : أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو عنك راض ، والخليفتان بعده ، وقُتل عثمان وأنت غائب عنه ؛ فقرّر في منزلك

فلستَ بمجوعٍ ولا خائفة ، ولا تزيدُ على أن تكونَ حاشيةً لمعاوية ، على دنيا أو شكتما أن تهلكا وتفارقاها .

وقال محمدٌ : أرى أنك شيخٌ قرشٍ وصاحبُ أمرٍها ، وإن تصرَّم هذا الأمرُ - وأنت فيه غافل - تصاغرُ أمرُك ؛ فاللحقْ بجماعةِ أهلِ الشام ، وكنْ يداً من أيديها ، طالباً بدمِ عثمان ، فإنه سيقومُ بذلك بنو أمية .

فقال عمرو : أنت يا عبد الله قد أمرتني بما هو خير لي في ديني ، وأما أنت يا محمد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي ، وأنا أنظر .

ثم دعا عمرو غلامه وُردان - وكان ذاهيةً مارداً - فقال : ارحلْ يا وُردان ، ثم قال : احطط يا وُردان اثم قال : ارحل يا وُردان ، احطط يا وُردان . فقال له وردان : خلطت أبا عبد الله ، أما إنك إن شئت أنبأتك بما في قلبك ، قال : هات ، ويحك ! قال : اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك ، فقلت : على * معه الآخرة في غير دنيا ، وفي الآخرة غرضٌ عن الدنيا ومعاويةُ معه الدنيا بغير آخرة ، وليس في الدنيا غرضٌ من الآخرة ، وأنت واقف بينهما .

قال : قاتلت الله ! ما أخطأت ما في قلبي ، فما ترى يا وردان ؟ قال : أرى أن تقيمَ في بيتك ؛ فإن ظهر أهلُ الدين عشتَ في عفو دينهم ، وإن ظهر أهلُ الدنيا لم يستغنوا عنك ، قال : الآن لما شهرت العرب سيري إلى معاوية !

ثم ارتحل حتى قدم على معاوية ، وعرف حاجته إليه ، فباعده من نفسه ، وكايد كل واحد منهما صاحبه .

فقال له معاوية يوم دخل عليه : أبا عبد الله ؛ طرقتنا في ليلتنا ثلاثة أخبار ليس فيها وِرد ولا صدر . قال : وما ذاك ؟ قال : منها أن محمد بن أبي حذيفة كسر (٢٤ قصص العرب - ٢)

سِجْنِ مصر ، فخرج هو وأصحابه ، وهو من آفات هذا الدين ؛ ومنها أن قيصر زحف
بجاعة الروم ليغلب على الشام ؛ ومنها أن عليا نزل الكوفة ، وتنبأ للسير إلينا .

فقال عمرو : ليس كل ما ذكرت عظما ؛ أما ابن أبي حذيفة فما يتعاظمك^(١)
من رجل خرج في أشباهه أن تبعث إليه رجلا يقتله ، أو يأتيك به ، وإن قاتل لم
يضرك ؛ وأما قيصر فأهد له الوصائف وآنية الذهب والمضة ، وسله الموادة فإنه
إليها سريع ؛ وأما علي ، فلا والله يامعاوية ، ما بسوى العري يديك وبينه في شيء
من الأشياء ، وإن له في العرب لحظا ، ماهو لأحد من قریش ، وإنه لصاحب ماهو
فيه إلا أن تظلمه .

قال معاوية : يا أبا عبد الله ؛ إنى أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذى عصى الله
وشق عصا المسلمين ، وقتل الخليفة وأظهر الفتنة ، وفرق الجماعة وقطع الرحم .

فقال عمرو : والله يامعاوية ، ما أنت وعلى عدلًا بعير ، ايس لك هجرته ولا
سابقته ، ولا صُحْبَتُهُ ولا جهاده ، ولا فقهه ، ولا علمه ؛ والله إن له مع ذلك لحظا
في الحرب ليس لأحد غيره ، ولكنى قد تعودت من الله تعالى إحسانا وبلاء جميلا ،
فما تجعل لى إن شابتك على حرب ، وأنت تلم ما به من الغرر والخطر ؟ قال :
حُكْمُكَ ، فقال : مصر طعمة ، فتلك معاوية وقال : يا أبا عبد الله ؛ إنى
أكره لك أن تتحدث العربُ عنك أنك إنما دخت فى هذا الأمر لمرض
الدنيا ! قال عمرو : دغنى عنك ، فقال معاوية : إنى شئت أن أمنيك وأخذعك
لفعلت . قال عمرو : لعمر الله مامثل يُخدع ، لأنما أكيدس من ذلك ، فقال معاوية :
ادن منى أسارك . فدنا منه عمرو ليساره ، فعض معاوية أذنه ، وقال : هذه خدعة ،

(١) لا يعظم عليك .

هل ترى في البيت أحداً غيرى وغيرك ! ثم تَلَكَّأَ عليه وانصرف عمرو .
 فلما حضر عتبة بن أبي سفيان قال لمعاوية : أما ترضى أن تشتري عمراً بمصر ؟
 فقال معاوية : يا عتبة ؛ بت عندنا الليلة . فلما جَنَّ الليل على عتبة رفع صوته لسمع
 معاوية وقال :

أيها المانع سيفاً لم يهزْ	إنما ملت على خزْ وقزْ
أعط عمراً إن عمراً تاركْ	دينه اليوم لدنياً لم تُحزْ
أعطه مصرَ وزِدْه مثلها	إنما مصرٌ لمن عزْ فبزْ
واترك الحرس عليها ضلَّةً	واشعب النار لمقرور يُكزْ
إن مصر لعلَى أو لنا	يُغلب اليوم عليها من عجزْ

فلما سمع معاوية قول عُتْبَةَ أرسل إلى عمرو فأعطاه مصر ، وكتب له
 كتاباً بها .

١٥٠ — بين معاوية وهاني بن عروة*

ولَّى معاويةُ كثيرَ بنِ شهابَ اللَّذِجِيِّ خُرَّاسَانُ ؛ فَاخْتَسَانَا مَالَا كَثِيرًا ،
ثُمَّ هَرَبَ فَاسْتَرَعَ عِنْدَ هَانِيٍّ ^(١) بَنِ عُرْوَةَ الْمُرَادِيِّ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مَعَاوِيَةَ ، فَنَذَرَ دَمَ هَانِيٍّ ؛
فَخَرَجَ هَذَا فَكَانَ فِي جَوَارِ مَعَاوِيَةَ .

ثُمَّ حَضَرَ مَجْلِسَهُ - وَمَعَاوِيَةُ لَا يَعْرِفُهُ - فَلَمَّا نَهَضَ النَّاسُ ثَبَتَ مَكَانَهُ ، فَسَأَلَهُ
مَعَاوِيَةُ عَنْ أَمْرِهِ ؛ فَقَالَ : أَنَا هَانِيُّ بْنُ عُرْوَةَ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الْيَوْمَ لَيْسَ بِيَوْمٍ يَقُولُ
فِيهِ أَبُوكَ :

أَرْجُلُ جُمَيْتٍ ^(٢) وَأَجْرُ ذَبِيلِي وَنَحْلُ شِكْتِي ^(٣) أَفْقُ ^(٤) كُمَيْتٍ ^(٥)
أَمْشَى فِي سَرَاةِ بَنِي غُطَيْفٍ إِذَا مَا سَأَمَنِي ضَيْمٌ أَبَيْتُ
فَقَالَ لَهُ هَانِيٌّ : أَنَا الْيَوْمَ أَعَزُّ مِنِّي ذَلِكَ الْيَوْمَ ! فَقَالَ لَهُ : بِمَ ذَلِكَ ؛ فَقَالَ :
بِالْإِسْلَامِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ كَثِيرُ بْنُ شَهَابٍ ؟ قَالَ : عِنْدِي فِي عَسْكَرِكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : انْظُرْ إِلَى مَا اخْتَأَنَهُ ؛ فَخَذَ مِنْهُ بَعْضًا ، وَسَوَّغَهُ
بِمَضًى .

* الكامل ١ : ٧٢

(١) هانيُّ بن عروة بن الفضاض : من قراء الكوفة ، وكان من خواص علي بن أبي طالب ،
قتل مع مسلم بن عقيل رسول الحسين إلى الكوفة (٢) الجمة : مجتمع شعر الرأس (٣) الشكة :
السلاح (٤) فرس أفق : رائح (٥) الكيت : الذي خالط حمرة قنوه .

١٥١ — إن هذا العبد غلبني وغلبك *

دخل عمرو^(١) بن العاص يوماً على معاوية بعد ما كبر ودقّ ، ومعه مولاة
ورّدان ، فأخذا في الحديث ، وليس عندهما غير ورّدان ، فقال عمرو : يا أمير المؤمنين
ما بقي مما تستلذه ؟ فقال : أما الثياب فقد لبستُ من لَيِّنها وجيّدّها حتى وهَى بها
جلدى ، فما أدرى أيها ألين ؟ وأما الطعام فقد أكلتُ من لينه وطَيِّبته حتى ما أدرى
أيه ألذ وأطيب ؟ أمّا الطيب فقد دَخَلَ خياشيمي منه حتى ما أدرى أيه أطيب ؟
فأشبع آلتي عندي من شراب بارد في يوم صائف ، ومن أن أنظر إلى بَنِيّ ، وبَنِيّ
بَنِيّ يدورون حولي !

فما بقي منك يا عمرو ؟ قال : مال أغرسه فأصيبُ من ثمرته ومن غلّته . فالتفت
معاوية إلى ورّدان فقال : ما بقي منك يا ورّدان ؟ قال : صنعة كريمة سَنِيّة أعلقها
في أعناق قوم ذوى فضل وأخطار ، لا يكافئون عليها حتى ألقى الله تعالى ، وتكون
لعقبى في أعقابهم بعدى . فقال معاوية : تَبّاً لِمَجْلِسِنَا سائرَ اليوم ! إن هذا العبد
غلبني وغلبك !

* السعوى ١ : ٦٦

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل : أسلم سنة ثمان مع خالد بن الوليد ، وولاه معاوية مصر ثلاث
سنين ، ثم حضرته الوفاة قبل الفطر يوم ، سنة ٤٢ هـ .

١٥٢ — ما عليه لو عرض *

دخل عمرو بن العاص على معاوية يسأله حاجة ، وقد كان بلغ معاوية عنه ما كرهه ؛ فكره قضاءها وتشاغل .

فقال عمرو : يا معاوية ؛ إن السخاء فطنة ، واللؤم تغافل ، والجفاء ليس من أخلاق المؤمنين ! فقال معاوية : يا عمرو ؛ بماذا تستحق مناقضاء الخواارج العظام ؟ فغضب عمرو ، وقال : بأعظم حق وأوجب ؛ إذ كنت في بحر عجاج ^(١) ؛ فلولا عمرو لفرقت في أقل مائة وأرقه ؛ ولكني دفعتك فيه دفعة فصرت في وسطه ، ثم دفعتك فيه أخرى ، فصرت في أعلى الموضع منه ؛ فمضى حكمك ، ونفذ أمرك وانطلق لسانك بعد تلجلج ، وأضاء وجهك بعد ظلمته .

فتناوم معاوية ، وأطبق جفنيه ملياً ، فخرج عمرو ، فاستوى معاوية جالسا ، وقال لجلسائه : أرايتم ما خرج من فم ذلك الرجل ! ما عليه لو عرض ! ففى التعريض ^(٢) ما يكفي ، ولكنه جبهني بكلامه ، ورماني بسموم سهامه .

فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين ، إن الخواارج لتقضى على ثلاث خصال : إما أن يكون السائل لقضاء الحاجة مستحقا ، فتقضى حاجته بحقه ، وإما أن يكون السائل لثيما فيصون الشريف نفسه عن لسانه ، فيقضى حاجته ، وإما أن يكون المسئول كريما فيقضيها لكرمه صغرت أو كبرت .

* ابن أبي الحديد ٢ : ٤٠١

(١) بحر عجاج : لانه صوت (٢) التعريض : ضد التصريح .

فقال معاوية : لله أبوك ! ما أحسن ما نطقت به ! وبعث إلى عمرو فأخبره ،
وقضى حاجته ، ووصله بصلّة جليّة .

فلما أخذها ولّى منصرفاً ، فقال معاوية : « فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا ، وَإِنْ لَمْ
يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ » . فسمعها عمرو ، فالتفت إليه مُغَضَّباً ، وقال : والله
يا معاوية لا أزال آخذ منك قهراً ، ولا أطيع لك أمراً ، وأحفر لك بئراً عميقة إذا
وقعت فيها لم تُدْرِكَ إلا زمياً^(١)

فضحك معاوية فقال : ما أردتك يا أبا عبد الله^(٢) بالسكّمة ، وإنما كانت آية
تلوّثها من كتاب الله عرّضت بقلبي ، فاصنع ما شئت !

(١) الرميم : البالي .

(٢) كنية عمرو بن العاص .

١٥٣ — لا يأتينا غير طالب فقه أو طالب فضل*

دخل عبدُ الله بن صفوان على عبدِ الله بن الزبير - وهو يومئذ بمكة - فقال :
أصبحت كما قال الشاعر :

فإن تُصِبِكَ من الأيامِ جائحةٌ لا أبك منك على دنيا ولا دين

فقال : وما ذاك يا أعرج ؟ قال : هذا عبدُ الله بن عباس يفقهُ الناس ، وعُبِّدَ الله أخوه يُطعمُ الناس ، فما أبقياً لك ؟ فأحفظه ذلك ، وأرسل صاحبُ شُرطته عبدَ الله ابنَ مُطيع وقال له : انطلق إلى ابني عباس ، فقل لها : أعمدتما إلى راية ترائية قد وضعها الله فنصبتها ! بددا عني جفكنا ، ومن ضوى^(١) إليكما من ضلال أهل العراق وإلا فمئتُ وفعلتُ ...

فقال ابن عباس : قل لابن الزبير : يقول لك ابن عباس : شكلك أمك !
والله ما يأتينا من الناس غير رجلين : طالبُ فقه أو طالبُ فضل ، فأى هذين تمنع !
فقال أبو الطفيل^(٢) :

لا در در الیالی کیف نُضحکنا منها خطوبٌ أعاجیبٌ وتُبکینا
ومثل ما تحدث الأيام من غیرِ یابنِ الزبیر عن الدنیا تسلینا
کُنّا نجی ابنَ عباس فیقْبِسُنّا^(٣) علماً ویسکبنا أجراً ویهدینا

* الأغاني ١٣ : ١٦١ (طبعة الساسی)

(١) ضوى : انضم (٢) هو طامر بن وائلة ، كانت له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمر بعده طويلاً ، وكان من شيعة علي بن أبي طالب ، وله منه عمل خاص (٣) يقبسننا : بطننا -

ولا يزال عُييد الله مترعة	جفانه مُطعماً ضيفاً ومسكيناً
قاليد الدين والدنيا بدارها	تقال منها الذي تبنى إذا شيناً
إن النبي هو النور الذي كُشِفَتْ	به عماياتُ باقيناً وماضيناً
ورحمة عصاة في ديننا ولم	فضل علينا وحق واجب فينا
ولست - فاعله - أولى منهم رحماً	بابن الزبير ولا أولى به ديناً
فقيم تمنعهم عنا وتمنعنا	منهم وتؤذيهم فينا وتؤذينا؟
لن يؤتى الله من أخرى يبعضهم	في الدين عزاً ولا في الأرض تمكيناً

١٥٤ — ابن أبي مخجن عند معاوية*

وفد ابنُ أبي مخجن على معاوية ، فقام خطيباً ، فأحسن ، فغسده معاوية .
فقال له : أنت الذي أوصاك أبوك بقوله :

إذا مت فادفني إلى جنبِ كَرَمَةٍ تروى عظامي بعد موتي عُروفاً
ولا تدفني في الفلاة فإني أخافُ إذا ماتتُ ألا أذوقها
قال : بل أنا الذي يقول أبي :

لا تسألِ الناسَ مآلِي وكثرته وسائلِ الناسِ ما جُودِي وما خُلِقِي
أُعطي الحَسَامَ غداةَ الرَّوْعِ حصته وعاملُ الرمحِ أزوِيهِ من العَلَقِ^(١)
وأطعنُ الطَّعْنَةَ النجلاء^(٢) عن عَرَض وأكتمُ السرَّ فيه ضَرْبَةُ العُنُقِ
ويعلمُ الناسُ أني من سرائِهِمْ^(٣) إذا تطيشُ يدُ الرَّعْدِيدةِ^(٤) الفرقِ^(٥)
فقال له معاوية : أحسنتَ والله يا ابنَ أبي مخجن ، وأمر له بصلة وجائزة .

* المستطرف ٢ : ٢٣٦ ، ذيل زهر الآداب ٦٨ .

(١) العلق : آدم الفليظ (٢) النجلاء : الواسعة (٣) سراة : جمع السرى : وهو الرئيس
(٤) الرعيدة : الجبان (٥) الفرق : شديد الفزع .

١٥٥ - ذكّرني يوم النفخ في الصور *

قدم سعيد^(١) بن جبير على الحجاج فقال له : ما اسمك ؟ قال : سعيد ، قال : ابن من ؟ قال : ابن جبير ، قال الحجاج : بل أنت شق بن كسير . قال سعيد : أمي أعلم باسمي واسم أبي ، قال الحجاج : شقيت وشقيت أمك . قال سعيد : الغيب يعلمه غيرك ، قال الحجاج : لأوردنك حياض الموت ! قال سعيد : أصابت إذن أمي اسمي .

قال الحجاج : لأبدلنك بالدنيا ناراً تُلظّي ! قال سعيد : لو أعلم أن ذلك بيدك لا تتخذنك إلهاً .

قال الحجاج : فما قولك في محمد ؟ قال سعيد : نبي الرحمة ، وإمام الهدى . قال الحجاج : فما قولك في الخلفاء ؟ قال سعيد : لست عليهم بوكيل ، كل امرئ بما كسب رهين . قال الحجاج : اشتتمهم أم أمدحهم ؟ قال سعيد : لا أقول ما لا أعلم . قال الحجاج : أيهم أعجب إليك ؟ قال : أَرْضَاهُمْ لَخَالِقِي ، قال : فأيهم أَرْضَى لِلخَالِقِ ؟ فقال : علم ذلك عند الذي يعلم سِرِّهم ونَجْوَاهم . قال الحجاج : صِفْ لي قولهم في علي ؛ أفي الجنة هو أم في النار ؟ قال سعيد : لو دخلت الجنة فرأيت أهلها علمتُ ، ولو رأيتُ

* ابن خلكان ٢ : ٢٠٥ ، المعارف لابن قتيبة ١٩٧

(١) أخذ سعيد بن جبير العلم عن ابن عباس وابن عمر ، وكان من أجمع التابعين لعلم الفقه والتفسير وكان ورعاً تقياً ، خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل عبد الرحمن هرب سعيد فلحق بمكة ، ولكن واليها يومئذ خالد بن عبد الله القسري أخذه وأرسله إلى الحجاج ، فقتله سنة ٩٥ هـ .

من في النار علمت ؛ فما سؤالك عن غيبٍ قد حُفِظَ بالحجاب ! قال الحجاج : فأى رجل أنا يوم القيامة ؟ قال سعيد : أنا أهونُ على الله من أن يُطْلِعَنِي على الغيب . قال الحجاج : أيتَ أن تصدقني . قال سعيد : بل لم أرد أن أكذبك .

قال الحجاج : دَغْ عنك هذا كله وأخبرني ؛ مالك لم تضحك قط ؟ قال : لم أر شيئاً يضحكني ، وكيف يضحك مخلوقٌ من طين ، والطين تأكله النار ، ومُنَّةُ لُبِّهِ إلى الجزاء ! قال الحجاج : فأنأ أضحك ؛ قال سعيد : كذلك خلقنا الله أطواراً . قال الحجاج : هل رأيت شيئاً من اللهو ؟ قال : لا أعلم . فدعا الحجاج بالعود والناس ، فلما ضَرَبَ بالعود ونَفَخَ في الناي بكى سعيد : قال الحجاج : ما يبكيك ؟ قال : هو الحزن ؛ ذكرتني أمراً عظيماً . أما هذه النفخة فذكرتني يوم النفخ في الصور ، وأما العود فشجرة قطعت في غير حق ، وأما الأوتار فن الشاء تُبْعَثُ معها يوم القيامة ، فقال الحجاج : أنا أحبُّ إلى الله منك ؛ أنا مع إمام الجماعة ، وأنت مع إمام الفرقة . قال سعيد : ما أنا بخارج على الجماعة ولا أنا براضٍ عن الفتنة ، ولكن قضاء الرب نافذٌ لا مردَّ له .

قال الحجاج : كيف تَرَى ما نجمعُ لأُمير المؤمنين ؟ قال سعيد : لم أره . فدعا الحجاج بالذهب والنقصة والكِسْوَةَ والجوهر ، فوَضِعَ بين يديه . قال سعيد : هذا حسنٌ إن قَتَ بشرطه ، قال الحجاج : وما شرطه ! قال : أن تشتري له بما نجمعُ الأمنَ من الفزع الأكبر يوم القيامة ، قال الحجاج : أنحبُّ أن تنالَ منه شيئاً ؟ قال : لا أحبُّ ما لا يحبُّ الله .

قال الحجاج : ويليكَ ! قال سعيد : الويل لمن زُحِرَ حَ عن الجنة فأَدْخَلَ

النار ، قال الحجاج : اذهبوا به فاقتلوه . فلما أذْبَرَ ضحكك؟ قال : ما يضحكك يا سعيد؟
قال : عجبت من جرأتك على الله وحلم الله عليك ، قال الحجاج : اضرَبوا عُنُقَه .
قال سعيد : دَعْنِي أَصِلْ رَكْمَتَيْنِ . فاستقبل القبلة وهو يقول : إني وجهتُ وجهي
للذي فطرَ السموات والأرضَ حَنِيفًا وما أنا من المشركين . قال الحجاج : اصرفوه
عن القبلة ، قال سعيد : فأينما تَوَلَّوْا فثمَّ وجه الله إن الله واسع عليم . قال الحجاج :
لَمْ نُوَكِّلْ بالسراير ، وإنما وَكَّلْنَا بالظواهر . قال سعيد : اللهم لا تسلطه على أحد
يقتله بعدى .

ثم ضربت عنقه .

١٥٦ - أعرابي عند الحجاج *

قال زيد بن عمرو : سمعت طاوساً يقول : بينا أنا بمكة إذ دُفِعْتُ إلى الحجاج ابن يوسف ، فَنَتَيْ لى وساداً فجلست ، فبينما نحن نتحدث إذ سمعتُ صوتَ أعرابي في الوادي رافعاً صوته بالتلبية ^(١) ، فقال الحجاج : علىَّ بالمَلَبِّي فَأَنِي به فقال : مَنْ الرجل ؟ قال : من أَفَنَاء ^(٢) الناس . قال : ليس عن هذا سألتك ! قال : فَمَ سألني !

قال : من أى البلدان أنت ؟ قال : من أهل اليمن . قال له الحجاج : فكيف خلَّفتَ محمد ^(٣) بن يوسف ؟ - يعنى أخاه - قال : خلَّفته عظيمًا جسيمًا خراجًا ولا جأ ^(٤) ! قال : ليس عن هذا سألتك ! قال : فَمَ سألني ؟ قال : كيف خلَّفتَ سيرته في الناس ؟ قال : خلَّفته ظلُّوماً غشوماً عاصياً للخالق ، مطيعاً للمخلوق !

فازورَّ من ذلك الحجاج ، وقال : ما أقدمك على هذا وأنت تعلم مكاتته مني ! فقال له الأعرابي : أفترأى بمكانة منك أعزُّ مني بمكانة مني من الله تبارك وتعالى وأنا وافدٌ بيته ، وقاضى دينه ، ومصدقُ نبيِّه - صلى الله عليه وسلم ! فَوَجَّه لها الحجاجُ ، ولم يُجِرْ ^(٥) له جواباً ، حتى خرج الرجلُ بلا إذن !

* العقد الفريد ٢ : ٢٦٧

(١) التلبية : أن يقول الرجل لييك ، ومعنى لييك : لزوماً اطاعتك
(٢) أفناء الناس : أخلاطهم ، وهو جمع فنو (٣) كان عامله باليمن (٤) الخراج الولاة : العظيم الاحتيال (٥) ما أطار جواباً : مارد .

١٥٧ — دعائي مَنْ هو خير منك *

حجّ الحجاجُ فنزل ببعض المياه ، ودعا بالغداء ، فقال لحاجبه : انظر من يتغذى معي وأسأله عن بعض الأمر ! فنظر الحاجب فإذا هو بأعرابي نائم بين شملتين^(١) من شعر فصرّ به برجله ، وقال : انت الأمير .

فأتاه ، فقال له الحجاج : اغسل يدك وتغذّ معي ؛ قال : إنه دعائي مَنْ هو خير منك فأجبتُه ، فقال الحجاج : من الذي دعاك ! قال : الله تعالى دعائي للصوم فصمت ؛ قال : في هذا اليوم الحارّ ! قال : نعم ، صمتُ ليوم أحرّ منه ؛ قال : فأفطر وتصوم غداً ؛ قال : إن صمتَ لي البقاء إلى الغدا ! قال : ليس ذلك إلى . قال : فكيف تسألني عاجلاً بأجل لا تقدّر عليه ؟ قال : إنه طعام طيب . قال : إنك لم تطيبه ولا الخبز ، ولكن طيبته العافية !

* عيون الأخبار ٢ : ٣٦٦

(١) الشملة : كساء يشتمل به .

١٥٨ — أنت إلى القبر أقرب منك إلى العفو *

دخل أيوب ^(١) ابن القرية على الحجاج - وكان فيمن أمير من أصحاب
عبد الرحمن بن الأشعث ، فقال له : ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : ثلاثة صفوف ،
كأنها ركب وقوف ، دنيا وآخرة ومعروف !
فقال له الحجاج : بشئاً منيت به نفسك يا ابن القرية ! أتراني ممن تخدعه
بكلامك وخطبك ؟ والله لأنت أقرب إلى الآخرة من موضع نطى هذه ! قال :
أقلني عثرتي ، وأسفني ربي ، فإنه لا بد للعباد من كبوة ، وللسيف من نبوة ،
ولالحليم من صبوة ! قال : أنت إلى القبر أقرب منك إلى العفو ! ألسنت القائل -
وأنت محرض حزب الشيطان ، وعدو الرحمن : « تَعَذَّوْا بِالْحِجَاجِ قَبْلَ أَنْ يَتَمَشَى
بِكُمْ » ! ثم قدمه فضرب عنقه !

* زهر الآداب ٤ : ٤٩

(١) هو أيوب بن زيد بن قيس ، والقرية أمه ، وهو من بني هلال بن ربيعة ، وكان لساناً خطيباً ،
قتله الحجاج لما بلغه من ميله مع ابن الأشعث .

١٥٩ — ضربنا بسيفه ثم جاءنا بالأكاذيب *

قال الشعبي : لما انهزم ابن الأشعث ^(١) ضاقت ب الأرض ، وكرهت ترك عيالي وولدي ؛ فلقيت يزيد بن أبي مسلم ، وكان لي صديقاً ، وكانت الصداقة تنفع عنده - فقلت له : قد عرفت الحال بيني وبينك ، وقد صرنا إلى ما نرى ! قال : يا أبا عمرو ؛ إن الحجاج لا يكذب ولا يعوى ^(٢) ولا ينبج ، ولكن قم بين يديه ، وأقر بذنبك ، واستشهدني ما شئت .

فوالله ما شعر الحجاج إلا وأنا مائل بين يديه ، فقال : أعامر ؟ قلت : نعم أصلح الله الأمير ! قال : ألم أقدم العراق فأحسن إليك وأذيتك ، وأقذتكم على أمير المؤمنين ، واستشرتكم ! قلت : بلى أيها الأمير .

قال : فأين كنت من هذه الفتنة ؟ قلت : استشرنا الخوف ، واكتحلنا السهر ، وأحزن بنا المنزل ، وأوحش بنا الجنب ، وفقدنا صالح الإخوان ، وشملتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ، ولا جرة أقوياء ؛ وهذا يزيد بن أبي مسلم قد كان يعرف غدري ، وكنت أكتب إليه .

فقال : صدق ؛ أصلح الله الأمير ! قد كان يكتب إليّ بعذره ، ويخبرني بحاله . فقال الحجاج : فهذا الأحق ضربنا بسيفه ، ثم جاءنا بالأكاذيب ؛ كان وكان ؛ انصرف إلى أهلك راشداً .

* المقد الفريد : - ١٥١ ، ذيل الأمل : ٢٢٠ (المطبعة الأميرية) ، مروج الذهب : ٢ - ٥٧٣

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، خرج على الحجاج ، وخرج معه القراء والعلماء

(٢) يريد أنه لا يكلم بخير ولا شر . اللسان - نبج .

١٦٠ - الحجاج وأنس بن مالك *

حدث سعيد بن جُويرية قال :

خَرَجْتُ خَارِجَةً عَلَى الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ ، فَأَرْسَلُ إِلَى أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهُ فَأَبَى ؛ فَكُتِبَ إِلَيْهِ بِشْتِمِهِ . . . فَكُتِبَ أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَرْوَانَ يَشْكُوهُ ، وَأُذْرِجَ كِتَابَ الْحَجَّاجِ فِي جَوْفِ كِتَابِهِ .

قال إسماعيل بن عبد الله : بعث إلى عبد الملك بن مروان في ساعة لم يكن يبعثُ إلى في مثلها ، فدخلتُ عليه وهو أشدُّ ما كان حنقًا وغيظًا ، فقال : يا إسماعيل ، ما أشدَّ أن تقول الرعية : ضُفَّ أمير المؤمنين وضاق ذُرْعُهُ فِي رِجْلِ مَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لَا يَقْبَلُ لَهُ حَسَنَةٌ وَلَا يَتَجَاوَزُ لَهُ عَنْ سَيِّئَةٍ ! فَقُلْتُ : وَمَا ذَاكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ ، خَادِمُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ كُتِبَ إِلَيَّ يَذْكُرُ أَنَّ الْحَجَّاجَ قَدْ أَضَرَّ بِهِ وَأَسَاءَ جَوَارَهُ ، وَقَدْ كُتِبَتْ فِي ذَلِكَ كِتَابَيْنِ : كِتَابًا إِلَى أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ وَالْآخَرُ إِلَى الْحَجَّاجِ ، فَاقْبِضْهُمَا ، ثُمَّ أَخْرِجْ عَلَى الْبَرِيدِ ؛ فَإِذَا وَرَدْتَ الْعِرَاقَ فَايْأَسْ بِأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ ، وَادْفَعْ إِلَيْهِ كِتَابِي ، وَقُلْ لَهُ : اشْتَدَّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ مِنَ الْحَجَّاجِ إِلَيْكَ ، وَلَنْ يَأْتِيَ إِلَيْكَ أَمْرٌ تَكْرَهُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ آتَيْتُ الْحَجَّاجَ ، فَادْفَعْ إِلَيْهِ كِتَابَهُ وَقُلْ لَهُ : اغْتَرَزْتُ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ غَرَّةً لَا أَظُنُّهُ يَخْطُئُكَ شَرُّهَا . ثُمَّ أَفْهَمْتُ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ وَمَا يَكُونُ مِنْهُ حَتَّى تَفْهَمَنِي إِيَّاهُ إِذَا قَدِمْتَ عَلَيَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال إسماعيل : قَبِضْتُ الْكُتَّابِينَ وَحَرَجْتُ عَلَى الْبَرِيدِ حَتَّى قَدِمْتُ الْعِرَاقَ ، خِدَاتِ بَأْنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي مَنْزِلِهِ ؛ وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَبْلَغْتُهُ رِسَالَتَهُ فِدْعَا لَهُ وَجَزَاهُ خَيْرًا . فَلَمَّا فَرِغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ قُلْتُ لَهُ : يَا أَبَا حَزْمَةَ ؛ إِنْ الْحِجَاجُ عَامِلٌ ، وَيَقْدِرُ أَنْ يَضُرَّكَ وَيَنْفَعَكَ ، فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تُصَالِحَهُ ، قَالَ : ذَلِكَ إِلَيْكَ ؛ لَا أَخْرِجُ عَنْ رَأْيِكَ .

ثُمَّ أَتَيْتُ الْحِجَاجَ ، فَلَمَّا رَأَى رَحْبَ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَرَاكَ فِي بَلَدِي هَذَا ؛ قُلْتُ : وَأَنَا وَاللَّهِ كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَرَاكَ ، وَأَقْدَمَ عَلَيْكَ بَغِيرَ الَّذِي أَرْسَلْتُ بِهِ إِلَيْكَ ؛ قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قُلْتُ : فَارَقْتُ الْخَلِيفَةَ وَهُوَ أَغْضَبُ النَّاسِ عَلَيْكَ ؛ قَالَ : وَلَمْ ؟ فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الْكِتَابَ ؛ فَجَعَلَ يَقْرُؤُهُ وَجِبِينُهُ يَمْرُقُ ، فَسَحَهُ بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ قَالَ : ارْكَبْ بِنَا إِلَى أُنْسٍ ، قُلْتُ لَهُ : لَا تَفْعَلْ فَإِنِّي سَأَتَلَطَّفُ بِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَأْتِيكَ ، وَذَلِكَ لِلَّذِي أَشْرْتُ عَلَيْهِ مِنْ مَصَالِحَتِكَ .

وَأَلْقَى كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِذَا فِيهِ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَى الْحِجَاجِ بْنِ يَوْسُفَ ، أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ عَبْدٌ طَمَتْ ^(١) بِكَ الْأُمُورُ فَطَفِيتُ ، وَعَلَوَتْ فِيهَا حَتَّى جُزْتَ قَدْرُكَ ، وَعَدَوْتَ طَوْرَكَ ، وَإِيْمَ اللَّهِ ، لَا غَمَزَنَّاكَ كَبَعْضِ غَمَزَاتِ السُّيُوفِ لِلشَّعَالِ ، وَلَا أَرْكُضَنَّكَ رَكْضَةً تَدْخُلُ مِنْهَا فِي وَجَارِكَ ! اذْكُرْ مَنَاسِبَ آبَائِكَ بِالطَّائِفِ ، إِذْ كَانُوا يَنْقُلُونَ الْحِجَارَةَ عَلَى أَكْتَافِهِمْ ، وَيَحْفِرُونَ الْآبَارَ فِي الْمَنَاهِلِ ^(٢) بِأَيْدِيهِمْ ، فَقَدْ نَسِيتَ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ أَنْتَ وَأَبَاؤُكَ مِنَ الدَّنَاءَةِ وَاللُّؤْمِ وَالضَّرَاعَةِ ؛ وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتِطَالَةُ مَنْكَ عَلَى أُنْسِ بْنِ مَالِكٍ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ جُرْأَةً مِنْكَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَغُرَّةَ بِمَعْرِفَةِ غَيْرِهِ وَنِعْمَاتِهِ وَسَطْوَانِهِ عَلَى مَنْ خَالَفَ سَبِيلَهُ ، وَعَمَدَ إِلَى غَيْرِ مَحَبَّتِهِ

(١) طَمَتْ : عَلَتْ (٢) الْمَنَاهِلُ : يَجْعَلُ مِنْهُلٍ وَهُوَ الْمَشْرَبُ .

ونزل عند سخطته . وأظنك أردت أن تروزه^(١) بها ، لتعلم ما عنده من التغيير والنكير فيها ، فإن سوغتها مضيت قدماً ، وإن غصصت وليت دبراً ، فعليك لعنة الله ، من عهد أخيفش^(٢) العيين ، أصلك^(٣) الرجلين . وإيم الله ، لو أن أمير المؤمنين علم أنك اجترمت منه جرماً ، واتهمت له عرضاً لبعث إليك من يسحبك ظهراً لبطن ؛ حتى ينتهي بك إلى أنس بن مالك فيحكم فيك بما أحب ، ولم يخف على أمير المؤمنين تبؤوك ، ولكل نبي مستقر ، وسوف تعلمون .

قال إسماعيل : فانطلقتُ إلى أنس ، فلم أزل به حتى انطلق معي إلى الحجاج ، فلما دخلنا عليه قال : يغفر الله لك أبا حمزة ! عجبت باللائمة ، وأغضبت علينا أمير المؤمنين ، ثم أخذ بيده فأجلسه معه على السرير ، فقال أنس : إنك كنت تزعم أنا الأشرار والله سمأنا الأنصار ، وقلت : إنا من أبخل الناس والله يقول فينا : وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ . وزعمت أنا أهل نفاق والله تعالى يقول فينا : « وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُخَيِّثُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا » . فكان الخروج والمشقة في ذلك إلى الله وإلى أمير المؤمنين ، فتولى من ذلك ما ولاه الله ، وعرف من حقنا ما جهلت ، وحفظ منا ما ضيعت ، وسيحكم في ذلك ربنا هو أَرْضَى للَرْضَى ، وأسخط للمُسْخَط ، وأقدر على الغير في يوم لا يشوب الحق عند الباطل ، ولا النور الظلمة ، ولا اهذى الضلال ، والله لو أن اليهود أو النصارى رأته من خدم موسى بن عمران أو عيسى بن مريم يوماً واحداً لرأت له ما لم تروا في رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين !

(١) تروزه : تجريه (٢) الحفش : ضعف البصر مع ضيق في العين (٣) الصكك : أن تضرب إحدى الركبتين الأخرى عند العدو فتؤثر فيها أمراً .

فاعتذر إليه الحجاج وترضاه حتى قبل عذره ورضى عنه ، وكتب برضاه وقبوله عذره إلى عبد الملك بن مروان .

وكتب الحجاج إلى عبد الملك : « إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان .
بسم الله الرحمن الرحيم ؛ أما بعد - أ صلح الله أمير المؤمنين ، وأبقاه ومسهل حظه
وأحاطه ، ولا أعد مناه - فإن إسماعيل بن أبي المهاجر رسول أمير المؤمنين - أعز
الله نصره - قدم على بكتاب أمير المؤمنين أطل الله بقاءه ؛ وجعلني من كل
مكره فداءه - يذكر شيمتي وتوخي بأبائي وتعييري بما كان قبل نزول النعمة
بي من عند أمير المؤمنين - أتم الله نعمته عليه وإحسانه إليه ، ويذكرني أمير
المؤمنين - جعلني الله فداءه - استطالة مني على أنس بن مالك خادم رسول الله
صلى الله عليه وسلم » .

« وأمير المؤمنين - أ صلحه الله في قرابته من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
إمام الهدى وخاتم الأنبياء أحق من أقال عثرتي ، وعفا عن ذنبي ، فأمهلتني ولم
يعجلني عند هفوتي ؛ للذي جيل عليه من كريم طبائعه ، وما قلده الله من
أمر عباده ، فرأى أمير المؤمنين - أ صلحه الله - في تسكين روعتي وإفراج
كربتي ، فقد ملئت رعباً وفرقاً من سطوته ، وفجأة نعمة . وأمير المؤمنين -
أقاله الله العثرات ، وتجاوز له عن السيئات ، وضاعف له الحسنات ، وأعلى له
الدرجات - أحق من صفح عفا وتعمد^(١) وتعمل وأبقى ، ولم يشمت في عدواً
مكباً^(٢) ، ولا حسوداً مضياً^(٣) ، ولم يجرعني غصصاً ، والذي وصف أمير

(١) تعمد : ستر ما كان عنده (٢) أكب عليه : إذا أقبل ولزم (٣) أضب : حل الفيض
والمقد .

المؤمنين من صنيعته إلى ، وتنويهه لي بما أسند إلى من عمله ، وأوطأني من رقاب رعيته صادق فيه مجزئ بالشكر عليه ، والتوسل مني إليه بالولاية ، والتقرب له بالكفاية .

« وقد عين إسماعيل بن أبي المهاجر رسول أمير المؤمنين وحامل كتابه نزولي عند مسرة أنس بن مالك ، وخضوعي عند كتاب أمير المؤمنين ، وإقلاذه إياي ، ودخوله بالمصيبة على ما سيعلمه أمير المؤمنين ، فإن رأى أمير المؤمنين - طوقني الله بشكره ، وأعزني على تأدية حقه ، وبلغني إلى ما فيه موافقة مرضاته ، ومد لي في أجله - أن يامر لي بكتاب من رضاه وسلامة صدره ما يؤمنني به من سفك دمي ، ويرد ما شرد من نومي ، ويطمئن به قلبي ، فقد ورد على أمر جليل ، خطبه عظيم ، وأمره شديد . »

« أسأل الله ألا يسخط أمير المؤمنين ، وأن يثبتني في حزمه وعزمه ، وسياسته وفراسته ، ومواليه وحشمه ، وعماله وصنائه ، ما يحمد به حسن رأيه وبعد همته ، إنه ولي أمير المؤمنين ، والذاب عن سلطانه ، والناصح في أمره والسلام . »

قال إسماعيل : لما قرأ أمير المؤمنين الكتاب قل : يا كاتب؛ أفرخ روع أبي محمد ، وكتب إليه بالرضا عنه !

١٦١ — الحجاج والفضبان بن القُبَعْرَى *

سأل الحجاج يوماً الفضبان^(١) بن القُبَعْرَى عن مسائل يمتحنه فيها ، قال له :
مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ ؟ قال : أَقْبَهُهُمْ فِي الدِّينِ ، وَأَصْدَقُهُمْ لِلْيَمِينِ ، وَأَبْذَلُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ ،
وَأَكْرَمُهُمُ لِلْمُهَانِينَ ، وَأَطْعَمُهُمُ لِلْمَسَاكِينِ .

قال : فَمَنْ أَلَامُ النَّاسِ ؟ قال : الْمَعْطَى عَلَى الْهَوَانِ ، الْمُقْتَرُّ عَلَى الْإِخْوَانِ ،
الكَثِيرُ الْأَلْوَانِ .

قال : فَمَنْ شَرُّ النَّاسِ ؟ قال : أَطْوَلُهُمْ جَفْوَةً ، وَأَذْوَمُهُمْ صَبَوَةً ، وَأَكْثَرُهُمْ
خَلْوَةً ، وَأَشَدَّهُمْ قَسْوَةً .

قال : فَمَنْ أَشَجَعُ النَّاسِ ؟ قال : أَضْرَبُهُمْ بِالسَّيْفِ ، وَأَقْرَاهُمُ لِلضَّيْفِ ، وَأَتْرَكُهُمْ
لِلْحَيْفِ^(٢)

قال : فَمَنْ أَجَبَنُ النَّاسِ ؟ قال : الْمُتَأَخِّرُ عَنِ الصَّفُوفِ ، الْمُنْقَبِضُ عَنِ الزُّحُوفِ ،
الْمُرْتَعِشُ عِنْدَ الْوُقُوفِ ، الْحَبِئُ ظِلَالِ السَّقُوفِ ، الْكَارِهُ لَضَرْبِ السَّيْفِ .

قال : فَمَنْ أَثْقَلُ النَّاسِ ؟ قال : الْمُتَفَنِّزُ فِي اللَّامِ ، الضَّئِنُّ بِالسَّلَامِ ، الْمَهْدَازُ^(٣)
فِي الْكَلَامِ ، الْمُقْبِقُ^(٤) عَلَى الطَّعَامِ .

* المستطرف : ١ - ٤٧

(١) الفضبان بن القُبَعْرَى من أشراف العراق ، وكان من دعاة الرواية أيام حرب عبد الملك
ابن مروان مع مصعب بن الزبير (٢) الحيف : الجور والظلم (٣) للمذار : كثير الهذيان ،
وأهذر في كلامه : أكثر (٤) قبب الرجل : حقي .

قال : فَمَنْ خَيْرُ النَّاسِ ؟ قال : أَكْثَرُهُمْ إِحْسَانًا ، وَأَقْوَمُهُمْ مِيزَانًا ، وَأَدْوَمُهُمْ غُفْرَانًا ، وَأَوْسَمُهُمْ مِيدَانًا .

قال : لله أبوك ! فكيف يُعرف الرجلُ الغريبُ ؟ أحسبُ هو أم غير حسيب ؟ قال : أصلحَ اللهُ الأميرُ ! إن الرجلَ الحسيبَ بذلك أدبُهُ وعقلُهُ ، وشمائلُهُ وعزَّةُ نفسه ، وكثرةُ احتماله ، وبشاشته ، وحسنُ مداراته على أصله ؛ فالعاقلُ البصيرُ بالأحساب يعرفُ شمائلَهُ ، والنذلُ الجاهلُ يحمله ؛ فَشَلُّهُ كمثلُ الدُّرَّةِ ، إذا وقعتْ عند من لا يعرفها ازْدَرَاهَا ، وإذا نظر إليها العقلاء عرفوها وأكرموها ؛ فهي عندهم لمعرفتهم بها حسنةٌ نفيسةٌ .

فقال المجابج : لله أبوك ! فَمَنْ العاقلُ ؟ وَمَنْ الجاهلُ ؟ قال : أصلحَ اللهُ الأميرُ ! العاقلُ الذي لا يَتَكَلَّمُ هَذَرًا ، ولا ينطأ شَزْرًا ، ولا يضرر غَدْرًا ، ولا يطلب عذْرًا ؛ والجاهلُ هو المَهْذَرُ في كلامه ، المَنَانُ بطعامه ، الضنينُ بسلامه ، المتطاولُ على إمامه ، الفاحشُ على غلامه .

قال : لله أبوك ! فَمَنْ الحازمُ الكيسُ ؟ قال : المقبلُ على شأنه ، التاركُ لما لا يعنيه .

قال : فَمَنْ العاجزُ ؟ قال : للمعجبُ بآرائه ، الملتفتُ إلى ورائه .

قال : هل عندك من النساءِ خبرٌ ؟ قال : أصلحَ اللهُ الأميرُ ! إني بشأنهنَّ خيرٌ ، إن النساءَ من أمهات الأولاد بمنزلةِ الأضلاعِ ؛ إن عَدَّتْهَا انكَسَرتْ ، ولهنَّ جوهرٌ لا يصلحُ إلا على المدارةِ ؛ فمن داراهنَّ انتفع بهن ، وقرت عينه . ومن شاورهن كدَرَنَ عيشه ، وتكدَّرت عليه حياته ، وتنفضت لذاته ؛ فأكرمهنَّ أعفهنَّ ، وأغفرُ أحسابهنَّ العفة ؛ فإذا زِلْنَ عنها فهنَّ أثنى من الجيفة .

فقال له الحجاج : يا غضبان ؛ إني موجهك إلى ابن الأشعث وإفداً ؛ فإذا أنت قاتل له ؟ قال : أصلح الله الأمير ! أقول ما يُريدُه ^(١) ويؤذيه ويضنيه ! فقال : إني أظنك لا تقول له ما قلت ، وكأني بصوتك يجلجل في قصري هذا ، قال : كلا ، أصلح الله الأمير ! سأحدث له لساني ، وأجر به في ميداني .

فعمد ذلك أمره بالمسير إلى كركمان ؛ فلما توجه إلى ابن الأشعث ، بعث الحجاج عينا عليه - وكان يفعل ذلك مع جميع رسله -

فلما قدم الغضبان على ابن الأشعث قال له : إن الحجاج قد هم بمحلمك وعزلك ؛ فخذ حذرَكَ ، وتعدّ به قبل أن يتعمّى بك ، فأخذ حذره عند ذلك . ثم أمر للغضبان بجائزة سنية ، وخلع فاخرة ؛ فأخذها وانصرف راجعاً .

فأتى إلى رملة كركمان في شدة الحر والقيظ - وهي رملة شديدة الرّمضاء ^(٢) - فضرب قُبَّتَه فيها ، وحطّ عن رواحله ، فبينما هو كذلك إذا بأعرابي من بني بكر ابن وائل ، قد أقبل على بعير ، قاصداً نحوَه ، وقد اشتد الحر ، وحيث الغزاة ^(٣) وقت الظهيرة ، وقد ظمى ظمأً شديداً ، فقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فقال الغضبان : هذه سنة وردّها فريضة ، قد فاز قائلُها ، وخسر تاركُها ؛ ما حاجتك يا أعرابي ؟ فقال : أصابتنِي الرّمضاء ، وشدة الحر والظمأ ؛ فتيمنتُ قُبَّتَكَ ، وأرجو بركتها .

قال الغضبان : فهلا تيممت قبة أكبر من هذه وأعظم !

قال : أيتها تعني ؟ قال : قبة الأمير ابن الأشعث ! قال : تلك لا يُوصل إليها ! قال : إن هذه أمتع منها ! فقال الأعرابي : ما اسمك يا عبد الله ؟ قال :

(١) أرداه : أهلكه (٢) الرّمض : وقع الشمس على الرمل وغيره (٣) الغزاة هنا : الشمس .

أخذ ، فقال : وما تعطى ؟ قال : أكره أن يكون لى اسمان !

قال : بالله من أين أتيت ؟ قال : من الأرض ! قال : فأين تريد ؟ قال : أمشى فى مَنَّا كَيْهَا^(١) ، فقال الأعرابى - وهو يرفع رجلا ، ويضع أخرى ، من شدة الحر - أتقرض الشعر ؟ قال : إنما يقرض الفأر ؟ فقال : أفدسجج ؟ قال : إنما تسجج الحماة ! فقال : يا هذا ، ائذن لى أن أدخل قبَّتكَ ! قال : خلفك أوسع لك ! فقال : قد أحرقتى حر الشمس ! قال : مالى عليها من سلطان ! فقال : إنى لا أريد طعامك ولا شرايك ، قال : لاتعرض لما لاتصل إليه ، ولو تَلَفَتَ روحك !

فقال الأعرابى : سبحان الله ! قال : نعم من قبل أن تطلع أضرأسك ! فقال : ما عندك غير هذا ؟ قال : بلى ، هراوة أضربُ بها رأسك ! فاستغاث الأعرابى : يا جار بنى كعب !

قال الفضبان : بئس الشيخ أنت ! فوالله ما ظلمك أحدٌ فستغيث ! فقال الأعرابى : مارأيتُ رجلاً أقسى منك ؛ أتيتك مستغيثاً فحجبتنى وطردتنى ، هلا أدخلتنى قبَّتكَ وطارحتنى القريض ؟ قال : مالى بمحادثتك من حاجة ! فقال الأعرابى : بالله ما اسمك ؟ ومن أنت ؟ فقال : أنا الفضبان بن القَبَعَرى . قال : اسماء منكرا ، خُلِقا من غضب ! قال : قِفْ متوكلنا على باب قبَّتى برجلك هذه العوجاء ! فقال : قطعها الله إن لم تكن خيراً من رجلك هذه الشنعاء !

قال الفضبان : لو كنت حاكماً لجرت فى حكومتك ، لأن رجلى فى الظل قاعدة ، ورجلك فى الرمضاء قائمة .

(١) النكب : ناحية كل شىء .

فقال الأعرابي : إني لأظنُّ : هرك فاسداً . قال : ما أقدرني على إصلاحه !
فقال الأعرابي : لا أرضاك الله ولا حيّاك ، ثم ولى وهو يقول :

لا بارك الله في قوم تسودهمُ إني أظنك - والرحمن - شيطاناً
أنت قمت به أرجو ضيافته فأظهر الشيخ ذو القرنين جرماناً
فلما قدم النضبان على الحجاج - وقد باغته الجاسوس ما جرى بينه وبين ابن
الأشعث وبين الأعرابي - قال له الحجاج : يا غضبان ، كيف وجدت أرضَ
كِرْمان ؟ قال : أصلح الله الأمير ! أرض يابسة ، الناس بها ضعاف ؛ إن كثروا
جاعوا ، وإن قَلَّوا ضاعُوا .

فقال له الحجاج : ألسنت صاحب الكلمة التي بلغني أنك قلتها لابن الأشعث :
« نعدّ بالحجاج قبل أن يتمشى بك » ؟ فوالله لأحسّنك عن الوساد ، ولأنزلنك عن
الجياذ ، ولأشهرنك في البلاد !

قال : الأمان أيها الأمير ! فوالله ما ضرت من قلت فيه ، ولا نعت من
قلت له !

فقال له : ألم أقل لك : كآني بصوتك يجلجل في قصرى هذا ! اذهبوا به
إلى السجن .

فذهبوا به ؛ فقيّد وسجن ، فكث ما شاء الله .

ثم إن الحجاج ابنتى الخضرَاء بواسط فأعجب بها ، فقال لمن حوله : كيف
ترَوْن قبتى هذه وبناءها ؟ فقالوا : أيها الأمير إنها حصينة مباركة ، منيعة نضرة
بهجة ، قليل عيبها ، كثير خيرها ، قال : لمَ لم تخبروني بنصح ؟ قالوا : لا يصفها
لك إلا الغضبان .

فبعث إلى النضبان فأخبره ، وقال له : كيف ترى تبنى هذه وبنائها ؟ قال :
أصلح الله الأمير ؛ بنيتها في غير بلدك ، لالك ولا لولدك ، لا تدوم لك ، ولا يسكنها
وارثك ، ولا تبقى لك ، وما أنت لها بياق !

فقال الحجاج : قد صدق النضبان ، رُدّوه إلى السجن .
فلما حملوه قال : « سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ^(١) » .
فقال : أنزلوه ، فلما أنزلوه قال : « رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلَ مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ
الْمُنْزِلِينَ » . فقال : اضربوا به الأرض ، فلما ضربوا به الأرض قال :
« مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى » .
فقال : جرّوه ، فأقبلوا يجرّونه ، وهو يقول : « بِسْمِ اللَّهِ نَحْرَاهَا وَمُرْسَاهَا
إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » .

فقال الحجاج : ويلكم ! أتركوه فقد غلبني دهاء وخبثا . ثم عفا عنه ، وأنعم
عليه ، وخلقى سبيله .

١٦٢ — حسن تخلص*

صَمَدَ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ الْمُنْبَرِّ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ عَلَى مَكَّةَ ،
فَذَكَرَ الْحِجَابَ ، فَحَمْدَ طَاعَتِهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ .

فَلَمَّا كَانَ فِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، يَأْمُرُهُ فِيهِ
بِشْتِمِ الْحِجَابِ وَنَشْرِ عِيُوبِهِ ، وَإِظْهَارِ الْبَرَاءَةِ مِنْهُ ؛ فَصَمَدَ الْمُنْبَرِّ ، فَحَمْدَ اللَّهِ وَأَثْنَى
عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَكَانَ يُظْهَرُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ
مَا كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَرَى لَهُ بِهِ فَضْلًا ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ عَلِمَ مِنْ غِشِّهِ وَخُبْنِهِ مَا خَفِيَ عَلَى
مَلَائِكَتِهِ ؛ فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فَضِيحَتَهُ أَمَرَهُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ ، فَظَهَرَ لَهُمْ مَا كَانَتْ يَخْفِيهِ
عَنْهُمْ ، فَلَعَنُوهُ .

وَإِنَّ الْحِجَابَ كَانَ يُظْهَرُ مِنْ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا كُنَّا نَرَى لَهُ بِهِ فَضْلًا ، وَكَانَ
اللَّهُ أَطْلَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غِشِّهِ وَخُبْنِهِ عَلَى مَا خَفِيَ عَنْهُ ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فَضِيحَتَهُ
أَجْرَى ذَلِكَ عَلَى يَدَيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَعَنَهُ ؛ فَالْعَنُوا لَعْنَةَ اللَّهِ ائْتَمَّ نَزْلُ ،

١٦٣ — بُثينة وعزة عند عبد الملك بن مروان *

دخلت بُثينة وعزة عند عبد الملك بن مروان ، فانصرف إلى عزة ، وقال : أنت عزة كثير؟ قالت : لست لكثير بعزة ؟ لكنني أمٌ بكر ، قال : أتروين قول كثير :

وقد زعمتُ أني تغيّرتُ بعدها ومن ذا الذي ياعرُ لا يتغيّرُ !

قالت : لست أروى هذا ، ولكنني أروى قوله :

كأنّى أناذى أو أسكّمُ صخرةً من الصمّ لو تمشى بها العُصمُ ^(١) زلتِ

ثم انحرف إلى بُثينة فقال : أنت بُثينة جميل ؟ قالت : نعم يا أمير المؤمنين !

قال : ما الذى رأى فيك جميل حتى ليج بذكرك من بين نساء العالمين ؟ قالت :

الذى رأى الناسُ فيك ليجملوك خليفتهم . فضحك حتى بدا له ضرس أسود لم ير

قبل ذلك ، وفضل بُثينة على عزة فى الجائزة .

وأمرهما أن يدخلتا على عائكة ^(٢) فدخلتا عليها ، فقالت لعزة : أخبريني عن

قول كثير :

قضى كلُّ ذى دين فوقى غريمه وعزة ممطولٌ معنّى غريمها

ما كان دينه ؟ وما كنت وعدته ؟ قالت : كنت وعدته صلة ثم تأنمت ^(٣) منها .

* المستطرف : ١ - ٦٩ ، الأملى : ١ - ٤٨ .

(١) الأعصم من الوعول : ما من ذراعيه أو فى أحدهما يابس وسائر أسوده أو أحر .

(٢) عائكة : امرأة عبد الملك (٣) نأتم : تحرج .

١٦٤ - مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟

قال عبد الملك لجريز : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟ فقال : ابن لعشرين ^(١) ، قال : فما رأيك في ابني ^(٢) أبي سُلَيْ ؟ قال : كان شعرهما نيراً يَأْمُرُ الْمُؤْمِنِينَ . قال : فما تقول في امرئ القيس ؟ قال : اتَّخَذَ الْخَلِيبُ اشْعَرَ نَظْلِينَ ، وَأَقْسَمُ بِاللَّهِ لَوْ أَدْرَكْتَهُ لَرَفَعْتُ دَلَالِيهِ ^(٣) . قال : فما تقول في ذِي الرِّمَّةِ ؟ قال : قَدَّرَ مِنْ ظَرِيفِ الشَّعْرِ وَغَرِيبِهِ وَحَسَنِهِ عَلَى مَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ أَحَدٌ . قال : فما تقول في الْأَخْطَلِ ؟ قال : مَا أَخْرَجَ لِسَانُ ابْنِ النَّصْرَانِيَةِ مَا فِي صَدْرِهِ مِنَ الشَّعْرِ حَتَّى مَاتَ . قال : فما تقول في الْفَرَزْدَقِ ؟ قال : فِي يَدِهِ وَاللَّهِ نَبْعَةٌ ^(٤) مِنَ الشَّعْرِ قَدْ قَبِضَ عَلَيْهَا . قال : فَمَا أَرَاكَ أَبْقَيْتَ لِنَفْسِكَ شَيْئاً ، قال : بَلَى وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي لَمَدِينَةُ الشَّعْرِ الَّتِي مِنْهَا يُخْرَجُ وَإِلَيْهَا يَعُودُ ، نَسَبْتُ ^(٥) فَأَطْرَبْتُ ، وَهَجَوْتُ فَأَرْدَيْتُ ^(٦) ، وَمَدَحْتُ فَأَسْنَيْتُ ، وَأَرْمَلْتُ ^(٧) فَأَغْزَرْتُ ، وَزَجَرْتُ فَأَبْجَحْتُ ، فَأَنَا قُلْتُ ضَرْوبَ الشَّعْرِ كُلِّهَا ، وَكُلُّ وَاحِدٍ قَالِ نَوْعاً مِنْهَا . قال : صدقت !

* الْأَغَانِي : ٨ - ٥٣ (طبعة دار الكتب)

- (١) يَمْنَى طَرْفَةً (٢) يَعْنِي زَمْيَرًا وَابْنَهُ كَعْبًا (٣) دَلَالٌ الْقَمِيصُ : مَا يَلْبَسُ الْأَرْضُ مِنْ أَسْفَلِهِ ، وَيُرِيدُ أَنَّهُ كَانَ يَلْزَمُهُ وَيُخْدَمُهُ (٤) النَّبْعُ : شَجَرٌ تَتَخَذُ مِنْهُ الْقَسِيُّ . وَتَتَخَذُ مِنْ أَغْصَانِهِ السَّهَامُ ، الْوَاحِدَةُ نَبْعَةٌ (٥) نَسَبْتُ بِالْمَرْأَةِ شَبَّ بِهَا فِي الشَّعْرِ (٦) أَرْدَيْتُ : أَهْلَكْتُ . (٧) الرَّمْلُ فِي الشَّعْرِ : غَيْرُ الْقَصِيدِ وَالرَّجَزِ .

١٦٥ — سليمان بن عبد الملك وأبي حازم *

دخل سليمان^(١) بن عبد الملك المدينة ، فأقام بها ثلاثاً ، ثم قال : أما هنا رجلٌ
من أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ؟ فقيل له : بلى ، ها هنا
رجل يقال له أبو حازم . فبعث إليه ، فجاء .

فقال له سليمان بن عبد الملك : يا أبا حازم ، ما هذا الجفاء ؟ فقال له أبو حازم :
وأى جفاء رأيت منى ؟ قال له سليمان : أثنى وجوه أهل المدينة كلهم ، ولم تأتني !
فقال له : أعيدك بالله أن تقول ما لم يكن ، ماجرى بيني وبينك معرفة ، آتيك
هكذا ؟ فقال سليمان : صدق الشيخ !

ثم قال سليمان : يا أبا حازم ، ما لنا نسكوه الموت ؟ فقال أبو حازم : لأنكم
خرّبتُم آخرتكم ، وعمرتُم دنياكم ، فأثم نسكوهون أن تُنقلوا من العُمران إلى
الخراب . قال : صدقت يا أبا حازم ، كيف القدوم على الله ؟ فقال : أما المُحسن
فكالفائب يقدم على أهله ، وأما المسيء فسكالأيق^(٢) يقدم على مولاه . فسكى
سليمان ، وقال : ليت شعري ما لنا عند الله يا أبا حازم ! فقال أبو حازم : اغرض
نفسك على كتاب الله عز وجل تعلم ما لك عند الله ، فقال : يا أبا حازم ؛ أين نصيبُ
تلك المعرفة في كتاب الله عز وجل ؟ قال أبو حازم : عند قوله تعالى : « إِنَّ الْأَبْرَارَ

* مسامرات الأبرار : ٧ - ١٧٤ ، الف. الفريد : ٢ - ١٠٧ .

(١) انظر صفحة ٣٢٩ (٢) الأيق : الهارب .

لَقِي تَعِيمٌ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ» . فقال سليمان : يا أبا حازم ؛ فأين رحمة الله ؟ قال أبو حازم : قريبٌ من الحسنين .

قال سليمان : يا أبا حازم ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ ؟ قال أبو حازم : مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ . فقال سليمان : مَا أَسْمَعُ دَعَاءَ النَّاسِ ؟ قال : دَعَاءُ الْحَبِيتَيْنِ ^(١) إِلَيْهِ . قال سليمان : مَا أَزْكَى الصَّدَقَةِ ؟ فقال أبو حازم : جَهْدُ الْمُقَلِّ . فقال سليمان : يا أبا حازم : مَا تَقُولُ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فقال أبو حازم : أَغْنَانِي مِنْ هَذَا ؛ فقال سليمان : نَصِيحَةٌ بَلَّغْتَهَا . قال أبو حازم : إِنْ أَنَا سَأَلْتُكَ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا إِجْمَاعٍ مِنْ رَأْيِهِمْ ، فَسَفَكُوا الدَّمَاءَ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ ارْتَحَلُوا عَنْهَا ، فَلَيْتَ شَعْرِي مَا قَالُوا ، وَمَا قِيلَ لَهُمْ ! فقال بعض جلسائه : بَنَسَ مَا قُلْتَ يَا شَيْخَ ! فقال أبو حازم : كَذَبْتَ ، إِنْ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ لِيَبَيِّنَيْنَهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُوهُ ، فقال سليمان : يَا أبا حازم ؛ كَيْفَ الْأَخْذَ بِذَلِكَ ؟ قال أبو حازم : تَأْخُذُهُ مِنْ حَقِّهِ ، وَتَضَعُهُ فِي أَهْلِهِ ، فقال له سليمان : اصْحَبْنَا يَا أبا حازم ، تَصِيبُ مِنَّا وَنَصِيبُ مِنْكَ ، فقال : أَعِيدُكَ مِنْ ذَلِكَ ! قال سليمان : وَلَمْ ؟ قال : أَخَافُ أَنْ أُرَكَّنَ إِلَيْكُمْ شَيْئًا قَلِيلًا ، فَيَذِيقَنِي اللَّهُ مِنْهَا ضَعْفَ ^(٢) الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ !

قال سليمان : يَا أبا حازم ، فَأَثِيرٌ عَلَى . فقال أبو حازم : اتَّقِ اللَّهَ أَنْ يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ ، أَوْ أَنْ يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ . قال سليمان : يَا أبا حازم ، ادْعُ لَنَا بِخَيْرٍ . فقال أبو حازم : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ سُلَيْمَانُ وَلِيِّكَ فَبَشِّرْهُ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ كَانَ عَدُوُّكَ فَخُذْهُ إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيَتِهِ ، فقال سليمان : عِظْنِي يَا أبا حازم ، فَقَدْ أُوجِزْتَ ، فقال : إِنْ كُنْتَ وَلِيَّهِ فَخَسْبُكَ ، وَإِنْ كُنْتَ عَدُوَّهُ فَمَا يَنْفَعُكَ إِذَا رَمَى بِقَوْسٍ بِغَيْرِ وَتَرٍ .

(١) الإخبات : الحشوع (٢) أى ضعف العذاب حياً وميتاً .

فقال سليمان : يا غلام ، إيت بمائة دينار ، ثم قال : خذها يا أبا حازم ، فقال أبو حازم : لا حاجة لى بها ، إنى أخاف أن تكون قد أعطيتنيها لما سمعت من كلامى ، إن موسى عليه السلام لما هرب من فرعون ووُرد ماء مَدين ، وجد عليه جاريتين تذودان ، قال : ما خطبُكما ؟ قالتا : لا نسقى حتى يُصَدِّرَ الرَّعَاءُ ^(١) وأبونا شيخ كبير ، فسقى لهما ، ثم تولى إلى الظل ، فقال : ربّ إلى لما أنزلتَ إلى من خير فقير : ولم يسأل على عَوْنِ الله أجرا على دينه ، فلما أنكر ذلك أبوهما ، وقال : ما أعجلكما ؟ قالتا : وجدنا رجلا صالحا فسقى لنا ، قال : فما سمعناه يقول ؟ قالتا : سمعناه يقول : « رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ » . فقال : ينبغى أن يكون هذا جائنا ؟ تنطلق إحداكما ، فتقول له : إن أبى يدعوك ليجزيك أجرا ما سقيت لنا . فخرج من ذلك موسى - عليه السلام - وكان طريدا فى فيافي الصَّحراء ، فأقبل والجارية أمامه ، فهبت ريح ، فكشفتها له - وكان ذا خُلُق - فلما بلغ الباب ، دَخَلَ ، وإذا طعامٌ موضوع . قال شعيب : أصب يا فتى من هذا الطعام ، قال موسى - عليه السلام : أعوذ بالله . قال شعيب : ولم ؟ قال موسى : لأننا من بيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهبا . قال شعيب - عليه السلام : لا والله ، لكننا عادتى وعادة آبائى ، نطعم الطعام ، ونقرى الضيف . فجلس موسى فأكل .

فإن كانت هذه الدنانير عوضاً لما سمعت من كلامى ، فأنأرى أكل الميتة والدم فى حال الضرورة أحبّ إلى من أخذها .

فكأنّ سليمان أعجب بأبى حازم ، فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين ؛ أيسرُّك أن يكون الناس كلهم مثه ! قال الزهرى : إنه تجارى منذ ثلاثين سنة

ما كلمته بكلمة قط ، قال له أبو حازم : صدقت ، إنك نسيت الله فنسيتني ، ولو
أحببت الله لأحببتني ، قال الزهري : أنت شمت نفسك ،
أما علمت أن الجار على جاره حقاً ! قال أبو حازم : إن بني إسرائيل لما كانوا على
الصواب كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء ، وكانت العلماء ترضى بدينها عن الأمراء ،
فاستغنت الأمراء عن العلماء ، واجتمع القوم على المعصية ، فشنلوا وانتكسوا ، ولو كان
علمائنا هؤلاء يصونون علمهم ، لها بهم الأمراء . قال الزهري : كأنك لي تريد ، وبني
قمرض ، قال : هو ما نسمع !

١٦٦ — ضَعَهُ مِنَ النَّارِ حَيْثُ شَتَّتْ *

لَمَّا وَلَّى سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْخِلَافَةَ ، أَتَى بِيَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمٍ — مَوْلَى الْحِجَاكِ ، فِي جَامِعَةِ ^(١) ، وَكَانَ رَجُلًا دَمِيًّا قَبِيحًا تَقْتَحِمُهُ ^(٢) الْعَيْنُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ سُلَيْمَانُ قَالَ : لَعَنَ اللَّهُ أَمْرًا أَجْرَكَ رَسَنَكَ ^(٣) ، وَوَلَّى مِثْلَكَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّكَ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ عَنِّي مُدَبَّرٌ ، وَلَوْ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ عَلَيَّ مُقْبِلٌ لَا سَتَعْظَمْتَ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَصْفَرْتُ ، وَلَا سَتَجَلَلْتَ مَا اسْتَحْقَرْتُ .

فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : أَيْنَ تَرَى الْحِجَاكِ ، أَيَهْوَى فِي النَّارِ أَمْ اسْتَقَرَّ فِي قَعْرِهَا ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَقُلْ هَذَا ، إِنَّ الْحِجَاكِ قَمَعَ لَكُمْ الْأَعْدَاءَ ، وَوَطَّأَ لَكُمْ الْمَنَابِرَ ، وَزَرَعَ لَكُمْ الْهَيْبَةَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ . . . وَبَعْدَ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ يَمِينِ أَبِيكَ عَبْدَ الْمَلِكِ ، وَشِمَالِ أَخِيكَ الْوَلِيدِ ، فَضَعَهُ مِنَ النَّارِ حَيْثُ شَتَّتْ ! فَصَاحَ بِهِ سُلَيْمَانُ : أَخْرِجْ إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ ! ثُمَّ التَفَتْ إِلَى جُلَسَائِهِ فَقَالَ : قَبِّعْهُ اللَّهُ ، مَا كَانَ أَحْسَنَ تَرْثِيهِ لِنَفْسِهِ وَلِصَاحِبِهِ !

* الأُمَالِي : ١ - ٢١٥ ، الْعَقْدُ الْفَرِيدُ : ١ - ١٥٠ ، مَرْوَجُ الذَّهَبِ : ٢ - ١٦٤ ، الْبَيَانُ وَالتَّيْبِينَ : ١ - ٢١٠ .
(١) الْجَامِعَةُ : الْقَيْدُ (٢) تَقْتَحِمُهُ : تَزْدْرِيه (٣) أَجْرُهُ رَسَنُهُ : يَرِيدُ تَرْكُهُ بِضَعٍّ مَا يَشَاءُ .

١٦٧ — مناظرة مع الخوارج *

بعث عمر بن عبد العزيز إلى شوذب الحُروري^(١) وأصحابه حين خرجوا بالجزيرة ؛ فجاءوه برجلين منهم : أحدهما من بني شيبان ، والآخر حبشي اسمه عاصم ، وهو أشد الرجلين حجةً ولسانا .

وصعدا إليه في غرفة معه فيها ابن عمه عبد الملك وكتبه مزاحم ، وأعلموه مكانهما ، فقال : ابحثوها ألا يكون معهما حديدة ، ثم أدخلوها ، ففعلوا .

فلما دخلا قالَا : السلام عليكم ، ثم جلسا ، فقال لهما عمر : أخبراني ما أخرَجَكُما تُخَرَّجَكُما هذا ؟ وأي شيء تَقُمُّمَ علينا ؟ فقال عاصم : والله ما نَقُمُّنا عليك في سيرتك ، فإنك لتَجْرى العدلَ والإحسان ، ولكن بيننا وبينك أمرٌ إِنْ أُعْطِينَاهُ فَأَنْتَ مِنَّا وَنَحْنُ مِنْكَ ، وَإِنْ مَنَعْتَنَاهُ فَلَسْتَ مِنَّا وَلَسْنَا مِنْكَ ! قال عمر : وما هو ؟ قال : رأيتك خالفتَ أَعْمَالَ أَهْلِ بَيْتِكَ ، وسَلَكْتَ غَيْرَ طَرِيقِهِمْ ، وَسَمَّيْتَهَا مِظَالَمَ ؛ فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّكَ عَلَى هُدًى وَهَمَّ عَلَى ضَلَالٍ فَأَبْرَأُ مِنْهُمْ وَالْعَنَهُمْ ، فهذا الذي يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَوْ يَفَرِّقُ .

فقال عمر : إني قد عرفت أنكم لم تخرجوا لطلب الدنيا ولكنكم أردتم الآخرة

* سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم : ١٣٠

(١) الحرورية : طائفة من الخوارج ، ينسبوت إلى حروراء ، وهو موضع بظاهر الكوفة ، كان فيه أول اجتماعهم حين خالفوا علي بن أبي طالب . وشوذب : اسمه بسطام من بني يشكر .

فأخطأتم سبيلها ، وأنا سائلكم عن أمر ! فبالله لتصدقاني عنه فيما بلغه علمكما .
قالا : نفعل ، قال : أرايتم أبا بكر وعمر ؟ أليسا من أسلافكم ومن تتولون وتشهدون
لها بالنجاة ؟ قالا : بلى . فقال : هل تعلمون أن العرب ارتدت بعد رسول الله فقاتلهم
أبو بكر ؛ فسفك الدماء ، وسبى الذراري ، وأخذ الأموال ؟ قالا : قد كان ذلك .
قال : فهل تعلمون أن عمر لما قام بعده رد تلك السبايا إلى عشائهم ؟ قالا : قد كان
ذلك . قال : فهل يرى أبو بكر من عمر ، أو عمر من أبي بكر ؟ قالا : لا ؟ قال :
فهل تبرأون من واحد منهما ؟ قالا : لا !

قال : أخبراني عن أهل التَّهْرَوان ؛ أليسوا من أسلافكم ومن تتولون وتشهدون
لهم بالنجاة ؟ قالا : بلى ! قال : فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا إليهم
كفؤا أيديهم ، فلم يخيفوا آمنا ولم يفسكوا دما ، ولم يأخذوا مالا ؟ قالا : قد كان
ذلك . قال : فهل تعلمون أن أهل البصرة حين خرجوا إليهم مع عبد الله بن وهب
استعرضوا الناس فقتلهم ، وعرضوا لعبد الله بن خُبَّاب صاحب النبي صلى الله عليه
وسلم ؛ فقتلوه وقتلوا جاريته ، ثم صبَّحوا حيًّا من العرب فاستعرضوهم فقتلوا الرجال
والنساء والولدان ، حتى جعلوا يلقون الأطفال في قدور الأقط^(١) وهي تفور بهم ؟
قالا : قد كان ذلك ! قال : فهل يرى أهل الكوفة من أهل البصرة ، أو أهل
البصرة من أهل الكوفة ؟ قالا : لا ! قال : فهل تبرأون من طائفة منهما ؟
قالا : لا !

قال عمر : أخبراني أرايتم الدين واحدًا أم اثنين ؟ قالا : بل واحد ! قال :

(١) الأقط : شيء يستخرج من الخيض الضنى .

فهل يسمعكم فيه شيء يُعجزني ؟ قالوا : لا ! قال : فكيف وسيعكم أن توليتم أبا بكر وعمر ، وتولّى كل واحدٍ منهما صاحبه ، وقد اختلفت سيرتهما ! أم كيف وسع أهل الكوفة أن تولوا أهل البصرة وأهل البصرة أهل الكوفة وقد اختلفوا ، وكيف وسيعكم أن توليتهم جميعا وقد اختلفوا في أعظم الأشياء ؛ في الدماء والأموال ، ولا يسعني - بزعمكما - إلا لعنُ أهل بيتي والبراءة منهم ! فإن كان لعنُ أهل الذنوب فرضة مفروضة لا بد منها ، فأخبرني عنك أيها المتكلم متى عهدك بلعن فرعون ! قال : ما أذكركُ متى لعنته . قال : ويحك ! فيسلك تركُ لعن فرعون ، ولا يسعني بزعمك إلا لعنُ أهل بيتي والبراءة منهم ! وإنكم قوم جهال ، أردتم أمرا فأخطأتموه ، فأنتم تقبلون من الناس ماردَ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتردّون عليهم ما قبل منهم ، ويأمنُ عندكم من خاف عنده ؛ ويخاف عندكم من آمن عنده . قال : مانحن كذلك . قال : بل تقرّون بذلك الآن .

هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث إلى الناس وهم عبدة أوثان ؛ فدعاهم إلى أن يخلعوا الأوثان ؛ وأن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فمن فعل ذلك حقن دمه ، وأمينَ عنده ، وكان أسوة بين المسلمين ، ومن أبى ذلك جاهدَه ؟ قالوا : نعم ، قال : أنلستم أتم اليوم تبرأون ممن يخلع الأوثان ، ومن يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وتلعنونه وتقتلونه ، وتستحلون دمه ، وتلقون من يأبى ذلك من سائر الأمم من اليهود والنصارى ؛ فتحرمون دمه ويأمن عندكم ؟ فقال عاصم : ما رأيت حجةً أبين ولا أقرب مأخذاً من حجتك ؛ أما أنا فأشهد أنك على الحق وأنتى برىء ممن خالفك .

وقال للشيباني : فأنت ماتقول ؟ قال : ما أحسنَ ماقلت ؛ وأبين ماوصفت ؛

ولكن أكره أن أفقات على المسلمين بأمرٍ لا أدري ما حجتهم فيه ، حتى أرجع إليهم ، فلعلّ عندهم حجة لا أعرفها . قال : فأنت أعلم ، ثم أمر لعاصم ببطائه ، وأقام عندهم خمس عشرة ليلة ثم مات ، ولحق الشيباني بقومه فقتل معهم .

١٦٨ — ليس الأمر بالسّن*

قدم على عمر بن عبد العزيز ناس من أهل العراق ، فنظر إلى شاب منهم يتهمياً للكلام ، فقال : أكبّروا أكبّروا ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه ليس بالسّن ، ولو كان الأمر كلّ بالسّن لكان في المسلمين من هو أسنّ منك ، فقال عمر : صدقت ، رحلك الله ، تسكّم !

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنا لم نأتك رغبة ولا رهبة ؛ أما الرغبة فقد دخلت علينا منازلنا ، وقدمت علينا بلادنا ؛ وأما الرهبة فقد أمنتنا الله بعدك من جورك ، قال : فمن أتم ؟ قال : وفد الشكر .

فنظر محمد بن كعب القرظي إلى وجه عمر يتهلل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يفلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك ! فإن ناساً خدعهم الثناء ، وغرّهم شكر الناس فهلكوا . وأنا أعيذك بالله أن تكون منهم ؛ فألقى عمر رأسه على صدره !

١٦٩ — بنو أمية وعمر بن عبد العزيز *

لما أقبلَ عمرُ بن عبد العزيز على ردة المظالم ، وقطَعَ عن بني أمية جوازهم وأرزاقَ آخرَ أسهم ، وردَّ ضياعهم إلى الخراج ، وأبطل قطعائهم فأفقرهم ، ضَجُّوا من ذلك ؛ فاجتمعوا إليه وقالوا : إنك قد أَجَلَبْتَ^(١) المالَ للمسلمين ، وأفقرت بني أبيك فيما تردُّ من هذه المظالم ؛ وهذا أمرٌ قد وليه غيرُك قبلك ، فدعهم وما كان منهم ، واشتغل أنت وشأنك ، واعمل بما رأيت .

قال لهم : هذا رأيكم ؟ قالوا : نعم ! قال : ولكني لا أرى ذلك ، والله لو دِدْتُ^(٢) ألا تبقى في الأرض مظلمة إلا رددتها !

فخرجوا من عنده ، ودخلوا على عمر بن الوليد بن عبد الملك - وكان كبيرهم وشيخهم - فسألوه أن يكتبَ إلى عمرَ يوجِّهُ لعله أن يردَّه عن مَسَاءَتِهِمْ ، فكتب إليه :

« أما بعد فإنك أَرَزَيْتَ^(٣) على من كان مِن قبلك من الخلفاء ، وعبت عليهم ، وسيرت بغير سيرتهم وسميتها المظالم ؛ نقصاً لهم ، وعيباً لأعمالهم ، وشناً لمن كان بعدهم من أولادهم ، ولم يكن ذلك لك ؛ قَطَعْتَ ما أمرَ الله به أن يُوَصَلَ ، وعملت بغير الحق في قرابتك ، وعمدتَ إلى أموال قريش ومواريتهم وحقوقهم ، فأدخلتها بيتَ مالك ظُلماً وجوراً وعدواناً ، فاتَّقِ الله يا بنَ عبد العزيز وراقبه ؛ فإنك إن

* سيرة عمر بن عبد العزيز : ١٥٢ ، ابن أبي الحديد : ٤ - ٧ ، ١

(١) أجلب : طلب (٢) أزرى عليه : عابه .

شعلت لم تظمن^١ على منبرك ، وإن خضعت ذوى قرابتك بالقطيعة والظلم ؛ فوالله الذى خص^٢ محمداً صلى الله عليه بما خصه به من الكرامة ، لقد ازدادت من الله بُعداً فى ولايتك هذه التى تزعم أنها بلاء عليك وهى كذلك ! فاقصد فى بعض ممالكك وتماملك . اللهم فاسأل سليمان^(١) بن عبد الملك بما صنع بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ! »

فكتب عمر بن عبد العزيز إليه :

« من عمر أمير المؤمنين إلى عمر بن الوليد . سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإن أول أمرك يا فلان أن أمك بئانة كانت أمة تدخل دور حص ، وتطوف فى جوانبها ، والله أعلم بها ، فاذترها ذبيان بن ذبيان من قىء المسلمين ، فأهداها إلى أبيك فحملت بك ، فبئس الحامل وبئس المحمول ، ثم نشأت فكت جباراً شقيفاً . كتبت إلى تظلمنى^(٢) ، وزعمت أن حرمتك وأهل بيتك فى بيت مال المسلمين ، الذى فيه حق القرابة والضعيف والمسكين وابن السبيل ، وإنما أنت كأحدكم ؛ لك ما لهم ، وعليك ما عليهم . »

وإن أظلم منى ، وأترك لهد الله ، الذى استعملك صبيها تحكّم فى دماء المسلمين وأموالهم برأيك ، ولم يكن يحمله على ذلك إلا حب الولد ، ولم يكن ذلك له ولا حق له فيه ، فويلك ثم ويل أهلك ! ما أكثر طلابكم وخضماء كما يوم القيامة ! وكيف النجاة لمن أكثر خصماؤه ؟

« وإن أظلم منى وأترك لهد الله من جعل لفلاة البر بركة سهماً فى قىء المسلمين

(١) سليمان بن عبد الملك هو الذى عهد إلى عمر بن عبد العزيز بالخلافة (٢) ظله : نسب الظلم إليه .

« وَصَدَقَاتِهِمْ . أَهَاجَرْتِ ؟ نَكَلْتِكِ أَمَكِ ! أَمْ بَايَعْتَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ فَتَسْتَوْجِبُ
سَهَامَ الْمُقَاتِلِينَ ! »

« وَإِنْ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مِنْ اسْتَعْمَلُ قُرَّةَ بْنِ شَرِيكٍ أَعْرَابِيًّا جَلْفًا
جَافِيًّا عَلَى مِصْرَ ، وَأُذِنَ لَهُ فِي الْمَعَازِفِ وَالْبِرَابِطِ ^(١) وَالْخَمْرِ .

« وَإِنْ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مِنْ وَلِيِّ يَزِيدَ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ ^(٢) عَلَى جَمِيعِ الْمَغْرِبِ ،
يَحْبِي الْمَالَ الْحَرَامَ ، وَيَسْفِكُ الدَّمَ الْحَرَامَ . رَوَيْدُكَ ! لَوْ قَدْ التَقْتُ عَلَيْكَ حَلَقَتَنَا
الْبَطَانِ ^(٣) ، وَطَالَتْ بِي حَيَاةٌ ، وَرَدَّ اللَّهُ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ ، تَفَرَّغْتُ لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ ،
فَأَقْتَكُمُ عَلَى الْحُجَّةِ ^(٤) الْبَيْضَاءِ ؛ فَطَالَمَا تَرَكْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَكُمْ ، وَأَخَذْتُمْ فِي بَنِيَّاتِ
الطَّرِيقِ ^(٥) ؛ وَمِنْ وَرَاءِ هَذَا مَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَيْرَ رَأْيٍ رَأَيْتُهُ : يَبِيعُ رَقَبَتَكَ ،
وَقَسْمُ ثَمَنِكَ بَيْنَ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْأَرَامِلِ . فَإِنْ لَكُلِّ مُسْلِمٍ فِيكَ سَهْمَانِ فِي
كِتَابِ اللَّهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَلَا يَنَالُ سَلَامُ اللَّهِ الظَّالِمِينَ . »

(١) البرابط : جمع يربط وهو المود (٢) ولي الوليد يزيد بن أبي مسلم على ثلاثة أخماس المغرب ،
يقتل ويصلب ويقطع (٣) البطان : حزام الرجل ، له حلقتان في كل طرف حلقة يصعب التقاؤهما ،
وإذا التقتا بلغ الشد فانيته ، وهو مثل يضرب حين بلوغ الشدة منهاها (٤) الحجة : جادة الطريق
(٥) بنيات الطريق : الطرق الصغار تنشب من الجادة .

١٧٠ — في وفاة عمر بن العزيز *

لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة دخل عليه مسلمة بن عبد الملك ، فقال :
يا أمير المؤمنين ؛ إنك قد ففرت أفواه ولدك من هذا المال ، فلو أوصيت بهم إلى
وإلى نظرائي من قومك فكفوك مئوتهم !

فلما سمع مقالته قال : أجلسوني . فأجلسوه فقال : قد سمعتُ مقالتك يا مسلمة .
أما قولك : إني قد ففرت أفواه ولدي من هذا المال فوالله ما ظلمتهم حقاً هو لهم ، ولم
أكن لأعطيهم شيئاً لغيرهم ، وأما ما قلت في الوصية فإن وصيتي فيهم : (الله الذي
نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) ، وإنما ولدُ عمر بين أحد رجلين : إما
رجل صالح فسُيغنيهِ الله ، وإما غير ذلك فلن أكون أولَ مَنْ أعانه بالمال على
معصية الله .

ادعُ لي بَنِي : فأتوه ؛ فلما رآهم ترقرت عيناه ، وقال : بنفسى فتية تركتهم
عالة لا شيء لهم ! وبكى .

يا بَنِي ؛ إني تركت لكم خيراً كثيراً لا تمرّون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم
ألا رأوا لكم حقاً ؛ يا بَنِي ، إني قد ميّلتُ ^(١) بين الأمرين : إما أن تستغفروا وأدخل
النار ، أو تفتقروا إلى آخر الأبد وأدخل الجنة . فأرى أن تفتقروا فذلك أحبُّ إليّ .
قوموا عصمكم الله ، قوموا رزقكم الله !

* سيرة عمر : ١١٧

(١) ميل بين الأمرين : تردد في أيهما يفعل .

١٧١ — رأى خالد بن صفوان في الشعراء *

قال هشام بن عبد الملك لِشَبَّةَ بن عِقَالٍ ، وعنده جريرٌ والفرزدقُ والأخطلُ ،
وهو يومئذ أميرٌ : ألا تُخَيِّرُنِي عن هؤلاء الذين قد مزَّقوا أعراضهم ، وهتكوا
أستارهم ، وأغرَّوا بين عشائرم في غير خيرٍ ولا ير ولا نفع ، أبهم أشعرُ ؟
فقال شَبَّةُ : أما جريرٌ فيُغَيِّرُ من بحر ، وأما الفرزدقُ فينحَتُ من صخر ،
وأما الأخطلُ فيُجِيدُ المدحَ والنصرَ .

فقال هشام : ما فسرَّت لنا شيئاً نحصله ! فقال : ما عندي غيرُ ما قلتُ !
فقال لخالد^(١) بن صفوان : صَنِمَ لَنَا يَا بَنَ الْأَهَمِّ ؛ فقال : أما أعظمهم فخراً ،
وأبعدُهم ذِكْراً ، وأحسنهم عُذْراً ، وأسيرهم مثلاً ، وأقلهم غزلاً ، وأحلام عِللاً ،
الطامى^(٢) إذا زخَر ؛ والحامى إذا زَارَ ، والسامى إذا خَطَرَ ؛ الذى إن هَدَرَ^(٣) قال ،
وإن خَطَرَ صَالَ ، الفصيحُ اللسان ، الطويلُ العنان . فالفرزدق .
وأما أَحَدُهُمْ تَفَنُّماً ، وأمدحُهُمْ بَيِّنَةً ، وأقلهم قُوَّةً ، الذى إن هَجَا وَضَعَ^(٤) ،
وإن مدح رَفَعَ ، فالأخطل .

وأما أغزَرُهم بحراً ، وأرقَّهم شعراً ، وأهتَكُم لعدوِّهِ سِتْراً ؛ الأغرُّ الأبلقُ ،

* الأغاني : ٨ - ٨١ (طبعة دار الكتب) ، معجم الأدياء : ١١ - ٢٥

(١) أحد فصحاء العرب وخطبائهم ، وهو مشهور برواية الأخبار ، وكان يجالس هشام بن عبد الملك ؛ ولكنه كان بخيلاً ، وتوفى سنة ١٣٥ هـ (٢) الطامى : من طمى الماء ؛ إذا ارتفع وملاً النهر ، وزخَر البحر : امتلأ (٣) هدر البعير : ردد صوته في حنجرتة ، وهدر الحمام : كثر صوته (٤) خفض .

الذى إن طَلَبَ لم يُسَبِّحْ ، وإن طُلِبَ لم يُلْحَقْ ؛ فخرير ، وكلهم ذكىُّ الفؤاد ،
رَفِيعُ العِباد ، وَادِى الرِّئَاد .

فقال له مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ . ماسمعنا بمثلك يا خالداً فى الأولين ، ولا رأينا
فى الآخرين ؛ وأشهدُ أنك أحسنهم وصفاً ، وألينهم عطفاً ، وأعفهم مقالا ،
وأكرمهم فعالا .

فقال خالد : أتمَّ الله عليكم نِعَمَهُ ، وأجزل لديكم قِسْمَهُ ^(١) وَأَنَسَ بكم الْفُرْبَةَ ،
وفَرَّجَ بكم الْكُرْبَةَ . وَأَنْتَ ، والله - ماعلتُ أيها الأمير - كريمُ الْفِرَاسِ ، عالمٌ
بِالنَّاسِ ، جوادٌ فى الْمَحَلِّ ، بَسَّامٌ عِنْدَ الْبَذْلِ ، حَلِيمٌ عِنْدَ الطَّيْشِ ، فى ذِرْوَةِ ^(٢)
قَرِيْشٍ ، وَلُبَّابٍ ^(٣) عِبدُ شَمْسٍ ، ويومُك خيرٌ من أَمْسٍ .

فضحك هشام وقال : مارأيتُ كَتَخْلَصِيكَ يابن صفوان فى مدح هؤلاء ووصفهم ،
حتى أَرْضَيْتَهُمْ جَمِيعاً ، وسلمت منهم .

(١) القسم : جمع قِسمَة ، وهى الرزق وما قسمَ (٢) ذروة : أعلى (٣) لباب : خلاصة :

١٧٢ — المنصور وابن طاوس *

قال مالك بن أنس : بعث إلى أبو جعفر المنصور وإلى ابن طاوس ، فدخلنا عليه وهو جالس على فرش قد نضدت له ، وبين يديه أنطاع^(١) قد بسطت ، وجُلاذٌ بأيديهم السيوف ؛ لضرب رقاب الناس ، فأومأ إلينا بالجلوس ، وأطرق عنا طويلا ، ثم التفت إلى ابن طاوس ، فقال له : حدثني عن أبيك .

قال : نعم ؛ سمعتُ أبي يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أشدَّ الناس عذاباً يوم القيامة رجلٌ أشركهُ الله في حكمه ، فأدخل عليه الجورَ في عدله » : ثم أمسك ساعة ، قال مالك : فضممتُ ثيابي مخافةً أن يملأني دمه .

ثم التفت إليه أبو جعفر ، فقال ، عِظْني يا ابنَ طاوس ، قال : نعم ، أما سمعتُ الله يقول : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ . وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ^(٢) بِالْوَادِ . وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ؛ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ . إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ » .

قال مالك : فضممتُ ثيابي أيضا مخافةً أن يملأني دمه ، فأمسك المنصور ساعة حتى اسودَّ ما بيننا وبينه ، ثم قال : يا ابنَ طاوس ؛ ناولني الدواة ، فأمسك ابن طاوس ، ولم يناوله إياها وهي في يده ، فقال : ما يمنعك أن تناولنيها ؟ قال :

* العقد الفريد للعلامة السعيد : ٥٦

(١) الأنطاع : جمع نطع وهو جلد يفرش (٢) جابوا : خرقوا الصخر فاتخذوه بيوتا .

أخشى أن تكتبَ بها معصيةَ لله فأكونَ شريكك فيها . فلما سمع ذلك المنصور
قال : قوماً عني !

قال ابن طاووس : ذلك ما كنا ننبئُ ! قال مالك : فسا زلتُ أعرفُ لابنِ
طاووس بعدها فضله .

١٧٣ - بديهة معن *

قدم معنُ بن زائده من اليمن ودخل على أبي جعفر المنصور ، فقال له : قد بلغ
أمير المؤمنين عنك شيء ؛ ولولا مكأُنك عنده ورأيه فيك لفضب عليك ، قال :
وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إعطاؤك مروان بن أبي حفصة ألفَ دينار لقوله
فيك :

معن بن زائدة الذي زيدتُ به شرفاً على شرف بنو شيبان
أن عُدَّ أيامَ الفَعالِ فأَتما يوماء يومُ نَدَى ويومُ طَمان
فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أعطيتُهُ ما بلغتُ لهذا الشعر ، وإنما أعطيتُهُ
لقوله :

ما زلتَ يومَ الهاشمية^(١) مُعَلِّناً بالسيف دون خليفة الرحمنِ
فمنعت حوزتَه وكنت وِقاءَه من وَقَع كلُّ مُهَنَّد وسِنان
فاستحيا المنصور ، وقال : إنما أعطيتُهُ ما أعطيتُهُ لهذا القول ! قال : نعم ،

* الأغاني : ١٠ - ٨٦ (طبعة الساسي) .

(١) الهاشمية : مدينة بناها السفاح قريباً من الكوفة .

يأمر المؤمنين ! والله لولا مخافة الشنعة لأمكنته من مفاتيح الأموال ، وأبجته
إياها ، فقال له المنصور : لله درك من أعرابي ! ما أهون عليك ما يعز على الرجال
وأهل الحزم !

١٧٤ — رسول معن *

أراد معنُ بن زائدة أن يوفدَ إلى أبي جعفر المنصور قوماً يسألون سخيّمته ،
ويستطفون قلبه عليه ، وقال : قد أنفيتُ عمرى فى طاعته ، وأنعبتُ نفسى ، وأنفيتُ
رجالى فى حربِ اليمى ، ثم يسخطُ علىَّ أنْ أنفقتُ المال فى طاعته !
فانتخب جماعة من عشيرته من أفناء ربيعة ، وكان فيمن اختارَ جماعة بن الأزهر ،
فجملَ يدعو الرجال واحداً واحداً ، ويقول : ماذا أنت قائل لأمر المؤمنين إذا
وجهتُك إليه ؟ فيقول : أقول وأقول . . . حتى جاءه جماعة بن الأزهر ، فقال : أعزَّ
الله الأمير ! تسألنى عن مخاطبة رجل بالعراق وأنا باليمن ! أقصِدْ لحاجتك حتى أتاتى
لها كما يمكن وينبغى ؛ فقال : أنتَ صاحبى .

ثم التفت إلى عبد الرحمن بن عتيق المزنى وقال : شدَّ على عَصْد ابن عمك ،
وقدّمه أمامك ، فإن سها عن شىء فتلاّفه . واختار من أصحابه ثمانية نفرٍ معهم ، حتى
تمّوا عشرة وودّعهم ومضوا ، حتى صاروا إلى أبي جعفر .

فلما صاروا بين يديه تقدّموا ، فابتدأ جماعة بحمد الله والثناء عليه والشكر له

حتى ظنَّ القومُ أنه إنما قصدَ لهذا ؛ ثم كَرَّ على ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وكيف اختاره الله من بطون العرب ، ونشَر من فضله حتى تعجَّب القومُ ؛ ثم كَرَّ على ذِكْر أمير المؤمنين المنصور ، وما شَرَّفه الله به وما قلَّده ؛ ثم كَرَّ على حاجته في ذكر صاحبه . فلما انتهى كلامه ، قال المنصور : أَمَّا ما وصفتَ من حمدِ الله ، فالله أَجلُّ وأَكبر من أن تبلغه الصفات ؛ وأما ما ذكرت من النبي صلى الله عليه وسلم فقد فضله الله بأكثر مما قلت ، وأما ما وصفتَ به أمير المؤمنين فقد فضله الله بذلك ، وهو معيَّنه على طاعته إن شاء الله ، وأما ما ذكرت من صاحبك فكذبت ولوئمت ؛ ثم أمر المنصور بإخراجهم . قال : صدق أمير المؤمنين ، والله ما كذبتُ في صاحبي .

فأخْرِجُوا ، فلما صاروا إلى آخر الإيوان أمر بِردِّه مع أصحابه ، فقال ، أَعِدْ ما ذكرت . فكَّرَ عليه الكلام حتى كأنه في صحيفة يقرؤه ؛ فقال له مثل القول الأول ؛ فأخْرِجُوا حتى برزوا جميعاً ، وأمر بهم فوقفوا ، ثم التفت إلى مَنْ حضره من مُضر ، فقال : هل تعرفون فيكم مثل هذا ؟ والله لقد تكلم حتى حسدته ، وما منعني أن أتم على رده إلا أن يقال : تعصَّب عليه لأنه رَبَّيَ ، وما رأيتُ كالיום رجلاً أربط جاشاً ولا أظهر بيانا ؛ ردَّه يا غلام !

فلما صار بين يديه أعاد السلام وأعاد أصحابه ، فقال له المنصور : اقصد لحاجتك وحاجة صاحبك ، قال : يا أمير المؤمنين ، معنُ بن زائدة عبدك وسيفك وسهمك ، رميتَ به عدوك ف ضربَ وطعنَ ورمى ، حتى سهلَ ماحزُن ، وذللَ ما صَعِب ، واستوى ما كان معوجاً من اليمين ؛ فأصبحوا من خول أمير المؤمنين - أطال الله

بقائه .. فإن كان في نفس أمير المؤمنين هنة من ساعٍ أو واشٍ أو حاسدٍ فأمر المؤمنين
أولى بالتفضل على عبده ، ومن أفنى عمره في طاعته .

فقبل وفادتهم ، وقيل العذر من مَن ، وأمر بصرفهم إليه .
فلما صاروا إلى مَن قرأ الكتاب بالرضا قبل ما بين عينيه ، وشكر أصحابه ،
وخلع عليهم وأجازهم ، فقال جماعة :

آلِيتُ في مجلسٍ من وائلٍ قَسَمًا	ألا أيمك يامَنُ بأطاع
يامَنُ إنَّكَ قد أوليتني نِعَمًا	عمتُ لُجْيًا وَخَصَّتْ آلَ تَجَاع
فلا أزالُ إليك الدَّهرَ منقطعًا	حتى يُشيدَ بهلكي هتفةُ الناعِي

١٧٥ — كبير*

دخل عمارة^(١) بن حمزة على المهدي ، فلما استقرَّ به الجلوس ، قام رجل كان المهدي قد أعدَّه ليتهمَّ به ، فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين ! قال : مَنْ ظلمك ؟ قال : عمارة غصبني ضيعةً - وذكر ضيعة من أحسن ضياع عمارة ، وأكثرها خراجاً - فقال المهدي لعمارة : قم فاجلس مع خصمك ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ما هو لي بخضم ؛ إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها ، وإن كانت لي فقد وهبتها له ، ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين .

فلما انصرف المجلس سأل عمارة عن صفة الرجل ، وما كان لبسه ، وأين كان موضع جلوسه !

* نهاية الأرب : ٣ - ٣٧٣ ، معجم الأدباء : ٥ - ٢٤٧

(١) مولى عبد الله بن العباس ، ثم مولى السفاح ، ثم مولى أبي جعفر المنصور ، وكان تياهاً معجباً بنفسه ، جواداً كريماً معدوداً في سرارة الناس ، وكان فصيحاً بليغاً وكان أعور دميماً . وكان المنصور والمهدي يقدمانه ويحتملان أخلاقه لفضله وبلاغته ووجوب حقه ، وولى لها أعمالاً كباراً .

١٧٦ — فَنَاعَةُ *

قال أبو ذؤلف المِجَلِّي :

حجبتُ فرأيتُ أبا العتاهية واقفاً على أعرابي في ظلٍّ مِيلٍ^(١) ، وعليه شملة
إذا غطى بها رأسه بدتْ رجلاه ، وإذا غطى رجله بدا رأسه ؛ فقال أبو العتاهية :
يا هذا ؛ لولا أن الله أنقذ بعض العبادِ بشرِ البلاد ، ما وسَّعَ خيرُ البلادِ جميعَ
العباد ؛ ثم قال له : من أين معاشُكم ؟ فقال : منكم معشرَ الحاجِّ ؟ تمرون بنا
فنتال من فضولكم^(٢) ، وتنصرفون فيكون ذلك ؛ فقال له : إنما نمرّ وتنصرف
في وقتٍ من السنة ، فمن أين معاشُكم ؛ فأطرق الأعرابي ثم قال : لا والله لأدري
ما أقول إلا أنا نرزق من حيث لا نَحْتَسِبُ^(٣) أكثر مما نرزق من حيث نَحْتَسِبُ ؛
فولى أبو العتاهية وهو يقول :

ألا يا طالبَ الدنيا دَعِ الدنيا لشائِكَا
وما تصنعُ بالدنيا وظلُّ المِيلِ يكفِيكَا ؟

* الأغاني : ٤ - ٨٣ (طبعة دار الكتب) .

(١) الميل : منار بيني للسافر (٢) فضول الغنم : ما فضل منها (٣) أى من حيث
لا تتفكر .

١٧٧ — الرشيد وعبد الملك بن صالح*

رُفِعَ إلى الرشيد أن عبد الملك ^(١) بن صالح يطلبُ الخلافةَ لنفسه ، ويطمعُ فيها ، وأن البرامكة كانوا له في ذلك عوناً ، وأيدَ هذه السعاية ابنه عبد الرحمن بن عبد الملك وخادمه قُمامة . فأحضر إلى الرشيد ، فلما دخل عليه قال : أ كُفراً بالنعمة وجُحوداً لجليل المنّة والتَّكْرمة ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لقد بُوتُ إذن بالندم ، وتعرّضت لاستِحلال النِّقَم ، وما ذاك إلا بَنَى حاسِدٍ نافَسَنِي فيكَ المودةَ والقِرابَةَ ، وتقديّمِ الولاية ؛ إنك يا أمير المؤمنين خليفةُ رسول الله في أمته ، وأمينه على عِترته ^(٢) ، لك عليها فرضُ الطاعة وأداءه النصيحة ، ولها عليك التَّذَلُّ في حُكْمها والغفران لذنوبها .

فقال الرشيد : أَتَضَعُ لِي من لسانك ، وترفعُ لِي من جَنَانِكَ ! هذا كاتبك قمامة يخبر بِفُلك وفساد نيتك ، فاسمع كلامه !

فقال عبد الملك : أعطاك ما ليس في عَقْدِهِ ، ولعله لا يقدر أن يَمْعَظَنِي ^(٣) أو يَنْهَتَنِي بما لم يعرفه مِنِّي . وأحضر قمامة . فقال له الرشيد : تقدّم غير هائب ولا خائف . قال قمامة : أقول : إنه عازم على التَّدْرِيكِ والخِلافِ عليك ! فقال عبد الملك :

* المحاسن والمساوى : ٥٤٦ (طبع ليزج) ، تاريخ الطبرى : ٦٠ - ٨٩ ، العقد الفريد : ١٤٣ - ١ ، الكامل لابن الأثير : ٦ - ٧٢ ، زهر الآداب : ٢ - ٢٨٣ .

(١) هو عبد الملك بن صالح بن طي بن عبد الله بن عباس ، وهو في المباسين في درجة السفاح والنصور نسباً . وُلد الرشيد الحروب في الثنور ؛ فقام بذلك خير قيام ، إلى أن عزله الرشيد ، وحبسه بعد ثكبة البرامكة سنة ١٨٧ هـ (٢) الفترة : نسل الرجل ورهطه وعشيرته الأولون ممن مضى وغب . (٣) يقال : غبضه فلاناً ؛ أى بهته وقال فيه ما لم يكن .

أهو كذلك يا قُمامة؟ قال : نعم ، لقد أردت خَتْلَ^(١) أمير المؤمنين . فقال عبد الملك : كيف لا يكذب على من خلني ، وهو يبهتني في وجهي !

فقال له الرشيد : وهذا ابنك عبد الرحمن يخبرني بعثوك ، وفساد نيتك ؛ ولو أردت أن أحتج عليك بحجة لم أجد أعذل من هذين لك ، فبم تدفعهما عنك ؟ فقال عبد الملك : هو مأمور ، أو عاق مجبور ، فإن كان مأموراً فعذوره ، وإن كان عاقاً ففاجر كفور ، أخبر الله بعبادته وحذر منه بقوله : « إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ » . فتهض الرشيد وهو يقول : أمّا أمرك فقد وضح ، ولكنني لا أعجل حتى أعلم الذي يرضى الله فيك ، فإنه الحكم بيني وبينك ، فقال عبد الملك : رضيت بالله حكماً ، وبأمر المؤمنين حاكماً ، فإني أعلم أنه يؤثر كتاب الله على هواه ، وأمر الله على رضاه .

فلما كان بعد ذلك جلس مجلساً آخر ، ودخل عبد الملك عليه فسلم ، فلم يرد عليه الرشيد ! فقال عبد الملك : ليس هذا يوماً أحتج فيه ، فقال الرشيد : لِمَ ؟ فقال : لأن أوله جرى على غير السنة فآنا أخاف آخره ، قال : وما ذاك ؟ قال : لم ترد على السلام . أنصف نصفة العوام . فقال الرشيد : السلام عليكم اقتداء بالسنة ، وإيناراً للعهد ، واستملاً للتحية ، ثم التفت نحو سليمان بن أبي جعفر وقال :

* أريدُ حياته ويريدُ قَتْلِي *

أما والله لكانني أنظر إلى شؤبوبها^(٢) قد هَمَّع ، وعارضها^(٣) قد لَمَّع ، وكانني

(١) ختله : خدعه (٢) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، وهمع : سال (٣) العارض : السحاب المعترض في الأفق .

بالوعيد قد أَوْزَى ناراً تسطع فأقلع عن بَرَاجم^(١) بلا معاصم ، ورءوس بلا غلامم^(٢) . فهلا مهلا ، بى والله سهّل لكم الوعر ، وصفاً لكم الكدير ، وألقت إليكم الأمور أزيّمتها ، فنذار لكم نذار ! قبل حلول داهية ، خبطوط باليد ، لبوط^(٣) بالرجل !

فقال عبد الملك : اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولّأك وفي رعيّتك التي استقرّاك ، ولا تجعل الكفر مكان الشكر ، ولا العقاب موضع الثواب ؛ فقد نخلت لك النصيحة ومحضت لك الطاعة ، وشدّدت أواخى^(٤) مُلكك بأثقل من رُكني يلمّتم^(٥) ، وتركّت عدوك مُشتغلاً ؛ فإله الله في رحمك أن تقطعه بعد أن بلّيته^(٦) ، يظنّ أفصح الكتاب بمضه^(٧) ، أو بينى باغٍ ينهش اللحم ، ويلبّغ في الدم ! فقد والله سهّل لك الوعر ، وذللّت لك الأمور ، وجهت على طاعتك القلوب في الصدور . فكم من ليل تمام فيك كأبدته ، ومقام ضيق لك قُمته ! كما قال أخو بني جعفر بن كلاب :

ومقام ضيق فرّجته بينان ولسان وجّادل
لو يقوم الفيل أو فيّاله^(٨) زلّ عن مثل مقامى وزحل^(٩)

فقال له الرشيد : أمّا والله لولا الإبقاء على بني هاشم لضربت عنقك ؛ ثم أمر بحبسه ، فحبس عند الفضل بن الربيع .

ثم بعث الرشيد إلى يحيى بن خالد وهو في السجن : « إن عبد الملك بن صالح

(١) البراجم : مفاصل الأصابع (٢) الغلامم : جم غلصمة ، وهى اللحم بين الرأس والعنق (٣) يقال : لبط به الأرض ؛ أى ضرب (٤) أواخى : جم آخية : عروة تربط إلى وتد مدقوق وتعد فيه الداية (٥) يلتم : جبل من الطائف على ليلتين (٦) بلّيته : لزمته (٧) المضه : الكذب والتمية (٨) الفيال : صاحب الفيل (٩) زحل : زال عن مكانه .

أراد الخروج علىّ ومنازعتي في الملك ، وقد علمت ذلك ، فأعلمني ما عندك فيه ، فإنك إن صدقتني أعدتُك إلى حالك .

فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين ما اطلعتُ من عبد الملك على شيء من هذا ، ولو اطلعتُ عليه لكنتُ صاحبه دونك ؛ لأن ملكك كان ملكي ، وسلطانك سلطاني والخير والشر كانا فيه علىّ وليّ ؛ فكيف يجوز لعبد الملك أن يطمع في ذلك مني ! وهل كنتُ إذا فعلتُ ذلك به يفعل بي أكثر من فعلك ! أعيذك بالله أن تظنّ بي هذا الظنّ ؛ ولكن كان رجلاً محتملاً ، يسرني أن يكون في أهلِكَ مثله ، فوليته لما أخذتُ^(١) من مذهبه ، ومِلْتُ إليه لأدبه واحتماله .

فلما أتى الرسولُ الرشيد بهذا أعاده عليه وقال : إن أنتَ لم تقرّ على عبد الملك قتلُ ابنك الفضل ؛ فقال له يحيى : أنتَ مسلط علينا فافعل ما شئت ، على أنه إذا كان من هذا الأمر شيء قالدنبُ فيه لي ، فمِمَّ يدخلُ الفضل في ذلك ! فقال الرسولُ للفضل : قم ، فإنه لا بدّ لي من إنفاذ أمر أمير المؤمنين فيك ؛ فلم يشك في أنه قاتله ؛ فودّع أباه وقال له : ألسنتُ راضياً عني ؟ قال : بلى ، فرضى الله عنك ، وفرق بينهما ثلاثة أيام ؛ فلما لم يجد عندهما من ذلك شيئاً جمعهما كما كانا .

(١) يقال : أخذت فلاناً ، أى رضيت مذهبه .

١٧٨ — هارون الرشيد ومسلم بن الوليد *

كان هارون الرشيد يقتلُ أولاد فاطمة وشيعتهم ، وكان مسلمُ بن الوليد صريحُ
النوائى - قد رُمى عنده بالشيعة ؛ فأمر بطلبه ، فهرب منه ، ثم أمر بطلب أنس بن
أبي شيخ كاتب البرامكة ، فهرب منه .

ثم وُجد هو ومسلمُ بن الوليد عند قينة ببغداد ؛ فلما أتى بهما ، قيل له :
يا أمير المؤمنين ؛ قد أتى بالرجلين ، قال : أى الرجلين ؟ قيل : أنس بن أبي شيخ ،
ومسلم بن الوليد . فقال : الحمد لله الذى أظفرنى بهما . يا غلام ؛ أحضِرهما .

فلما دخلَا عليه نظر إلى مُسلم وقد تغير لونه ، فرق له ، وقال : إيه يا مسلم !
أنت القاتل :

أَنَسَ الهوى ببني عليٍّ في الحشا وأراه يَطْمَحُ عَنْ بني العباس
قال : بل أنا الذى أقولُ - يا أمير المؤمنين :

أَنَسَ الهوى ببني العمومة في الحشا مستوحشًا من سائر الأناس ^(١)
وإذا تكاملت الفضائلُ كنتمُ أولى بذلك يا بني العباس

فعجب هارون الرشيد من سرعة بديهته ، وقال له بعض جلسائه : استنبِحه
يا أمير المؤمنين ، فإنه من أشعر الناس ، وامتنحه فسترى منه عجباً ؛ فقال له : قلْ
شيئاً فى أنس . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أفرِخ ^(٢) رَوْعِي أفرِخَ اللهُ رَوْعَكَ

* المقد الفريد : ١ - ٤٢٩ ، ديوان مسلم ٣٠١ (طبعة أوربا)

(١) الأناس : الناس (٢) أذهب روعى وقرعى .

يَوْمَ الحاجة إلى ذلك ؛ فإنى لم أَدْخُل على خليفة قط ، ثم أنشأ يقول :

تَلَمَّظُ ^(١) السيف من شوقٍ إلى أنس فالموتُ يلحظُ والأقدارُ تنتظرُ
فليس يبلغُ منه ما يؤمُّلهُ حتى يُؤامِرَ فيه رأيك القدرُ
أمضى من الموت ؛ يَمُفُو عند قدرته وليس للموت عفوٌ حين يقتدر
فأجلسه هارون وراء ظهره ، لئلا يرى مام به ، حتى إذا فرغ من قتل أنس
قال له : أنشدنى أشعر شعرك ، فكلما فرغ من قصيدة قال : التى تقول فيها «الوحل»
فإنى رويتها وأنا صغير ، فأنشده شعره الذى أوله :

أديراً على الراح لا تَشْرَبَا قَبْلِي ولا تَطْلُبَا من عند قاتلتى دَحْلِي ^(٢)
حتى انتهى إلى قوله :

إذا ما عَلتُ من ذُؤابة شاربٍ تَمَشَّتْ بنا مَشَى المقيَدِ فى الوحل
فضحك هارون ، وقال : عليك ! أما رضيت أن قيدته حتى يمشى فى الوحل ؟
ثم أمر له بجائزة وخلي سبيله .

(١) أصل التلمظ تحريك اللسان فى الفم بعد الأكل ، كأنه يتجعب بغية الطعام بين أسنانه ، ويقال
تلمظت الحية : إذا أخرجت لسانها لتلمظ الأكل (٢) الوحل : التار .

١٧٩ — شاعر باهلي في حضرة الرشيد *

أوفد سعيد بن سالم على الرشيد شاعراً باهلياً ؛ فأنشده قصيدة حسنة ؛
فاستَرَاب به ^(١) الرشيد ؛ وقال : أَسَمِعْتُكَ مستَحْسِناً ، وأُكْرِمَكَ مُتَهَمًا ! فإن كنتَ
صاحبَ هذا الشعر ؛ فقل في هذين - وأشار إلى الأمين والمأمون ، وكانا جالسين .
فقال : يا أمير المؤمنين ؛ حَمَلَنِي على غير الجدِّد ^(٢) هيبة الخلافة ، ووحشةُ
الغربة ، وروعةُ المفاجأة ، وجلالةُ المقام ، وصموبةُ البديهة ، وشروءُ القوافي على
غير الروية ، فليَمَهِّلْنِي أمير المؤمنين حتى يتألف نافر القول !

فقال الرشيد : لا عليك ألا تقول ، قد جعلتُ اعتذارك عوضَ امتحانك !
فقال : يا أمير المؤمنين ، نفست ^(٣) الخناق ، وسهلت مَيِّدَانِ السباق ، ثم قال :
بَنَيْتُ لعبد الله بعد محمدٍ ذُرّاً قُبَّةَ الإسلام فاخضرَّ عودها
هما طُنْبَاهَا ^(٤) بارك الله فيهما وأنت أمير المؤمنين عَمُودُهَا
فقال الرشيد : بارك الله فيك - سل ، ولا تكن مسألتك دون إحسانك .
فقال : الهَيْدَةَ ^(٥) يا أمير المؤمنين ! فأمر له بها وبمخلع نفيسة ، وصلة جزيلة !

* زهر الآداب : ٤ - ١٥٣ .

(١) استراب به : رأى منه ما يريبه (٢) الجدِّد : ما استوى من الأرض وأصهر ، والمراد هنا
الأمر السهل (٣) نفست : فرجت (٤) الطنب : جبل الحباء (٥) الهيدة : اسم المائة
من الإبل .

١٨٠ — أَبَانُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ يَمْدَحُ نَفْسَهُ *

قال العتّابي : كنا بباب الفضل بن يحيى البرمكي أربعة آلاف ؛ ما بين شاعر
وزائر ، وفينا فتى ^(١) يحدّثنا ونجتمع إليه ؛ فبينما هو ذات يوم قاعد إذ أقبل إليه
غلام له ! فقال له : يا مولاي ؛ أخرجتني من بين أبوي ، وزعمت أن لك صلة
بالمملك ؟ فقد صرنا إلى أسوأ ما يكون من الحال . فإن رأيت أن تأذن لي فأنصرف
إلى أبوي فعلت !

فاغرورقت عينا الفتى ، ثم قال : ائتني بدواة وقرطاس ، فأتاه بهما فقمعد ؛
فكتب رقعة ، ثم عاد إلى مجلسه ، ثم قال للغلام : انصرف إلى وقت رجوعي
إليك .

فبينما نحن كذلك إذ جاء رجلٌ يستأذنُ على الفضل ، فقام إليه الفتى ، فقال :
تَوَصَّلْ رقتي هذه إلى الأمير ؟ قال : وما في رقعتك ؟ قال : أمدح نفسي ، وأحث
الأمير على قبولي ، قال : هذه حاجة لك دون الأمير ، فإن رأيت أن تعفيني فعلت !
قال : قد فعلت .

فعاد إلى مجلسه ، فخرج الحاجب فقام إليه ، فقال له مثل مقالته الأولى .

* الأوراق للصولي : ٤

(١) هو أبان بن عبد الحميد النلاحى الذى نظم كليباً ودمنة شعراً . وقد أعطاه يحيى بن خالد
عشرة آلاف دينار ، وأعطاه الفضل خمسة آلاف دينار .

فاستظرفه الحاجب وقال : إن رجلاً يمدح نفسه ، ولا يمدح الفضل عجيب !

فأخذ منه الرقعة ، ثم دخل فلوحها للفضل ، فقرأ منها سطرين وهو مستلق على فراشه ، ثم استوى قاعدا ، وتناول الرقعة فقرأها ، فلما فرغ قال للحاجب : أين صاحب الرقعة ؟ قال : أعز الله الأمير ؛ والله لا أعرفه لكثرة من بالباب ؛ فقال الفضل : أنا أعرفه لك الساعة ؛ يا غلام ! اصعد القصر فناد أين مداح نفسه ؟ فقام العلام فصاح : فقام الفتى من بيننا بغير رداء ولا حذاء !

فلما مثل بين يدي الفضل ، قال له : أنت القائل ما فيها ؟ قال : نعم ! قال : أشدنى ، فأنشأ الفتى يقول :

أنا من بُنيّة^(١) الأمير وكنز من كنوز الأمير ذو أرباح
كاتب حاسب خطيب أديب ناصح زائد على النصاح
شاعر مُفلق أخف من الريشة مما يكون تحت الجناح^(٢)
لى فى النحو فطنة وانقاد أنا فيه قلادة بوشاح
ثم أروى من ابن سيرين للعالم بقول منور الإفصاح
ثم أروى من ابن سيرين للشعر وقول النسيب والأمداح
وطريف الحديث فى كل فن وبصير بترهات الملاح
كم وكم قد خبأت عندي حديثا هو عند الملوك كالفتح

(١) من بنيته : من مطالبه ، يريد أن الأمير لو اصطفاه واصطفاه لرأى فيه خيراً كثيراً ، وقد عدد مزايا نفسه فى البيتين بعده (٢) الشاعر المفلق : المبدع ، وأخف الريش وأدقه : ما يكون تحت الجناح ، وأراد بالحفة خفة الروح .

فَيَمِثْلِي تَجْلُو الْمُلُوكُ وَتَلْهُو وَتَنَاجِي فِي الْمَشْكَلِ الْفَدَاحِ
أَيُّنُ النَّاسِ طَائِرًا يَوْمَ صَيْدٍ لَفِدَوْ دُعَيْتُ أَوْ لَرَوَّاحِ
أَبْصُرِ النَّاسَ بِالْجَوَاهِرِ وَالْخَيْلِ وَبِالْخَرْدِ الْحَسَنِ الصُّبَّاحِ
كُلُّ ذَا قَدْ جَعْتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْتَى ظَرِيفِ الْمَزَاحِ
لَسْتُ بِالنَّاسِكِ الْمُشْمَرِّ ثَوْبِيهِ وَلَا الْمَاجِنِ الْخَلِيعِ الْوَقَّاحِ
إِنْ رَمَى بِي الْأَمِيرُ أَصْلَحَهُ اللَّهُ رِمَاحًا ثَلْتُ حَدَّ الرِّمَّاحِ
مَا أَنَا وَاهِنٌ وَلَا مُسْتَكِينٌ لِسُوى أَمْرِ سَيِّدِي ذِي السَّمَّاحِ
حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا .
فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ :

كاتب، حاسب، خطيب، أديب، ناصح زائد على الناصح ؟ !
قال : نعم ! أصلح الله الأمير ؟ فقال الفضل : يا غلام ! الكتب التي وردت
من فارس ! فأني بها ، فقال للفتى : خذها فاقْرَأْهَا وأجب عنها ، فجلس بين يدي
الفضل يكتب ، فقال له الحاجب : اعتزل يَكُنْ خيرا لك ؟ فقال : ههنا الرأي
أجمع ؛ بحيث الرغبة والرغبة .

فلما فرغ من الكتب عرضها على الفضل ، فكأ كما شقَّ عن قلبه ! فقال
الفضل : يا غلام : بدرة ، بدرة ، بدرة ^(١) . فقال الفتى للغلام : أعزَّ الله الأمير !
دنانيير أو دراهم ؟ قال : دراهم . قال : دنانيير يا غلام !

فلما وضعت البدرة بين يديه قال الفضل : احملها بارك الله لك فيها . قال
الفتى : والله - أيها الأمير : ما أنا بحمَّال ، وما للحمل خلقت . فإن رأى الأمير أن

(١) البدرة : كيس فيه عشرة آلاف .

يأمر بعضَ غلمانه بحملها على أن الغلام لى ! فأشار الفضل إلى بعض الغلمان ، فأشار
الفتى إليه : مكانك ! ثم قال : إن رأى الأمير - أيده الله أن يجعل الخيار إلى - فى
الغلمان كما فعل بين البدرتين فعل . فقال : اختر . فاختار من أحسنهم غلاما ، فقال :
احمل ، فلما صارت البدرّة على منكب الغلام بكى الفتى ؟ فاستفزع الفضل ذلك ،
وقال : ويلك . استقلالا ؟ قال : لا - والله - أيدك الله ، ولقد أكرّث ،
ولكن أسفا أن الأرض توارى مثلك . قال الفضل : هذا أجود من الأول ،
يا غلام زده كسوة .

١٨١ — العتّابي عند المأمون *

كان كلثوم العتّابي^(١) واقفاً بباب المأمون ، فجاء يحيى بن أكرم ، فقال له العتّابي :
إن رأيت أن تُعلِّمَ أميرَ المؤمنين بمكانى ! قال : لستُ بحاجب ! قال : قد علمتُ
ولكنك ذو فضل ، وذو الفضل مِعْوَان ! قال : سلكتُ بى غيرَ طريقى ! قال :
إن الله قد ألحّك بجاءٍ ونعمة منه ، فهما مُقيمان عليك بالزيادة إن شكرتَ ، وبالتعتير
إن كفرتَ ! وأنا لك اليوم خيرٌ منك لنفسك ؛ أدعوك لما فيه زيادةُ نعمتك وأنتَ
تأبى ذلك ، ولكلِّ شىء زكاة ، وزكاة الجاه بذله للمستعين .

فدخل يحيى فأخبر المأمون بالخبر ؛ فأدخل عليه العتّابي ، وفى المجلس إسحاق
ابن إبراهيم الموصلى ، فأمره بالجلوس ، وأقبلَ يسأله عن أحواله وشأنه ؛ فيجيبه
بلسان ناطق ، فاستظرفه المأمون ، وأخذ فى مُدّاعبته .

فظن الشيخ أنه قد استخفَّ به ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ الإبناس^(٢) قبل
الإبساس ، فاشتبه عليه قوله ، فنظر إلى إسحاق ، ثم قال : ألف دينار ، فأتى بها
فوضعت بين يدى العتّابي .

* السمعودى : ٢ - ٣٢٣ .

(١) كان العتّابي من أرض جنس قنسرين ، وسكن الرقة ، وكان من العلم والقراءة والأدب
والمرقة والترسل ، وحسن النظم للكلام وكثرة الحفظ وحسن الإشارة وفصاحة اللسان وبراعة
البيان ، وحلاوة المخاطبة وجودة الحفظ وصحة الفريضة على ما لم يكن لكثير من الناس فى عصر مثله .
(٢) الإبناس : ضد الإيماش . والإبساس : الرفق بالناقة عند الحلب ، وهو أن يقال : بس بس ،
وهو مثل يضرب فى المداراة عند الطلب .

ثم دعا إلى المعارضة ، وأغرى المأمونُ إسحاق بالعبث به ، فأقبل إسحاق يعارضه في كل باب يذكره . ويزيد عليه ؛ فمجب منه ، وهو لا يعلم أنه إسحاق ، ثم قال العتابي : أياذنُ أميرُ المؤمنين في مسألة هذا الرجل عن اسمه ونسبه ؟ فأذن له . فقال العتابي : من أنت ؟ وما اسمك ! قال : أنا من الناس ، واسمى : « كل بصل » ! فقال له العتابي : أمّا النسبةُ فقد عُرِفَتْ ، وأما الاسمُ فنكر ! وما « كل بصل » من الأسماء ! فقال له إسحاق : ما أقلُّ إنصافك ! وما « كلثوم » ؟ والبصل أطيب من الثوم !

قال العتابي : قاتلكَ الله ! ما رأيتُ كالرجل حلاوةً ، أياذنُ أمير المؤمنين في صلته بما وصلني به . فقد - والله - غلبني !
فقال له المأمون : بل ذلك مُوفَّرٌ عليك ، ونأمرُ له بمثله ؛ فانصرف إسحاق إلى منزله ، ونادَمَه بقيةَ يومِهِ .

١٨٢ — أبو تمام والأعرابي *

قال أبو تمام الطائي : خرجتُ يوماً إلى سُرٍّ من رأى ، حين ولى الوثائقُ ،
فَلِقَيْتُ أَعْرَابِي وقد قَرِبتُ منها ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَخْبَارِ النَّاسِ بِهَا ،
فَخَاطَبْتُهُ ، فَإِذَا أَفْصَحُ النَّاسِ وَأَفْطَنُهُمْ .

فقلتُ : بَمَنْ الرَّجُلُ ؟ قال : من بنى عامر ، قلت : كيف علمك بأمير المؤمنين ؟
قال : قتلَ ^(١) أَرْضًا عَالِمُهَا ؟ قلت : فما تقول فيه ؟ قال : وثق بالله فكفاه ،
أَشْجَى ^(٢) الْعَاصِيَةِ ، وَقَعَ الْعَادِيَةِ ، وَعَدَلَ فِي الرِّعِيَةِ .

قلت : فما تقول في أحمد بن أبي دؤاد ^(٣) ؟ قال : هَضْبَةٌ لَا تُرَامُ ، وَجَنْدَلَةٌ ^(٤)
لَا تُضَامُ ، تُشَحِّدُ لَهُ الْمُدَى ، وَتُحْبِلُ ^(٥) لَهُ الْأَشْرَاكَ ، وَتُبَغِي لَهُ الْفَوَائِلُ ، حَتَّى إِذَا
قِيلَ : كَأَنَّ قَدْ ، وَثَبَ وَثْبَةً الذَّئْبِ ، وَخَتَلَ ^(٦) خَتَلَ الضَّبِّ .

قلت : فما تقول في محمد بن عبد الملك ؟ قال : وسع الداني شرُّه ، وقتل البعيدَ

* أخبار أبي تمام للصولي : ٨٩

- (١) أسل القتل التذليل ، وهذا مثل معناه ؛ أن الرجل العالم بالأرض عند سلوكها يذلها ويقلبها
يعلمه ؛ يضرب في مدح العلم (٢) أشجته : أوقته في حزن ، وقهرته (٣) أحمد بن
أبي دؤاد : كان فصيحاً مفوهاً ، شاعراً جواداً ممدحاً ، رأساً في التجهيم ، وهو الذي شغب على
الإمام أحمد بن حنبل وأفتى بقتله ، وكان معتزلياً ، له القول التام عند المؤمن والمعتصم ، وهو أول
من بدأ الخلفاء بالكلام ، وكان بينه وبين ابن الزيات شحنة ومهاجرة . توفي بالبصرة سنة ٢٤٠ هـ
(٤) الجندل : ما يقل الرجل من الحجارة وقيل : المجركلة ؛ الواحدة جندلة .
(٥) حبل الصيد جلا : أخذه وصاده بالحبال أو نصبها له (٦) ختل : خدع .

خَرَّه ، له كلَّ يومٍ صريعٌ لا يَرسى فيه أثَرُ ناب ، ولا نَدْبٌ مَخْلَبٌ ^(١) .
قلت : فما تقول في عمرو ^(٢) بن فرج ؟ قال : ضَعْمٌ لَيْمٌ ^(٣) ،
مستعذبٌ للذَّم .

قلت : فما تقول في الفضل بن مروان - واستعذبتُ خطابه - قال : ذاك الرجلُ
نُشِرَ بعد ما قُبِرَ ، فطليه حياةُ الأحياء وخَفَّتْهُ الموتى .

قلت : فما تقول في أبي الوزير ؟ قال : كبشُ الزنادقة ؛ ألا ترى أن الخليفة
إذا أهمله سَنَحَ ورَتَعَ ، فإذا هَزَه أَمَطَرُ فأَمْرَع .

قلت : فابنُ الخصيب ؟ قال : أكلُ أَكَلَةٍ نَهَم ، فَذَرَقَ ذَرَقَةً يَشِم ^(٤)
قلت : فما تقول في إبراهيم أخيه ؟ قال : أمواتٌ غيرُ أحياء وما يشعرون
أَيَّانَ يُبْعَثُونَ .

قلت : فما تقول في ابن إسرائيل ؟ قال : لله دره ! أى قلقل ^(٥) هو أغريس
في منابت الكرم ، حتى إذا اهتزَّ لهم حصوده .

قلت : فما تقول في إبراهيم بن رباح ؟ قال : أَوْبَقَه ^(٦) كرمُه ، وأَسْلَمَه حَسْبُه ،
وله معروفٌ لا يُسْلِمُه ، وربٌّ لا يَخْذُلُه ، وخليفة لا يظلمه .

قلت : فما تقول في نجاح بن سلمة ؟ قال : لله دره ! أى طالبٍ وتِرٍ ومُذْرِكٍ
ثَار ! يَتَلَهَّبُ كأنه شعلة نار ، له من الخليفة جلسةٌ تزيل نِعَمًا ، وتُحِل نِقَمًا .

(١) الندب : جمع ندبة ، وهى أثر الجرح الباقي على الجلد (٢) عمرو بن فرج : كان من
علية الكتاب ، وسخط عليه التوكل سنة ٢٣٣ هـ (٣) اللهم : الرغيب الرأى ، الجواد ،
العظيم الكفاية (٤) البشم : التضمة (٥) القلقل : المعوان السريع التقلقل وهو التحرك
(٦) أوبقه : ذلله وأهلكه .

قلت : يا أعرابي ؛ أين منزلك ؟ قال : اللهم غفرأ ، إذا اشتمل الظلام فحينما
أدركني الرقادُ رقدتُ !

قلت : فكيف رضاك عن أهل العسكر ؟ قال : لا أُخِلِّق وجهي بمسألتهم ،
أو ما سمعتَ قول هذا الفتي الطائي ، الذي قد ملأ الدنيا شعره :

وما أبالي - وخيرُ القولِ أَصْدَقُهُ - حَفَنْتَ لِي ماءَ وجهي أو حَفَنْتَ دَمِي

قلت : فأنى الطائي قاتل هذا الشعر ! فدنا مبادراً فعاثني ، وقال : لله أبوك !
ألستَ الذي يقول :

ما جود كفك إن جادتْ وإن بخلتْ من ماء وجهي إذا أَخْلَقْتَهُ عِوَضَ

قلت : نعم ، قال : أنت والله أشعر أهل الزمان .

فرجعتُ بالأعرابي معي إلى ابن أبي دؤاد ، وحدثتهُ بحديثه ، فأدخله إلى
الوائقي ، فسأله عن خبره معي ، فأخبره به ؛ فأمر له بجمال ، وأحسن إليه ، ووهب له
أحمد بن أبي دؤاد ، فكان يقول : قد عظم الله بركتك علي !

١٨٣ — امتحان شاعر*

كان صاعد^(١) بين يدي المنصور بن أبي عامر ، فأخضرت إليه وردة في غير وقتها لم يستم فتح ورقها ، فقال صاعد مرتجلاً :

أتسك أبا عامر وردةً يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصرٌ فغطت بأكلها رأسها

فسر بذلك المنصور ، وكان ابن العريف حاضراً فحسده ، وقال لابن أبي عامر : هذان البيتان لغيره ، وقد أشدنيهما بعض البغداديين لنفسه بمصر ، وهما عندي على ظهر كتاب بخطه !

قال له المنصور : أرنيه . فخرج ابن العريف ، وركب ، وحرك دابته ، حتى أتى مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل زمانه بديهة ، فوصف له ماجرى ، فقال هذه الأبيات ودرس فيها بيتي صاعد :

غدوت إلى قصر عباسه وقد جدل^(٢) النوم حراسها
فألفيتها وهي في خدرها وقد صرع^(٣) السكر أناسها
قالت : أسار على هجعة^(٤) قلت : بلى فرمت كاسها
ومدت يديها إلى وردة يحاكى لك الطيب أنفاسها

* فتح الطيب : ٢ - ٨٩

(١) هو أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادى القنوى ، وأصله من الموصل ، وهو من الرواديين لدى الأندلس ، وكان شديد البديهة في ادعاء الباطل ، وكان مع ذلك عالماً . توفي سنة ٤١٧ هـ .
(٢) جدل : صرعه (٣) صرع فلاناً : ضربه شديداً (٤) الهجعة : طائفة من الليل .

كَعَذْرَاءٍ أَبْصَرَهَا مَبْصُرٌ فَفَنَطَتْ بِأَكْلِمِهَا رَأْسَهَا

فسار ابنُ العريف بها ، وعلقها على ظهر كتاب بخطِ مصريٍّ ، ومِدَادٍ أَشْقَرٍ ؛
ودخل بها على المنصور .

فلما رآها اشتدَّ غيظه على صاعد ، وقال للحاضرين : غداً أمتحنه ، فإن فضحه
الامتحانُ أخرجتهُ من البلاد ، ولم يبق في موضع لي عليه سلطان .

فلما أصبح وجهُ إليه ، فأحضر وأحضر جميع الندماء ، فدخل بهم إلى مجلس ،
قد أعدَّ فيه طبقاً عظيماً ، فيه سقائف مصنوعة من جميع النواير . ووضَعَ على السقائف
لعب من ياسمين في شكل الجوارى ، وتحت السقائف بركة ماء ، قد ألقى فيها اللآلئُ .
مثل الحصباء ، وفي البركة حية تسبح .

فلما دخل صاعد ورأى الطبق ، قال له المنصور : إن هذا يوم إنا أن تسعد فيه
معنا ، وإما أن تشقى به عندنا ، لأنه قد زعم أن كلَّ ما تأتي به دعوى ، وقد وقتُ
من ذلك على حقيقة ؛ وهذا طبق ما توهمتُ أنه حضر بين يدي ملكٍ قبلي شكله ؛
فصنِّفه بجميع ما فيه ، فقال صاعد بديهية :

أبا عامر هل غيرُ جدواك واكف^(١) وهل غيرُ مَنْ عاداك في الأرض خائف
يسوق إليك الدهرُ كلَّ غريبةٍ وأعجبُ ما يلقاه عندك واصف
وشائع^(٢) نور صاغها هامرُ الحيا^(٣) على حافيتها عَهِزُّ^(٤) ورفارف^(٥)
ولما تنهى الحسن فيها تقابلت عليها بأنواع اللامى الوصائف

(١) وكف : قطر (٢) الوشيجة : كل لفيفة وجمها وشائع (٣) الحيا : اللطر
(٤) المبر : الياسمين (٥) الرفرف : الرف يوضع عليه طرائف البيت وجمه رفافرف .

كَيْلُ الظَّاءِ الْمُسَكَّنَةِ كُنْصَا تُظَلِّلُهَا بِالْيَاسْمِينِ السَّقَائِفُ
وَأَعْجَبُ مِنْهَا أَنْهَنْ نَوَاطِرُ إِلَى بَرَكَةِ ضَمَّتْ إِلَيْهَا الطَّرَائِفُ
حَصَاها اللَّالَى ، سَاجِدٌ فِي عُبَابِهَا مِنْ الرَّقْشِ مَسْمُومُ الثَّمَايِينِ زَاحِفُ
تَرَى مَا تَرَاهُ الْعَيْنُ فِي جَنْبَاتِهَا مِنْ الْوَحْشِ حَتَّى يَنْهِنَ السَّلَاحِفُ

فَاسْتَفْرِجْتُ لَهُ يَوْمَئِذٍ تِلْكَ الْبَدِيهَةَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ ، وَكَتَبْتُهَا الْمَنْصُورَ
بِحِطَّةٍ . وَكَانَ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنْ تِلْكَ السَّقَائِفِ سَفِينَةٌ ، فِيهَا جَارِيَةٌ مِنَ النُّوَارِ ، بِمَجَازِيفَ
مِنْ ذَهَبٍ لَمْ يَرَهَا صَاعِدٌ ، فَقَالَ لَهُ الْمَنْصُورُ : أَحْسَنْتَ إِلَّا أَنَّكَ أَغْفَلْتَ ذِكْرَ الْمَرْكَبِ
وَالْجَارِيَةِ ، فَقَالَ لِلْوَقْتِ :

وَأَعْجَبُ مِنْهَا غَادَةٌ فِي سَفِينَةٍ مَكَلَّةٌ تَصْبُو إِلَيْهَا الْمَهَائِفُ (١)
إِذَا رَاعَهَا مَوْجٌ مِنَ الْمَاءِ تَتَّقِي بِسَكَّانِهَا مَا أَنْذَرَتْهُ الْعَوَاصِفُ
مَتَى كَانَتْ الْحُسْنَاءُ رُبَّانَ مَرْكَبٍ تُصَرِّفُ فِي يَمْنَى يَدَيْهِ الْجَافِذُ
وَلَمْ تَرَ عَيْنِي فِي الْبِلَادِ حَدِيقَةٍ تَنْقُلُهَا فِي الرَّاحَتَيْنِ الْوَصَائِفُ
وَلَا غُرُوبَ أَنْ سَاقَتْ مَعَالِيكَ رَوْضَةً وَشَتَا أَزَاهِيرِ الرُّبَا وَالزَّخَارِفُ
إِذَا قَلْتَ قَوْلًا أَوْ بَدَهْتَ بَدِيهَةً فَكِلْتَا لِي ، إِنِّي لِمَجْدِكَ وَاصِفُ
فَأَمَرَ لَهُ الْمَنْصُورُ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَمِائَةِ ثَوْبٍ ، وَرَتَّبَ لَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثِينَ دِينَارًا
وَالْحَقُّهُ بِالْإِدْمَاءِ .

.....

(١) فَلَانَةٌ يَهْتَفُ بِهَا : يَذْكُرُ جَالَهَا .

فهرس القصص

الباب الأول

في القصص التي تشرح ما أثر عنهم من عادات وشمائل في الأسباب الدائرة
بينهم ، وتبين ما اتجهوه في مواسمهم وأعيادهم ، وأفراحهم وأعراسهم ؛ مما يمثل حياتهم
الاجتماعية أصدق تمثيل :

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
١	٨	شب عمرو عن الطوق
٢	١٠	الحديث ذو شجون
٣	١١	جوع كلبك يتبعك
٤	١٢	عند جبهة الخبر اليقين
٥	١٤	يحمى الصحاب إذا تكون كريهة
٦	١٧	تأبط شراً وابن براق
٧	١٩	أنتك بمخائن رجلاء
٨	٢٢	السليك بن السلكة ورفيقاه
٩	٢٤	السليك يقتل وينهب
١٠	٢٥	السخي العداء
١١	٢٨	زيد الخليل
١٢	٣١	وأد البنات
١٣	٣٢	أعجب السرقات
١٤	٣٦	أعرابي في عرس
١٥	٤٠	أطيب الطعام
١٦	٤٣	جحدر

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
صديقا ابن سُريج على قبره	٤٥	١٧
قوة و بطش	٤٨	١٨
لا تعرضوا لهذا الشيطان	٥٠	١٩
هلال يُصارع عبداً جباراً	٥٢	٢٠
حديث عن الغريين	٥٤	٢١
العصا	٥٧	٢٢
ضرار بن القمقاع	٦٠	٢٣

الباب الثاني

القصص التي تصف أحوال المرأة العربية ، وما تجري عليه في تربية أطفالها ، ومعاشرتها زوجها ، ومعاونتها له في الحياتين : الاجتماعية والمدنية ، بالسعى في سبيل الرزق ، والاشتراك في خوض معامع الحروب ، والأخذ بقسط من الثقافة الأدبية السائدة في ذلك العهد :

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
مصرع الزباء	٦٢	٢٤
قبح الله جمالا لا نفع فيه	٦٨	٢٥
أفضل النساء وأفضل الرجال	٧١	٢٦
نكبة جليلة	٧٣	٢٧
كأنا تزوجت بنت قيس بن خالد	٧٥	٢٨
ماوراءك يا عصام ؟	٧٨	٢٩
لا أتزوج إلا من كريم	٨١	٣٠
سبية عروة بن الورد	٨٤	٣١
لو كان النساء كمثل هذى !	٨٦	٣٢
بنت حاتم الطائي	٨٩	٣٣

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
آيتهما أعظم العرب مصيبة ؟	٩٠	٣٤
شجاعة صفية بنت عبد المطلب	٩٢	٣٥
الخنساء عند عائشة	٩٣	٣٦
إله عمر يعلم !	٩٤	٣٧
كذلك لدهر !	٩٥	٣٨
لا تذهبي بنفسك عن الحق	٩٦	٣٩
المغيرة يخطب بنت النعمان	٩٨	٤٠
ولقد أبيت على الطوى	٩٩	٤١
أبو الأسود الدؤلى وزوج	١٠٤	٤٢
إن قر يشا تحدث أنك من أهلها	١٠٦	٤٣
سودة بنت عمارة عند معاوية	١١١	٤٤
مثلك من قدر ففعا	١١٤	٤٥
نبهكم على !	١١٧	٤٦
وهل أحل عندك محل على ؟	١١٩	٤٧
نبحتى كلابك !	١٢١	٤٨
أروى بنت الحارث	١٢٣	٤٩
أم سنان تشكو مروان	١٢٦	٥٠
ليلي الأخيلية عند مروان	١٢٩	٥١
أم	١٣٢	٥٢
التلطف في السؤال	١٣٤	٥٣
نساء بني تميم	١٣٥	٥٤
ليلي الأخيلية عند الحجاج	١٣٨	٥٥
الحجاج يخالف سبيلها	١٤٤	٥٦

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
أسد على وفي الحروب نعامه	١٤٥	٥٧
الشعراء عند سكينه بنت الحسين	١٤٧	٥٨
الفرزدق وسكينه بنت الحسين	١٥٢	٥٩
يوم عند امرأة من بني أمية	١٥٤	٦٠
حديث عائشة بنت طلحة مع النخعي	١٥٨	٦١
أتريد أن تقتلني !	١٦١	٦٢
بعد أن ذهب الملك	١٦٥	٦٣
أم أمير المؤمنين بالباب	١٦٨	٦٤
كريم يجمع بين زوجين	١٧٢	٦٥
أعراية على قبر زوجها	١٧٤	٦٦
على قبور الذاهبين	١٧٥	٦٧
الحق أنطقها وأخرسه	١٧٦	٦٨
أجارها ثم تزوجها	١٧٩	٦٩
كيف ربت ابنها	١٨٤	٧٠
خائف وجد مأمناً	١٨٥	٧١
تمحن إلى وطنها	١٨٧	٧٢
سمعت حيائي حين فارقت قبره	١٨٨	٧٣
المتكلمة بالقرآن	١٩٠	٧٤

الباب الثالث

القصص التي تمثل ذلاقة ألسنتهم ، وحكمة منطقتهم ، وما يضاف إلى ذلك من فصاحة اللفظ ، وبلاغة المعنى ، وجمال الأسلوب ، وحسن التصرف في الإبانة والتعبير :

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
بنو أسد وامرؤ القيس	١٩٤	٧٥

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
خاتمة الأعشى	١٩٧	٧٦
رثاء فوق قبر	١٩٩	٧٧
بمثل هذا فليثن على الملوك	٢٠٠	٧٨
عُتْبَة وأعرابي	٢٠٤	٧٩
إن من البيان لسحراً	٢٠٥	٨٠
عبد الله بن عباس والخطيئة	٢٠٦	٨١
طريد لسانه	٢٠٨	٨٢
عبد الله بن الزبير ومقتل أخيه مصعب	٢١٦	٨٣
عمر بن أبي ربيعة وجميل	٢١٨	٨٤
لشعر عمر بن أبي ربيعة نونية بالقلب	٢٢٠	٨٥
ابن المسيّب يفخر بصاحبه	٢٢٢	٨٦
أعشى همدان يهجو ويمدح	٢٢٣	٨٧
أشجع الناس شعراً	٢٢٥	٨٨
الحجاج على قبر ابنه	٢٢٧	٨٩
إن صدقناك أغضبك	٢٢٨	٩٠
الحجاج يخطب	٢٢٩	٩١
جميل أشعر الناس	٢٣١	٩٢
من أشعر الناس	٢٣٢	٩٣
الشعبي عند عبد الملك بن مروان	٢٣٦	٩٤
تلطف عبد الله بن الحجاج	٢٣٨	٩٥
نُصَيْب عند عبد العزيز بن مروان	٢٤١	٩٦
سليمان بن عبد الملك وسميه	٢٤٥	٩٧
عقيد الندى	٢٤٦	٩٨

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء	٢٤٨	٩٩
الشعراء عند عمر بن عبد العزيز	٢٥٢	١٠٠
إيجاز في المقال وبلاغة في البيان	٢٥٧	١٠١
سميت فأكدت ، ورجعت فرزقت	٢٥٩	١٠٢
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	٢٦٠	١٠٣
واعظ الملوك	٢٦٢	١٠٤
إن خالداً أدل فأمل	٢٦٦	١٠٥
أبو النجم عند هشام بن عبد الملك	٢٦٧	١٠٦
لا يُعرف الكلام إلا بنشره	٢٧١	١٠٧
أنجحت وفادتك ، ووجهت ضيافتك	٢٧٣	١٠٨
شاعر بني هاشم	٢٧٤	١٠٩
إن يُمنى يغلب شؤمك	٢٧٨	١١٠
قتلهم الشعر	٢٨٠	١١١
المنصور أحق بشعر طريف	٢٨٢	١١٢
الحجة مفتاح كل خير	٢٨٤	١١٣
المنصور والشعراء	٢٩٥	١١٤
المؤمل يمدح المهدي	٢٩٧	١١٥
مدائح وعطايا	٢٩٠	١١٦
فصاحة نصيب العباسي	٢٩٦	١١٧
أنته الخلافة منقادة	٢٩٨	١١٨
صريع الفواني	٣٠٠	١١٩
الرشيد وابن مناذر	٣٠٣	١٢٠
ربيعة الرقي يمدح فلا يثاب	٣٠٥	١٢١

العنوان	رقم القصة	رقم الصفحة
شاعران بين يدي الرشيد	١٢٢	٣٠٨
بيابك أزلت حاجتي	١٢٣	٣١٠
النكث في البيع خير من خيانة الشريك	١٢٤	٣١٢
بانت تعبرني الإفتار والعدما	١٢٥	٣١٣
سكنت عني والله الحمي !	١٢٦	٣١٥
عجوز تنشد الأصمى	١٢٧	٣١٦
الأصمى وبعض الأعراب	١٢٨	٣١٨
شعر مرتجل	١٢٩	٣٢١
هوئت على العزل	١٣٠	٣٢٣
أرى الأيام لا تُدنى الذي أرتجى	١٣١	٣٢٥
حديث عن دعبل	١٣٢	٣٢٧
دعبل عند والى مصر	١٣٣	٣٢٩
دعبل وعلى الرضا	١٣٤	٣٣٢
سجدوا لشعره	١٣٥	٣٣٤
إنما الدنيا أبو دلف	١٣٦	٣٣٦
مدحة شاعر وعطية أمير	١٣٧	٣٣٩
بين ألى تمام وعبد الله بن طاهر	١٣٨	٣٤١
لا يحببناك من يصون ثيابه خوف الغبار وعرضه مبذول	١٣٩	٣٤٣
سماية	١٤٠	٣٤٧
أشعر من بالشام والعراق	١٤١	٣٤٩
ابن جاح ينشد المعتضد شعره	١٤٢	٣٥١

الباب الرابع

في القصص التي تسرد بارع ملهم ، ورائع طرفهم ، في جواباتهم المسكتة ،
وتصرفاتهم الحكيمة ، وتخلصاتهم اللبقة ، مما يدل على حضور الذهن ، وسرعة البديهة ،
وشدة المارضة :

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
١٤٣	٣٥٤	حسان بن ثابت والناصفة
١٤٤	٣٥٦	آية أخلاق كانت للعرب في الجاهلية !
١٤٥	٣٦٠	مسلم يحتال على قريش
١٤٦	٣٦٢	إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه
١٤٧	٣٦٣	ما رأيته لاحي أحدا إلا غلبه
١٤٨	٣٦٦	للمغيرة بن شعبة وأحد الأعراب
١٤٩	٣٦٨	دهاء عمرو بن العاص
١٥٠	٣٧٢	بين معاوية وهاني بن عروة
١٥١	٣٧٣	إن هذا العبد غلبنى وغلبك
١٥٢	٣٧٤	ما عليه لو عرض
١٥٣	٣٧٦	لا يأتينا غير طالب فقه أو طالب فضل
١٥٤	٣٧٨	ابن أبي محجن عند معاوية
١٥٥	٣٨٩	ذكرتني يوم النفع في الصور
١٥٦	٣٨٢	أعرابي عند الحجاج
١٥٧	٣٨٣	دعاني من هو خير منك
١٥٨	٣٨٤	أنت إلى القبر أقرب منك إلى العفو
١٥٩	٣٨٥	ضربنا بسيفه ثم جاءنا بالأكاذيب
١٦٠	٣٨٦	الحجاج وأنس بن مالك
١٦١	٣٨٧	الحجاج والفضبان بن القبيش

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
حسن تخلص	٣٩٧	١٦٢
بثينة وعزة عند عبد الملك	٣٩٨	١٦٣
من أشعر الناس؟	٣٩٩	١٦٤
سليمان بن عبد الملك وأبو حازم	٤٠٠	١٦٥
ضعه من النار حيث شئت	٤٠٤	١٦٦
مناظرة مع الخوارج	٤٠٥	١٦٧
ليس الأمر بالسن	٤٠٦	١٦٨
بنو أمية وعمر بن عبد العزيز	٤٠٩	١٦٩
في وفاة عمر بن عبد العزيز	٤١٢	١٧٠
رأى خالد بن صفوان في الشعراء	٤١٣	١٧١
المنصور وابن طاووس	٤١٥	١٧٢
بلدية معن	٤١٦	١٧٣
رسول معن	٤١٧	١٧٤
كبير!	٤٢٠	١٧٥
قناعة	٤٢١	١٧٦
الرشيد وعبد الملك بن صالح	٤٢٢	١٧٧
هارون الرشيد ومسلم بن الوليد	٤٢٦	١٧٨
شاعر باهلي في حضرة الرشيد	٤٢٨	١٧٩
أبان بن عبد الحميد يمدح نفسه	٤٢٩	١٨٠
العتابي عند المأمون	٤٣٣	١٨١
أبو تمام يستعذب خطاب أعرابي	٤٣٥	١٨٢
امتحان شاعر	٤٣٨	١٨٣

فهرس الأعلام

أبو بكر بن أبي قحافة (الصدیق) :

٣٥٦

أبو تمام : ٤٣٥ ، ٣٣١

أبو حازم : ٤٠٠

أبو حردبة : ٣٢

أبو دلف المجلی : ٣٢٧ ، ٣٣٦ ،

٤٢١ ، ٣٣٩

أبو دلامة : ٢٧٨

أبو سفیان بن حرب : ١٩٧

أبو الشیص : ٣٣٤

أبو العباس السفاح (الخليفة العباسی) :

٢٨٠ ، ١٦١

أبو العتاهية : ٢٩٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٣

أبو العلاء المعری : ٣٤٩

أبو العمیل : ٣٤١

أبو كبير الهذلي : ٤١

أبو النجم المجلی : ٢٦٧

أبو نصر المنذری : ٣٤٩

(١)

إبراهيم بن رباح : ٤٣٦

إبراهيم بن محمد الإمام : ١٦٦

إبراهيم بن المدبر : ١٧٨

إبراهيم بن المهدي : ٣٢٥

إبراهيم بن ميمون : ١٧٢

إبراهيم بن هرمة : ٢٧٥

أبان بن الحجاج : ٢٢٧

ابن أبي دبا كل : ٤٥

ابن أبي محجن : ٣٧٦

ابن جاح : ٣٥١

ابن سريج المغني : ٤٥

ابن طلوت : ٣٤٣

ابن طاوس : ٤١٥

ابن العريف : ٤٣٨

أبو الأسود الدؤلي : ١٠٣

أبو أيوب الخازن : ٢٧٨

أمامة بنت الحارث : ٧٩
 أمامة بنت خزرج : ١٨٥
 امرؤ القيس بن حجر : ١٩٤
 أم البنين بنت عبد الملك بن
 صروان : ١٤٥
 أم الخير بنت الجريش : ١٠٦
 أم سلمة بنت يعقوب : ١٦١
 أم سنان بنت خيثمة المذحجية :
 ١٢٦
 أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن
 الخطاب : ٩٤
 أنس بن أبي شيخ : ٤٢٦
 أنس بن مالك : ٣٨٦
 أنمار (قبيلة) : ١٣
 أوس بن حارثة : ٨١ ، ٨٦
 أيمن بن خزيم الأسدي : ٢٤٣
 أيوب بن القرية : ٣٨٤
 (ب)
 بثينة (صاحبة جميل) : ٣٩٨
 بجيلة (قبيلة) : ١٧
 برد (غلام ابن مفرغ) : ٢٠٨
 بسر بن أرطاه : ١١٣

أبو نواس : ٣٠٤ ، ٣٣٤
 أحمد بن أبي خالد : ١٧٨
 أحمد بن أبي داود : ٤٣٥
 أحمد بن السراج : ٣٢٩
 الأحنف بن قيس : ٢١٢
 الأحوص : ١٥٤ ، ٢٤٩
 الأخطل : ٢٣٢ ، ٢٥٠
 الأخنس بن كعب : ١٢
 الأراكة (قينة ابن مفرغ) : ٢١٠
 أروى بنت الحارث : ١٢٣
 إسحاق بن إبراهيم الموصلي : ٤٣٣
 أسماء بنت أبي بكر : ١٣٢ ، ١٤٦
 إسماعيل بن عبد الله : ٣٨٦
 الأسود بن قنان : ١٨٥
 أشجع السلمي : ٢٩٨ ، ٣٠٨ ،
 ٣٢١ ، ٣٢٣
 الأصمعي : ٦٠ ، ١٧٥ ، ٣١٣ ،
 ٣١٥ ، ٣١٨
 أعشى قيس : ١٩٧
 أعشى همدان : ٢٢٣

(ث)

ثابت بن جابر = تأبط شرا

(ج)

جامع الحاربي : ٢٢٨

جعدر بن ربيعة : ٤٣ ، ٤٤

جذيمة بن الأبرش : ٨ ، ٦٢

جرير بن عطية الخطمي : ٤١ ، ٤٢

١٤٧ ، ٢٤٨ ، ٣٩٩

جعفر بن يحيى البرمكي : ٣٠٠ ، ٣٢١

جليلة بنت مرة : ٧٣

جميل بن معمر : ١٤٧ ، ٢١٨ ،

٢٣١

(ح)

حاتم بن عبد الله : ٨١

الحارث بن خالد : ١٥٩ ، ٢٢٠

الحارث بن عمرو : ٨٨

الحارث بن عوف : ٨٦

الحارث بن كعب : ١٠

الحجاج بن علاط السلمي : ٣٦٠

الحجاج بن يوسف الثقفي : ٣٣ ، ٣٤

١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨

بشار بن برد : ٢٩٨

بشر بن المنذر : ٢٩٠

بكارة الهلالية : ١٢١

بكر بن وائل (قبيلة) : ٣٦٦

بنو أسد : ١٩٤

بنو أمية : ٢٨٠ ، ٤٠٩

بنو تميم الله : ٣٦٦

بنو ثعلبة : ١٧٩

بنو ذهل : ٣٦٦

بنو شيخان : ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٦٦

بنو مالك بن غفيلة : ٦٨

بنو النضير : ٨٤

بنو نمير : ٣٠

بنو هاشم : ٣٦٤ ، ٤٨٠

بنو يشكر : ٣٦٦

بهيسة بنت أوس بن حارثة : ٨٧

(ت)

تأبط شراً : ١٤

تميم بن عدى اليربوعي : ٩٩

تميم (قبيلة) : ٩٩

توبة بن الحخير : ١٢٩

داود بن علي : ٢٨١

درواس بن حبيب : ٢٧١

دعبل الخزاعي : ٣٢٧ ، ٣٢٩ ،

٣٣٤ ، ٣٣١

(ذ)

ذيان بن ذبيان : ٤١٠

الذلقاء بنت الأبيض : ١٧٨

(ر)

الريبع بن يونس : ٢٨٤ ، ٢٨٥ ،

٢٩٠

ربيعة الرق : ٣٠٥

زرين الخزاعي : ٣٢٩

رقاش (أخت جذيمة بن الأبرش) : ٨

(ز)

الزباء : ٦٢

الزبرقان بن بدر : ١٠٥

الزبير بن العوام : ١٠٩

زرارة بن عدس : ٧٥

زيد الخليل : ٢٨ ، ٨١

زينب بنت حدير : ١٣٥

٣٨٤ ، ٣٨٣ ، ٣٨٢ ، ٣٤٣ ، ٢٩٢

٣٩٧ ، ٣٨٦ ، ٣٨٥

حرقة بنت النعمان : ٩٥

حسان بن ثابت : ٢٠٠ ، ٣٥٤

الحصيف بن عمرو الكلبي :

١٣ ، ١٢

الحطيئة : ٢٠٦

حمدونة بنت عيسى : ١٧٩

حنيفة (قبيلة) : ٣٦٦

حيان بن سلى : ١٩٩

(خ)

خارجة بن سنان : ٨٦

خالد بن صفوان : ١٦١ ، ٢٦٢ ،

٤١٣ ، ٢٦٦

خالد بن عبدالله القسري : ٣٩٧ ، ٢٦٦

خالد بن عتاب : ٣٢٢

خالد بن المضلل : ١٧

خالد بن يزيد : ٣٠٦ ، ٣٩٠

الخنساء : ٩٣ ، ٩٠

الخيزران (أم المهدي والرشد) : ١٦٥

(د)

دارمية الحجونية : ١١٩

زينب بنت سليمان : ١٦٦

زينب بنت يوسف (أخت الحجاج) :

١٥٨

(س)

سديف (مولى أبي العباس) : ٢٨٠

سعد بن أبي وقاص : ٩٥

سعد بن ضبة : ١٠

سعد بن مرة بن جبير : ٢٧٣

سعيد بن جبير : ٣٧٩

سعيد بن خالد : ٢٤٦

سعيد بن سالم : ٤٢٨

سعيد بن ضبة : ١٠

سعيد بن عثمان : ٢٠٨

سعيد بن المسيب : ٢٢٢

سكينة بنت الحسين : ١٥٢ ، ١٤٧

سليم بن كيسان الكلبي : ٢٦٧

سليمان بن عبد الملك (الخليفة) :

٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ ،

٤٠٤ ، ٤١٠

سليمان بن عبد الملك (فتى من بنى

عبس) : ٢٤٥

سليمان بن مجالد : ٢٧٩

السليك بن السلكة : ٢٢

سودة بنت عمارة : ١١٢

(ش)

شبة بنت عقال : ٤١٣

شرح بن الحارث : ١٣٥

شرقي بن القطامي : ٥٧ ، ٥٤

شظاظ (اللس) : ٣٣

الشعبي : ١٣٥ ، ٢٧٢

شوذب الحروري : ٣٤٥

شينة بن ربيعة : ٩٠

(ص)

صاعد بن الحسن : ٤٣٨

صخر بن عمرو : ٣١

صخرة (أخت الحصين بن عمرو

الكلابي) : ١٢

صعصعة بن ناجية : ١٢

صفية بنت عبد المطلب : ٩٢

(ض)

ضبة بن أد : ١٠

عبد الله بن أبي بكر : ١٣٤

عبد الله بن الحجاج : ٢٧٨

عبد الله بن الحسن بن علي : ٢٧٦

عبد الله بن الزبير : ١٣٢ ، ١٤٥ ،

٢٧٦ ، ٢١٦

عبد الله بن زياد : ٢٠٨

عبد الله بن سعيد بن عبد الملك : ٤٥

عبد الله بن صفوان : ٣٧٠

عبد الله بن العباس : ٢٠٦ ، ٩٩ ،

٣٧٦ ، ٣٦٣

عبد الله بن عمرو بن العاص : ٣٦٨

عبد الله بن قيس الرقيات : ٢٢٢

عبد الله بن المنتشر : ٤٦

عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن

جعفر : ٢٧٦

عبد الملك بن صالح : ٤٢٢

عبد الملك بن الفضل : ١٦٨

عبد الملك بن مروان : ٤٠ ، ٤١ ،

٤٢ ، ١٤٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦

٢٩٨

عبيد بن الأبرص : ١٩ ، ٢٠ ، ١٩٤

عبيد الله بن زياد : ٢٠٨

ضرار بن القعقاع : ٦٠

(ط)

طلحة بن عبيد الله : ١٠٩

(ع)

عائشة بنت أبي بكر : ٩٣

عائشة بنت طلحة : ١٥٨

عاصم بن عمر بن الخطاب : ٩٤

عاصم بن جذيمة : ١١

عامر بن الطفيل : ١٩٩

عامر بن وائلة : ٣٧٦

العباس بن عبد المطلب : ٣٦٠

العباس بن المأمون : ١٧٨

العباس بن محمد بن علي : ٣٠٥

عبد الرحمن بن الأشعث : ١٩٩ ، ٣٨٤

٣٨٥

عبد الرحمن بن سميحان الحاربي : ٢٠٦

عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح :

٤٢٢

عبد الرحمن بن عتيق المزني : ٤١٦

عبد العزيز بن عمرو بن مروان : ٢٨١

عبد العزيز بن مروان : ٢٤٠

عتبة بن أبي سفيان : ٢٠٤ ، ٩٠

٣٦٨

عثمان بن عفان : ١١٩

عتمة بنت مطرود : ٦٨

المجناء بنت علقمة السعدي : ٧١

عدي بن أرطاة : ٢٤٨

عدي بن الزبير : ٩٥

عدي بن نصر : ٨

عروة بن أذينة : ٢٥٩

عروة بن الورد : ٨٤

عزة (صاحبة كثير) : ٣٩٨

عصام بن شهر : ٣٥٤

علقمة بن عبدة : ٢٠٠

علي بن أبي طالب : ٣٥٦ ، ٩٦ ، ٨٩

٣٦٨ ، ٣٦٢

علي بن جبلة : ٣٣٩ ، ٣٣٦

علي بن الحسين (زين العابدين) :

٢٦٠

علي بن رافع : ٩٦

علي بن محمد العلوي : ٣٤٧

علي بن موسى الرضا : ٣٣٢

عكرشة بنت الأطرش : ١١٧

عمارة بن حمزة : ٤٢٠

عمر بن أبي ريعة : ٢٢٢ ، ٢٢٠ ، ٢١٨

٤١٢ ، ٤٠٩ ، ٤٠٨ ، ٢٣٩

عمر بن الخطاب : ٩٤ ، ٣٦٣

عمر بن عبد العزيز : ٢٤٨ ، ٢٥٢

٣٤٥

عمر بن الوليد بن عبد الملك : ٤٠٩

عمرو بن الأهم : ٢٠٥

عمرو بن براق : ١٧

عمرو بن بسطام : ٢٦٨

عمرو بن الحارث : ٢٠٠

عمرو بن الشريد : ٩٠

عمرو بن العاص : ١٢٣ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣

٣٧٤

عمرو بن عبيد الله : ٣٢

عمرو بن عدي : ٨ ، ٦٣

عمرو بن فرج : ٤٣٦

عمرو بن مسعدة : ٣٢٧

عنيسة بن سميد : ١٣٨

(غ)

الغضبان بن القبعثري : ٣٦٤

كلثوم العتابي : ٤٣٣

الكيت الأسدي : ٢٧٤

(ل)

لقيط بن زرارة : ٧٥

ليلي الأخيلية : ١٣٨ ، ١٢٩

(م)

المأمون (الخليفة) : ١٧٧ ، ٣٢٧ ،

٤٢٧ ، ٣٣٦

المؤمل بن أميل : ٢٨٧

مؤنسة (مغنية) : ٣٤٤

مالك بن أنس : ٤١٥

مالك بن الربيع : ٣٢

مالك بن طوق : ٣١٠ ، ٣١٢

مانى الموسوس : ٣٤٣

المتوكل (الخليفة العباسي) : ١٤٧

المنثي بن حارثة : ٣٥٦

مجاعة بن الأزهر : ٤١٧

محسن القعسي : ١٤٢

محمد بن أبي الجهم : ٢٥٧

محمد بن أمية : ٣٢٥

محمد بن صالح : ١٧٩

(ف)

فاطمة بنت محمد بن الحسين : ١٦٨

الفرزدق : ١٤٧ ، ١٥٢ ، ٢٤١ ، ٢٦٠

٢٧٤

الفضل بن الربيع : ٢٦٣

الفضل بن يحيى : ٤٢٥ ، ٤٢٩

الفضل بن يزيد : ١٨٢

(ق)

القاسم بن عيسى : أبودلف

قبيصة بن نعم : ١٩٤

قراذ بن إهاب : ٧٥

قريش (قبيلة) : ١٩٧ ، ٣٦٠ ،

٣٦٤

قصير بن سعد : ٦٢

قمامة (خادم عبد الملك بن صالح) : ٥٢

قنبر (مولى علي بن أبي طالب) :

٣٦٢

قيس بن ثعلبة (قبيلة) : ٣٦٦

قيس بن خالد : ٧٦

(ك)

كثير بن عبد الرحمن : ١٤٧ ، ١٥٤ ،

٢٣١ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢

محمد بن عبد الله بن طاهر : ٣٤٣
 محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
 (الرسول ﷺ) : ٣١ ، ٨٩ ،
 ٣٦٠ ، ٣٥٦ ، ٢٠٥
 محمد بن عبد الملك : ٤٣٥
 محمد بن علي بن الحسين : ٢٧٥
 محمد بن عمرو بن العاص : ٣٦٨
 محمد بن كعب القرظي : ٤٠٩
 محمد بن منذر : ٣٦٣
 مروان بن أبي حفصة : ٤١٦ ، ٢٩٠
 مروان بن الحكم : ١٢١ ، ١٢٦
 مزاحم (مولى عمر بن عبد العزيز) :
 ٤١٦ ، ٤١٧
 مزنة (زوج مروان بن محمد) : ١٦٥
 مسلم بن الوليد : ٣٠٠ ، ٣٣٤ ، ٤٢٦
 مسلمة بن عبد الملك : ٢٧٠ ، ٤١٢ ، ٤١٤
 مصعب بن الزبير : ٢١٦
 مطلب بن عبد الله : ٣٢٩
 معاوية بن أبي سفيان : ١٠٣ ، ١٠٦ ،
 ١١١ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٣
 ١٢٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢
 ٣٧٤ ، ٣٩٣
 المعتضد بن عباد : ٣٥١
 معقل بن عيسى : ٣٣٩
 معن بن زائدة : ٤١٧
 المغيرة بن شعبه : ٩٨ ، ٣٦٦
 مفروق بن عمرو : ٣٥٦
 المنذر العبدي : ٢١٢
 المنذر بن ماء السماء : ١٩ ، ٢٠ ،
 ٢١ ، ٧٦
 المنصور بن أبي عامر : ٤٣٨
 المنصور العباسي (الخليفة) : ٢٧٨ ،
 ٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ،
 ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧
 منصور النمرى : ٣٠٨
 المهاجر بن خدّاش : ١٩٤
 المهاجر بن عبد الله : ٢٥
 المهدي العباسي (الخليفة) : ٥٤ ، ١٦٦
 ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٤٢٠
 موسى شهوات : ٢٤٦
 (ن)
 النابغة الجعدي : ١٤٣
 النابغة الذبياني : ٢٠٠
 ناهض بن ثومة : ٣٦

محمد بن عبد الله بن طاهر : ٣٤٣
 محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
 (الرسول ﷺ) : ٣١ ، ٨٩ ،
 ٣٦٠ ، ٣٥٦ ، ٢٠٥
 محمد بن عبد الملك : ٤٣٥
 محمد بن علي بن الحسين : ٢٧٥
 محمد بن عمرو بن العاص : ٣٦٨
 محمد بن كعب القرظي : ٤٠٩
 محمد بن منذر : ٣٦٣
 مروان بن أبي حفصة : ٤١٦ ، ٢٩٠
 مروان بن الحكم : ١٢١ ، ١٢٦
 مزاحم (مولى عمر بن عبد العزيز) :
 ٤١٦ ، ٤١٧
 مزنة (زوج مروان بن محمد) : ١٦٥
 مسلم بن الوليد : ٣٠٠ ، ٣٣٤ ، ٤٢٦
 مسلمة بن عبد الملك : ٢٧٠ ، ٤١٢ ، ٤١٤
 مصعب بن الزبير : ٢١٦
 مطلب بن عبد الله : ٣٢٩
 معاوية بن أبي سفيان : ١٠٣ ، ١٠٦ ،
 ١١١ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٣
 ١٢٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢
 ٣٧٤ ، ٣٩٣

هند بنت النعمان : ٩٨

(و)

وردان (غلام عمرو بن العاص) :

٣٧٣ ، ٣٦٩

الوليد بن عبد الملك ٤٣ ، ١٤٥

الوليد بن عتبة ٦٠

الوليد بن يزيد ٢٧٢

وهب بن ناجية الرصافي ١٨٥

(ي)

يحيى بن أكرم ٤٣٣

يحيى بن خالد ٤٢٤

يزيد بن أبي مسلم ٣٨٥ ، ٤٠٤

يزيد الشيباني ٢٤ ، ١٤٤

يزيد بن مزيد ٢٩١

يزيد بن مفرغ ٢٠٨

يعقوب بن داود ٢٩٠

يوسف بن عمرو النقي ٢٦٢

نجاح بن سلمة ٤٣٦

نجدة بن الأسود ١٨٢

نصيب بن رباح ١٤٧ ، ١٥٤ ، ٢٤١

٢٥٢

نصيب (العباسي الشاعر) ٢٩٦

النعمان بن شريك ٣٥٦

النعمان بن المنذر ٣٥٤

النخيري ١٥٨

(هـ)

هارون الرشيد (الخليفة) ١٦٨ ، ٢٠٠

٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٢٤

هاني بن عروة المرادي ٣٧٢

هاني بن مسعود ٣٥٠

هشام بن عبد الملك ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠

٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٤١٣

٤٢٢ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨

هلال بن الأسعر ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢

هند بنت عتبة ٩٠

فهرس الأماكن

(ق)	(ر)	(ا)
قوس : ١٤٣ ، ٣٣٢	الرصافة : ١٨٥	أسوان : ٣٢٠
(م)	(س)	(ب)
محلة بنى فزارة : ٤٥	السراة : ١٧	البحرين : ٤٨
المحصب : ١٥٨	سر من رأى : ٤٣٥	بدر : ٩٠
المدينة المنورة : ٨٤	السفد : ١٥٥	البصرة : ٤٩
المربد : ٤٩	السمائة : ٩	بطن نمان : ١٥٨
مصر : ٣٢٩	(ص)	بقة : ٦٢
مكة : ٨٤	الصالحية : ٣٢١	(ج)
ملحوب : ٢٠	الصعاب : ٤٨	الجوف : ٢٣
منى : ١٥٨	صفين : ١١٧	(ح)
منفوحة : ١٩٨	(ط)	الحجون : ١١٩ ، ٤٦
(هـ)	الطائف : ١٥٨	الحصاب : ٤٦
هجر : ٤٠	(ع)	حلب : ٣٦
(و)	العذيب : ١٨٧	الخيرة : ٥٤ ، ٣٠ ، ٢٨
الوهط : ١٧	المقيق : ١٥٤	(خ)
(ى)	عكاظ : ٩٠ ، ١٠	خراسان : ٣٢٣
اليامة : ٢٥	(ف)	خير : ٣٦٠
	فارغ : ٩٢	(ذ)
	فخ : ١٥٨	ذنوب : ٢٠

مراجع هذا الجزء

أخبار أبي تمام	: للصولي
الأغاني	: لأبي الفرج الأصفهاني
الأمالي	: لأبي علي القالي
الأمالي	: للزجاجي
الأمالي	: للشريف المرتضى
الأوراق	: للصولي
البداية والنهاية	: لابن كثير
بلاغات النساء	: لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر
بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب	: للؤلؤسي
البيان والتبيين	: للجاحظ
تاريخ الأمم والملوك	: لابن جرير الطبري
التنبيهات	: للبكري
ثمرات الأوراق	: للحموي
جمهرة أشعار العرب	: لأبي زيد الخطابي
جمهرة أمثال العرب	: لأبي هلال العسكري
خزانة الأدب	: للبندادي
ذيل الأمالي والنوادر	: لأبي علي القالي
ذيل زهرة الآداب	: للحصري

ذيل ثمرات الأوراق	: للحموى
الروض الأنف	: للسهيلى
زهر الآداب	: للحمهرى
شرح العيون	: لابن نباتة المصرى
السيرة النبوية	: لابن هشام
سيرة عمر بن عبد العزيز	: لابن عبد الحكم
شرح ديوان الحماسة	: للمرصفى
شرح نهج البلاغة	: لابن أبى الحديد
الشعر والشعراء	: لابن قتيبة
صبح الأعشى	: للقلقشندي
عصر المأمون	: للدكتور فريد رفاعى
العقد الفريد	: لابن عبد ربه
العقد الفريد للملك السعيد	: لأبى سالم محمد بن أبى طلحة
عين الأدب والسياسة	: لأبى حسن على بن هذيل
عيون الأخبار	: لابن قتيبة
غرر الخصاص الواضحة	: لأبى إسحاق الطواط
الفرج بعد الشدة	: للتنوخى
فوات الوافيات	: لابن شاكر الكتبي
الكامل فى التاريخ	: لابن الأثير
الكامل فى الأدب	: للمبرد
مجمع الأمثال	: للميدانى
المحاسن والأضداد	: للجاحظ

المحاسن والمساوى :	البهقي :
محاضرات الأبرار :	لابن عربي :
لباب الآداب :	لابن منقذ :
مروج الذهب :	للسعودي :
المستطرف في كل فن مستظرف :	للأبشيهي :
مصارع العشاق :	لأبي جعفر بن أحمد السراج :
معجم الأدباء :	لياقوت الحموي :
معجم البلدان :	لياقوت الحموي :
معاهد التنقيص :	لبدر الدين العباسي :
مهدب الأغاني :	للشيخ الحضري :
الموشح :	لغرزباني :
نفع الغائب :	للمقري :
نهاية الأرب :	للتنويري :
وفيات الأعيان :	لابن خلكان :

مراجع الضبط والشرح والتحقيق والتراجم

أساس البلاغة	: للزعشمري
أشعار النساء	: للمرزباني
الأعلام	: لحير الدين الزركلي
تاج العروس	: للزبيدي
تاريخ آداب اللغة العربية	: لجورجي زيدان
تاريخ الأمم الإسلامية	: للخصري
تبصير المنتبه	: لابن حجر
دواوين الشعراء	
رغبة الآمل من كتاب الكامل	: للمرصفي
شرح ديوان الحماسة	: للمرصفي
شرح الأمالي	: للبكري
طبقات الشعراء	: لابن سلام
طبقات الشعراء	: لابن قتيبة
الفاخر في الأمثال	: للضي
فهرس خريطة الممالك الإسلامية	: لأمين واصف
القاموس المحيط	: للفيروز أبادي
لسان العرب	: لابن منظور
مراسد الاطلاع	: لابن عبد الحق البغدادي
المنشبه	: للذهبي
المعارف	: لابن قتيبة
معجم البلدان	: لياقوت
وفيات الأعيان	: لابن خلكان

همدان : ٤٤٣
 هند بنت عتبة ٩٠
 هند بنت النعمان : ٩٨
 (و)
 وردان (غلام عمرو بن العاص) :
 ٣٧٣ ، ٣٦٩
 الوليد بن عبد الملك ٤٣ ، ١٤٥
 الوليد بن عتبة ٦٠
 الوليد بن يزيد ٢٧٢
 وهب بن ناجية الرصافي ١٨٥
 (ي)
 يحيى بن أكرم ٤٣٣
 يحيى بن خالد ٤٢٤
 يزيد بن أبي مسلم ٣٨٥ ، ٤٠٤
 يزيد الشيباني ٢٤ ، ١٤٤
 يزيد بن مزيد ٢٩١
 يزيد بن مفرغ ٢٠٨
 يعقوب بن داود ٢٩٠
 يوسف بن عمرو التفتي ٢٦٢

نجاح بن سلمة ٤٣٦
 نجدة بن الأسود ١٨٢
 النخع : ٤٤٤
 نصيب بن رباح (١٤٧ ، ١٥٤ ، ٢٤١ ، ٢٥٢)
 نصيب (العباسي الشاعر) ٢٩٦
 النعمان بن شريك ٣٥٦
 النعمان بن المنذر ٣٥٤
 نعيم ٤٤٢
 النميري ١٥٨
 نهد : ٤٤٣
 (ه)
 هارون الرشيد (الخليفة) ١٦٨ ، ٢٠٠
 ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٢٤
 هاني بن عروة المرادي ٣٧٢
 هاني بن مسعود ٣٥٠
 هشام بن عبد الملك ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠
 ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٤١٣
 ٤٢٢ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨
 هلال بن الأسعر ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢

فهرس الأماكن

فتح : ١٥٨	(ر)	(١)
(ق)	الرصافة : ١٨٥	أسوان : ٣٢٠
قومس : ١٤٣ ، ٣٣٢	(س)	(ب)
(م)	السراة : ١٧	البحرين : ٤٨
محلة بنى فزارة : ٤٥	سرّ من رأى : ٤٣٥	بدر : ٩٠
المخصب : ١٥٨	السغد : ١٥٥	البصرة : ٤٩
المدينة المنورة : ٨٤	السماعة : ٩	بطن نعمان : ١٥٨
المريد : ٤٩	(ص)	بقّة : ٦٢
مصر : ٣٢٩	الصالحية : ٣٢٢	(ج)
مكة : ٨٤	الصعاب : ٤٨	الجوف : ٣٣
ملحوب : ٢٠	صفين : ١١٧	(ح)
منى : ١٥٨	(ط)	الحجون : ٤٦ ، ١١٩
منفوحة : ١٩٨	الطائف : ١٥٨	الحصاب : ٤٦
(هـ)	(ع)	حلب : ٣٦
هجر : ٤٠	العذيب : ١٨٧	الحيرة : ٢٨ ، ٣٠ ، ٥٤
(و)	المقيق : ١٥٤	(خ)
الوهط : ١٧	عكاظ : ١٠ ، ٩٠	خراسان : ٣٢٣
(ى)	(ف)	خير : ٣٦٠
اليامة : ٢٥	قارع : ٩٢	(ذ)
		ذنوب : ٢٠

مراجع هذا الجزء

أخبار أبي تمام	: للصولى
الأغانى	: لأبى الفرج الأصفهاني
الأمالى	: لأبى على القالى
الأمالى	: للزجاجى
الأمالى	: للشريف المرتضى
الأوراق	: للصولى
البداية والنهاية	: لابن كثير
بلاغات النساء	: لأبى الفضل أحمد بن أبى طاهر
بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب	: للألوسى
البيان والتبيين	: للجاحظ
تاريخ الأمم والملوك	: لابن جرير الطبرى
التنبيهات	: للبكرى
ثمرات الأوراق	: للحموى
جمهرة أشعار العرب	: لأبى زيد الخطائى
جمهرة أمثال العرب	: لأبى هلال العسكري
خزانة الأدب	: للبغدادى
ذيل الأمالى والنوادر	: لأبى على القالى
ذيل زهرة الآداب	: للحصرى

ذيل ثمرات الأوراق :	للحموى
الروض الأنف :	للسميلي
زهر الآداب :	للحصري
سرح العيون :	لابن نباتة المصري
السيرة النبوية :	لابن هشام
سيرة عمر بن عبد العزيز :	لابن عبد الحكم
شرح ديوان الحماسة :	للمرصفي
شرح سهج البلاغة :	لابن أبي الحديد
الشعر والشعراء :	لابن قتيبة
صبح الأعشى :	للقلقشندي
طبقات الشافعية :	للسبكي
عصر المأمون :	للدكتور فريد رفاعي
العقد الفريد :	لابن عبد ربه
العقد الفريد للملك السعيد :	لأبي سالم محمد بن أبي طلحة
عين الأدب والسياسة :	لأبي حسن علي بن هذيل
عيون الأخبار :	لابن قتيبة
غرر الخصائص الواضحة :	لأبي إسحاق الوطواط
الفرج بعد الشدة :	للتنوخى
فوات الوفيات :	لابن شاكر الكتبي
الكامل في التاريخ :	لابن الأثير
الكامل في الأدب :	للمبرد
مجمع الأمثال :	للميداني
الحاسن والأضداد :	للقاحظ

المحاسن والمساوى	: للبيهقي
محاضرات الأبرار	: لابن عربي
لباب الآداب	: لابن منقذ
مروج الذهب	: للمسعودي
المستطرف في كل فن مستظرف	: للأبشيهي
مصارع العشاق	: لأبي جعفر بن أحمد السراج
معجم الأدباء	: لياقوت الحموي
معجم البلدان	: لياقوت الحموي
معاهد التنصيص	: لبدر الدين العباسي
مذهب الأغاني	: للشيخ الخصري
للوشح	: للمرزباني
نفع الطيب	: للعقري
نهاية الأرب	: للنويري
وفيات الأعيان	: لابن خلكان

مراجع الضبط والشرح والتحقيق والتراجم

أساس البلاغة	: للزخشرى
أشعار النساء	: للمرزبانى
الأعلام	: لخير الدين الزركلى
تاج العروس	: للزبيدى
تاريخ آداب اللغة العربية	: لجورجى زيدان
تاريخ الأمم الإسلامية	: للخضرى
تبصير المنقبه	: لابن حجر
دواوين الشعراء	
رغبة الآمل من كتاب الكامل	: للمرصنى
شرح ديوان الحماسة	: للمرصنى
شرح الأمالى	: للبكرى
طبقات الشعراء	: لابن سلام
طبقات الشعراء	: لابن قتيبة
الفاخر فى الأمثال	: للضبى
فهرس خريطة الممالك الإسلامية	: لأمين واصف
القاموس المحيط	: للفيروز أبادى
لسان العرب	: لابن منظور
مراصد الاطلاع	: لابن عبد الحق البغدادى

المشقبه	: للذهبي
المعارف	: لابن قتيبة
معجم البلدان	: لياقوت
وفيات الأعيان	: لابن خلكان
